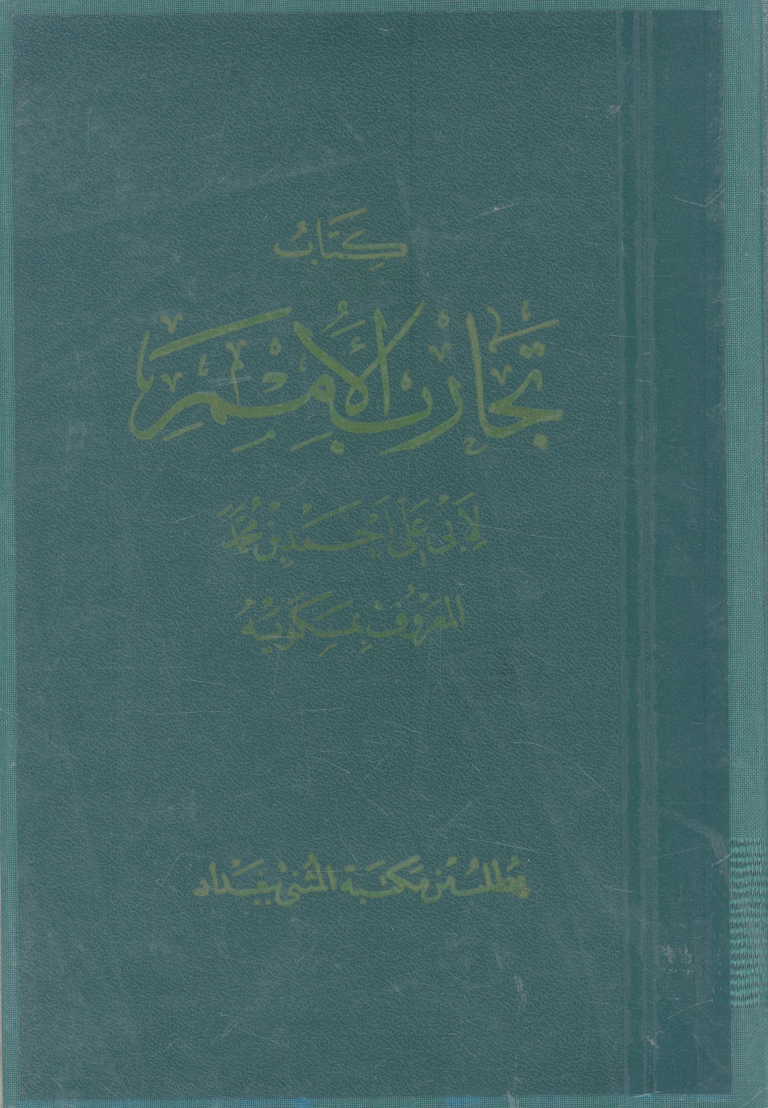

كتاب
تجارب الأمم
لأبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه
يطلب من مكتبة المثنى ببغداد







كتاب
تجارب الأمم

لأبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه

الجزء الأول

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالأمور المذكورة فيه
وقد اعتنى بالنسخ والتصحيح هـ ف آمدروز

(يحتوي على حوادث خمس وثلاثين سنة) «من ٢٩٥ الى ٣٢٩ هجريه»

بمطبعته بشركة التمدن الصناعيه بمصر المحميه سنة ١٣٣٢ هـ و ١٩١٤ م



خلافة المقتدر بالله (٥٧)

وبويع جعفر بن المعتضد بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

﴿ ذكر ما جرى في ذلك ﴾

لما ثقل المكتفي في علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة وترجح رأيه [1] وكان يركب من داره الى دار السلطان ويسايره واحد من الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح وأبو الحسن محمد [2] بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وأبو الحسن علي بن عيسى فركب معه محمد بن داود فشاوره العباس فأشار بأبي العباس عبد الله بن المعتز فقرظه ووصفه . ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فشاوره فقال له [3] هذا شيء ما جرت به عادتي .

(١) يريد لم يستقر رأيه (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب لياقوت الحموي ٥ : ٢٧٧ (٣) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء لهلال الصابي ١١٤ * وأما الوزير فقال جمال الدين علي بن ظافر في كتابه الدول المنقطعة انه العباس بن الحسن بن أحمد بن القاسم ابن عبد الله بن أيوب من سواد جرجرايا . ذكره الهمذاني في عيون السير من تصنيفه

(٥٨) واستعفاه وقال : انما أشاور في العمال . فأظهر العباس غضباً وقال : هذه محاجزة وليس يخفى عليك [الصحيح] (١) . وألحّ عليه فقال له . ان كان رأى الوزير قد تقرر على انسان بعينه فليستخر الله ويمضي عزمه . قال ابن الفرات فعلم انى قد عنيت ابن المعتز لاشتهار الخبر به فقال لى . ليس أريد منك الآن تمحضنى النصيحة . فقلت له : اذا أراد الوزير ذلك فانى أقول « اتق الله ولا تنصب فى هذا الامر من قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن لقى الناس ولقوه وعرف الامور وتحنك وحسب حساب نعم الناس » (قال) فاستعاد ذلك مني الوزير دفعات ثم قال : فبمن تشير فقلت بجعفر بن المعتضد فقال ويحك جعفر صبى قلت الا انه ابن المعتضد ولِمَ تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف مالنا ويمن يباشر التدبير بنفسه ويرى انه مستقل ولِمَ لا تسلم هذا الامرَ الى من يدعك تدبِّره أنت

ثم شاور أبا الحسن على بن عيسى فى اليوم الثالث واجتهد به ان يُسمّي له أحداً فامتنع وقال : أنا لا أشير بأحد ولكن ينبغي ان يتقى الله وينظر للدين (٢)

فمالت نفس العباس بن الحسن الى رأى أبي الحسن بن الفرات (٥٩) ووافق ذلك ما كان المكتفى عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة . فلما مات المكتفى آخر نهار يوم السبت الثانى عشر من ذي القعدة نصب الوزير العباس جعفراً فى الخلافة على كراهية منه لصغر سنه . ومضى صافي الحُرمى لحدره من دار ابن طاهر فلما اجتازت الحراقة التى حدر فيها وانتهت الى [دار] العباس بن الحسن صاح غلمان العباس بالملاح أن ادخل . فوقع لصافي الحرمى ان العباس انما يريد ان يدخله الى داره ليتدبّر رأيه فيه وأشفق أن يعدل عنه الى غيره فمنع

(١) هذه الكلمة زدناها (٢) راجع كتاب الوزراء ١٢٧

الملاح من الدخول وجرّد سيفه وقال للملاح : ان دخلت رميت برأسك. فانحدر وجهاً واحداً الى دار السلطان [١]

فثم أمر جعفر ولقب المقتدر بالله وأطلق السلطان يد العباس فأخرج المال للبيعة . وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ان القاضى أبا عُمر محمد بن يوسف حدّثه ان العباس بعد اتمامه أمر المقتدر استصباه وكثر كلام الناس فعمل على أن يحلّ أمره ويقلّد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله . وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذاهب فوسّط الوزير أمره بينه وبينه القاضي أبا عُمر . وسامَهُ اليمين فقال (٦٠) ابن المعتمد : ان لم تصحّ نيّتهُ لم تغن فيه اليمين وان صحت استغنى عنها . وله الله راع وكفيل على انى لا أغدر به ولا أنكبه . [٢]

وكان العباس ينتظر بامره قدوم بارس الحاجب غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان فانه كان ورد كتابه وقدّر انه يستظهر به وبمن معه على غلمان المعتضد ، فتمادت الايام بقدوم بارس . ووقع بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يومئذٍ في مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطابٌ ، فاربى [٣] عليه ابن عمرويه في الكلام ولم يكن علم بما رشّح له ولم يمكن أبا عبد الله ان ينتصف منه لمحله فاغتاظ غيظاً شديداً كَظَمَهُ فغشى عليه وفُلِجَ [٤] فى المجلس فاستدعى العباس

---

(١) راجع صلة عريب ٢٢ (٢) راجع صلة عريب ٢٠ (٣) راجع البيان للجاحظ ٢ : ٣٦

(٤) فى الاصل: مفلح . وهو تصحيف من الناسخ لان مفلح الخادم وان كان من المقربين لدى الخليفة ومن ملازمى مجلسه كما يأتي ذكره في سنة ٣١١ و٣١٥ ولكن المناسب فى هذا المقام و «فلج» كما يفهم من صلة عريب حيث قال وعرض لمحمد بن المعتمد في شهر رمضان فالج فى مجلس العباس من غيظ أصابه في مناظرة كانت بينه وبين ابن عمرويه الخ ولذلك وضعنا الصواب فى المتن

عمّاريّة وأمر بحمله فيها الى داره فحُمل ولم يلبث ان مات، فعمل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد المتوكل على الله مكانه فمات أيضا، وتمّ أمر المقتدر

ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتز

(ذكر الخبر عن ذلك)

كان التدبير يقع بين محمد بن داود بن الجرّاح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر[٦١] بالله ونصب عبدالله بن المعتزّ مكانه، وواطأ على ذلك جماعة من القوّاد والكُتّاب والقُضاة . فركب يوماً العباس بن الحسن يريد بُستانه المعروف ببستان الورد فاعترضه الحسين بن حمدان وعَلاهُ بالسيف وقتله[١] وكان الى جانبه فاتك المعتضديّ يُسايره فصاح بالحسين منكراً عليه فعطف عليه الحسين وقتله . واضطرب الناس وركض الحسين بن حمدان قاصداً الى الحلبة مُقدّراً ان المقتدر هناك يضرب بالصوالجة فيقتله، فلما سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول الى داره وغلقت الابواب دون الحسين . فانصرف الى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخرم وبعث الى عبد الله ابن المعتزّ يُعرفه تمام التدبير، فنزل عبد الله من داره التي على الصَراة وعبر الى المخرّم . وحضر القواد والجند وأصحاب الدواوين ومنهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر[٢] فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة وانعقد له الامر ولقب المرتضي بالله واستوزر أبا عبدالله محمد بن داود بن

---

(١) صلة عريب ٢٦ وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تكملة تاريخ الطبري أنه كان للوزير ابن كنيته أبو جعفر واسمه محمد فمضى بعد قتل أبيه الى بخارا وأقام عند ملوك السامانية (٢) راجع ماقال ابن المعتز فيه وفي علي بن عيسى : كتاب الوزراء ١٣٧

الجرّاح . وقلد علي بن عيسى الدواوين[٦٢] والاصول ومحمد بن عبدون دواوين الأزمة وتفذت الكتب الى الامصار كلها عن عبد الله بن المعتز ووجه الى المقتدر بالله يأمره بالانصراف الى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو الى دار الخلافة فأجيب بالسمع والطاعة .

وعاد الحسين بن حمدان من غدٍ الى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم ومن كان هناك من الرجّالة من وراء السور ودفعوه عن الدار فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحرمه وولده وسار بالليل الى الموصل . ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القوّاد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال والحاشية فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالانصراف الى دار ابن طاهر قالت هذه الجماعة بعضها لبعض : ياقوم نسلّم الامر هكذا ؟ لِمَ لا نجرّد أنفسنا في دفع ماقد أظلنا فلعل الله أن يكشفه عنّا . فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذاآت ومعهم جماعة ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخُوَذ والسلاح وصاروا الى دار المخرّم . فلما قربوا منها ورآهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا : شذاآت مصعدة من دار السلطان . ووقع الرعب في قلوبهم فتطايروا[٦٣] على وجوههم قبل أن تجرى بينهم حرب وقبل وصول الشذاآت الى الدار . وخرج عبد الله بن المعتز ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يُمْن . وقد شهر يُمْن سيفه وهو ينادي معشر العامة ادعوا الله لخليفتكم . وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم ان يتبعهم الجيش ويصيروا الى سُرَّ مَن رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد . فلما رأى محمد بن داود نزل عن دابته لما حاذى داره ودخلها واستتر ونزل أبو عبد الله بن المعتز في موضع آخر ومشى الى دجلة وانحدر الى دار

أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار به . فقرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد * وكان محمد بن عَمْرَويه صاحب الشُّرطة فركب وقاتله العامة لانه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه . وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن[1]

وكان خرج في الوقت الذي خرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن علي ابن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبدالله بن المعتز واستترا في منزل رجل يبيع البقل . ونذر بهما العامة فكبسوهما وأخرجوهما وسلّموهما الى بعض خدم المقتدر[٦٤] المجتازين في الطرق فاركبهما جميعاً على بغل أكّاف كان معه ولحقهما في الطريق من العامة أذى شديد حتى حصلا في الدار ووكل بهما .

وقبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش[2] ويُمْن وفاتك وجماعة ممن كان حاضراً دار ابن المعتز وفيهم القاضي أبو عمر محمد ابن يوسف والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلّموا الى مونس الخازن ثم أمر بقتلهم أجمعين فقتلهم تلك الليلة سوى علي بن عيسى ومحمد بن عبدون والقاضي أبي عمر والقاضي محمد بن خلف فان هؤلاء سَلموا

وأنفذ المقتدر مونساً الخازن الى دار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العَطَش بعد ان أعطاه خاتمه وأعلمه انه يريد أن يستوزره . وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره فلم يظهر له . فأعيد اليه مرّة أخرى فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يستوزر فظهر له وقت العصر من

(١) وفي صلة عريب : الخادم . ولكن الراجح انه الخازن (٢) في الوزراء ٢٣٥ : خطلومش

ذلك اليوم وصار به الى دار السلطان ووصل الى المقتدر وقلّده وزارته ودواوينه وعاد الى داره بسوق العَطَش . وبكّر يوم الاثنين وهو غد ذلك [٦٥] اليوم فخُلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه القوّاد بأسرهم . وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلُّده الشرطة . وأطلق ابن الفرات للجند مالاً لصلةٍ ثانيةٍ وجدّد البيعة للمقتدر

﴿ ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز ﴾

صار خادمٌ لأبي عبد الله بن الجصّاص يعرف بسوسن الي صافي الحَرَمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر فى دار مولاه فانفذ المقتدر بالله صافياً الحرمى في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبدالله ابن المعتز فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص الى دار السلطان . ثم صودر ابن الجصاص على مال بذلهُ وأطلقه الى منزله بعد ان تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات

وسُلم على بن عيسى ومحمد بن عبدون الى أبى الحسن ابن الفرات وناظرهما بمراسلة وصادرهما وخفف عن على بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر : لم يكن لهذين فى أمر ابن المعتز صنع وتكفل بهما وبالقاضى محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم . ثم نفى محمد ابن عبدون الى الاهواز وأمر بتسليمه الى محمد بن جعفر العَبرتائيّ ونفى على بن عيسى الى واسط بعد ان افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها [٦٦] الى سُوسَن الحاجب واستكفّه بها عنه فانه كان يغري به ويقول : كان مطابقاً لعمّهِ . وظهر موت عبد الله بن المعتز فى دار السلطان ودفع الى أهله ملفوفاً فى زِلّى برذون . وتم ما كان في سابق علم الله عز وجل وحكم به من

ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم في ازالته [١]

فأما محمد بن داود فحكى أبو على محمد بن على بن مقلة قال : كنا بحضرة الوزير أبي الحسن في يوم هو فيه متخل ودخل اليه بعض غلمانه فساره فظهر منه غم شديد . واذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال : كان مع عداوته لي رجلا عاقلا كثير المحاسن يجمع الى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والفقه والادب والشعر وكان كريما سخيا وقد جري عليه من القتل أمر عظيم . ثم لعن على بن الحسين القنّاى [٢] النصراني وقال . هو غرّ هذا الرجل فان ما كان بينه وبينه من المودّة مشهور فخلّص نفسه وقتل صديقه

(ذكر ماعمله القنّاى في أمر محمد بن داود [٣])

كان سوسن عدوًّا لمحمد بن داود وكذلك صاف الحرمى فاغريا المقتدر بالله وقالا له (٦٧) : ان على بن الحسين القناى يعرف موضعه . فقبض عليه وهُدد بالقتل فحلف انه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه محمد بن داود وانما تأتيه رقاعه بيد امرأة تجيء الى امرأة نصرانية تجيئه بها وضمن انه يحتال في اثارته فأطلق . وكاتب محمد بن داود وأعلمه انه قد سفر له مع سوسن في أمر يكون به خلاصه وان ما جرى في ذلك لا تحتمله المكاتبة وان الوجه ان يأذن له في المصير اليه في الموضع الذي هو فيه مستتر فان لم يأذن في ذلك صاحب

---

(١) ليراجع قول الطبري فيه : صلة عريب ٢٨ (٢) « القنانى » في صلة عريب ١٢٥

(٣) وأما محمد بن داود بن الجراح فقال الصفدى في كتابه الوافي بالوفيات . ومن تصانيفه كتاب الورقة سماه بذلك لانه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر على ورقة . ولهذا سمي الصولى كتابه في أخبار الخلفاء بالاوراق لانه أطال في أخبار كل واحد أوراقا . وفي أمر محمد بن داود ليراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٢٦

داره خرج متنكراً وصار اليه فكتب اليه محمد بن داود انه يصير اليه في ليلة ذكرها . فمضى على بن الحسين برقعته الى سوسن وصاف فاقرأهما اياها فترصدا تلك الليلة وأمرا صاحب الشرطة أن يتقدم الى أصحاب الارباع وأصحاب المسالح بترصده فلما خرج تلك الليلة ظفر به وسلم الى مونس الخازن فقتله ثم طرحه على الطريق حتى أخذه أهله فدفنوه

وحكى أبو على ابن مقلة وأبو عبد الله زنجي الكاتب أن محمد بن داود كتب الى ابن الفرات رقعة وصلت اليه فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطه وقال لموصلها وكان ثقة عنده : تقرأ عليه السلام وتقول له « ليس جرمك يسيرا[٦٨] والعهد به قريب والاستتار صناعة » فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك ثم دعني والتدبير في أمرك فاني باذن الله اسفر بعد هذه المدة في صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطه . وأقول « انه دخل فيما دخل فيه القواد وكتابهم وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم ولهذا بهم أسوة وأشير عليه بما يصلح أمرك » فلم يصبر محمد بن داود فجرى ما حكيته .

وحكى أيضا ابن زنجي[١] أنه كان بحضرة أبي الحسن بن الفرات اذ كتب اليه صاحب الخبر بان متنصحا حضر وذكر أن عنده نصيحة لا يذكرها الا للوزير فتقدم الوزير الى حاجبه أن يخرج اليه ويسأله عنها فخرج وسأله فابى أن يخبره بها وقال : أريد أن أشافه بها الوزير قال : وكنا بين يديه جماعة فأومأ الينا فقمنا وخلا به ثم دعا بحاجبه العباس الفرغاني وقال له : اجمع الرجال الذين برسم الدار . ثم دعا أبا بشر بن فرجويه وقال له سرا : ان هذا الرجل تنصح الى فى أمر محمد بن داود وذكر أنه يعرف موضعه وأنه

(١) وزراء ٢٥

بات البارحة عنده والتمس أن أنفذ معه من يسلمه اليه وقد بذلت على ذلك الف دينـار ان كان صحيحا أو نيـله بالعقوبة ان كان باطـلا فصر على ذلك، فاكتب[٦٩] اليه الساعة أن ينتقل عن موضعه فانى أبعث الى مكانه من يكبسه ويلتمسه . ولم يزل يستعجل الحاجب في جمع الرجال فيقول « قـد فرّقت النقباء فى طلبهم فانهم في اطراف البلد منهم من ينزل في قصر عيسى ومنهم من ينزل بباب الشماسية » ولم يزل يدافع بالامر الى أن عاد الجواب الى أبى بشر بشكره وانه قـد انتقل من موضعه الى غيره . فتقدم حينئذ الى المتنصح أن يمضى الى الموضع مع القوم وتقدم بالاحتياط عليه وعلى مايليه وكبسه بعـد ذلك وحمله فان لم يجده فتّش الدور التي تلى الموضع وأن يستظهر بحفظ أفواه الدروب حتى لا تفوته الحُرَم[١] ويأخذ معه السلاليم . فمضى العباس الحاجب والمتنصح والرجال ووكل بافواه الدروب والدور المجاورة للموضع . ودخل الدار التى ذكرها المتنصح فلم يجده فقال المتنصح : في هذا الموضع والله العظيم خلفته وههنا كان بائتا . وأقبل يسير الى موضع موضع وماعلمه فيه . ثم التمسه في الدار المجاورة فـلم يجده وعاد به الى حضرة الوزير فانكر على المتنصح سعايتـه بالباطل وأمر بحمله الى باب العامـة وضربه مائتي مقرعة وان يشهر على جمل وينادى عليه « هذا جزاء من يسعى بالباطل »[٧٠] وكتب الى المقتدر وعرّفه الصورة وانه كبس على محمد بن داود عدة دور فلم يجده فاوقع العقوبة بالساعى حتى لا يقدم نُظراؤه على السعاية بالباطل . فلما عاد الساعى الى داره تقدم بان يحمل اليه مائتى دينار وأن يُحدر الى البصرة وقال لنا :قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولولم أفعل مافعلته لم آمن أن يمضى الى دار

(١) كذا الأصل لعله لا تفوته الحرم أو لا يفوته الحزم

السلطان . وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الجرّاح وعرّف الوزير موضعه نكتمة الوزير ولم يظهره . وهذا مما لا ينكر من أبي الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل افعاله [١]

﴿ وفيها قبض على محمد بن عبدون وسوسن الحاجب وقتلا ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تدبيره وظن أنه يقرره علي الحجبة فلما عدل عنه الى يمن استوحش وصار الى دار السلطان [٢] وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير بحضرة المقتدر بالله فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة تفرد بالتدبير دون سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسن [٧١] ابن الفرات لاجل ذلك . وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الفتك بابن الفرات بمواطاة عدة من الغلمان الحجرية على ذلك . ودبر أن يكون الوزير محمد بن عبدون وأشار بذلك على المقتدر بالله وبذل على ذلك مالا عظيما . وأنفذ بُنَيّ بن نفيس الى الاهواز لاحضار محمد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر بنى أنه انما أنفذ لاخذ أموال كانت مودعة للعباس بن الحسن بالبصرة . ولم يصل محمد بن عبدون الى واسط حتى ظهر الخبر لابن الفرات فقرر ابن الفرات في نفس المقتدر أن سوسنا عمل على الايقاع به أولا ثم به وأنه كان من اكبر اعضاد عبد الله بن المعتز وانما خالفه اخيرا لمّا علم أنه قد استحجب غيره فوافق المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه . وكان المتولى لذلك تكين الخاصة وكان تكين هذا مرشّحا للحجبة ومدبرا لها [٣]

---

(١) وردت هذه الرواية في كتاب الوزراء ٢٥ (٢) راجع ما في صلة عريب ٢٧ (٣) راجع وزراء ١٣٨

ثم أنفذ الوزير الى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجددة ثم سلم الى مونس الخازن فقتله. وقلق أبو الحسن علي بن عيسى لذلك وهو بواسط فكتب الى الوزير كتابا يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون الا أنه لا يدع الصدق من فعله وأن محمد بن عبدون لم يكن ليسعى على (٧٢) دم نفسه بتضمنه الوزارة بل كان راضيا بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز وان سوسنا عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته. وسأل في أمر نفسه أن يبعده الى مكة ليسلم من الظنة ولينسى السلطان ذكره. فاجابه ابن الفرات الى ذلك وأخرجه من واسط الى مكة على حال جميلة فشخص اليها على طريق البصرة. وكتب علي بن عيسى هذا الكتاب مقدرا أن يخلص به محمد بن عبدون من القتل ويسلم هو فوقاه الله في نفسه بجميل نيته وحضر أجل محمد بن عبدون فلم ينفعه اجتهاد علي بن عيسى في خلاصه [1]

ولما استقر أمر المقتدر بالله في الخلافة فوض الأمور الى أبي الحسن ابن الفرات فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء. وتفرد المقتدر على لذاته متوفرا واحتشم الرجال واطرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرم والخدم فما زال أبو الحسن ينفق الاموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيرا مفرطا الى أن أتلفها. ومن محاسن ابن الفرات أنه افتتح أمره باخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمال في جميع النواحي بافاضة العدل في الرعية وازالة الرسوم الجائرة عنهم واخراج أمره لجماعة (٧٣) بني هاشم بجار ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز والحاقهم في الصلة عن لم تكن له جناية.

---

(١) وزراء ٢٧ — ٢٦

وتلطف في أمر الحسين بن حمدان وابراهيم بن كيغلغ حتى رضي المقتدر عنهما وقلدهما الأعمال وفعل ذلك بابن عمرويه

﴿ ذكر التدبير الصواب فى ذلك ﴾

أنه عرّف المقتدر بالله أنه متى عاقب جميع من دخل فى أمر ابن المعتز فسدت النيات وكثر الخوارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل للخلاص بافساد المملكة . وأشار باحراق جميع الجرائد التى وجد فيها أسماء التابعين لابن المعتز فاستجاب الى ذلك وأمر ابن الفرات بتغريق الجرائد في دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون [١]

﴿ ذكر ما جرى فى أمر القاضى أبي عمر ﴾

كان القاضي يوسف بن يعقوب [٢] شيخا كبير السن يلازم ابن الفرات ويبكي بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبي عمر من القتل فيذكر له أبو الحسن أنه لا يتمكن من ذلك إلا باطماع المقتدر بالله في مال جليل من جهته فبذل أبوه أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة . فسأل [٧٤] ابن الفرات المقتدر بالله الصفح عنه وأطمعه في ماله ومال ولده فسلمه المقتدر اليه فصادره على مائة ألف دينار واعتقله في ديوان بيت المال ليؤدى المال فأدى أكثره . ودخل فيما أداه وديعة قيل أنها كانت عنده للعباس بن الحسن مبلغها خمسة وأربعون ألف دينار فلما أدى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات باطلاقه الى منزله وترك له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله وألا يخرج منه [٣]

---

(١) راجع كتاب الوزراء ١١٩ (٢) كان قلد قضاء الجانب الشرقى سنة ٢٨٢ بعد ابن عمه اسمعيل بن اسحق :ارشادالأريب ٢ : ٢٦١ — ٢٩٠ (٣)راجع الفرج بعد الشدة ١ : ١٢٢ — ١٢٠

﴿ ذكر خيانة واتفاق سيء اتفق فيها ﴾

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحققا بأبي الحسن ابن الفرات ومدلا[١] بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن الفرات وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات ووجد أبو الحسن كتبا في البيعة لعبد الله بن المعتز بخط سليمان لتحققه كان بمحمد بن داود بن الجراح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره. ونوه باسم سليمان وقلده مجلس العامة رياسة. ثم أن سليمان جنى على نفسه بالسعي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الحميد في الوزارة[٢] وعمل في ذلك نسخة بخطه عن نفسه الى المقتدر بالله[٧٥] يسعى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه. وكانت الرقعة في كمه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات فسقطت الرقعة من كمه وظفر بها الصقر بن محمد الكاتب لأنه كان يصلي الى جنبه فأقبل بها مبادراً الى الوزير من وقته فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق الى واسط ووكل به وصودر. وجرى على طبعه وشاكلته فأحسن اليه وقلده[٣]

وفيها كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومحاربته وأمد بالقاسم بن سيما في أربعة آلاف فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر ابراهيم بن حمدان لاصلاح أمر أخيه الحسين فأجيب الى ما التمس وكوتب للحسين أمان وصار الى الحضرة. ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان وقلد أعمال الحرب بقم وحملت اليه الخلع فلبسها

(١) يريد مدليا (٢) فابانا كذا في صلة عريب ٧٩ (٣) راجع كتاب الوزراء ١٠٢،٢٨ : والفرج بعد الشدة ١٢٤:١

ونفذ الى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو [1]

وفيها قدم بارس غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان في أربعة آلاف غلام أتراك وغيرهم وصار الى بغداد مستأمناً . وكان مولاه اتبعه الى الري مظهرا الاستيحاش من قبول السلطان غلامه فكاتبه [76] ابن الفرات بما سكن منه حتى عاد الى خراسان وقلد بارس ديار ربيعة فانفذه اليها

وقلد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وآذربيجان وعقد له عليها وضمنه اياها بمائة ألف وعشرين الف دينار في كل سنة محمولة الى بيت مال العامة بالحضرة فسار من الدينور اليها

﴿ ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين ﴾

وفيها أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قبة على بغل وقد كشف جلالها وهما بين يدى أبي الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي كاتب سبكرى المتقلد فارس ووصل الى حضرة المقتدر ووصلا معه بعد أن حلت قيودهما و... على عبد الرحمن بن جعفر ورتب في الفوج الاول وركب عبد الرحمن في الخلع وأنزل في دار في مربعة الخرّمي [2] وحبس طاهر ويعقوب في دار السلطان

وكان سُبكرى متغلبا على فارس فلما قدم عبد الرحمن كاتبه قرر أمر سبكرى مع السلطان على شيء يحمله عن فارس ثم عاد الى صاحبه فورد الخبر بعد ذلك بان الليث بن علي خرج من سجستان وقصد فارس فدخلها

(١) راجع الطبرى ٣ : ٢٢٨٤ (٢) يعنى صالح الخرمى وهو من أولاد ملوك خراسان من أهل بلخ وكان يسمى صاحب المصلى لان المنصور كان وهبه حصيراً للصلاة أخذ من خزائن عبد الله بن علي بشرط أن يحمله في الاعياد حتى يصلى عليه . كذا فى المنتظم لابن الجوزى فى ترجمة علي بن صالح سنة ٢٢٩ (وفى صلة عريب فى مربعة الحرشي)

وخرج سبكرى . فندب مونس الخادم للشخوص الى فارس وخلع عليه وسار فوجد سبكرى برامهرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره . وسار الليث الى أرجان ليلقى مونسا

(ذكر عجلة واتفاق سيّء)

ثم أنه بلغ ليثاً أن الحسين بن حمدان قد سار من قم الى البيضاء فخاف أن توخذ منه شيراز فوجه أخاه مع قطعة من جيشه الى شيراز ليحفظها وأخذ هو دليلا يدله على طريق مختصرٍ قريب الى البيضاء ليوقع بالحسين بن حمدان . فأخذ به الدليل فى طريق الرّجالة وهو طريق صعب ضيق لا يحمل الجيوش فلقى فى طريقه مشقة عظيمة حتى تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل الدليل وعدل عن الطريق فخرج الى خوابذان وقد وصل اليها مونس . فلما أشرف الليث على عسكر مونس قدر أنه عسكر أخيه الذى أنفذه الى شيراز فكبر أصحابه فخرج اليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً . فلما حصل في يده أشار عليه قواده بالقبض على سبكري فلم يفعل . وألح عليه أصحابه فأظهر القبول منهم وقال : اذا صار الينا في غد قبضنا عليه . وكان سبكرى كل يوم يركب من مضربه الى مونس فيسلم(٧٨) عليه فوجه اليه مونس سراً وعرفه ما أشار عليه قواده وأشار عليه بالمسير الى شيراز والاسراع ففعل سبكري بما أشار به فلما أصبح وتعالى النهار قال : ياقوم ما جاءنا سبكرى اليوم فوجهوا اليه وتعرفوا خبره . وعاد الرسول وعرّفه أن سبكرى قد سار الى شيراز من أول الليل . فعاد باللوم على قُوّاده وقال لهم : من جهتكم شاع الخبر وبلغه فاستوحش . وسار مونس ومعه الليث راجعاً الى مدينة السلام وانصرف الحسين الى قُمّ

﴿ ذكر تدبير فاسد وما آل اليه ﴾

لما حصل سبكرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتّال فضرّبه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه فى جنبة السلطان وأنه قد أحلف قوّاده كلهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم وليس يتعذّر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه . ففزع سبكرى من هذه الحال وقبض على عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانَهُ رجلاً يعرف باسمعيل بن ابراهيم التيمي فحمله اسمعيل هذا على الخلاف وقال له : قد انصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود اليك سريعاً فاربح ما كنت تحمله الى السلطان واصلح أمورك[٧٩] وأرض جندك ثم تنظر .

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب الى ابن الفرات يخبره وما جرى عليه وبخلاف سبكرى على السلطان فكتب ابن الفرات الى مونس (وقد صار الى واسط) كتاباً يقول فيه : إن كنت فتحت فقد أغلقت وان كنت قد أسرت فقد أطلقت ولابدّ من أن تعود تُحارب سبكرى . فعاد مونس الى الأهواز واخذ سبكرى فى مُلاطفة مونس ومُهاداته ومسئلته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مُقاطعا عليه القاسم بن عبيد الله فى أيام المكتفى بالله فانه كان متاطعا على أربعة الاف الف ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف الف . فلم يرضَ بذلك ابن الفرات فلم يزل يزيد ألف ألف حتى بلغ تسعة آلاف ألف خالصةً للحمل وذكر أن باقى الارتفاع يحتاج اليه سبكرى لاعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هناك فأقام ابن الفرات على أنه لا يقنع الا بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سبكرى بأن يقارب السلطان

والوزير فابى سبكري أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئا فاغتاظ الوزير من تماتُن سبكرى واتّهم مونساً بالمَيْل اليه

(ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين)

(ذكر ماجرى على سبكرى من الأسر)[٨٠]

ثم أنه عدل الى إنفاذ وصيف كامَه مع عِدّةِ قُوّاد من مدينة السلام وإنفاذ محمد بن جعفر العَبَرْتاىّ معهم وعوّل عليه فى فتح فارس. وكتب الى مونس أنه لايثق باحد سواه فى حفظ الليث وأن سبيلَهُ أن يوافى به الى مدينة السلام ويدع أكثر قُوّاده وأصحابه مع محمد بن جعفر بالقرب من نواحى فارس لئلا ينجذبوا باسرهم الى بغداد قبل أن يتقرّر الأمر مع سبكري فى مال المفارقة فيطمع سبكرى فى السلطان

فخرج مونس عن الاهواز وكتب الوزير حينئذ الى محمد بن جعفر العبرتاى والقُوّاد بالمبادرة الى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القُوّاد وانضمّ اليه وصيف كامَه ثم أمدّه بسيما الخَزَرى وفاتك المعتضدى ويمن الطولونى. فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار الى سبكرى وواقعه على باب شيراز فانهزم سبكرى الى بمّ وتحصّنَ بها وتبعه الى هُناك فهزمَه أيضاً ودخل مفازة خراسان وأسر القتّال. وورد الكتاب بالفتح فخلع السلطان على الوزير عند ذلك وقلد محمد بن جعفر العبرتاي فُتَيحاً خادم الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان وكان يميل الى فُتَيح[٨١] لحسن وجهه

وفيها ورد كتاب أحمد بن اسمعيل صاحب خراسان بفتحه سجستان وأسره محمد بن على بن الليث ثم ورد كتابه بأسره سبكرى فكتب الى احمد بن اسمعيل بحمل سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى الحضرة.

فلما كان فى شوال من هذه السنة أدخل سبكرى ومحمد بن على بن الليث مشهرين على فيلين فخلع على الوزير ابن الفرات ثم على المرزبانى خليفة صاحب خراسان وحمل مع الرسل الذين حملوا سبكرى ومحمد بن على بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر الى صاحب خراسان [١]

وفيها ورد الخبر بوفاة العبرتاي ثم بوفاة فتيح وقلد عبد الله بن ابراهيم المسمعى أعمال المعاون بفارس

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة فى طيارها تحت الجسر فى يوم ريح عاصف وكانت زوّجت ابنتيها من بُنَيّ بن نفيس وقيصر فحضرا جنازتها وحضرها خلق من القوّاد والقضاة . وجعلت السيدة مكانها أمّ موسى الهاشميّة قهرمانة فكانت تؤدى رسائلها ورسائل المقتدر الى ابن الفرات

(ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين)

وفيها قُبض على الوزير ابن الفرات ووُكّل بداره وهُتك حرمه أقبح هتك ونهبت داره [٨٢] ودُور كُتّابه واسبابه وافتتنت بغداد ونهب الناس وكان مونس الخازن [٢] يلى شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل فكان يركب اذا اشتدّت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبة له فاذا نزل من ركوبه عادت الحال الى ما كانت عليه . فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيام بلياليها ثم سكنت الفتنة

فكانت مدة وزارة أبى الحسن ابن الفرات هذه الاولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما . وقلّد أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى بن

(١) راجع فيه حكاية الصولى فى صلة عريب ٣٥ (٢) المعروف بالفحل : كذا فى تكملة تاريخ الطبرى

خاقان الوزارة وذلك فى ذى الحجة سنة ٢٩٩ فقلّد أصحاب الدواوين ورتّبهم فى مجالسهم . وردّ مُناظرة أبى الحسن ابن الفرات وأسبابه وكُتّابه الى أبى الحسن أحمد بن يحيى بن أبى البَغل. وقلّده[1] ديوان المصادرين وديوان الضياع العبّاسيّة وديوان زمام الفُراتيّة . واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو على محمد بن على بن مقلة وأبو الطيب الكلواذى وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه وقبض على الباقين ونهبت دُورهم وهُدمت واعتقل هؤلاء الباقون وناظرهم احمد بن أبى البغل وعذّبهم وناظر ابن الفرات غير انه (٨٣) لم يُمكن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبى البغل وانعكاسه عليه ﴾

كان أبو الحسين بن أبى البَغل مبعداً فى أيام ابن الفرات بأصبهان فلما افتتنت بغداد وقلّد أخوه مُناظرة ابن الفرات وأسبابه سفر له[2] أخوه لما تمكّن من ملاقاة أمّ موسى فى الوزارة وبذل فيها مالا جليلا يثيره ويوفّره فاطمع المقتدر فى ذلك فأرجف له بها وكاتَبَهُ اخوه بالاسراع الى الحضرة ونفذ اليه أبو بكر أخو أمّ موسى . فخاطبه قومٌ بالوزارة فى طريقه وتلقّاه القوّاد وغيرهم عند وروده بغداد

فركب أبو على الخاقانى فى عشية من العشايا الى دار السلطان والتمس الاذن فى الوصول فأذن له واُوصل الى المقتدر بالله .فوصف له ان الامور قد اضطربت والاموال قد تأخّرت والدنيا قد خربت بكثرة الاراجيف به لان ابن أبى البغل يذكر انه قد استحضر للوزارة فخاطبه المقتدر بجميل وأذن له فى إبعاد ابن أبى البغل وأخيه عن الحَضرة فقبض عليهما وأبعدهما

(١) يعنى قلد المقتدر الخاقانى: راجع كتاب الوزراء ٢٦١-٢٦٢ (٢) لم يوجد لفظ (له) بالاصل

وتنكّرت أم موسى القهرمانة للوزير أبي علي الخاقاني نخافها وأشفق أن تُفسد عليه امرَهُ فأرضاها بان قلد أبا الحسين منهما (٨٤) أعمال الخراج والضياع باصبهان وقلد أبا الحسن أخاه أعمال الصلح والمبارك (١)

وكتب الوزير باطلاق أبي الهيثم العباس بن ثوابة وكان معتقلا بالموصل وكان ابن الفرات نقلهُ اليها في نكبة محمد ابن عبدون لقرابة بينهما . وكان ابن ثوابة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشر (٢) فورد بغداد في سنة ٣٠٠ وقلّده الوزير أبو علي الخاقاني ديوان المصادرين والضياع العبّاسيّة والفُراتيّة وردّ اليه مُناظرة أبي الحسن بن الفرات وأسبابه وكُتّابه فاسرف ابن ثوابة في إيقاع المكروه بهم وعذّبهم بأنواع العذاب فجرت بينه وبين أبي الحسن بن الفرات مُناظرات هاتر في بعضها ابنَ الفرات وشتمه بحضرة أم موسى فردّ عليه ابنُ الفرات أقبح ردّ وشتمه أغلظ شتيمة ونسبه في نفسه الى كل حالٍ قبيحة فراسل ابن ثوابة المقتدر بان ابن الفرات لم يقدم على هذا الا لشدّة بطره وكثرة أمواله واستأذن في مُعاقبته . فبسط يده عليه فقيّده وغلّه وألبسه جُبّة صوف وأقامه في الشمس مدة أربع ساعات وكاد يتلف (٣) فانهى بدر الحُرمي في حاله الى المقتدر فانكرها وأمر بنقله الى بعض الحُجر التي في يد زيدان (٨٥) القهرمانة للحُرم الخواصّ واحسن اليه ورفّهه وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بانه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاع فاخرّ الا وقد أقرّ به وقت مناظرة ابن أبي البغل ،

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٧٣ ـ ٢٦٨ (٢) راجع ماذكره في حقه الفرغاني ؛ ارشاد الاريب :٢٩٨ وفي كتاب الوزراء ٢٦٢ وفي صلة عريب : ٥٩ انه مات سنة ٣٠٣
(٣) ذكرهذا فيما بعد وراجع أيضا كتاب الوزراء ١٠٥ ـ ١٠٣

فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابنَ نوابة من مناظرته

ثم صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات فى الامور ويقرئه رقاع الوزراء اليه ويجيبهم عنها برأيه ثم كثرت السعايات بابى على الخاقانى وتمكن أبو القاسم ابن الحوارى

ذكر فساد تدبير الخاقانى لامر الوزارة

كان أبو على الخاقانى متشاغلاً بخدمة السلطان ومراعاة أعدائه لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة واعتمد على ابنه أبى القاسم عبدالله وقلّدهُ مع العرض على الخليفة خلافته على الاعمال والتنفيذ للأمور .

وكان ابنه هذا متشاغلاً بالشراب انما يُراعى أمر القوّاد والجيوش والولايات للعُمّال ويدع ما سوى ذلك . وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد ولقراءة الكُتُب النافذة أبا عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى . وكانت لابى على الخاقانى وابنه الجوامع تَـرِد ويُنفذ فلا يقرأها أحد منهم[٨٦] الاّ بعد فوت الامر الذى وردت فيه الكُتُب وتبقى الكُتُب بالحمول والسفاتج فى خزانتهما لا تُفَضّ ولا يُعرف حال مافيها فقسدت الامور بولاية أبى على الخاقانى وضاعت .

وكان يقلّد فى أسبوع واحدٍ الكورة عِدّة من العمّال حتى قيل انه قد قلّد اعمال ماداالكوفة فى مدّة عشرين يوماً سبعة من العُمّال واجتمعوا فى خان بحلوان وقلّد اعمال قردى وبزيذي خمسة من العُمّال اجتمعوا فى خان بعُكبرا فى يوم واحدٍ وسبب ذلك ارتفاق أولادهِ وكُتّابه من العُمّال الذين يُولونهم فسُطرت الاحاديث وحفظت له النوادر

وأطلق يده بالتوقيعات وفى الزيادات والنقل والاثبات يوقّع بذلك هو

وابناه وبنان ويحيي بن ابراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابنا سعيد

وكان أبو علي الخاقاني يتقرّب الى قلوب الخاصّة والعامّة فمنع خدم السلطان ووجوه القوّاد ان يترجموا رقاعهم بالتعبّد ويتقرّب الى العامّة بان يصلّي معهم في المساجد التي على الطُرُق . فكان اذا رأى جمعا من الملاّحين أو غيرهم من العامّة يصلّون في مسجد على الشطّ قدّم طيّارة وصعد وصلّي معهم فاتضعت الوزارة بافعاله وذلّت (١)

وكان[٨٧] اذا سأله انسان حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة : فسُمّي « دقّ صدره » وضاقت الاموال فقصّر في إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقُوّاد القُدَماء ومن يجرى مجراهم فشغبوا عليه وقصدوا المُصلّى فاقاموا فيه وأخرجوا معهم أكثر القوّاد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم . فامره المقتدر باطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الاموال ونقصان الارتفاع وذكر ان الاموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت في بيت مال الخاصّة وانه ليس ينفذ له صاحب بيت مال الخاصة أمراً فيها . فامر باخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق في الجند المشغبين

وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشّرط شفيع اللؤلؤيّ .

فلما رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرّب الى المقتدر برقاع أوصلتها أمّ موسى يذكر فيها انه يستخرج من العمّال أموالا جليلة أهملها الخاقاني وذكر انه يستخرج من محمد بن علي الماذرائي وأخيه ابراهيم وحدهما سبعمائة ألف دينار(٢) فخرج الامر الى الخاقاني بتقوية يد ابن ثوابة فعمل

(١) وزراء: ٢٦٣ : ٢٧٨ (٢) راجع صلة عريب ٣٩ — ٣٨

ذلك [٨٨] واستخرج أموالا بالعسف وتغلب على الامور وكان يصرف عُمّال الوزير ويولّى من يرى وتوصّل الاشرارُ الى كَتْب الرقاع على يد أم موسى الى المقتدر يخطبون الاعمال ويتضمّنون الاموال فخرج الامر الى الخاقانى بتقليدهم ذلك فانتشر أمره وشاركه الاشرار فى النظر واستخرجوا الاموال من كل وجه بكل عسف

وكان حامد بن العباس قد تضمّن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل الكُتّاب له عملاً وحصّلوا عليه فى كل سنة مائتى وأربعين ألف دينار وألفى وأربعمائة كُرّ بالمعدّل شعيراً لِلكراع فى كل سنة يستوفى منه مع المال الذى ذكرنا مبلغهُ . وانما كان حامد ضمن على عبرة السنة المتقدّمة وزيادة يسيرة وكان التقصير والاضاعة والتخليط يقع من الخاقانى وذلك ان الخاقانى كان يتقلد فى أيام عبيد الله بن سليمان (ومابعدها الى وقت استتاره فى أيام وزارة ابن الفرات الاولى) اعمال البريد والمظالم والخرائط بماسبذان فلما ولى الوزارة تحير لِقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالاعمال فشرع مونس فى تقليد على ابن عيسى

﴿ ودخلت سنة ثلثمائة ﴾

[٨٩] ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الامور وفساد التدبير وانتقاض المملكة شاور مؤنسا الخادم وعرّفه ان الصورة تقود الى ردّ أبى الحسن بن الفرات وتقليده الوزارة . وكان مونس مستوحشا من ابن الفرات لامور حكينا بعضها فى حكاية أمره مع سبكري وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه . فقال مونس للمقتدر بالله انه يقبح ان يعلم أصحاب الاطراف ان السلطان صرف وزيراً ثم اضطرّ اليه وردّه بعد شهور من صرفه ثم

لا ينسبون ذلك الا الى المطمع فى ماله فقط وقال : ان كُتّاب الدنيا الذين دبروا المملكة[1] دواوينها منذ أيام المعتضد بالله هما ابنا الفرات وأبو العباس منهما قد مات وتقلّد الآخر الوزارة الى ان صُرف عنها ومحمد بن داود (٢) ومحمد بن عبدون وقد قُتلا في فتنة ابن المعتز ، وعلى بن عيسى بن داود بن الجرّاح ولم يبقَ من يصلح لتدبير المملكة غيره ووصفه بالثقة والامانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة فامره المقتدر بانفاذ يلبق اليه ليحمله الى الحضرة وأظهر للخاقانى انه يحضره ليستخلفه لابنه عبدالله على الدواوين . وكان الخاقانى يقول فى مجلسه : انى قد كتبتُ بحمل على بن عيسى (٩٠) الى الحضرة لاستخلفهُ لعبد الله . فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم سنة ٣٠١ ركب الخاقاني الى دار السلطان فقبض عليه وعلى ابنيه عبد الله وعبدالواحد وأبي الهيثم بن ثوابة ويحيى بن ابراهيم المالكى وأحمد ومحمد ابنى سعيد الحاجبَين وبُنان وسعيد بن عثمان النقّاط واعتقلوا فى يد نذير الحرمى . وكان سعيد بن عثمان النقّاط أحد من سعى للخاقانى فى الوزارة فقضى حقّه بان قلّده أعمالا كثيرة جليلة

وفى هذه السنة صُرف عبد الله بن ابراهيم المسمَعى عن أعمال المعاون بفارس وتقلّدها بدر الحمامى وكان بدر يتقلّد أعمال المعاون باصبهان فنقل الى أعمال فارس وكرمان[3] وقُلّد مكانه على ابن وهسوذان الديلمي

﴿ ودخلت سنة احدى وثلثمائة ﴾

وفيها تقلّد أبو الحسن على بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكّة وخلع

---

(١) لعله سقط وتقلدوا (٢) وفي الاصل يزداد وهو غلط (٣) قال صاحب التكملة ان فى صفر سنة ٣١١ مات أبو النجم بدر الحمامى بشيراز ودفن فيها ثم نبش وحمل الى بغداد

عليه وركب من دار السلطان الى داره وركب معه مونس الخادم وغريب الخال وسائر القوّاد والغلمان . وسُلّم اليه في يوم الخلع محمد بن عبيدالله الخاقاني وابناه وجميع من سبّبهم [٩١] فيما تقدّم فصادرهم مصادرات قريبة الامر واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه ثم أطلق الخاقاني الى منزله ووكّل به فيه وصان حرمه أتمّ صيانةٍ وأوقع بأبى الهيثم بن ثوابة مكروهاً . ثم صار ينظر فى أمر الاعمال فى دار الوزارة بالمخرّم ، يبكر اليها فى كلّ يوم ويعمل فيها الى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرف الى داره . وكتب الى كل واحد من العُمّال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين اياه بالخلع وردّ أمر الدواوين والمملكة اليه ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والاجتهاد فى العمارة ويقول فى آخر كتابه : وهذا عُنفُوان السنَة وأول الافتتاح ووقت جموم الخراج . ولست أعلمُ ما يجب ان أطالبك به فاذكرهُ وأخاطبك عليه ولكنى آمرُكَ ان تحمل صدراً من المال يتوفر مقدارُهُ وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابى هذا عند نظرك فيه . وتكتب الى بشرح الحال فى أمور نواحيك وتنفذ موافقةً تقف عليها و بها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك فى توفيرها وتثميرها . وتتوقف عن امضاء التسبيبات وما يجرى مجراها الى ان يرد عليك كُتُبي وتوقيعاتي فى استدبار رأيك [٩٢] عما يكون عملك عليه وتمكّن فى نفسك انه لا رُخصة عندى ولا هوادة فى حق من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه ولا درهم من ماله أسامحُ فيه ولا تقصير فى شئ من أمور العمل أصبر لقريبٍ أو بعيدٍ عليه . ولا تكون باظهار أثر جميل فى ذلك أشدّ عنايةً منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها فانى أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان و تصحيحها وصيانة الاموال وحياطتها

وتابع كتُبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفهُ ان شاء الله .

وقلد بعد ذلك الدواوين جماعةً وعزل جماعةً وفعل مثل ذلك بالعُمّال ونظر الى مَن تعود اقتطاع الاموال السلطانية واقامة مُروّات نفسهِ منها وقصر فى العمارة واعتمد غيره فعزل أمثال هؤلاء ثم عمر الثغور والبيمارستانات وادرّ الارزاق لِمن ينظر فيها وازاح عِلل المرضى والقوّام وعمر المساجد الجامعة وكتب الى جميع البلدان بذلك ووقع الى العُمّال به وكتب الى العُمال فى أمر المظالم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته ويدعي انه تلف بالآفة من غلّتهِ ان تعتمد فى كشف حاله على أوثق ثقاتك وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه[١] فترفعه وتضع الانصاف موضعه وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه وتستوفى الخراج بعده من غير محاباة للاقوياء ولا حيف على الضعفاء . فاعمل فيما رُسِم لك مايظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ويكون العدلُ به على الرعيّة كاملاً والانصاف لجميعهم شاملاً ان شاء الله

وكتب باسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفى جميع مايشبه ذلك كُتُباً مشهورة مستحسنة[٢] فساس أبو الحسن على بن عيسى الدنيا أحسن سياسةٍ ورسم للعُمّال الرسوم الجميلة وأنصف الرعية وأزال السنن الجائرة ودبر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامة وعفاف وتصوّنٍ وديانةٍ ونظر فى المظالم وأبطل المكس بمكّة والتكملة بفارس وسوق[٣] بحر بالاهواز

(١) لعله فيزيل الظلم الخ　(٢) وردت نسخة هذا الكتاب فى كتاب الوزراء ص ٣٤٢　(٣) راجع معجم البلدان

وجباية الخور بديار ربيعة فبانت بركتُهُ على الدنيا . وعمر البلاد وتوفر الارتفاع واستقام امر السلطان وعادت هيبة الملك وصلح امر الرعيّة

ثم أسقط على بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقاني فى وزارته فى دواوين الجند وأقطاعاتهم وكانت هذه الزيادة قد لحقت القوّاد وسائر أصناف الجند ولحقت الخدم والحاشية[٩٤] وجميع الكُتّاب والمتصرّفين وكانت كثيرةً فلما أسقطها عاداهُ أكثر الناس وشنعوا عليه بالضيق والشحّ وقطع الارزاق وانّما اضطرّ الى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدةً على دخله زيادةً مفرطة تحوج الى هدم بيوت الاموال وصرفها فى نفقات يستغنى عنها

وحكى ثابت بن شيبان عن على بن عيسى انه قال : كنتُ عملتُ عملاً لارتفاع المملكة وما علىّ من الخرج ، فكان الخرج زائداً على الدخل بشىء كثير فقال لى ابن الفرات يوما بعد صرفه اياى وقد أُخرجتُ اليه فى دار السلطان ليناظرنى : أبطلتَ الرسوم وهدمتَ الارتفاع . فقلتُ له . أىّ رسم أبطلتُ ؟ قال : المكس بمكة والتكمله بفارس . فقلتُ : وهذا وحده أبطلتُ ؟ قد أبطلتُ أشياء كثيرة فنها ومنها (وعددتُ أشياء مبلغُ جميعها خمسمائة الف دينار في السنة) ولم أستكثر هذا المقدار فى جنبِ ما حططتهُ عن أمير المؤمنين من الاوزار وغسلتُ به عن دولته من الدَرَن والعار ولكن أنظرْ مما حططتُ وأبطلتُ الى ارتفاعى وارتفاعك ونفقاتى ونفقاتك . قال ثابت : فقلتُ[٩٥] : فَبأىِّ شىء أجابك ؟ فقال: خرج الخادم ففرّق بيننا قبل ان يجيب[١]

قال . وحدّثنى أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر فى أعمال النهروانات

(١) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء ٣٧٣

قال : مسحنا على الناس غلاّتهم فاذا ببعض الثُنَّاء قد ذهب الى باب الوزير علي بن عيسى ونحن لا نعلم فتظلّم انّا زدنا عليه فى مساحة قراح له . فلم نشعر بشيء الاّ وقد جاءنا عامل يعرف بابن البذّال ومعه فوج من مسّاح بادوريا وفرسان ورجّالة فلم نشك في انه صارفٌ لنا فقال لى صاحبي . أحبُّ ان تتلقّاه وتتنسّم الخبر . فقمتُ وتلقيته وعرفتُ خبر المتظلم ، فعرّفتُ صاحبي ذلك فقال لى : لاندرى كيف جرى أمر مساحته . فقلتُ لا . قال : فاخرجْ حتى تواقف وتجتهد . قال : فخرجتُ ومعى مسّاح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيتُ معهم وما زلتُ الطف الى ان تقرّرت المساحة . وكنا مسحنا القراح باثنتين وعشرين جريباً فخرجت مساحتهُ احدى وعشرين جريباً وقفيز . فاحتججتُ بان القراح مُسح وفيه غلة قائمة ومُسح فى هذا الوقت بعد الحصاد وليس بمنكر ان يكون بين المساحتين فى الحالتين هذا المقدار . وانصرف ابن البذّال [٦٦] وورد عليه كتاب على بن عيسى بالصواعق فى الانكار والتوعّد بأنه ان وقف على ان أحداً من الرعيّة حيف عليه فى معاملةٍ أو مساحة فعل وصنع . قال : فما جسرنا أن نستقصى على أحد فى معاملة . فلما كان فى السنة القابلة زاد الارتفاع فى العشرة ثلاثة لان الخبر انتشر بالعدل وقيل « قد رفع الحيف والظلم » فنشط الناس للازدياد من العمارة [١]

وفعل مثل ذلك فى المظالم . وحكى ابن المشرف ان بعض عمّال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس اهلهُ فصبروا على الحبس فقيدهم فصبروا علي القيد ولم يجسر ان يُوقع بهم خوفاً من على بن عيسى . فكتب بحضرتهم

(١) وردت الحكاية في كتاب الوزراء ٣٤٦ — ٣٤٥

الى علي بن عيسى يضربه عليهم غاية التضريب ويقول : ان هؤلاء قوم يُدِلّون بالجلد وعليهم اموالٌ وقد أَلطّوا وصبروا علي الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسّى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه . قال القوم : فجزعنا وخفنا ان يطلق يده فينا فيتلفنا لما كان فى نفسه علينا وهممنا بان نذعن له ثم اجتمع رأينا على التوقف الى ان يرد الجواب . قال : فورد واذا هوقد وقع بخطه على ظهر الرقعة : الخراج عافاك الله دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ[٩٧] ذاك الى غيره والسلام.قالوا . ففرّج عنّا وأدّينا الصحيح مما علينا . فلما كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا فى العشرة اثنين وزرعنا حتى (على) السطوح ثقة بالعدل والانصاف[١]

ولما صرف أبو على الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاتهُ على عليّ بن عيسى فأنكرها وجمعها وأنفذ بها الى أبى على الخاقاني وقال : أنظر فى هذه التوقيعات وعرّفنى الصحيح منها والباطل الذى زُوِّر عليك . واتفق ان حضر رسولهُ وأبو على الخاقانى يصلى فوضع الرسول التوقيعات بين يدى أبي القاسم ابنه وادى الرسالة . فأخذ أبو القاسم يميزها ويفرد الصحيح منها . فاوِمأ اليه أبوه بالتوقف فتوقف فلما فرغ من الصلاة أخذها فتصفحها ثم خلطها ودفعها الى الرسول وقال : تقرأ على الوزير السلام وتعرّفه أن هذه التوقيعات كلها صحيحة ، رأنا أمرتُ بها فما رأيتَ أن تمضيه أمضيتهُ وما رأيتَ أبطالهُ أبطلتهُ .فلما انصرف الرسول قال لابنهِ . يابنى أردتَ أن تبغضنا الى الناس بلا معنى ويكون الوزير قدالتقط

(١) راجع كتاب الوزراء ٣٤٦

الشوك بيدك نحن قد صرفنا فلمَ لا تتحبب الى الناس بامضاء كل ما زُوّر علينا فان أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وان أبطله كان الحمد لنا والذم له فاستحسن الناس هذا الفعل (٩٨) من أبي على [١] الا ان على بن عيسى تذمم الى الخلق من الخاصة والعامة والحاشية باسقاطه الزيادات التى صارت عند أصحابها كالاصول واطّراحِهِ النفقات التى تعود بتمزيق الاموال بغير فائدة. فثقلت وطأته وكره الناس أيامه وقصدوا التشنيع عليه وثلبوه عند المقتدر بالله وسعى قوم لابى الحسن ابن الفرات فى الوزارة

وفى هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاّج بالسوس وادخل بغداد مشهراً على جملٍ وكان حمل الى على بن احمد الراسبى فحمله علىّ الى الحضرة فصلب وهو حيّ وصاحبه وهو خال ولدهِ معه فى الجانبين جميعا وحبس الحلاّج وحده فى دار السلطان. وظهر عنه بالاهواز وبمدينة السلام انه ادّعى انه الهٌ وانه يقول بحلول اللاهوت فى الاشراف من الناس.

وفيها اطلق الوزير اباعلى الخاقاني وازال عنه التوكيل. وفيها مات على ابن احمد الراسبي بدُور الراسبي وتقدم مونس الخادم بمشورة على بن عيسى لقبض امواله. وكتب الى النمر بن عبد الله بالمصير اليه والاجتماع معه على ذلك. فكتب انه حصل منها نحو الف الف دينار [٢]

وفيها خلع على الامير أبى العباس بن المقتدر بالله وقُلد أعمال الحرب بمصر والمغرب واستخلف (٩٩) له على مصر مونس الخادم. وقلد الامير على ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والاحداث والحرب بكور الريّ

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٨٠ — ٢٧٨ (٢) راجع صلة عريب ٤٥ — ٤٤

ودیناوَند وقزوين وزِنجان وأبهر والطرْم

وفيها ورد الخبر بقتل (أحمد بن اسمعيل) بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ نهر بلخ قتله غلمانه وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه فنفذ العهد اليه من المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه

وفيها ورد الخبر بان خادما لابي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المتغلب على هجر قتلهُ . ثم ان ذلك الخادم خرج بعد قتلهِ مولاهُ فدعا رجلا من رُؤساء اصحابهِ وقال : السيد يدعوك . فلما دخل قتلهُ وما زال يفعل ذلك بواحدٍ واحدٍ الى أن قتل أربعة من الرؤساء ثم دعا بالخامس فاحسّ الخامس بالقتل فصاح واطلع النساء عليه وصحنَ فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس وقتل الخادمُ وكان صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد الى ابنه سعيد فلم يضطلع بالامر فغلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمن بن الحسن

وقد كان القرامطة وافوا الى باب البصرة فى سنة ٢٩٩ وكان المتقلد لاعمال المعاون بالبصرة محمد بن اسحق بن كنداجيق [1] وكان يوم جمعة والناس فى الصلاة فصاح صائح [100] «القرامطة القرامطة !» فخرج اليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسَين قد نزل أحدُهما عند الميل فنظر اليه البوّابون جالسا متكيا قد وضع احدى رجليه على الاخرى والاخر بازائهم فصاحوا به وبدر اليه رجل من الخول فطعنه [2] القرمطى وقتله وتراجعوا فبكي

(١) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٠٤ : وفيها مات محمد بن اسحاق بن كنداجق (كذا) بالدينور وكان متقلداً وصادر عليّ الوزير ورثته فصالحهم على ستين الف دينار معجلة (٢) الصواب فطعن فانه يظهر ان القرمطي هو المقتول

أخوه فقالوا له . ارجع فجر برجله وخذه لعنكما الله . قالوا : ومن أنتما ؟ قالوا:[1] نحن المؤمنون . ثم تنحى فخبا حتى أخذ أخاه ودخلوا فاغلقوا الباب وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار الى الموضع فنظر الديدبان عند صهاريج الحجاج اليهم فقالوا : إنهم نحو ثلاثين فارساً . فخرج اليهم عطارد ابن شهاب العنبرى وخواصه وغلمان من شحنة البصرة والمطوّعة فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الاّ من هرب قبل المعاينة وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئا الا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة . ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنهُ الليل فلما أصبح لم يرَ منهم أحداً . فكتب الى ابن الفرات وكان هو الوزير فى الوقت يستنجده ، فامدّه بمحمد بن عبد الله الفارقي فى جيش كثيف وقائد من الرجال يعرف بقوروَيه وجعفر الزرنجى فى نفر من الرجالة معونةً لابن كنداجيق

فلما تقلّد أبو الحسن[101] على بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر فى أمر القرامطة فاشار بمكاتبة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى فتقدّم اليه بمكاتبته وانفاذ الكتاب على يدى من يرى فكتب كتاباً طويلا جداً يُذكّرهم بالله ويدعوهم الى الطاعة ويقول فى آخره : ان أمير المؤمنين جعل هذا ظهرياً[2] عليك وحُجّة من الله بيّنةً فيك وقاطعاً لعِللك وباباً يعصمك ان صدقتَ عمّا أراده من الخير بك وعظُمت النعمة فيما بذلَهُ من العهد لك .

و نفذ الرُسُل فلما وصلوا الى البصرة انتهى اليهم قتل أبى سعيد[3] فتوقفوا

---

(١) الصواب قال (٢) الصواب ظهيرا يعني برهانا (٣) ليراجع رسالة نفذها أبو سعيد هذا الى المتعضد بالله وردت فيما تقدم من الكتاب وهى موجودة أيضا فى كتاب الفرج بعد الشده ١ : ١١٠

عن المسير وكاتبوا الوزير علي بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه ، فعاد الجواب اليهم بالمسير الى أولاده ومن قام بعده مقامه فتمموا المسير وأوصلوا الكتاب وادّوا الرسالة فأجابوا عن الكتاب . وأطلقوا الاسرى الذين تكلم فيهم الرسل وعاد بهم الرسل الى بغداد

﴿ ودخلت سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

وفيها قبض على أبي عبد الله الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأنفذ الى داره جماعة حتى حملوه الى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ماقيمته أربعة آلاف (١٠٢) وكان هو يدعي أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز في ذلك عشرين الف الف دينار وأكثر (١)

(١) ومبلغ ما أخذ منه في صلة عريب ص ٤٨ هو ستة آلاف الف دينار وفي كتاب الوزراء ص ٢٢٣ عشرة آلاف الف دينار ووردت في صلة عريب ص ١٣٠ قصة كيف وجد علي بن عيسى بمصر سبحة جوهر أخذت منه وقد سرقت . وقال صاحب التكلة : في هذه السنة صودر ابن الجصاص قال الصولي : وجد له بداره بسوق يحيى خمسمائة سفط من متاع مصر ووجد فيها جرار خضر وقماقم مدفونة فيها دنانير وأخذ منه الف الف دينار . قال الصولي : وحضرت مجلساً جرى فيه بين ابن الجصاص وابراهيم بن أحمد المـاذرائي خلف فقال ابراهيم :مائة ألف دينار من مالي صدقة لقد أبطلت في الذي حكيته عني . فقــال ابن الجصاص : قفيز دنانير من مالي صدقة انني صادق وانك مبطل . فقال ابن المـاذرائي : من جهلك انك لا تعلم أن مائة الف أكثر من قفيز فانصرفت الى أبي بكر ابن أبي حامد فاخبرته فقــال : نعتبرها . فاحضر كيلجة فملأها دنانير ثم وزنها فكانت أربعة آلاف فنظرنا فاذا القفيز ستة وتسعون الف دينار كما قال المـاذرائي . وكان ابن الجصاص قد أنفذ له من مصر مائة عدل خيشاً في كل عدل الف دينار فأخذت أيام نكبته وتركت بحالهـا ولمـا أطلق سأل فيها فردت عليه فاخذ المـال منها . وكان اذا ضاق صدره أخرج جوهراً يساوي خمسين الف دينار وتركه في صينية ذهب ويلعب به فلما قبض عليه وكبست داره كان الجوهر في حجره فرمى به الى البستان فوقع بين شجره فلما أطلق فتش عليه في البستان وقد جف نبته وشجره وهو بحالة

وفيها خرج الحسين بن على العلوىّ وتغلب على طبرستان ولقب الداعى فوجه اليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوى اليها [1]

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان . وكان مونس الخادم غائباً قد أخرج الى مصر لمحاربة العلوى صاحب المغرب [2] لما قصد مصر فى نيف وأربعين ألفاً فندب له الوزير على بن عيسى رائقا الكبيرَ وخلع عليه وكتب الى مونس يعرّفه الخبر ويأمره بالسير الى ديار مُضر اذا انصرف من مصر وان يجذب معه أحمد ابن كيغلغ وعلى بن أحمد بن بسطام والعباس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الاختلال ويحفظ الثغور وخاصّة الجزرية منها فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم اياه وسبيهم كلّ من كان فى نواحيه أمرٌ عظيمٌ لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة . ولما صار رائق الى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين فصار رائق الى مونس واتصلت (١٠٣) كُتُب على بن عيسى الوزير الى مونس بالاسراع نحو الحسين فجد مونس فى المسير ولما قرُب من الحسين جاءه هرون كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب كتب بها مونس الى على بن عيسى وذكر ان هرونَ أوصل اليه كتاباً من الحسين يتضمن خطاباً طويلا قد افتتحه و ختمه وكرّر القول فى فصوله : ان السبب فى خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدولُ الوزير أيده الله عما كان عليه فى أمره الى ما أوحشهُ وانه لم

(١) هو الأطروش: صلة عريب ص٤٧ (٢) هو المهدى أبو القاسم عبيد الله ومعه حباسة بن يوسف الكتامى البربرى: راجع كتاب الولاة لابى عمر الكندى ٢٦٨ والبيان المغرب ١: ١٧٢

يف له بضمانات ضمنها له وذكر انه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون الف رجل . وانه سأل الرسول عما حمله الحسين من الرسالة اليه فذكر أنه يسئله المقام بحرّان اذ كانت تحمل عسكره وان يكاتب الوزير أعزّه الله فى أمره ويسئله صرفه عما يتقلده من الأعمال وتركه مقيما فى منزله وتقليد أخيه ديار ربيعة . وأنه عرّفه ان هذا متعذّر غير ممكن اذ كانت كتب الوزير متصلة اليه بالانجذاب وان مخالفته غير جائز وانه لا يدع الكتاب فيما سأل ولا يثنيه ذلك عما رسمه الوزير أعزّه الله . فان عزم على اللقاء فبالله يستعين على كلّ من خالف السلطان أعزّه الله وجحد نعمته وان انقاد للحق وسلك سبيله وصار [١٠٤] اليه فنزع عما هو عليه كان ذلك أشبه به وان أبى وأقام على حاله من التعزّز والمخرقة لقيه بعضر بأسرها وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطغامه لا لنكول عنه منه لكن لاستهانته بامره وأنه وكل بكاتبه هذا المترسل عنه وأنه لا يأذن له في الانصراف الاّ بعد أن يعرف خبر الحسين .

ثم وردت الأخبار برحيل مونس حتى نزل بازاء جزيرة ابن عمر ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله ثم انفلّ عسكر الحسين وصاروا الى مونس أوّلاً أوّلا . وورد كتاب مونس بأنه قد صار اليه من أمراء الحسين وغلمانه وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس وأنه خلع على أكثرهم وتقدّ ما كان معه من الخلع والمال وانه فى احتيال باقى ما يحتاج اليه ثم ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه وقبض على أملاك بني حمدان بأسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد

فلما كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشمّاسية الى دار السلطان

مصلوباً على نِقْنِق منصوباً بأعلى ظهر فالج وابنُهُ مشهور على جمل آخر والبرانس على رُؤُسهما وسار بين يديه الأمير أبو العباس ابن المقتدر بالله (١٠٥) والوزير أبو الحسن على بن عيسى والاستاذ مونس الخادم وأبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وابراهيم بن حمدان وسائر القُوّاد والجيش والفيلة . فلما وصلوا الى دار السلطان وقف الحسين بين يدى المقتدر بالله ثم أمر بتسليمه الى زيدان القهرمانة وحُبِس عندها فى دار السلطان

وشغب الرجّالة الحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان واحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة فى أرزاقهم فزيد بكلّ غلام ثلاثة دنانير فى كل شهر من شهورهم وزيد الرجّالة كلّ واحد نصف ورُبع دينار [١] فى كلّ شهر فسكن الشغب

وقُبِض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحبسوا فى دار السلطان وكان هرب ابن للحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعةً من أصحابه وحُملت رُؤُسهم الى الحضرة وصُلب قوم من أصحاب الحسين بن حمدان [٢]

ودخلت سنة أربع وثلثمائة

وفيها لقى باصبهان غلامٌ لعلى بن وهسوذان الديلمى . وكان يتقلّد أعمال المعاون بها أحمد بن سيّاه عامل الخراج بها أنفذه صاحبه اليه فى حاجة

(١) قال صاحب التكملة : خمسة عشر قيراطاً

(٢) يراجع في قصته صلة عريب ص ٥٨ — ٥٦ وقال فيه الحافظ الذهبي فى تاريخ الاسلام انه قدم الشام لقتال الطولونية فى جيش من قبل المكتفى وقدم دمشق لحرب القرامطة أيام المقتدر ثم ولاه ديار ربيعة فغزا وافتتح حصونا وقتل خلقاً من الروم ثم خالف فسجن ثم قتل سنة ٣٠٦

واتفق انه لقيه وهو [١٠٦] راكبٌ فكلّمه فى الحاجة فاشتدّ ذلك على أحمد بن سيّاه وقال له: يا مُؤاجر تخاطبنى فى حاجةٍ على ظهر الطريق ! فانصرف الغلام الى مولاه مُحفظاً وحدّثهُ بما جرى فقال له : صدق فيما قال ولولا أنك مُؤاجر لضربتَ رأسَه بالسيف لما خاطبك بذلك.. فعاد الغلام ووجد أحمد ابن سيّاء مُنصرفاً فعلاه بالسيف وقتله . فانكر السلطان ذلك عليه وصرف على بن وهسوذان لأجل ذلك عن أصبهان بأحمد بن مسرور البلخى. فاستأذن على بن وهسوذان فى الانصراف الى بلد الديلم فأذن له ثم سأل بعد ذلك فى أمره مونس الخادم فرضى عنه وأقام بنواحى الجبل

وفيها قدم محمد بن على بن صُعلوك مدينة السلام وهو ابن عمّ صاحب خراسان مُستأمناً فخلع عليه

وفيها فى فصل الصيف تفزّعت العامّه من حيوان كانوا يُسمّونه الزَّبزَب ذكروا أنهم يرونه فى الليل على سطوحهم وأنه يأكل أطفالهم قالوا وربّما قطع يد الانسان اذا كان نائماً أو ثدى المرأة فيأكله . وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعقون ويضربون الطُسوت والصوانى والهواوين ليفزعوه وارتجّت بغداد لذلك حتى أخذ السلطان حيواناً غريباً أبلق كأنه من كلاب الماء وقال «هو الزبزب» وأنه صيد فصُلب [١٠٧] على نقنق عند الجسر الأعلى وبقى مصلوباً الى أن مات . فلم يغن ذلك الى ان انبسط القمر وتبين للناس أنه لا حقيقة لما توهموه فامسكوا الا أن اللصوص وجدوا فُرصتهم بتشاغُل الناس فى سطوحهم فكثرت النقوب

وفيها تقرّر عند أبى الحسن على بن عيسى الوزير انه قد سعى لابن الفرات فى الوزارة وتحققه فستعفى منها ولم يُعفه المقتدر . وأظهر فى دار

السلطان ان ابن الفرات عليل شديد العلة واتفق[1] ان مات الشارى الذى كان محبوساً فى دار السلطان[2] والتدبير فى أمر الشراة ان يكتم موت من يؤخذ منهم ممن تسميه الشراة اماماً فانه ما دام حياً فليس ينصبون اماماً غيره فان صحّ عندهم موته نصبوا غيره . فأظهر فى دار السلطان ان ابن الفرات مات وكفّن الشارى واخرجت جنازتهُ على انها جنازة ابن الفرات وصلى عليه الوزير على ابن عيسى ثم انصرف الى منزله متوجعاً وقال لخواصّه « اليوم ماتت الكتابة » ثم مضت الايام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعي لابن الفرات وانه حيّ فقال لخواصه : ليس ينبغي للانسان ان يتحدّث بكلّ ما يسمعهُ

وكان يضجر فى أوقات من سوء[108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات ويستعفى من الوزارة ويخاطب المقتدر في ذلك فينكر عليه استعفاءهُ الى ان اتفق يوماً ان صارت اليه أُمّ موسى القهرمانة فى آخر ذى القعدة من سنة ٣٠٤ لتواقفهُ على ما يطلق فى عيد الاضحى للحرم والحاشية . وكان على بن عيسى محتجباً فلم يجسر سلامة حاجبه عليه ان يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلا فغضبت من ذلك . وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها فأمر ان تلتمس ويعتذر اليها لترجع فأبت ان تعود وصارت الى المقتدر والسيدة فاغرت به وتخرّصت عليه الاحاديث فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٤ عند ركوبه الى دار الخلافة ولم يتعرض لشيء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه ولا لاحد من أولاده واعتقل عند زيدان القهرمانة

(١) وفى كتاب العيون : انه مات بعض الخدم (٢) هو هارون وظفر به الحسين بن حمدان المقدّم ذكره في سنة ٢٨٣ :طبري ٣ : ٢١٤٩

فكانت مدّة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً [١]

﴿ وزارة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات الثانية ﴾

فيها تقلد أبو الحسن الوزارة والدواوين لثمان خلون من ذى الحجة [٢] وخلع عليه وصار [١٠٦] الى داره بالمخرّم التى كان أقطعها فى وزارته الاولى. وكتب الى الاطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته الى الوزارة على

---

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٨٦—٢٨٣

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وفيها قلد أبو الحسن ابن الفرات ابنه أبا أحمد المحسن على زمام المشرق وجعله خليفته له فيه وقلده أيضاً ديوان البر وقلد ديوان المغرب مكان أبي عبد الله محمد بن أحمد (الخاقانى) بعد أن صرفه عن ديوان المشرق فلم يزل يتقلد ديوان المغرب وديوان البر طول أيام أبيه . وقلد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات ديوان الخراج والضياع العامة وطساسيج السواد وكور الاهواز وفارس وكرمان وسجستان وصار أبو الفتح الى ديوان الزمام . فصادف أبا الحسين على ابن الحسين الماذرائي المتقلد لهذا الديوان في مجلسه لم يعلم بمجيء أبي الفتح فلما علم أبو الحسين ذلك قام من مجلسه وجلس بمكان غيره الى أن وافوا بدابته فركب وانصرف وجلس أبو الفتح مكانه .

وأما الماذرائين قال أيضاً ان فى هذه السنة تنكر لهم ابن الفرات لان ابرهيم ابن أحمد الماذرائى حج فيها فلم يكن ابن الفرات تقلد الوزارة فلما وصل الى مكة كانت أخت ابن الفرات مجاورة فى مكة نازلة فى بعض الدور فقصد ابراهيم بن أحمد الدار للنزول بها وحولها منها تحويلا قبيحاً بعد أن أسمعها مكروهاً وبسطوا ألسنتهم فى ابن الفرات فلما انقضى الحج سارت الى بغداد فوجدت أخاها قد قعد في الوزارة فأخبرته بما نالها من ابراهيم فغلظ ذلك عليه وحقده . فلما وافي ابراهيم بغداد وسار الى دار الوزير لتهنئته بالوزارة فقرعه ووبخه بما كان منه فاعتذر فلم يقبل عذره . ووجد الوزير هذا السبب ذريعة الى مطالبته بمال المصادرة الذى عليه وعلى أقاربه فخاطب الخليفة فى أمر الماذرائين فبسط يده عليهم .

نسخة أنشأها أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة [١] وفى فصل منه : ولما لم يجد أمير المؤمنين غنًى عنه ولا للملك بدًّا منه وكان كُتّاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت مابين أخطارهم مقرين برياسته معترفين بكفايته متحاكمين اليه اذا اختلفوا واقفين عند غايته اذا استبقوا مذعنين بانه الحول القلّب المحنك المجرّب العالم بدرّة المال كيف تحلب ووجوهه كيف تطلب انتضاه من غمده فعاد ما عرف من حدّه فنفّذ الأعمال كأن لم ينب عنها ودبّر الامور كأن لم يخل منها . ورأى أمير المؤمنين الاّ يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قديما جعله له الا وفاه اياه ولا نوعا من أنواع المثوبة والجزاء كان أخّره عنه الاّ حباه به وآتاه . فخاطبه بالتكنية وكان وكان . . . .

وقبض ابن الفرات على أسباب على بن عيسى واخوته وكتابه وجميع عمّاله بالسواد وبالمشرق والمغرب وصادرهم سوى أبى الحسين وأبى الحسن ابنى أبى البغل فانه أقرّهما على ما كانا يتولّيانه من أعمال اصبهان والبصرة لعناية أم موسى [١١٠] بهما وقبض على أبى على الخاقانى وتتبع أسبابهُ وألزم جميعهم مُصادرةً ثانيةً أدّوها وطالب العُمّال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدّوها ونصب ديواناً للمرافق وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الجهة كل يوم ألفا وخمسمائة دينار وكانت تنسب الى تلك الخريطة فكان يحملها ولا يمكنه الاخلال بها وكان منها للمقتدر فى كل يوم ألف دينار وللسيدة فى كل يوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلث وللاميرين أبى العباس وهرون ابنى المقتدر في كل يوم مائة وست وستون دينارا وثلثا

وكان ابن الفرات قد اتّسع بما كان استسلفهُ على بن عيسى من الخراج

(٢) وردت ترجمته فى ارشاد الاريب ٦ : ٤٦٣ والكتاب موجود فيها

فانه قد كان جبي قطعةً منه قبل الافتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيام وأعدّ المال في بيت المال لينفقه في العيد في اعطاء الحشم والفرسان والأتراك فقويت نفس كاتب[1] ابن الفرات به وانضاف الى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات وأموال سفاتج وردت من فارس واصبهان ونواحي المشرق في درج كُتب بمحمول كتبت على أنها تصل الى على بن عيسى فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهم النفقات

وكان الغالب (١١١) على أمر الدواوين والأعمال في أيام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتّابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه وكان السبب في ذلك أنه سلم من النكبة وقت القبض على ابن الفرات في الدفعة الاولى واستتر مدّة وزارة الخاقاني وعلى بن عيسى . وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة على بن عيسى مكاتبة ابن الفرات على يد عيسى المتطبب وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعه ويرسم له ما يُكاتب به المقتدر عن نفسه في معايب على بن عيسى وكتّابه وعمّاله ، وأنه ليس يصادر أحدا من عمّاله ويقول « لا أخوّن عاملاً بعد ان ائتمنته » ويذكر تأخُّر أرزاق الولد والحُرم والحشم حتى أنه اقتصر بالولد والحُرم على جارى ثمانية أشهر في السنة والخدم والحشم بستة أشهر من السنة واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تطلق لهم في الشهر على خمسين ألف دينار . وكان المقتدر يواقف ابن الفرات على تلك الرقاع فيُعرّفه أن ابن فرجويه خبير بالأمور وأنه صادق في كلّ ما ذكره فيهمّ المقتدر بصرف على بن عيسى فاذا شاور مونسا في ذلك أشار عليه أن لا يفعل ووصف على بن عيسى بالديانة والأمانة .

(١) كلمة كاتب كانها مشطوبة

فلما خرج مونس الى مصر لمحاربة العلوى (١١٢) صاحب المغرب تمكن ابن فرجويه من الجد في السعى على علي بن عيسى وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن على بن عيسى لما غاب مونس . فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن على بن عيسى كتب رُقعة بخطه الى المقتدر يذكر فيها أنه إن صرف على بن عيسى عن الوزارة وقلد مكانهُ على بن محمد بن الفرات أطلق للولد والحُرم والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يُطلقه فى أيام وزارته الأولى على التمام والكمال والإدرار وأن يوفر بعد ذلك من مال مُصادرات العمّال ومال مرافقهم والاستثبات فى النواحى فى كلّ شهر من شهور الاهلّة خمسة وأربعين ألف دينار فواقف المقتدر ابنَ الفرات على هذه الرقعة فذكر ان جميع ماتضمّنته صحيح وبذل خطّه بضمانه جميع ذلك . فكانت هذه الرقاع من اكبر اسباب التحاقه على ابن فرجويه فى وزارته هذه واختصاصه به .

واتفق له مع ذلك ان ابن الفرات اودع على يده عند جماعة من التجار والكتّاب أموالا جليلة ولم يقرّ ابن الفرات بما كان أودعهُ ابن فرجويه لانه لم يكن يعرف أسماء مَن أودع ذلك عنده فلما عاد الى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعهُ له من غير (١١٣) أن يذهب له شيء منه

وكان أبو على بن مُقلة مُتعطلاً في أيام وزارة الخاقانى وعلى بن عيسى مُلازماً منزله واستتر أيام الخاقانى ثم آمنهُ على بن عيسى فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختصّ به لهذه الحال

﴿ ذكر ماجرى من ابن أبى الساج عند تداول الوزارة الأيدى الكثيرة ﴾

لما وقف يوسف بن أبى الساج على الخبر فى صرف على بن عيسى عن الوزارة

وكان مقيماً بآذربيجان ومتقلّداً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياع العامّة بارمينية وآذربيجان ومقاطعاً على مال يحمله في كلّ سنة عنها الى بيت المال بالحضرة وكان يزيح العلّة في ذلك المال مدّة أيام وزارة ابن الفرات الأولى . فلما ولى أبو على الخاقانى الوزارة ثم على بن عيسى طمع فاخّر أكثر المال الذى كان يقاطع عليه واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبي الساج واحتال به ﴾

أظهر ان علي بن عيسى أنفذ اليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب [١١٤] بالريّ وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة وسار مبادراً اليها فلما قرُب منها انصرف عنها محمد بن على صعلوك وهرب الى نواحي خراسان وكان محمد بن على هذا متغلّبا على هذه النواحي ثم قاطع عن الضياع والخراج مقاطعةً خفيفةً ولم يف بذلك أيضاً . فلما وقف ابن الفرات على ما فعلهُ ابن أبى الساج أنهى ذلك الى المقتدر ثم ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيام يعتدّ فيه بما فعله من إخراج محمد بن على صعلوك عن الريّ وما يليها ويبشّر السلطان بفتحه هذه النواحيَ ويصف انه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة علي بن عيسى سار اليها فرزقه الله الفتح والنصر فاغتاظ المقتدر بالله من ذلك وتقدّم الى ابن الفرات بموافقة على بن عيسى على ما كتب به ابن أبى الساج [١] فأخرجه من محبسه ورفق به وخاطبهُ بجميل وقال له : قد يجوز ان تكون دبّرت بهذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر . فحلف انه ماولاّه ولا أنفذ اليه لواءً ولا عهداً وقال : لا بدّ للواء

(١) راجع صلة عريب : ٦٧

والعهد ان ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قوّاده وهؤلاء الخدم والقوّاد بين أيديكم سلوهم عن ذلك ولديوان الرسائل (١١٥) كاتب يتقلّده بكتب العهود والولايات سلوه هل كتب بشيء فأخذ منه ابن الفرات خطأ عما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه الى ابن أبي الساج فى هذا المعنى أغلظ كتب وتوعّده وأنفذ اليه من الحضرة لمحاربته خاقان المفلحى وضم اليه الرجال وأنفذ بعده عدة من القواد مدداً له وأنفق الاموال فيهم وكان فيهم مثل محمد بن سرور البلخى وسيما الخزرى ونحرير الصغير وجماعة أمثالهم فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه وأدخلهم مشهورين الى الرىّ. وقدم مونس الخادم من الثغر فندب لحرب ابن أبي الساج وشخص اليه وكتب الى جميع القوّاد فى طريقه بالانضمام اليه واستأمن اليه أحمد ابن على صعلوك فأحسن قبوله وصرف خاقان المفلحى عما كان اليه من أعمال الجبل وقلد مكانه نحرير الصغير.

واتصلت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضاء ويبذل سبعمائة الف دينار عن أعمال الخراج والضياع بكورة الرى وما يليها خالصةً سوى أرزاق الاولياء فى تلك الاعمال وسوى النفقات (١١٦) الراتبة فلم يجبه المقتدر بالله الى ما التمسه فكتب يبذل أن يقيم بالرىّ متقلداً أعمال المعاون والحرب بها فقط حتى ينفذ السلطان الى تلك النواحى من يتقلد أعمال الصلاة والخراج والضياع والاحكام والبريد والخبر والخرائط والصدقات فأقام المقتدر على انه لو بذل كلّ بذل لما أقرّه على الرىّ يوماً واحداً لإقدامه على ان سار اليها بغير أمر فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الرىّ وأعمالها

بعد أن أخربها وجبي مالها لسنة ٣٠٤ في مدّة قريبة وقلد مونس الرى وقزوين وصيفاً البكتمريّ . ورضى ابن أبي الساج بأن يُجدّد له العهد والولاية للاعمال التى كانت اليه أوّلاً وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال الى بيت المال يحسن موقعها فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحوارى وقالوا : لايجوز أن يقرّ على أرمينية وآذربيجان الاّ بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط . ونسبوا ابن الفرات الى مواطاته . فاقام المقتدر على أنه لابد من محاربته أو يرد الحضرة وكتب الى مونس بالتعجيل اليه لمحاربته (١١٧)

فلما رأى ابن أبي الساج أن دمه على خطر حارب مونساً بسراة من بلد آذربيجان فانهزم مونس الى زنجان وقتل من قواد السلطان سيما واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قوّاد مونس فيهم هلال بن بدر وأدخلهم الى أردبيل مشهّرين . وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف وهو مع ذلك يكاتبه ويراسله وابن أبي الساج يلتمس منه الصلح ومونس لايقبل منه الاّ المصير الى الحضرة . وكان ابن أبي الساج أبقى على مونس لما انهزم حتى سلم فى ثلثمائة غلام ولو أراد ابنُ أبي الساج لاسره فكان مونس يشكر ابن أبي الساج على هذه الحال (١)

(١) راجع صلة عريب ص٧٧ * وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٠٦ : وفيها رحل مونس من همذان متوجهاً الى أبهر يحارب ابن أبي الساج وورد علية خبره أنه شديد الاضطراب وانه عزم على الرحيل من الموضع الذى كان فيه وان اخوته قد تهاربوا عنه فرحل مونس وقصد أبهر وقصد ابن أبي الساج أردبيل واتبعه مونس الى أن ادركه وصفّ مونس أصحابه وصفّ ابن أبي الساج أصحابه واقتتلوا فانهزم مونس فوقف على الموضع الذى فيه المال فانحاز بين يديه واتبعه يوسف إتباعاً رفيقاً وسار مونس من

فلما كان فى المحرّم بعد ذلك فى أيام وزارة حامد بن العباس واقع مونس يوسفَ بن أبى الساج الوقعة الاخرى باردبيل فأسر يوسفَ وبه

بين يديه حتي صعد العقبة ولحق أواخر العسكر أصحاب سبك غلام ابن أبى الساج فوضع فيهم السيف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة وأفلت من صعد العقبة ونهب عسكر مونس وأخذوا من الجمال والبغال ما لا يقع عليه إحصاء

وأتي مونس زنجان ولحقه الناس وأقام مونس بزنجان خمسة أيام وسار منها الى قزوين وأقام بها شهرين . ووافت الاخبار بالقبض على ابن الفرات وكان يتهم فى تحريش ابن أبى الساج ووافى الى مونس من مدينة السلام المال والكراع والهدايا والآلة والفرش والجمال وجرّد اليه العساكر مع أمراء البلدان ثم لقيه ابن حمدان مستأمنا وسرّ الاستاذ وخلع عليه . وتكاثرت العساكر بزنجان تكاثراً ضاقت بهم أرضها وعظم الشتاء وكثر الثلج وفرق مونس العساكر فى البلدان وأقام هو بزنجان ووافى المال من بغداد مع ماهر الخادم ومبلغه مائة ألف دينار عيناً فسر مونس بوروده .

وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٠٧ : وفيها جد مونس السير الى ابن أبى الساج الى ان وصل العقبة فلما كان ذلك اليوم وافت البشارة بمجيء جوامرد غلام ابن أبى الساج في الأمان فركب وتقدم مونس الى غلامه يلبق ان يتلقاه وأخذ مونس بالحزم وركب العسكر وعلوا رؤوس الجبال ووافى رسول يلبق بصحة الخبر وانه لقي جوامرد معه ثلاثة نفر فقط وكان مونس قد اتهمه فلحق بعسكر مونس فاستبشر الناس بمجيئه وأيقنوا بالظفر وانحلال أمر يوسف وخلع عليه مونس وعلى أصحابه خلعا سلطانية وحمل اليه عشرات آلاف دينار وفروشا . ولم يقف يوسف على خبره الى بعد صلاة العصر من اليوم الذي هرب فيه عرّفه بعض حواشيه بوصوله عسكر مونس فعظم ذلك عليه. وضرب مونس المصافَّ مع ابن أبى الساج فكسره وانهزم نحو أردبيل وأحرق مضربا ومضى أبو الهيجاء بن حمدان في الطلب وأحمد بن على أخو صعلوك والفارقي ووصيف وسراج ورجع من مضى في الطلب وذكروا ان ابن أبي الساج سار الى باب أردبيل وعدل عن المدينة نحو طريق ورثان ورحل مونس نحو أردبيل فوافاه اعرابى يركض وبيده سيف حليته ذهب وهو يطلب الاستاذ فأرشد اليه فاخبر أنه وجماعة من عشيرته كانوا في طلب يوسف الى أن انتصف وكبت دوابهم حتى أدركوا يوسف وقد تقنطر به فرسه فسقط الى الارض سقطة أوهنته

ضربات وانصرف به مونس الى بغداد فلما كان سنة ٣٠٧ حمل يوسف بن أبي

ومعه نفر يسير فلما أدركه تفرق من كان معه ولحقه اعرابي فضربه على رأسه فلما ضربه قال : أنا يوسف وعندى غناك وغنى عقبك . فاخذ سيفه ومنطقه وخاتمين ياقوتا من يده وأخذ فرسه وسلبه وهو ابن عمه وحمله على بغل كانا أخذاه في طريقهما ورجعا نحو عسكر مونس فتلقاه أخو صعلوك فلما رأى يوسف ترجل وقال : السلام عليك أيها الامير . فقال له يوسف : أنت الامير اليوم ياأبا العباس . فاخذه وأقبل الى الاستاذ فشكر لله وحده . وكان الاعرابى الذي أخذه يقال دعيجة بغل (ليراجع كتاب الاغاني ١١:٩٧) وبه ثلاث جراحات فادخله الى مونس فكلمه باجمل كلام ووعده أحسن وعد وقال : أنا استوهب من أمير المؤمنين ذنبك واجعلك صاحبي وعمدتي . ودعا ماء ورد فغسله بيده ثم أخرج الى خيمة قد أعدت له وأدخل عليه الاطباء فداووا جراحاته فقال يوسف ليلبق : حاجتي أن لا يدخل اليَّ غير الطبيب لعلاج جراحاتي وغلام صغير يخدمني. ففعل ذاك

وتوجه مونس الى بغداد ومعه يوسف فتلقاه أبو القاسم بن الحوارى بحلوان ومعه بشر الخادم خليفة مونس وابراهيم بن حمدان وسار حتى وصل المصلى العتيق واستقبله الوزير وارباب الدولة . وكان قداستعد مايشهر به عجل ليحمل عليها واسعة المقعد وعلى أن يلبس المصبغات والبرانس ويشهر بطبل يجعل فى عنقه ويجلس معه المحشون في العجل يطبلون ويزفون وبلغ ذلك مونس فانكره وكتب فيه كتاباً الى المقتدر يسأله ان لا يشهر بركوب الفيل والعجل فأجيب الى ماسأل . فزينت المدينة وخرج الرجال والنساء فى باب خراسان والى دار المقتدر فى الشارع ودخل مونس وبين يديه يوسف على جمل وعليه الدراعة التي كانت على عمرو بن الليث والبرانس وهو مطرق الى الارض لا ينظر الى أحد وفي رجله خف أسود فرق الناس له ودعوا بأن يعطف الله قلب المقتدر عليه فوصل الى دار المقتدر وأنزل فى الفوج الاول في مرتبة لم ينزلها قبله أحد من نظرائه ثم عدل به الى الدهليز الثالث الذى منه يصل الى المقتدر الى حجرة هناك .

ودخل مونس الى الخليفة بعد أن جلس على سرير ملكه وأبو العباس ابنه عن يمينه والباقون من ولده عن يساره والوزير حامد واقف بين يديه وعلى بن عيسى دونه والناس على مراتبهم فتقدم مونس فقبل يده ورجله والبساط والسرير وتقدم بعده هلال ابن بدر وبعده عبد الله بن حمدان والناس بعدهم ثم وقف ابن أبي الساج فلما وقف بين

الساج على جمل من باب الشماسية وادخل بغداد مشهراً[1] على رأسه برنس وبين يديه الجيش الى أن وصل الى دار السلطان ووقف بين يدى المقتدر ثم حبس فى دار السلطان فى يد زيدان القهرمانة ووسع عليه ثم خلع على مونس ودلوق وسور[118] وخلع على جماعة من قواده وزيد الرجالة نصف دينار لكل واحد فى الشهر

ولما بعد مونس من آذربيجان وأنكفأ راجعاً الى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداذ غلب سبك غلام يوسف عليها . فانفذ مونس اليه محمد ابن عبد الله الفارقى وقلده البلد وكان فى حدود أرمينية فسار الى سبك وحاربه فانهزم الفارقى وصار الى بغداد وتمكن سبك من البلد . ثم كتب الى السلطان يسئل ان يقاطع عن الناحية فأجيب وفورق على أن يحمل فى كل سنة مائتين وعشرين ألف دينار وانفذت اليه الخلع والعقد ولم يف بما ووقف عليه وكان مونس لما ظفر بيوسف بن أبي الساج وقبل انصرافه عن آذربيجان قلد على بن وهسوذان أعمال الحرب بالرى ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر وسلمها اليه وجعل أموالها له ولرجاله وقلد أحمد بن على صعلوك

يدى المقتدر ورمى بنفسه ليقبل البساط فمنع من ذلك فما زال واقفا ساعة والمقتدر يتأمله ثم يجيء من بين يديه وسلم الى بدر الحرمى . وقد كان مونس وحامد قد تنحوا من بين يدي المقتدر وجلسوا في صفة لجيء بابن أبي الساج اليهم فقال له الوزير حامد : طب نفسا وقر عينا فان مولانا أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وليس يرى الا ماتحب . ثم مضى مونس فخلع عليه وقلد سيفا وعلى هلال بن بدر بعده وعلى أبي الهيجاء بن حمدان بعده والناس على طبقاتهم وأخذ المستأمنة مثل جوامرد وغيره أياما ثم خلع عليهم بعد ذلك فكان جميع من خلع عليه ثلثمائة وخمسة وعشرين رجلا .

(١) قال صاحب التكملة : وشهر على الفالج وهو جمل له سنامان يشهر عليه الخوارج على السلطان

أعمال المعاون باصبهان وقم وجعل مال الخراج والضياع بقم وساوة له ولرجاله مبلغه في كل سنة أكثر من مائتي الف دينار

ثم وثب أحمد بن مُسافر صاحب الطرم على ابن أخيه على بن وهسوذان وهو معه مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه [(١١٩)] وهرب فى الوقت الى بلده وكان أحمد بن على أخو صعلوك مقيما بقُم فسار منها الى الريّ ودخلها فانكر عليه السلطان فعله وقلّد وصيف البكتمرى أعمال على ابن وهسوذان وقلّد محمد بن سليمان [(١)] صاحب الجيش أعمال الخراج والضياع وكوتب أحمد ابن على بالانصراف الى قُمّ ففعل ثم جرت بينه وبين محمد بن سليمان وحشة فاظهر الخلاف وصرف عمّال الخراج والضياع عن قمّ وأخذ في الاستعداد للمسير الى الريّ وكوتب نحرير الصغير وهو متقلد همذان بالمسير الى الريّ والاجتماع مع وصيف البكتمري ومحمد بن سليمان على دفع أحمد بن

(١) هو محمد بن سليمان بن المنفق أبو على الكاتب الذي فتح مصر على الطولونية . راجع الطبري . (٣ . ٢٢٥٢) وكتاب الولاة للكندى (٢٤٨) وفى المقفا للمقريزى فى ترجمته انه أخرج معه من مصر القاضى أبا زرعة محمد بن عثمان والقاضي أبا عبيد محمد بن عبدة (وذكر هذا أيضا في القضاة) للكندى ص ٥٢٢ س ٢٣) وموسى بن طونيق وسائر من بقي بمصر من الطولونية. وقدر ان الذى حمله من مصر معه مما أخذه من سائر الناس ألف ألف دينار وأنفذ الى المكتفى من أموال بني طولون وذخائرهم وحليهم وفرشهم ونعمهم أربعة وعشرين ألف حمل ومن العين ألف ألف دينار . وأخذ لنفسه شيأ عظيما جليل المقدار سوى ما أخذ قواد عسكره وسار الى حلب فوافى كتاب المكتفى الى وصيف مولى المعتضد وكان معه ان يوكل به و يشخصه الى الحضرة ففعل ذلك فاخذه المكتفى وقيده واعتقله وطالبه بالاموال التى أخفاها فلم يزل معتقلا الى ان تقلد علي بن محمد بن الفرات الوزارة للمقتدر بالله في سنة ٢٩٦ فأخرجه الى قزوين وزنجان واليا على الضياع والاعشار بها. وراجع قصة محمد بن سليمان مع أحمد بن طولون فى الفرج بعد الشدة (١ ، ١٨٠)

علي وسار أحمد بن علي الى باب الريّ فواقعوه وانهزم وصيف ونحرير الى همذان وقتل محمد بن سليمان في الوقعة وحصلت الريّ في يد أحمد بن علي فشرع في إصلاح ما بينه وبين السلطان وعنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالريّ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كل سنة الى الحضرة وقلد الناحية وقُلّد محمد بن خلف النيرماني الضياع بهذه النواحي وأخرج أحمد بن علي عن قُمّ وقلّد من نظر فيها
(ونعود الى حديث ابن الفرات)(١٢٠)

لما تبين الوزير أبو الحسن بن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبي القاسم ابن الحواري وشفيع اللؤلؤي ونسبهم اياه الى مُواطأة ابن أبي الساج على العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصرا وشفيعا عن أكثر أعمالهم . وكان ابن الفرات قلّد أبا علي ابن مُقلة كتابة نصر الحاجب ثم استوحش أبو علي ابن مقلة من ابن الفرات لاجل استخدامه سعيد بن ابراهيم التستري فذكر لنصر ان ابن الفرات قد استخرج من ودائعه التي سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد ان حلف في وقت نكبته انه ما بقيت له وديعة لم يُقرّ بها فذكر نصر للمقتدر ذلك ليُغيظه على ابن الفرات وغرّ نصرٌ وابن الحواري أبا علي ابن مقلة واطمعاه في الوزارة ليستخرجا ما عنده من أخبار ابن الفرات التي يُضرّبون بها المقتدر عليه حتى ظهر الامر في ذلك واشتهر وكثرت به الاراجيف فذهب أبو الخطّاب ابن أبي العباس بن الفرات الى عمّه فشرح له ما يتحدث به الناس فقال له : ان شككت في أبي علي ابن مقلة مع تربيتي له ودفعي منه شككت في ولدي وفيك.(١) ثم تبين ابن الفرات بعد ذلك صحّة ما نُسب

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٢٠ ـ ١١٩ : ٢١٥

الى ابن مقلة واطلع[١٢١] أبا على ابن مقلة على بعض ما وقع اليه من الخوض فى أمره على طريق التعجب ليصرفه عما شرع فيه فاستوحش أبو على منه وخاف معاجلته اياه بالنكبة فجدّ فى السعى عليه واعتصم بنصر الحاجب

﴿ودخلت سنة خمس وثلاثمائة﴾

وفيها ورد رسولان لملك الروم الى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة والطاف كثيرة يلتمسان الهدنة وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرّم فانزلا فى دار صاعد بن مَخلد وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بان يُفرش لهما و يُعَد فيه كلّ ما يحتاجان اليه من الآلات والاوانى وجميع الاصناف وان يقام لهما ولِمَن معهُما الانزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة حتى يتّسع بذلك كلّ مَن معهما. والتمسا الوصول الى المقتدر بالله ليبلّغاه الرسالة التى معهما فاعلما انّ ذلك متعذرٌ صعبٌ لايجوز الابعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصد(١) اليه وتقرير الامر معه والرغبة اليه فى تسهيل الاذن على الخليفة[١٢٢] والمشورة عليه بالاجابة الى ما التمسا. فسأل أبو عمر عدى بن عبد الباقى الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الاذنَ لهما فى الوصول اليه فوعده بذلك فى يوم ذكره له

وتقدّم الوزير بان يكون الجيش مُصطفاً من دار صاعد الى الدار التى أُقطعها بالمُخرّم وان يكون غلمانه وحدَهُ (٢) وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار الى موضع مجلسه وبُسِط له فى مجلسٍ عظيم مُذهب السقوف فى دارٍ منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب وعُلّقت الستور التى تشبه الفرش واستزاد فى الفرش والبسط والستور ما بلغ ثمنه

(١) لعله قصدا (٢) لعله وجنده

ثلاثين ألف دينار ولم يبق شىء تُجمل به الدار ويُفخّم به الأمر الاّ فُعل وجلس على مصلّى عظيم من وراءه مسندٌ عالٍ والخدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله والقوّاد والاولياء قد ملأوا الصحن ودخل اليه الرسولان فشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما .

ولما دخلا دار العامة أجلسهما الحاجب فى رواقها والرجال قد امتلأت بهم الدار ثم أخذ بهما فى ممرٍّ طويلٍ من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما الى صحن البستان ثم عدل بهما الى المجلس الذى كان[١٢٣] الوزير جالسا فيه فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذى فيه وكثرة الجمع منظرًا عجيباً جليلاً . وكان معهما أبوعمر ابن عبدالباقى يترجم عنهما ولهما وحضر نزار بن محمد صاحب الشرطة فى جميع رجاله قائما بين يدى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فسلما وترجم لهما ابن عبدالباقى ماقالا فاجابهما بما ترجمه لهما . ورغبا اليه فى إيقاع الفداء ومسألة المقتدر بالله الاجابة اليه فاعلمهما انه يحتاج الى مخاطبته فيه واذكراه ثم العمل فيه بما يرسمهُ والتمسا منه ايصالهُما اليه فوعدهما به . وأخرجا من بين يديه وأُخِذ بهما فى الطريق الذى دخلا منه وعادا الى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زىٍّ وأكمل هيأة . وكان زيهما دراريع ديباج ملكية ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرؤس .

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله فى ايصالهما اليه ووافقه على ما يجيبهُما به وتقدّم الى سائر الاولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب الى دار السلطان وان يكونوا منتظمين للظهر من دار صاعد الى دار السلطان فركبوا ووقفوا فى الطريق على هذا الترتيب[١٢٤] فى الزى الحسَن والسلاح التامّ وتقدّم بان تُشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح وان

يفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك حتى فرغ من جميعه
ثم أنفذ الى الرسولين بالحضور فركبا الى الدار على الظهر وشاهدا فى طريقهما
من الجيش وكثرته وحسن زيّه وتكامل عُدّته أمراً عظيما . ولما وصلا الى
الدار أُخذ بهما فى ممرّ يفضى الى صحن من تلك الصحون ثم عدل بهما الى ممرّ
آخر وأخرجا منه الى صحن أوسع من الاول ولم تزل الحجاب يخترقون بهما
فى الصحون والممرات حتى كلّا من المشى وانبهرا . وكانت تلك الصحون
والممرّات محشوة بالغلمان والخدم الى ان قرُبا من المجلس الذى فيه المقتدر
بالله والاولياء وقوفٌ على مراتبهم والمقتدر جالسٌ على سرير ملكه وأبو
الحسن ابن الفرات واقفٌ بالقرب منه ومونس الخادم ومن دونه من الخدم
وقوفٌ عن يمينه ويساره . فلما دخلا الى المجلس قبّلا الارض ووقفا حيث
استوقفهما نصر الحاجب وادّيا اليه رسالة صاحبهما فى الفداء ورغبا اليه فى
إيقاعه . فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمةً للمسلمين ورغبةً فى فكهم
وإيثارا لطاعة الله عزّ وجلّ [(١٢٥)] خلاصهم وانه ينفذ مونساً لحضور ذلك
ولما خرجا من حضرته خلع عليهما مطارف خزّ مذهبة وعمائم خزّ وخلع
على أبى عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء.
فتاهّب لذلك وابتيع من النّمس الرُسل ابتياعهُ من الروم المطلوبين واطلق
له وللقوّاد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف
دينار . وكتب الى العُمّال فى طريقه بإزاحة علّته فيما يلتمسهُ وحُمل الى كل
واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلةً لهُما وخرجا مع مونس ومعهما
أبو عُمر . وتمّ الفداء فى هذه السنة على يد مونس

وفيها أُطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته من الحبس فى دار

السلطان وخلع عليهم خلعة الرضا

وفيها مات العباس بن عمرو الغنوى وكان متقلداً أعمال الحرب والمعاون بديار مضر فقلّد مكانه وصيف البكتمرى . فلم يضبط العمل فقلد مكانه جنيّ الصفوانى فضبطه أحسن ضبط[1]

﴿ ودخلت سنة ست وثلثمائة ﴾

وفيها قبض على الوزير أبى الحسن بن الفرات وكانت مدّة وزارته هذه الثانية سنة واحدة[126] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾[2]

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية انه أخّر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القوّاد واحتجّ بضيق الاموال لاجل ما احتيج اليه من صرفها الى محاربة ابن أبى الساج وأيضاً لاجل نقصان الارتفاع بأخذ يوسف مال الرى . فشغب الفرسان فى أول سنة ٣٠٦ شغباً عظيما وخرجوا الى المصلى والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصّة ليضيف اليها مائتى ألف دينار ينفق فى الفرسان فغاظ ذلك على المقتدر وراسله بأنه قد كان ضمن له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الاولى ويحمل ما ضمن حمله الى حضرته مفردا وانه لم يظنّ انه يقدِمُ عليه بطلب مال . فاحتج ابن الفرات بما ذكرتُه فلم يسمع حجّته وتنكّر له

---

(١) زاد صاحب التكملة : فيها مات سبكرى بعد اطلاقه من الحبس . وفيها مات غريب الخال وعقد لابنه مكانه وحضر ابن الفرات جنازته بداره بالمخرّم . وفيها قلد أبو عمر قضاء الحرمين　(٢) راجع صلة عريب : ٧٢

وكان عبد الله بن جُبَير لما أقام فى وزارة على بن عيسى بواسط وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفضل على الضمان شرح ذلك لابن الفرات [١٢٧] وبيّنَ له وجوهه لما عاد الى بغداد وعند عوده الى مجلس الاصل فى ديوان السواد . فعظم ذلك فى نفس ابن الفرات فلما أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جبير ابنَ الفرات في ان يكاتب حامداً فى بعض ما كان أنهاه اليه من ضمان حامدٍ فأذن له فيه اذنا ضعيفاً. فكتب من مجلسه (وهو مجلس الاصل فى ديوان الخراج) الى حامد وأجاب حامد وتردّدت بينهما مكاتبات فى هذا المعنى . وتبع ذلك كتب بشر بن على (وهو خليفة حامدٍ) يعتب على ابن جبير لما كان يتكلم به فى مجلسه . فاستوحش حامد من ذلك وتخوّف ان يكون ما يظهره ابنُ جبير عن مواطاة الوزير ابن الفرات ولشىء قد عرفه من نيّته فأنفذ من يسفر له فى الوزارة ويخاطب له نصراً الحاجب . فسعى له فى ذلك وعرّف نصراً سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليلة من جهة ابن الفرات وأسبابه وراسل أيضاً السيّدة فى هذا الباب

ووافق ما سعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر فى ابن الفرات وتخوّفه منه والاضاقة التى عرضت فى الوقت حتى طلب ما طلب فتمّ لحامد ماقدّره بما اجتمع من هذه الاحوال . فرُوسل حامد بالخروج الى الحضرة من واسط [١٢٨] وان يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير . فلما وقف عليه المقتدر أنفذ نصرا الحاجب وشفيعا المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه المحسّن وموسى بن خلف وعيسى بن جبير وسعيد بن ابراهيم

التُستَرِى وأم ولد له وابنها منه [1] وُحملوا الى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وحدهُ في يد زيدان القهرمانة واعتقل الباقون في يد نصر . ووصل حامد الى مدينة السلام وأقام ليلته فى دار الحجبة من دار السلطان وتحقّق به أبو القاسم ابن الحوارى .

وجلس حامد يتحدّث فبان للقوّاد وجميع خواصّ المقتدر حِدّتهُ وقلة خبرته بامر الوزارة وحُدِّث المقتدر بذلك فاستدعى أبا القاسم ابن الحوارى وعاتبه على مشورته به . فوصفه ابن الحوارى باليسار العظيم وباستخراج الاموال وهيبته عند العُمّال ونُبل النفس وكثرة الغلمان . وكان مع حامد لما قدم أربعمائة غلام يحملون السلاح فيهم عُدّة يجرون مجرى وجوه القواد وأكابر أصحاب السلطان . وأشار ابن الحوارى على المقتدر فى عرض كلامه باطلاق على بن عيسى وتقليده الدواوين باسرها ليخلف حامداً عليها فامتنع المقتدر من ذلك الاّ بعد أن يلتمسه حامدٌ (١٢٩) منه فاحال ابن الحوارى على حامد وقال له : التمس ذلك من المقتدر اذا وصلت الى حضرته وعظّم عليه أمرَ الاعمال والدواوين وحوائج الحاشية وخوّفه من سوء أدبهم . وصوّر لحامد انه ان لم يفعل ذلك فُعل مُراغمَةً له وحلف انه ناصحٌ له . فلما وصل حامد الى المقتدر بالله وتقلد وزارته قبّل الارض بين يديه وبعقب ذلك سأله إطلاق على بن عيسى والأذن له فى استخلافه على الدواوين والاعمال فقال له المقتدر بالله : ما أحسب على بن عيسى يجيب الى ذلك ولا يرضى ان يكون تابعا بعد ان كان متبوعا رئيساً . فقال حامد بحضرة الناس : لِمَ لا يستجيب الى ذلك ؟ وانما مثل الكاتب مثل الخياط يخيط ثوباً قيمته الف دينار ويخيط

(١) يعنى دولة وابنها و هو الحسن، كذا فى كتاب الوزراء : ٣٣

ثوباً بعشرة دراهم . فضحك الناس منه

ولما خلع على حامد خلع الوزارة صار الى دار الوزارة بالمخرّم فنزلها وجلس فيها للتهنئة . ولم يقرّر شيئا من الدواوين فتركها مختومةً ذلك اليوم وتحقق به أبو على ابن مقلة واختصّ به واستحضر حامد أبا عبد الله زنجى الكاتب فألزمه داره وورد اليه مكاتبة العمال عنه على رسمه مع ابن الفرات . وتحقق بجميع الامور ابن الحوارى [١٣٠] وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله . وكتب عن المقتدر الى جميع أصحاب الاطراف وعمال المعاون بخبر تقليده حامدا الوزارة أنشأ ذلك أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة . ثم قرر حامد وعلى بن عيسى أمر الدواوين على إتفاق منهما جميعا ثم ابتدأ بعد ذلك يغير ماراى تغييرَهُ

وكان على بن عيسى فى أوّل أيام وزراة حامد بن العباس يحضر دار حامدٍ فى كل يوم دفعتين مدّة شهرين ثم صار يحضر فى كلّ أسبوع دفعةً واحدة . ثم سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أول سنة ٣٠٧ وتبيّن هو وخواصُّهُ أنه لا فائدة فى الاعتماد عليه فى شىء من الأمور . فتفرّد حينئذ أبو الحسن على بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة وأبطل حامدًا فصار لا يأمر فى شىء بتّةً حتى قيل فيه

هذا وزير بلا سوادٍ وذا سوادٌ بلا وزير

فلما رأى حامد بن العباس نفسَهُ لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب فى أيام المواكب الى دار السلطان فاذا حضر لم يُدخله المقتدر فى شىء من التدبير وكان الخطاب كلّه مع على بن عيسى شرع فى تضمّن أعمال الخراج والضياع [١٣١] والخاصّة والعامّة المستحدثة والعبّاسية

والفراتيّة بالسواد والأهواز واصبهان وتردّدت بينه وبين على بن عيسى فى ذلك بحضرة المقتدر مُناظرات الى أن تضمن هذه الاعمال . فضمّن حامد أبا على أحمد بن محمد بن رُستم اصبهان بزيادة مائة ألف دينار فى كل سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبى البغل ويد أحمد بن سيّاه ولما زال ضمان حامد عقد علي بن عيسى على أبى على ابن رستم اصبهان بهذه الزيادة ثم شرح أبو الحسين ابن أبى البغل عظيمَ ما يرتكب أبو على بن رستم من الظُلم لأهل اصبهان فبحث عنه على بن عيسى حتى تحققه فاستشار ابن ابى البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبين له كانا يتولّيان له باصبهان مدّة تقلّده اياها وهُما أبو مسلم محمد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد[1] فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الالف عشرين الفا ليكون فى ذلك ترفيه للرعيّة وسلّم اليهما ابن رستم

ولما تبيّن حامد إتّضاع حاله عند المقتدر ورأى أنه لا يأمر ولا ينهى فى شىء من أمر المملكة استأذن فى العود الى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأول فأذن له (١٣٢) المقتدر فى ذلك وأقام بواسط وله اسم الوزارة فقط

﴿ ذكر ما عامل به حامد بن العباس علىّ بن محمد بن الفرات وأسبابه ﴾

ركب حامد بن العباس وعلى بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة الى المقتدر ووصل الناس ودخلا اليه . والتمس حامد الأذن لرجُل من الجند وذكر أنه وجده قبل تقلّده الوزارة وأقرّ له بأنه كان رسول ابن الفرات الى يوسف بن أبى الساج فى العصيان فأحضره كتاباً منسوبا الى ابن أبى الساج من ابن الفرات . فغاظ ذلك على المقتدر واغتاظ على ابن الفرات

(١) راجع ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ١٢٩

وأقبل على أبي عُمر القاضي وقال له ما عندك فى هذا الفعل من ابن الفرات؟ قال له : ياأمير المؤمنين لئن صحّ أنه أقدم على هذا الفعل لقد سعى فى إفساد أمر المملكة . ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له : ما عندك فى هذا ؟ قال له : عندي أن الله عزّ وجلّ قد أمر بالتثبت ونهى عن قبول قول الفاسق . ثم ناظر ابن البهلول الرجل مُناظرة [١] أدت الى أنه كذبٌ فأقرّ الرجل بالكذب فيما ادّعاه . فسلّم الرجل الى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوطٍ فضُرب [١٣٢] وحُبس فى المطبق ثم نُفي الى مصر

ثم ان حامداً وعلى بن عيسى أحضرا أباعلى الحسين بن أحمد المادرائى [٢] مناظرة بن الفرات فى دار السلطان فكاشف الحسين بن أحمد المادرائى ابنَ الفرات بانه حمل اليه فى وزارته الأولى أربعمائة ألف دينار من مال المرافق باجناد الشام وان أبا العباس ابن بسطام [٣] وأبا القاسم ابنه بعده حملا اليه ثمانمائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً فى كل سنة مائتى ألف دينار . وحضر المناظرة القضاةُ والكُتّابُ وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجرى ولا يراهُ أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال : ان هذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام فى أيام وزارة على بن عيسي وقد اعترف بأن هذه اموال واجبٌ استخراجها وادّعى انه حمل بعضها الىّ حيث كان متقلدا أعمال أجناد الشام وان ابنى بسطام حملا الىّ ماذكره . وقد ولى

---

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٠١ — ١٠٠ وارشاد الاريب : ١ : ٩١ — ٨٩

(٢) المعروف بأبى زنبور . راجع كتاب الوزراء ص ٩٢　(٣) هو أحمد بن محمد وله قصة مع الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب رواها أبو الحسن على ابن الفتح المطوق في كتابه مناقب الوزراء وهى موجودة فى الفرج بعد الشدة ١: ١٣٢ وكذا في كتاب الولاة والقضاة لابى عمر الكندى ص ٥٢٥

على بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من ان يكون حمل الى على بن عيسى فهو واجبٌ عليه أولم يحمل فهو واجبٌ على هذا العامل فى نفسه . ثم قداعترف أنه قدجبي فى أيام وزارتى الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [١٣٤] وادّعى حملها الىّ فصار مُقرًّا على نفسه ومدّعياً علىّ . وأنا أقول انه كاذبٌ فى ادّعائه علىّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروفٌ فى أمثاله . فأسمعهُ حامدُ ما يكره وشتمهُ شتماً قبيحاً فقال له ابن الفرات : أنتَ على بساط السلطان وفى دار المملكة وليس هذا الموضع مما تعرفه من بيدر تقسمهُ ولا هو مثل أكار تشتمهُ ولا عامل تلاكمهُ . ثم اقبل على شفيع اللؤلؤى وقال له : يجب ان تكتب عنى بما أقوله الى مولانا أيده الله ان حامداً انما حملهُ على الدخول فى الوزارة وليس من أهلها انى أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجددتُ فى مطالبته بها فقدّر بدخوله فى الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يُحصّله مُستأنفاً وقد كان ينبغى له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتى يتبيّن أمُربحٌ هو ام مُخسِرٌ فيدبّرهُ أبو الحسن على بن عيسى فانه لايشك أحدٌ فى بُعد ما بينه وبين حامد فى الصناعة والاحتياط . فأما وهو وزير وهو ضامنٌ فهذا أوّل خيانته واقتطاعه . فأمر حامد بن العباس أن ينتف لحيته فلم يمتثل أحدٌ أمره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته

وكان [١٣٥] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد الماذرائي خطّه بخمسمائة ألف دينار ان سُلّم اليه ابن الفرات وكان ذلك قبل شتيمة حامد له ومدّ يده الى لحيته وكان حامد أحضر أبا على ابن مُقلة ووافقهُ على ان يواجه ابن الفرات بأنه قداستخرج من ودائعه التى كتمها فى وزارته خمسمائة

ألف دينار فلم يبرز أبو علي صفحته لابن الفرات وراسله حامد في المجلس ان يفي بوعده ويواقفهُ في وجهه فقال أبو علي : أنا أكتب خطي بذلك فأما ان أواجه ابن الفرات فلا أفعل. فغلظ ذلك على حامد وتنكر لابن مُقلة منذ هذا اليوم.[1]

وكان علي بن عيسى لا يزيد على أن يُكلِّم ابن الفرات في مواضع الحُجّة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفه والشتم وكان ابن الحوارى يُري ابن الفرات أنه مُتوسّط بينه وبين حامد وتبيّن في خطابه انه متحامل على ابن الفرات ولما سمع المقتدر شتمَ حامدٍ لابن الفرات ووقف على مدّ يده الى لحيته أنفذ خادماً أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه الى محبسه. فقال على ابن عيسى وابن الحوارى لحامد : قد جنيتَ علينا بما فعلته بابن الفرات . وكان الحسين ابن أحمد المادرائي بعد مكاشفته لابن الفرات قال له[2] : ان تأدّى الى المصادرة[١٣٦] تحمّلتُ عنك خمسين ألف دينار . فلما خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعلى بن عيسى وابن الحوارى : دخلت لتناظر الرُجل فلم تبرح حتى بذلتَ لهمرفقاً وصانعتهُ . فقال لهم : أدخلتموني الى رجل قال لي بعضكم لما دخلتُ اليه « انظرْ لمن تخاطِب » وقال آخر « أنظرْ بين يديك » وقال آخر « الله الله في نفسك » فلم أجد شيئاً أقرب الى الصواب ممّا فعلتُ بعد ان سمعتُ كلامَهُ . فمن جميل ما عملَهُ ابنُ الفرات انه لمّا تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد المادرائي وهو أكبر أولاده فأخذ خطّه بخمس وعشرين ألف دينار كانت واجبةً عليه من مال السلطان ولم يطالبه بها واعتقله الى ان وافى

---

(١) وزراء : ٩٧ — ٩٦ (٢) وزراء ٩٦

أبوه من الشام . فذكّره ابن الفرات ما كان بذله من الحسين الألف الدينار التي تحمّلها عنه وقال له : قد كنتَ مُخيَّراً ان تفعل وان لا تفعل وانما وعدتَ وعدا وهذه رُقعة بخطّ ابنك بخمسة وعشرين الف دينار وهي واجبة عليه حاصلة قِبَله ولا حجـة له ولا لك فيها وقـد رددتُها عليك مكافاة لك على ما بذلتَ

وقد كان أنفذ أبو أحمـد بن حماد لمُناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع اللؤلؤى وغيره فافتتح ابن حماد الخطاب بأن قال : ان [١٣٧] الوزير والرئيس أدام الله عزّهما يقولان لك « اصدق نفسك فقد وصل اليك من ضياعك وغلاّتك في كل سـنة الف الف ومائتا الف دينـار ومن وجوه ارتفاقاتك مثلها وهذا مال عظيم فاكتبْ خطك بألف الف دينار معجلة تُقدمها الى أن ينظر في أمرك حتى تسلم نفسك والاّ سلّمت الى مَن يُعاملك بمـا يُعامل به مثلك من الخونة الذين دبروا على المملكة فقد صحّ عنـد السلطان انك كاتبتَ ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان » فقال له ابن الفرات : قـد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمل الرسائل قد تصرّفتَ لعلى بن عيسى أربع سـنين واقتطعت أموالا فلما نظـرتُ في الامر استترت عـني وكتب اليّ من تصرّفَ مكانك باستدراكات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب باعيانها في ديوان السلطان محفوظة . فاقبل شفيع على ابن حماد فقال له : لستَ من رجال ابن الفـرات فقم الى ابنـه المحسّن فناظره . فقام وأخذ خطّ المحسّن بثلاثمائة الف دينار

ثم ناظر موسى بن خلف [١] وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له

(١) راجع صلة عريب ٧٤

موسى : ما له عندي وديعة ولا أعرفُ أخبار ودائعهِ ولاجرى[١٣٨] له على يدي مالٌ ولا وليتُ له عملا سلطانياً وانما كنت أنظر في نفقات داره . وكان موسى بن خلف شيخا كبيرا قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به ذربٌ لافضل له لِلمكروه فشتمه ابن حماد . وكان يتردّد بعد ذلك الى أصحاب ابن الفرات ويُناظرهم فلا يرتفع له شيء وكان علّق المحسن بفرد يد من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيء فلمّا رأى ذلك استغنى منهم فأعفى. وأحضر حامدٌ موسى بن خلف فقال له : دُلَّ على أموال ابن الفرات فانك تعرفها ولا تحوُج الى مكروه يقع بك . فقال له : أحلفُ بما شئت من الأيمان انى لا أعرفُ شيئا من ودائعهِ . فأمر بصفعه فصفع الى أن سأل على بن عيسى فيه وأشار الى الغلمان بالكفّ . ثم عاودَهُ حامد بالمكروه مرّات حتى أحضره ليلة بين يديه وضربه حتى مات تحت الضرب . فقيل له : انه قد تلف . فقال : أضربوه . فضرب بعد موته سبعة عشر (سوطا) فلما علم بموته أمر بجرّ رجله فجرّ وتعلقت اذنه في زرّ عتبة الباب فانقلعت وحمل الى منزله ميتا . واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه انه كان يقف على أموال وودائع لصاحبه عند جماعةٍ فلم يقرّ عليه[١٣٩] الى أن تلف .

وأحضر حامد المحسّنَ وطالبه فذكر المحسّن أنه لا يقدر على أكثر من عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصفع فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال : هذا لا يتألم بالصفع هاتوا من يحلق شعره . فأخرج من بين يديه فحُلق شعره ثم أعيد اليه فصفعهُ حتى كاد يتلف وذلك بين أيدي جماعةٍ كثيرةٍ . فشفع اليه على بن عيسى وسأله أن يقتصر منه على خمسين الف دينار فحلف انه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار فبذل خطهُ بها وألبسه جُبّة صوف

وعذّبه ألواناً ثم سلّمهُ الى أبي الحسن الشُّباني فادّى ستين ألف دينار بعد أن استماحَ الناسَ وأسعفَهُ عليّ بن عيسى بعشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستميح الناس حتى صحّح ما بذل خطّهُ به وكثُرت الشفاعات فيه فردّه حامد الى منزله

وجهد حامد في أن يُسلّم اليه ابن الفرات فقال المقتدر : انا أُسلّمه اليك وأُوكّلُ به خادماً يحفظ نفسه . فقال حامد: اذا علِم ابن الفرات أنه يُحرَس من المكروهِ عاتَنَ . فقال المقتدر : أنا أُسلّمُهُ الى علي بن عيسى أو الى شفيع اللؤلؤى فانى اثقُ بهما.وكان المقتدر يروّى فى أمر ابن الفرات فتارة تشرهُ نفسه الى (١٤٠) المال وتارةً يكرهُ أن يتلف في يد حامدٍ فعرفَتْ زيدان القهرمانة هذه الحاله من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات.فاظهر ابن الفرات أنه رأى أخاه [1] أباالعباس فى النوم ووصّاه وقال له : أدِّ المال فان القوم ليس يريدون نفسك وانّما يريدون مالك.وانه قال : قد أدّيت اليهم جميعَ مالى . وان أخاه أجابه بأن قال له : لم تُؤدِ اليهم المال الفلانى فقلتُ :أن معظم ذلك لورثتك فقال: أدّه فانّا جمعناه من أسلافهم وأذخرناه لِمثل هـذا اليوم . ثم كتب الى تاجرين يحمل ماعندهما وهو سبعمائة ألف دينار الى حضرة المقتدر وكتب الى أبي بكر ابن قرابة بشيء آخر والى ابن ادريس الحمّال بشيء آخر فانفذ المقتدر رقاعهُ الى حامد وعلى بن عيسى فغاظ ذلك عليهما ويئسا معها من تسلم ابن الفرات ؟ وقال على بن عيسى وابن الحوارى لحامد : أى شيءٍ عندك فيما فعله ابن الفرات فقال حامد : هذا من اقبال مولانا أمير المؤمنين . فقال له على بن عيسى : هـذا لاشكّ فيه كما قال الوزير أيده الله ولكن ما أشكُّ ان ابن

(١) صلة عريب : ٧٤

الفرات ما فعل هذا حتى توثق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير مكيدة وقد كان يجوز ان يقع منه [١٤١] بعضه الا لشروعه فى تضمن أنفسنا وأحوالنا فقال حامد وابن الحوارى : هذا لاشك فيه

ثم تشاغل حامد وعلى بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا اليهم رقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحته سوى ابن قرابة فانه قال فى عشرة آلاف دينار كان أودعه اياها : قد كان أودعنى هذا المال ثم ابتاع منى فى أول سنة ٣٠٦ عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثره الى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعى توقيعاته بخطه بتواريخ أوقاته واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فانفذه حامد الى دار السلطان وأوصله مفلح الى ابن الفرات حتى ذكر له ذلك فصدقه وقال له : لا تلمنى على ما كتبت به فقد كنت أنسيت ما جرى فيه ولعمرى لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوبا لك فى ثمن العطر وكتب ابن الفرات خطه بصحة ما قاله ابن قرابة فسلمت الدنانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكد أسباب تحققه فيما بعد ذلك بابن الفرات

وقد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالا لابنه الحسن بن دولة فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود [١٤٢] فاعترف أبو عمر القاضى ان لابن الفرات عنده وديعة لما سأله حامد هل عنده وديعة فأمر باحضاره فأحضره وأداه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكر لأبى عمر فحكى ان أبا بكر ابن قرابة قال : لما خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت [١] أول من لقيه فى دهليز الحجبة المتصل بباب الخاصة فقال : يا أبا بكر تقرب أبو عمر بوديعتى وعرضنى (قال) فقلت : الوزير أيده الله

(١) وفى الأصل : كان

صادقٌ فمن أخبره ؟ فأومأ الى زيدان القهرمانة وان القاضى أبا عمر عرف تنكر الوزير له . ووصل الى منزله وقت العشاء الآخرة فاذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على بابه فأكبر ذلك ونزل اليهما لخلفا عليه ان يدخل الى منزله ودخلاه بدخوله فقالا له : خبر المجلس عندنا فما الذى ترى ؟ فقال لهما : ازالة الاعتذار والاحتجاج وردُّ المال . فاستجابا وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لئلا يعاجلا فبكّر ابن قرابة الى ابن الفرات فقال له : قد جاءنى أبو عمر القاضى وابنه قلقين وذكرا ان المال بحاله فقال : الحمد لله ربّ العالمين . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الالاف الدينار فى برنيّة كانت ضُمِّنت الوديعة فلما رآها ابن الفرات عجب (١٤٣) وأمر بتسلمها

وعدنا الى خبر حامد فى وزارته . ولما رأى حامد وعلى بن عيسى تمكن ابن الحوارى من المقتدر بالله خرج توقيع حامد بخطّ على بن عيسى بتقليد ابن الحوارى جميع أعمال العطاء فى العساكر لسائر نواحى المغرب من حدّ هيت الى آخر حدود مصر وان يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر فى ذلك فى آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية وان يقلد ابنه (وكانت سنّهُ فى الحال نحو عشر سنين) ويُجرى عليه ما مبلغه فى الشهر مائة وخمسون دينار وقلد ابنه هذا بيت مال العطاء بالحضرة بحقّ الأصل بجارى مائة وثمانين ديناراً فى الشهر واستخلف له عليه المعروف بقاطرميز الكاتب . وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحوارى وخدمته له فى خلواته وكان يشاوره فى أموره فقلد أعمالا أخر وأجرى عليه واستخلف له عليها فكان يصل اليه مال عظيم ولا يباشر شيئا من الاعمال ولا يدرى

ما يجرى فيها. وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلد نجح الطولونى واستخلف عليها [١] وأقام فى الارباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط فى أمر الجناة بما يفتون به فى أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان اللصوص والعيّارون جانب نجح [١٤٤] فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الامر فى اللصوص وكان العيارون يقولون : اخرجْ ولا تبالى مادام نجح والِى

﴿ ودخلت سنة سبع وثلثمائة ﴾

كان غرض حامد فى الضمانات على النواحى التى ذكرناها تفرُّدُ على ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد فتضمّن حامد بهذه النواحى ليكون له بالحضرة أمر ونهى وَليوفّر من هذه الاعمال مايطل به السوق التى قامت لعلى بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف . وانما لم يدخل أعمال فارس فى ضمانه لانها كانت فى ضمان أبى القاسم ابن بسطام [٢] وكان النعمان يُشير على حامد بترك الدخول فى الضمان فانه زعم انه تسقط هيبته عند الناس ويصير على بن عيسى المطالبَ له بالاموال والمتحكّمَ عليه وكان أبو عيسى أخو أبى صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبيّن

---

(١) وفي صلة عريب ص ٧٦ : وليها محمد بن عبد الصمد

(٢) ليراجع فيه صلة عريب ص ٧٨ وزاد صاحب التكملة : وضمن على بن عيسى الحسين بن أحمد المادرائى أعمال مصر والشام بثلاثة آلاف الف دينار فاوصله الى المقتدر بالله فخلع عليه وشخص الى عمله وقدم على بن أحمد بن بسطام من مصر فولاه أعمال فارس . قال أبو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة : رأيت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل الينا فارس عاملا ومعه أثقال لم ير مثلها ورأيت فى جملة أثقاله أربعين نجيباً موقرة أسرة مشبكة ذكروا أنه يستعملها فى الطرقات للمجالس والتمس يوماً سجادة للصلاة بعينها وكان يؤالفها ففتشت رزم الفرش فكان فيها نحو أربعمائة سجادة

أثرهُ وان يتضمّن بعبرة سنى على بن عيسى خاصّة ليكون مايثيره وهو شيء كثير وافر استدرا كا على عليّ بن عيسى فمال حامد الى هذا الرأي وخاطب على ابن عيسى بحضرة المقتدر وقال له : قد تفرّدت بتدبير الامور دونى وليس ترى أن تُشاورني فى شيء تعملهُ ولا بدّ من صدق أمير المؤمنين فقد اضعت بالسوادوالاهواز وأصبهان أربعمائة (١٤٥) ألف دينار فى كلّ سنة وأنا أضمن هذه الاعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبّب فى سنى وزارتك وزيادة أربعمائةَ ألف دينار فى كل سنة . فأجابَهُ على بن عيسى بأنه لايستصوب تضمينهُ هذه الأعمال لان مذهبهُ فى خبط الرعية وإحداث السُنن وضرب الابسار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لامحالة يوفر سنة أو اكثر ثم تخرب خرابا لايتلافى في سنين فيبطل الارتفاع ويسيء الذكر . فتخاصما خصومة طويلة فقال المقتدر : هذا توفيرٌ من حامد ولا يجوز تركهُ فان ضمنتَ أنت هذه النواحى بما ضمنَهُ حامد ضمنتك. فقال على بن عيسى : أنا كاتب ولست بعامل وحامد أولى بالضمان لاسيّما وقد بذل مابذل راغباً والاثر فى ذلك بامير المؤمنين لاني قدعمرتُ البلدان لرفقى بالرعيّة وتقليدى من العُمّال من أزال المُؤن عنهم . وسنة سبع قدتناهت عمارتها وليس يقدران يقول أنه يتضمّنها ليستزيد في عمارتها لان أيام العمارة قد انقضت منذ مدّة فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به نخرجا

وتقدّم على بن عيسى الى أصحاب الدواوين بإخراج العبرَ من دواوينهم بعبر السنين القريبة لأنها أوفر (١٤٦) فأخرج عبرة المحمول والمسبّب مع مال النفقات الراتبة فى نواحى السواد والاهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهُنّ

سنة ثلاث وأخراهنّ سنة خمس وثمانية ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم وأخرج عبرة الضياع الخاصّة والمستحدثة والعبّاسيّة والفراتيّة للمحمول والمسبّب ثمانية ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبرة مال اصبهان مع النفقات الراتبة بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التي بذلها حامد وهي عن قيمة اربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة الف درهم مبلغ الجميع ثلاث وخمسون الف ألف وتسعمائة ألف درهم

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكُتّاب اليه ليُوليهم كتابته على دوان ضمانه واختار عبيد الله بن محمد الكلواذي وأحمد بن محمد بن زُرَيق وغيرهما فتقدّم المقتدر باجابته الى ما سأله بعد أن عقد على بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذخطّ حامد بتضمنه عنه ما عقده باسمه . واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكلواذى فكان يُنظم الاعمالَ التي يخرجها كُتّاب حامد ويتولّى الموافقة عن[١٤٧] حامد في دار السلطان ويرفُق في المُناظرة ويستعمل الحجة فقط واعتمد على بن عيسى على الصقر بن محمد فى مناظرة كُتّاب حامد فكان حامد اذا حضر لا يزيد على الشتم والسبّ لعلى بن عيسى وذكره بالقبيح فى نفسه واسلافه واستعمل فى ذلك ما فضح به المملكة وشاع في الخاصّ والعامّ الخبر به ثم أصلحَ المقتدر بينهما بحضرته

وأسرف علىّ بن عيسى فى الالحاح على حامد فى حمل المال واحتاج حامد الى ان يستأذن فى الخروج الى الاهواز فأذن له وذكر أبو القاسم

الكلواذى انه يضعف عن مقاومة على بن عيسى عند غيبته فنصب حامد صهره أبا الحسين محمد بن أحمد بن بسطام للنيابة عنه فى دار السلطان عند المناظرة ولإغراء الكلواذى ليستوفى حجته وظهرت فى ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته . وجرى خلاف كثير بين كتاب حامد وبين كتاب على بن عيسى يطول ذكرها ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسط النعمان وقرر الامر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار تقسط سنة واحدة وكتب ابن بسطام والكلواذى الى حامد وهو (١٤٨) بالاهواز بصورة ما تقررت عليه الحكومة فدبر حينئذ حامد فى ذلك تدبير الشيوخ المجربين فكتب الى المقتدر كتابا وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوما الى المقتدر فوجده قد ذكر فيه انه لم يدخل فى هذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وانما أراد أن يبين عن خبرته بالاعمال وحفظ الاموال وقبح آثار على بن عيسى فيما تولاه قديما وحديثا وانه كان بذل زيادة أربعمائة ألف دينار فى كل سنة وانه لما صار بالاهواز لاحت له زيادة مائتى ألف دينار فى سنة سبع على أربعمائة ألف دينار فوفر ذلك وكتب كتابه بخطه حجة عليه لينضاف ذلك الى الزيادة الاولى ويثبت فى الدواوين فسر المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامد وان يقتصر بعلى بن عيسى على النظر فى حوائج القواد والحاشية والاحتياط فيما يطلق من الاموال فى النفقات فانه بذلك أبصر من حامد وبافراد حامد بجباية الاموال والنظر فى النواحى . وخاف على بن عيسى ان تقوى يد حامد فيسلم اليه واتفق بعقب ذلك ان تحركت العامة ثم الخاصة بسبب زيادة السعر وشغبوا (١٤٩) شغبا

عظيماً متصلا أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب فادعى كُتّاب حامد وأسبابه ومن يميل اليه ان على بن عيسى حمل العامة وأكثر الخاصة على الشغب لان السعر لم يكن زاد زيادة توجب ماخرجوا اليه وانما بلغ الخبز الحُوّارى ثمانية ارطال بدرهم

﴿ ذكر ما اضطرب لاجله أمر حامد بن العباس حتى فسخ ضمانه ﴾

تجمع الناس وقوم من أماثل العامة فتظلموا من زيادة السعر وضجوا فى وجه على بن عيسى لما ركب ثم نهب العامة دكاكين الجماعة من الدقّاقين ببغداد ثم اجتمعوا الى باب السلطان فضجوا فتقدّم المقتدر الى ابن الحوارى بأن يكتب الى حامد بأن يبادر الى الحضور وينظر فى أمر الاسعار فيزيل التربص ببيع الغلات لتنحطّ الاسعار فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الاهواز وأنفذ المقتدر ماهرا الخادم لاستعجاله وخرج أصحاب الدواوين والقوّاد لتلقيه وخرج نصر وابن الحوارى فتلقياه وخرج على بن عيسى فتلقاه ووصل الى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرّفه احماده اياه على ماوفّره وأمر بأن يخلع عليه فخلع عليه وحمل على شهرى وانصرف الى منزله (١٥٠)

وتحرك الجند بعد ذلك اليوم فى دار السلطان وضجوا لارتفاع السعر وتحركت العامة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجموا بالآجُرّ وكثرت الجراحات واجتمع منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عددٌ كثيرٌ على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجموه بالآجُرّ ثم صاروا فى ذلك اليوم الى دار حامد ابن العباس فأخرج اليهم غلمانه فرموهم بالآجُرّ والنُشّاب وقُتل خلق من العامّة فحملوا على الجنائز وشنّعوا بهم ووجّه حامد جماعة من غلمانه ومعهم

ديوداذ بن محمد وهو ابن أخي يوسف ابن أبي الساج فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربي على دوابهم فقتلوا جماعةً وقُتل أيضاً من الجند عدّة وبات الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وحُرَمِهم وضعف صاحب الشرطة عن مُقاومتهم لكثرة من تجمع من العامّة فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامّة عدد كثير الى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشُرطة ودار غيره فأنفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجريّة [١٥١] في شذاءات عدّة لمُحاربة العامّة وركب هرون بن غريب الخال في جيش عظيم الى باب الطاق فاحرق مواضع وتهارب العامّة من بين يديه الى المسجد الجامع بباب الطاق ووكّل هرون بباب المسجد وقبض على جميع من وجدهُ فيه ولم يفرق بين المستور والعيّار وحملهم الى مجلس الشرطة فضُرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدّرة وقطع أيدي قوم عُرفوا بالإفساد ثم ركب يانس الموفّقي يوم الاحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة ثم ركب حامد في طيّارة يريد دار السلطان فقصده العامّة ورجموه بالاجُرّ فأمر المقتدر شفيعاً المقتدرى بالركوب لتسكين العامة فركب وسار في الجانب الغربي وفيه كانت الفتنة فسكن الناس ثم قبض على جماعة من العامة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت أيدي قوم عرفوا بالرجم . وضجت الرجالة المصافية في دار السلطان من زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التي لحامد وللسيدة والامراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكُرّ وبيع الشعير بحسب ذلك وعطالبة التجار والباعة ان يبيعوا بمثل هذا [١٥٢] السعر فركب هرون بن غريب ومعه ابراهيم بن بطحا

المحتسب فسعّر الكرّ المعدّل بخمسين دينارا وتقدّم الى الدقاقين بذلك فرضى العامة وسكنوا وانحلّ السعر

وخرج توقيع المقتدر الى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لاجل الفتنة وضجيج العامة من زيادة السعر وتوقيع الى علي بن عيسى بأن يدبر هو الاعمال بالسواد والاهواز وأصبهان وتقليدها العُمّال من قبله وان يكتب عنه كتابا الى العامة يقرأ فى الشوارع والاسواق ثم على المنابر بأنه قد زال ضمان حامد بن العباس وحظر على جميع الوجوه والقوّاد والغلمان ان يتضمنوا بشيء من الاعمال وكتب حامد الى عماله بالانصراف من الاعمال وتسليمها الى عمال علي بن عيسى وانخزل حامد بن العباس لذلك

{ ودخلت سنة ثمان وثلثمائة }

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمى اليها فأخرج مونس الخادم اليها [١]

وفيها خلع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وقُلد طريق خراسان والدينور وخُلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا

وفيها ورد رسول أخي صعلوك بالمال والهدايا فخُلع [١٥٣] عليه [٢]

{ ودخلت سنة تسع وثلثمائة }

وفيها وردت الكُتُب وقُرئت على المنابر بهزيمة المغربى [٣] واستباحة

---

(١) زاد صاحب التكملة : ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدى المقتدر بالله وتحركت الاسعار فى هذه السنة فافتتن بغداد لذلك وبرد الهوا في تموز فنزل الناس من السطوح وتدثر بالاكسية واللحف (٢) زاد صاحب التكملة : وأنفذ الى ابن ملاحظ عقد على اليمن وخلع : ليراجع فيه الكامل لابن الاثير ٨ : ٤٧ فى ترجمة سنة ٢٩٨

(٣) هو عبيد الله المهدى صاحب القيروان ليراجع صلة عريب ص ٨٠

عسكره وفيها لقّب مونس المُظفّر وأنشئت الـكُتُب به عن المقتدر بالله الى أمراء النواحي وعُقد له على مصر والشام

وفيها دخـل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان

وفيها اشتهر أمر الحلاّج واسمه الحسين بن منصور حتى قتل وأُحرق

﴿ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج وما آل ﴾
(اليه أمره من القتل والمثلة [1])

انتهى الى حامد بن العباس فى أيام وزارته انه قد موّه على جماعة من الحشم والحجاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وانه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه فيحضرونه ما يشتهيه وانه يعمل ما أحبّ من معجزات الانبياء وادّعى جماعةٌ ان نصرا مال اليه وسمى قوم بالسمرىّ وبعض الـكُتّاب وبرجـل هاشمى انه نبى الحلاج وان الحلاج اله عزّ الله وتعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا . فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم يدعون اليه وانه قد صحّ عنـدهم أنه اله يُحيي الموتى وكاشفوا الحـلاج بذلك (١٥٤) فجحده وكذّبهم وقال : أعوذ بالله أن ادّعى الربوبيّة والنبوّة وانما أنا رجلٌ أعبدُ الله عزّ ذكره وأُكثرُ الصومَ والصلاةَ وفعلَ الخير ولا غير . واستحضر حامد بن العباس أبا عُمر القاضى وأبا جعفر بن البهلول القاضى وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم فى أمره فذكروا أنهم لا يفتون فى قتله بشىء الى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وانه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاه وان واجهه الا بدليل واقرار منه

(١) قصة الحلاج بعينه كما رواه المؤلف موجودة فى حاشية صلة عريب ص ٨٦—٩٦

فكان أوّل من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنه يعرف أصحابَهُ وانهم متفرّقون في البلدان يدعون اليه وانه كان ممن استجاب له ثم تبيّن مخرقته ففارقَهُ وخرج عن جملته وتقرّب الى الله بكشف أمره واجتمع معه على هذه الحال أبو على هرون بن عبد العزيز الاوارجى الكاتب الأنبارى وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحِيَله فيه وهو موجود فى أيدى جماعة والحلاّج حينئذٍ مُقيمٌ فى دار السلطان مُوسَّع عليه مأذون لِمن يدخُل اليه وهو عند نصر الحاجب. ولِلحلاج اسمان احدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن احمد الفارسى وكان استهوى[١٥٥] نصراً وجاز عليه تمويهُهُ وانتشر له ذكرٌ عظيم فى الحاشية

فبعث به المقتدر الى على بن عيسى لِيُناظره فأحضر مجلسَه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحُكي أنه تقدّم اليه وقال له فيما بينه وبينه: قف حيث انتهيت ولا تَزِد عليه شيئاً والاّ قلبتُ عليك الارض. وكلاماً فى هذا المعنى فهيّب على بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونقل حينئذٍ الى حامد بن العباس. وكانت بنت السمّرىّ صاحب الحلاج قد أُدخلت الى الحلاّج وأقامت عنده فى دار السلطان مدة وبعث بها الى حامد ليسئلها عما وقفت عليه من أخباره وشاهدته من أحواله فذكر أبو القاسم زنجى انه حضر دخول هذه المرأة الى حامد بن العباس وانه حضر ذلك المجلس أبو على أحمد بن نصر البازيار[١] من قِبَل أبى القاسم ابن الحوّارى ليسمع ما تحكيه فسألها حامد عما تعرفه من أمر الحلاج فذكرت ان أباها السمرى حملها اليه وانها لما دخلت اليه وهب لها أشياء كثيرة عدّدت أصنافها. قال أبو القاسم: وهذه المرأة كانت

(١) وترجمته في إرشاد الاريب ٢ : ١٢٢

حسنة العبارة عذبة الالفاظ مقبولة الصورة فكان مما أخبرت عنه انه قال لها : قد زوجتك من سليمان ابنى وهو أعز أولادي على (١٥٦) وهو مقيم بنيسابور وليس يخلو ان يقع بين المرأة والرجل كلام أو تنكر منه حالا من الاحوال وأنت محصلين عنده وقد وصيته بك فان جرى منه شئ تنكرينه فصومى يومك واصعدى آخر النهار الى السطح وقومى على الرماد والملح الجريش واجعلى فطرك عليهما واستقبلينى بوجهك واذكرى لى منه ما تنكرينه منه فانى أسمع وأرى [1] قالت : وأصبحت يوما وأنا أنزل من السطح الى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته : اسجدى له . فقلت لها : أو يسجد أحد لغير الله (قالت) فسمع كلامى لها فقال : نعم اله فى السماء واله فى الارض (قالت) ودعانى اليه وادخل يده فى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الى ثم أعادها ثانية الى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الى وفعل ذلك مرات ثم قال : واجعلى هذا فى طيبك فان المرأة اذا حصلت عند الرجل احتاجت الى الطيب (قالت) ثم دعانى وهو جالس فى بيت على بوارى فقال : ارفعى جانب البارية من ذلك الموضع وخذى مما تحته ما تريدين . واومأ الى زاوية البيت فجئت اليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة (١٥٧) ملء البيت فبهرنى ما رأيت من ذلك. فأقمت المرأة وحصلت فى دار حامد الى ان قتل الحلاج

وجد حامد فى طلب أصحاب الحلاج وأذكى العيون عليهم وحصل

---

(١) وزاد الذهبي في تاريخ الاسلام : وكنت نائمة ليلة وهو قريب منى وانتبه عندي فما حسست به الا وقد غشيني فانتبهت فزعة فقلت : مالك ؟ قال : انما جئت لاوقظك للصلاة

فى يده منهم حيدرة والسمرى ومحمد بن على القنائى والمعروف بأبى المغيث الهاشمى واستتر ابن حماد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمد بن على القنائى فكانت مكتوبة في ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيد. ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر (١) فسأل حامد من حصل فى يده من أصحاب الحلاّج عنهما فذكروا انهما داعيان له بخراسان قال أبو القاسم بن زنجي: فكتبنا فى حملهما الى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جواب أكثرها وقيل فيما أجيب عنه منها أنهما يطالبان ومتى حصلا حملا ولم يحملا الى هذه الغاية. وكان فى الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين الى النواحي وبوصيته اياهم بما يدعون اليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال الى حال أخرى ومرتبة الى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى وان يخاطبوا(١٥٨) كل قوم على حسب عقولهم وافهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها الاّ من كتبها ومن كتبت اليه

وحكى أبو القاسم بن زنجي قال: كنتُ أنا وأبي يوماً بين يدى حامد اذ نهض من مجلسه وخرجنا الى دار العامة وجلسنا فى رواقها وحضر هرون ابن عمران الجهبذ بين يدى أبي ولم يزل يحادثه فهو فى ذلك اذ جاء غلام حامد الذى كان موكلاً بالحلاّج واومأ الى هرون بن عمران ان يخرج اليه

---

(١) قال الصفدى في الوافى بالوفيات: شاكر الصوفى خادم الحلاج ذكره أبو عبد الرحمن السلمى في تاريخ الصوفية ذكر انه من أهل بغداد وانه كان شهماً مثل الحلاج وهو الذي أخرج كلامه للناس وضرب عنقه بباب الطاق بسبب ميله الى الحلاج

فنهض مسرعاً ونحن لا ندري ما السبب فغاب عنا قليلا ثم عاد وهو متغير اللون جدًّا فأنكر أبي ما رأى منه فسأله عن خبره فقال : دعاني الغلام الموكل بالحلاّج فخرجت اليه فاعلني انه دخل اليه ومعه الطبق الذى رسمه ان يقدّم اليه فى كلّ يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقفه الى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وان الغلام ارتعد وانتفض وحمّ فبينما نحن نتعجب من حديثه اذ خرج الينا رسول حامد وأذن فى الدخول اليه فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فاذا هو محمومٌ وقصّ (١٥٩) عليه قصته فكذّبه وشتمه وقال : فزعتَ من نيرنج الحلاّج (وكلاماً فى هذا المعنى) لعنك الله أُعزُب عنى . فانصرف الغلام وبقى على حالته من الحمّى مدّة طويلة ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه : ان الانسان اذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد فى بيته بناء مربعا لا يلحقه شىء من النجاسات ولا يطرّقه أحدٌ فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وقضى من المناسك ما يقضى بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل لهم أسرَى ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ويقدّم لهم ذلك الطعام ويتولّى خدمتهم بنفسه ثم يغسل أيديهم ويكسو كلّ واحد منهم قميصاً ويدفع الى كلّ واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم (الشك من أبى القاسم ابن زنجي) وان ذلك يقوم له مقام الحج (قال) وكان أبى يقرأ هذا الكتاب فلما استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضى الى الحلاّج وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الاخلاص للحسن البصرى . قال له أبو عمر : كذبت يا حلالَ الدم قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن البصرى بمكة وليس فيه شىء مما ذكرت . فلما قال له أبو عمر « يا حلال الدم » قال

له حامد : أكتب ما قلت . فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاّج فلم يدعه حامدٌ يتشاغل (١٦٠) وألحّ عليه الحاحا لم يمكنه معه المخالفة فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس فلما تبين الحلاج الصورة قال : ظهري حمى ودمي حرامٌ وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحهُ اعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في الورّاقين موجودة في السنة فالله الله في دمي ولم يزل (يردد) هذا القول والقومُ يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد الى المقتدر بالله

فخرج الجواب : اذا كانت فتوى القضاة فيه بما عرضتَ فأحضرهُ مجلس الشرطة واضربهُ الف سوط فان لم يمت فتقدّمْ بقطع يديه ورجليه ثم اضرب رقبته وانصبْ رأسه واحرقْ جثتهُ . فأحضر حامد صاحب الشرطة واقرأه التوقيع وتقدّم اليه بتسلم الحلاّج وإمضاء الامر فيه فامتنع من ذلك وذكر انه يتخوّف أن ينتزعَ من يده فوقع الاتفاق على أن يحضر بعدُ العتمة ومعه جماعة من غلمانه وقوم على بغال يجرون مجرى الساسة ليجعل على بغل منها ويدخل في غمار القوم وأوصاه بأن لا يسمع كلامه وقال له : لو قال لك « اجرى لك دجلة والفرات ذهبا وفضةً » فلا ترفع عنه (١٦١) الضرب حتى تقتله كما أُمرتَ . ففعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التي ذُكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه الى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس

فلما أصبح يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذى القعدة أخرج الحلاج الى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم . وأمر الجلاد بضربه الف سوط فضرب وما تأوّه ولا استعفى (قال) فلما بلغ ستمائة سوط

قال لحمد بن عبد الصمد : ادعُ بي اليك فان عندي نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينيه . فقال : قد قيل لي انك ستقول هـذا وما هو أكثر منـه وليس الى رفع الضرب عنك سبيل . فسكت حتى ضرب الف سوط ثم قطعت يده ثم رِجلهُ ثم ضرب عنقه وأحرقت جُثّتهُ ونُصب رأسـه على الجسر ثم حمل رأسـه الى خراسان

وادعى أصحابه ان المضروب كان عدوا للحلاج ألقى شبهه عليه وادعى بعضهم انه رآه وخاطبه فى هـذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها . وأحضر الوراقون وأحلفوا ان لايبيعوا شيأ من كتب الحلاج (١٦٣) ولا يشتروها

﴿ ودخلت سنة عشر وثلمائة ﴾

وفيهـا أطلق يوسف ابن أبي الساج بمسألة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حُمِلَ اليه مال وكسوة (١) ثم وصل الى المقتدر بالله وكان ركب فى سواد فقبل البساط ثم يدَ المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس

(١) زاد صاحب التكملة . وحكي انه أنزل فى دار دينار وانه أنفـذ الى مونس المظفر يستدعى منـه أنفاذ أبي بكر بن الادمي القارى فتمنع أبو بكر وقال . انى قرأت بين يديه يوم شهر « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة » ورأيته يبكي فأظنه حقد على ذلك فقال له مونس : لا تخف فانى شريكك في جائزته . فمضى اليه وجلا فلما دخل وقد أفيضت عليه الخلع والناس بحضرته والغلمان وقوف على رأسه قال لهم : هاتوا كرسياً لأبي بكر . فأتوه به قال : اقرأ . واستفتح وقرأ قوله تعـالى . « وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى» . فقال : لا أريد هذا بل أريد أن تقرأ بين يدى ما كنت تقرأه يوم شهرت . فامتنع ثم قرأ حين ألزمه . «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة». فبكى ثم قال : هذه الاية كانت سبباً لتوبتي من كل محظور ولو أمكنني ترك خدمة السلطان لتركتها . وأمر له بمال جزيل وطيب كثير . وقال أيضاً . وفي هـذه السنة قلد ابن ملاحظ الحرمين وصرف عنهما نزار بن محمد

بمركب ذهب . ثم جلس المقتدر فى دار العامة بعد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وآذربيجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومُفلح وجميع من بالحضرة من القوّاد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له . واستكتب يوسف ابن أبى الساج محمد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الاعمال التى تقلدها على خمسمائة الف دينار محمولة فى كل سنة على ان عليه القيام بمال الجيش الذي فى هذه الاعمال والنفقات الراتبة . وخلع على وصيف البكتمرى وعلى طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث

وفيها قلد نازوك الشرطة ببغداد [1] وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع على وصيف البكتمرى خلعة أخرى (١٦٣) وضمّ الى يوسف ابن أبى الساج وشخص يوسف ابن أبى الساج الى عمله على طريق الموصل فلما وصل الى اردبيل وجد غلامه سبك قد مات

وفيها وصل الى بغداد هدية أبى زنبور الحسين بن أحمد المادرائى من مصر وفيها بغلة معها فلوّ وكان يتبعها ويرتضع منها وغلام طويل اللسان يلحق طرف أرنبته

وفيها قبض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أمّ موسى زوّجت بنت أخيها أبى بكر أحمد بن العباس من أبى العباس بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة

(١) راجع صلة عريب ١٠٩ .

والدواب والمراكب وكان صديقا لعلى بن عيسى حتى قيل انه كان يُرشّحه للخلافة . فلما وقعت المصاهرة بينه و بين أم موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوما . فتمكن أعداؤها من السعى عليها ومكّنوا فى نفس المقتدر بالله ووالدته السيّدة انها انما صاهرت ابن المتوكل ليزيلوا المقتدر بالله عن (١٦٤) الخلافة و ينصبوا فيها ابن المتوكل فتمّت النكبة عليها وسُلّمت الى ثُمْل القهرمانة مع أختها وأخيها وكانت ثمل موصوفة بالشر لانها كانت قهرمانة أحمد بن عبدالعزيز ابن أبى دُلَف وكان أحمد يسلم اليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف فى العقوبات واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمةً وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب مايعظم مقداره حتى نصب على بن عيسى لذلك ديوانا وسماه ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها أجرى فيها أمر ضياعهم وأملاكهم وقلده أبا شجاع المعروف بابن اخت أبى أيوب أبى الوزير وقلد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسُفى الكاتب ويقال أنه حصل من جهتهم نحو الف الف دينار . ولما قبض على أم موسى صرف على بن عيسى ابن أبى البغل عن أعماله بفارس وقلدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي وصادره ثم لما تقلد ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب الى الكرخى بتجديد مصادرة ابن أبى البغل واعتقاله

وفيها توفى محمد بن جرير الطبرى وله نحو تسعين سنة ودُفن ليلاً لان العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا وادعت عليه الرفض (١٦٥) ثم ادعت عليه الالحاد

وفيها دعا المقتدر مونسا المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة وكانت مثقلة بالذهب

﴿ ودخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

﴿ وفيها صرف حامد بن العباس عن الوزارة وعلى بن عيسى عن الدواوين ﴾

(ذكر صرف حامد وعلى بن عيسى وردّ الوزارة الى ابن الفرات)

كانت لذلك أسباب كثيرة منها ان حامدا شرع فى تضمن على بن عيسى لما فسخ ضمانه لتلك الاعمال والبلدان التى ذكرناها وبذل أن يقوم بالامور ويدبر الاعمال وكان الذى حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيره عنهم ارزاقهم وارزاق الحرم والولد واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحطّ من أرزاق العمال شهرين فى كلّ سنة ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الاخبار والبرد والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما سلف[١٦٦] منه اليه ولما عامل به ابنه المحسن وسائر كتابه وأسبابه فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطه بما يضمنه ويبذله وبتسمية من يقلده الدواوين ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو فى حبسه وشرح له أمره

فقال ابن الفرات : لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد واحمد بن اسرائيل [١] وسائر مَن شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وانه ان قُلد ذلك انخرقت الهيبة وزالت الحشمة وان على بن عيسى على تصرّف أحواله أقوم منه وأعرف بالاعمال والتدبير .

---

(١) راجع فيه كتاب الوزراء : ١٩٢ — ١٩١

ثم أنه قال : أنا أتضمّنُ خمسة أضعاف ماضمنهُ حامدٌ ان أعاده ومكّنه مما يُريد فوعده المقتدر بذلك

وكان حامد مقيماً ببغداد لا يدخُل نفسه في شيٌ من الامور ولا يزيد على أن يحضر في أيام المواكب وينصرف وضجر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله في الذلّ ولانه افتضح بما كان يُعامِلهُ به علي بن عيسي في توقيعاته وذلك أنه كان يوقّع الى كُتاب الوزير حامـد والى كتّاب الدواوين اذا ذكروُه بما لا صبر له عليه وكان يُوقع « ليُطالب جهبذ الوزير أسعده الله بحمل وظيفة واسـط وليكتب الى الوزير اسعده الله بان يُبادر بحمل شـعير الكُراع » [١٦٧] واذا تظلّم اليه مُتظلم من أعمال حامد وعُمّالِهِ وقّع على ظهر رقعتِهِ « هذا مما ينظرُ فيه الوزير أسعده الله » وذكر علي بن عيسى انه يحتج في ذلك برسم قديم كان لِلوزراء فاستأذن حامد المقتدر في الخروج الى واسط والمقام بها لينظر في أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج

ومنها ما جرى من أم موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحـدث به الناس من أمر ابن المتوكل وان ابن الحوارى دبّر ذلك لميـل أم موسى اليه وكشفها له أسرار الخلافة

وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رُقعة في دار المقتدر فيها بيت شعر

يُهنيك يُهنيك هذا　*　ياديك دار الخليفة

ولم يذكر في الرقعة غير هـذا البيت وهي أبيات فاحشة ليس فيها أصلح من هذا البيت وتعمّد ان جُعلت الرقعة في ممرّ الخليفة الي دار حرمة له فقرأ المقتدر الرقعة وقبحت عنده صورة ابن الحواري جدًّا واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أم موسي ويظن ان هذا البيت كان

من أوكد أسباب نكبتها ونكبته

ومنها ان مفلح الاسود كان شديد التحقق بالمقتدر مثاراً على خدمته ثم عظم أمره حتى (١٦٨) أقطع الاقطاعات وملك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين [حامد] مماحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد : لقد هممت أن اشترى مائة خادم اسود وأسمى كل واحد منهم مفلحا واهبهم لغلماني . فحقد مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسّنُ وعلى ما يشبه ذلك فوجّه الى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الاعمال والاموال والولايات حتى عقد حالاً بينه وبين مفلح

وكتب المحسن رقعة الى المقتدر بالله على يد مفلح (١) يذكر فيها انه ان سُلِم مِنه حامد وعلى بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحوارى وأم موسى وأخوها والمادرائيون استخرج منهم سبعة آلاف الف دينار وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصّر وهو فى الحبس فى التضريب على هؤلاء وإطماع المقتدر فيهم

وكان من طريف ما عملَهُ وعجيبِه (٢) أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانة يلتمس منه قيمة اثنى عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشئ من أمره فتذمم المقتدر مما أخذه من أمواله أن يمنعه فحملها اليه ثم سأله أن يدخل اليه اذا اجتاز بموضعه ليُلقِى اليه شيأ لا تحتمله المكاتبة ولا المراسلة وكان المقتدر كثيراً (١٦٩) ما يدخل اليه ويُشاوره فدخل اليه فلما رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس التى فيه الدنانير ففتحهُ وفرّغهُ بين يديه وقال له : ياأمير المؤمنين قد عرّفتُك أن أموالك تنتهب وتضيّع وتقضى بها

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٤٣ (٢) وزراء ٨٤

الدمامات ماتقول فى رجل واحد يرتزق فى كلّ شهر من شهور الاهلة هذا المقدار من مالك وهو اثني عشر ألف دينار ؟ فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال : ويحك من هذا الرجل ؟ قال له : على بن محمد بن الحوارى وهذا سوى مايصل اليه من مال النافع لمكانه منك وموضعه من الاختصاص بك وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التى تصل اليه من الاعمال التى يتولاها وسوى وسوى وردّ الدنانير الى المقتدر بالله وقال : انما أردتُ أن تُشاهد ما يُصنَع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمُعاينَة . فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجرى واعتقد لابن الحوارى غاية المكروه . فلما اجتمعت هذه الاسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة الى ابن الفرات فلما كان يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر على بن عيسى الى دار السلطان قُبض عليه وحُبس عند زيدان القهرمانة فى الحجرة التى كان فيها ابن الفرات فأخرج منها (١٧٠) ابن الفرات ليقلد الوزراة

قال أبو محمد على بن هشام . كنت حاضراً مع أبى مجلس أبى الحسن ابن الفرات فسمعتُه يتحدّث فى وزارته الثانية قال : (١) دخل الىّ أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الانبارى فى محبسى من دار المقتدر بالله فطالبنى أن أكتُب خطى بثلاثة عشر ألف ألف دينار فقلت : ماجرى قدر هذا على يدى للسلطان فى طول ولايتى فكيف أصادر على مثله فقال : (٢) انى أحلفتُ

(١) وزراء : ١٠٥ — ١٠٣

(٢) فليراجع هذه الحكاية كما وردت فى كتاب العيون : قال العباس بن محمد (يعني أبا الهيثم ابن ثوابة : فدخلت الى ابن الفرات فوثب عن مجلسه وأقبل يزحف فناظرته على الاموال فالطّ فامرت بتقييده فقال : من عجائب مارأينا أن تقيدنى فعرفته ما أعرف من أولية أهله وان أخاه لما تزوج الينا عجب الناس فقال لى : أنت تطالبنى بثار ابن

بالطلاق أن تكتب خطك بذلك. فكتبت بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن اذكر ماهي أو ضماناً فيها فقال: فاكتب ديناراً لتبرئني من يميني: فلما

عبدون. فقلت: ياجاهل تريد أن تعرفهم ان بيني وبين ابن عبدون قرابة؟ ثم أمرت بعرك أذنيه بحضرتهم فالتفت الي وقال: اقرؤا على الوزير السلام وقولوا له « هذه سنة رديئة على الوزراء من قيد حتى أقيد أنا؟ فقلت: صاحبك الذي نوه باسمك واسم أخيك اسماعيل ابن بلبل. فامسك ثم خرجت من عنده (قال) ثم دخلت بعد ذلك فرأيت على المصلى آثار رشاش المداد فقلت: أراك تدخل اليك دواة اذا خرجت من عندك. فقال: من أين وعلي بضعة عشر رجلا؟ فامرت بأخذ المصلى والحصر والمزملة وأخليت الحجرة وضيقت عليه فسمعته يقول « اليوم حبست اللهم اقبضني اليك » فدخلت عليه وقد أحدث في مكانه وقد أشرف على أمر عظيم من ثقل الحديد فأمرت بتحديده ففك ورأيت القذر قد غلب روائحه في البيت فقلت: ليس هذا يوم مناظرة أروحه أياماً ثم أعود. فخرجت الى رسالة (بعزم على) العود غداً فعدت من الغد فأخذت خطه بثلاثة آلاف الف دينار فلما كان بعد ثلاثة أيام دخلت عليه وقد أحضرت جبة من صوف وغلا برمانة وشيئا يمنع المغلول أن يرد رأسه الى خلف وغلا بغير رمانة فأمرت من ألبسه الجبتين واحدة فوق الاخرى وغله فاشفقت من الغل الذي بالرمانة أن يتلفه فقلت: ان تلف تلف بيت مال الخاصة. فنزعت احدى الجبتين فقال: ياأبا هيثم من ألبس من الوزراء جبة صوف؟ فقلت: صاحبك اسماعيل بن بلبل. وأردت أن أذكر له دهن الا كارع وكيف فعل بأبي الصقر فقال: لاتذكر شيئا. وقدم الى السندان وقام نسيم وأخذ يلابسه فقال له: يانسيم ليس يومي منك بواحد. فقلت لنسيم: وما يومه منك؟ قال: أنا أزلت عزه أخذت السيف والمنطقة من وسطه ونزعت أقبيته في اليوم الذي قبض عليه فيه وأنا أجره الى السندان. فجره اليها وهو يصيح. اقتلوني ياأم موسى اقتلوني هذا جزائي منك وحق خدمتي لكم؟ فقال له. يا فاجر قد صح عندنا انك أردت إخراج هذا الامر من ولد العباس الى ولد أبي طالب. فوضع رأسه على السندان وهو يصيح: اقتلوني ما رأيت مثل هذا قط. وجعل يبكي ويقول: واصيباناه. فقلت: ياأبا الحسن جزعات الاماء وفريسات الاسد ما هكذا يجب ان تكون. وانصرفت.

وأما أبو الهيثم ابن ثوابة وسوء عمله فليراجع ارشاد الاريب ١: ٢٩٨ ومات بالكوفة في الحبس سنة ٣٠٣: صلة عريب ص ٥٩

كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلتُ الرقعة وقلتُ : قد برئت عن عذابك ولا سبيل لك الى غير هـذا . فاجتهد جهده فلم أُجبهُ الى شيء فلما كان من الغد دخـل الى الحبس ومعه ام موسى فطالب بذلك وأسرف في سبي وشتمي ورماني بالزنا فحلفت بالطلاق والعتاق والأيمان المغلظة أني ما دخلت في شيء من محظور هذا الجنس منذ نيف وثلاثين سنة وسمته أن يحلف بمثل ذلك أن غلامه القائم على رأسه لم يأته في ليلته تلك فانكرت أم موسى هـذه الحال وغطت وجهها حياءً منه فقال لها ابن ثوابة : هذا انما تبطره الاموال التي وراءه ومثـله في ذلك (١٧١) مثل المزين مع كسرى والحجام مع الحجاج بن يوسف [1] فاستأمري السادة في إنزال المكروه به حتى يذعن بأمـوال (قال أبو الحسن يعني بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستنبويه أم ولد المعتضد [2] لانهم اذ ذاك يدبّرون الأمر معاً لحداثة المقتدر) قال ابن الفرات : فمضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابة : يقولون لك قد صدقت ويدك مطلقة فيه . وكنت في حجرة ضيقة وحـرٌ شـديد فأمر بكشف البـوارى حتى صرتُ في الشمس ونحّى الحصير من تحتي واغلقت أبواب البيوت حتى حصلت في الشمس ثم قيّدني بقيد ثقيـل والبسني جبّة صوف قد نُقعت في ماء الا كارع وغلّني بغل واقفل باب الحجرة وانصرف فاشرفت على التلف

فلما مضت نحو أربع سـاعات اذا صوت غلمان مجتازين في الممرّ الذي فيه الحجرة التي انا فيها محبوس فقال لي الخـدم الموكلون : هذا بدر الخادم الحُرمي وهو لك صنيعة . فاستغثت به فصحتُ : يا أبا الخير اللهَ اللهَ فيّ

---

(١) ليراجع كتاب الوزراء ١٠٦　(٢) وفي الاصل : المقتدر

لك مكان من السادة ولى عليك حقوق وقد ترى حالى والموت أسهل علىّ مما أنا فيه فخاطب السادة (١) و ذكّرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولتهم اذ خذلهم الناس وافتتاحى (١٧٢) البلدان المنغلقة وإثارتى الاموال المنكسرة فان كان ذنبى يوجب القتل فالموت أروح فرجع اليهم فخاطبهم ورققهم ولم يبرح حتى حلّ الحديد كلّه عنّى ثم أذنوا فى إدخالى الحمّام وأخذ شعرى وتغيير لباسى وتسليمى الى زيدان وترفيهى فجاءنى مبشّرا بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال : يقولون لك لن ترى بعدها بؤساً

﴿ ذكر الخبر عن وزارة أبى الحسن ابن الفرات الثالثة ﴾

وتقلّد أبو الحسن على بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسّن ابنهُ من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه ولم يوصل المقتدر بالله اليه فى ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابهُ واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسّن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد

وكان أبو على ابن مقلة يتقلّد لعلى بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد فلما تقلّد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار اليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غضّ منه ولم يقبض عليه للمودّة التى بينه وبين (١٧٣) ابن الحوارى فلما قبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه.

وانتقل ابن الفرات الى داره الاولى التى بالمخرّم وركب اليه ابن الحوارى ليهنّئه فأطال عنده وآنسه ابن الفرات وشاورهُ وخلا به فتحقق به وأظهر السرور بولايته مما يبطنهُ من الخوف الشديد منه وكان أسباب أبى القاسم

(١) وفى الاصل : السيدة

ابن الحوارى قد أشاروا عليه بالاستتار وقالوا له : ان المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليدهِ ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما الاّ لسوء رأيه فيك . فقال ابن الحوارى : لو كان كذلك لقبض عليّ قبل تقليد ابن الفرات . فلما كان يوم الاثنين ركب ابن الفرات [1] وركب ابن الحوارى الى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحوارى فاستوحش ابن الحوارى . ثم صرف الامر الى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات ان يجريه على رسمهِ في وزارته الثانية فانه لم يكن يصلُ مع ابن الحوارى ظاهراً وانما كان يصلُ سرًّا فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل اليه ابن الحوارى فأقبل عليه وشاورَهُ في جميع أمورهِ وقال : قد غبت عن مجارى الامور منذ خمس سنين وأنتَ عارفٌ بها وأريد ان تعاضدني وتستعمل ما يلزمك بحقّ المودّة . فتلقى ابن الحوارى (١٧٤) قوله بالشكر و إظهار المناصحة وانشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل ان يستتمّهُ ونزل الى طيّاره وأنزل معه ابن الحوارى وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه [2] ومحمد بن عيسى صهرهُ وعلى بن مأمون الاسكافى كاتبه وعلى بن خاف النيرمانى وكان أخوه محمد بن خاف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والاختصاص وما زال يضاحكهم الى ان حصل في داره ثم أسرّ الى العباس الفرغانى حاجبه بأن يقبض على ابن الحوارى وجميع أسبابه فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شفيعاً اللؤلؤى فأنفذهُ الى دار ابن الحواري ليحفظها من النهب وضمّ اليه جماعة من الفرسان والرجالة

(١) وزراء ٣٩ (٢) وفي ارشاد الاريب (٢: ١٢٤) في ترجمته : ابن أخت أبي القاسم ابن الحواري .

وأمر بمعاملته بالجميل فى مطعمه ومشربه وأفردت له دارٌ واسعة وفُرِشت بفرش نظيف وأفرده عن كُتّابه ومن يأنس به . وراسلهُ ابن الفرات فى المصادرة وتوسّط ابن قرابة بينهُما وكان ابن قرابة مُتحققاً بابن الفرات وشديد الانس بابن الحوارى فتقرّرت مصادرتهُ بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار فى نفسه دون كُتّابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف فى اداء مال التعجيل [١٧٥] وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأطلق وأزيل التوكيل عن دار ابن الحوارى وأسبابه وسُلّم جميعها الى أحمد بن نصر

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكُتّابه فأثارهم وكان المحسّن يُسرف فى المكروه الذى يوقعه بمن يحصل فى يده منهم حتى انه أحضر ابن حماد الموصلى وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار وسلّمهُ الى مستخرجه فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرض المحسّن ذلك وأخرجهُ الى حضرته وصفعه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات . ولم ينكره المقتدرُ وقد كان أشفق المحسّن من إنكاره وخافهُ خوفاً شديداً فلمّا كان بعد أيام أنفذ المقتدر الى المحسّن خلع منادمته وأجرى عليه من الرزق كلّ شهر ألفى دينار زيادة على رزق الدواوين فضرى المحسّن على مكاره الناس وأسرف المقتدرُ فى استصابة أفعاله الى ان بلغ الامرُ فيه الى ان غنّى الجوارى بحضرته « أحسن المحسّن أحسن »

وكان استتر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يعرف بعرج كان مشهوراً بالميل [١٧٦] اليه

وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُوقة وأوقع بهم المكاره

﴿ ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات على حامد بن العباس ﴾

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات ان لا ينكب حامداً وان يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فاذا وجب عليه شيء بقول الكُتاب والقضاة أخذ بعضه وقال: قد خدمني ولم يأخذ مني الا رزق سنة واحدة وشرط عليّ أن لا أسلّمه لمكروه ولا أدعُ عليه حقا. فاضطرّ ابن الفرات الى اقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلّ دعاء [1] ثم عمل له الاعمال واستقصى عليه الحجّة وخرّج عليه أموالا عظيمةً وكاتب أصحابه بمطالبته والالحاح عليه فان تقاعد بها وُكِّلَ به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور اذ كان مما لا سبيل الى تأخيره « فان أمير المؤمنين ليس يأذن فى تضمينه مستأنفاً » فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب فى مجلسه وبلغ حامداً الخبر فى الوقت فأظهر بواسط ان كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير الى بغداد وخرج من واسط مع جميع كُتابه وحاشيته ورجالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يخدم به بعد أن احتاط (١٧٧) فى أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم فى الزواريق والسُميريّات. وبادر بخبره على أيدى الفيوج وعلى أجنحة الطير الى ابن الفرات

---

(١) وزاد فيه صاحب التكملة : فاصغى ابن الفرات على اقرار حامد على واسط وكان يتأول عليه تأولا ديوانيا وكان حامد يطالب بما حسبه من النفقة على البثوق فى أيام الخاقانى وهى مائتان وخمسون ألف دينار فكانت تأخر المطالبة جديدة الضمان ولانه شرط أن يحسب ذلك من ماله لا من مال السلطان

وقاد دوابّه ودوابّ حاشيته وأصحابه على الشطّ فوصل خبرُهُ الى ابن الفرات فاستشار ابنهُ المحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر الى المقتدر ويقرأه كتاب حامد ففعل ذلك وقال المقتدر : ماوقفت على ما عمله حامدٌ ولا كتبت بشيء مما ادّعاه عليّ . فقال ابن الفرات : فان كان كذلك فالصواب ان ينفذ نازوك في جمع من الغلمان الحجريّة والفرسان والرجّالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على حامد وأسبابه . فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات الى داره وأنفذ نازوك وتقدم اليه بالمبادرة حتى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتي لا يفوته أحدٌ منهم . فسار نازوك واخطأ بأن قبض على أوّل من لقيه من اسباب حامد وعلى دوابّه وغلمانه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك بعض ما كان مع القوم (١١٨) من الامتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسبانات والاعمال وصار بالجميع الى الحضرة

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والاعمال الى ابن الفرات وفرّق الامتعة في خزائنه والدوابّ في اصطبلاته ووجد ابن الفرات في الكُتُب المحمولة اليه عجائبَ من كتُب مَن تقرَّب اليهم فقبض عليهم وكان حين ورد كتاب حامد بالمسير من واسط استظهر بالتوكيل بجهبذه ابرهيم الذى كان بالحضرة فلما تمّ قبضُ نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهبذ مرّةً وبالغلظة اخرى ويسئل عن ودائع حامد ففعل هشام به ذلك فاقرّ عفواً أن لحامد عنده مائة ألف دينار عيناً ثم حلف على أنه ليس عنده لحامد ولا لاحد من أسبابه وديعة غيرها فآمنه ابن الفرات على نفسه وان لا يسلّمهُ الى المحسّن ولم يُطلع ابن الفرات المقتدر بالله على

خبر هذه المائة الالف الا بعد أن تَسلَّم حامداً

وانتشر الخبر في وجب أن حامداً إنّما استتر لأن المقتدر كتب اليه يُنكِر خروجَهُ من واسط على تلك الحال التي خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافي بغداد حتى يتوثّق منه ويأخذ خطّهُ بما بذل أن يضمن [(١٧٩)] به ابن الفرات والمحسّن وكُتابهُما واسبابهُما ليسلّم الجماعة اليه فاستتر المحسّن والفضل والحسين والحسن أولاد أبي الحسن ابن الفرات وحُرمهم واكثر الكُتاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كُتّابه الذين يحضرون مجلسه الا أبو القاسم بن زنجي وحده. وكانت مدة سعادة حامدٍ قد انقضت[(١)] فصار الى دار السلطان في زيّ الرُهبان ومعه مونس خادمه وصعد الى دار الحجبة التي فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رُنداق على نصر وقال: حامد ابن العباس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ. فقال: قُل له يدخُل. فلما دخل قال له قبل أن يجلس: الى أين جئتَ؟ قال: جئتُ بكتابك. فقال له فالى هاهُنا كتبتُ اليك أن تجيء؟ ولم يقُم له واعتذر اليه أنه تحت سخط الخليفة. ووجّه نصر الى مُفلِح يسئله الخروج اليه وكان مُفلح يتولى الاستئذان على المقتدر اذا كان عند حُرمه فخرج مفلح وكلّمهُ نصر في أمر حامد وقال له: هو في هذا الوقت في حال رحمةٍ ومثلك من استعمل معه الجميلَ ولم يؤاخذه بما كان منه في تلك الامور. ثم قال حامد لمفلح: تقول لمولانا أمير المؤمنين [(١٨٠)] عنّي باني أرضى أن أكون معتقلاً في دار أمير المؤمنين كما اعتقل فيها علي بن عيسى ويُناظرني الوزير والمحسّن والكُتّاب بحضرة الفقهاء والقضاة ووجوه القوّاد فان وجب عليّ مالٌ خرجتُ منه بعد أن أكون

(١) وزراء ٣٦

مالكاً لاستيفاء حُجتي ومحروساً فى نفسى ولم يمكّن المحسّن من دمى فيجازينى
على المكاره التى كنتُ أوقعتُها به فى طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شابٌ
وأنا شيخٌ قد بلغتُ هذه السنّ العالية واليسير من المكروه يتلفنى . فوعدَهُ
مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله فخاطبَهُ فى أمرِهِ بضدّ ما وعدَهُ به
فتكلّمت السيّدة فى امر حامد وقالت : لا يضرّ أن يُعتقَل فى الدار ويُناظر حتى
تُحرس نفسهُ . فقال مفلح : ان فُعل هذا لم يتمّ لابن الفرات عملٌ لأنّ
الاراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال فقال المقتدر لمفلح :
صدقتَ . وأمرَهُ أن يخرج الى نصر فيأمره ان يُنفذ حامداً الى ابن الفرات
فخرج مفلح الى نصر بذلك فأخذ نصر يطيّب نفس حامد بأن يقول : لا بدّ
من أن تصير الى حضرة الوزير مع ثقةٍ لى ثم أردُّك الى دار أمير المؤمنين .
فالتمس حامد من نصر ثياباً يغيّر بها ما عليه من زىّ الرُهبان فامتنع مفلح
من الأذن له فى ذلك وقال : قد أمرنى مولاى أن أوجّه به(١٨١) فى الزي
الذى حضر فيه . فما زال نصر يشفع له حتى أذن له فى تغيير زيّهِ وانفذَهُ مع
ابن زُنداق الحاجب وبادر مفلح بانفاذ كاتبه الى ابن الفرات يُبشّره بحصول
حامد وما أمر به المقتدر من تسليمه اليه وكان ابن الفرات على قلقٍ وانزعاج
لما وقف على حصول حامد فى دار السلطان واستتر كتابُه وأولاده كلهم
فلما جاءته رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين
يديه غير ابن زنجى وهو ينظر فى العمل نظراً خفيفاً الى أن ذكر بعض
الغلمان أن طيّاراً من طيارات الخدمة قد أقبل ثم قدّم عند درجة داره وبادر
البوّابون بخبره ودخل ابن الزنداق ومعه حامد بن العباس فلما رآه ابن
الفرات قال له : لِمَ تركتَ عملك وجئتَ ؟ قال : بكتابك جئتُ . قال : فلِمَ لم

تقصد داري ان كنت جئت بكتابي ؟ قال : حرمت التوفيق .[1] ولم يزل يُخاطبه « بالكاف » من غير ذكر الوزارة . وأخرج ابن الرُّنداق رُقعة نصر الحاجب الى الوزير بانفاذ حامد اليه فألقاها الى ابن زنجي وقال : اكتب بوصوله . فكتب وسلّم الجواب الى ابن رُنداق فنهض من المجلس

فلما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يُخاطِبُ ابن الفرات بالوزارة ولان كلامه وبان فيه (١٨٢) الخضوع . وأمر ابن الفرات يحيي بن عبد الله قهرمان داره بان يفرد لحامد داراً واسعة فى داره ويفرشها فرشاً حسناً ويتفقّده في طعامه وشرابه وطيبه حتى يُخدَم بمثل ما كان يُخدَم به وهو وزيرٌ وان يقطع له كسوةً فاخرةً ويجعل معه لخدمته اذا كان خاليا خادمين أسودين أعجميّين وأمَرَه أن يؤنسه عند الأكل وأن يخدمه فى تلك الحال من الخدم والفرّاشين من يوثق به ففعل يحيى ذلك

﴿ ذكر ما عومل به حامدٌ وما عمله هو ﴾

دخل الى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه واحمد بن الحجاج بن مخلد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما فى أيام وزارته من المكاره ما لم يسمع بمثله قط فوبّخاهُ على ما فعل بهما فجحد أن يكون رآهما او وقع بصره عليهما فلما أكثرا عليه قال لهما : قد أكثرتُما عليَّ وأنا أجمل القول لكما ان كان ما استعملتُه من الاحوال التي تَصفانَ وما عاملتُ الناس به قد أثمرَ لى خيرا فاستعملا مثلَه وزيدا عليه وان كان قبيحا وهو الذى أصارنى الى أن تمكنتم منى فتجنّبوه فان السعيد من وُعظ بغيره .(١٨٣) فذهبا وأعادا ذلك على ابن الفرات فاسترجح حامدا

---

(١) وفيما زاد على هذا راجع وزراء ٣٧

وقال : ماأدفعُ رُجلته ولا أنكر دُربتَه ولكنّه رجل من أهل النار يقدم على الدماء ومكاره الناس .

قال ثابت فى كتابه فى التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويُصدق قول حامد ويستجيدهُ ويقول انه بافعالهِ القبيحة من أهل النار وهو لايُنكِر مع كرم طبعهِ وجلالة قدره وسلامة أخلاقهِ وإيثاره الاحسانَ الى كلّ أحدٍ على المحسّن ابنهِ طرائقهُ المنكرة وأفعاله العظيمة التى أنكرها على حامد بن العباس[1] وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهاه ولا يَعظهُ بالحق حامداً فيرجع « ويكون السعيد الذى وُعظ بغيره » فان مَنْ يُقدم على الله تعالى على بصيرةٍ وبعدَ التنبيه والتذكير خلاف من يقدِم وهو مغترٌّ غافلٌ

ثم راسل ابن الفرات حامدَ بن العباس فى الاقرار بماله بمائتى ألف دينار منها المائة التى كانت له عند ابراهيم جهبذهِ لانه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ فى يد ابن الفرات وأخذ المحسن شيئاً آخر من جهة مونس خادمه الى حضرة المقتدر بالله وكتب اليه انه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا بمكروه[184] واطمع المقتدر من جهة حامد في أموالٍ كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصُودر جماعة من حاشيته باموال أخرَى . واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الفقهاء والقضاة والكُتّاب[2] وناظرهُ مناظرةً

(١) راجع وزراء ١٠٥

(٢) زاد فيه صاحب التكملة : فيهم النعمان بن عبد الله وكان قد تاب من عمل السلطان فحضر بطيلسان وناظره ابن الفرات مناظرة طالت كان محمد ابن الفرات أن قال له : الضمان

طالت واستوفى حامد حجّتهُ الى أن أخرج ابن الفرات عملا وجده فى صناديق غريب غلام حامد وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاّته فى الفُرضة . فواقف حامدا عليه وأحضر غريبا فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهوا منه لان حامدا كان فى كل سنة يجمع جميع حسباناته ويغرّقها فى دجلة فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان فى جملة الظهور فكان ماثبت فى ذلك العمل من أثمان الغلاّت لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار ونيفا واربعين الف دينار سوى شعير الكُرّاع المحمول الى الحضرة فبان ان فى الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر ايضا ان اسعار تلك السنة الثانية فى العمل اسعار ناقصة وان اسعار السنين التى بعدها بأسرها ازيدُ واتّجهت حُجّة ابن الفرات على حامد

الذي ضمنته من الخاقاني سنة ٢٩٩ لا يمضيه الفقهاء والكتاب لانه ضمان مجهول وضمنت أثمان غلات لم تزرع . فقال له حامد : فقد عملت بى كذلك حين ضمنتنى أعمال الصدقات والضياع بالبصرة وكور دجلة . فقال ابن الفرات : الغلة بالبصرة يسيرة وأنما ضمنت الثمرة . فقال حامد : فمن أحل بيع الثمرة قبل إدراكها وحضرها فى الزرع . فقال الحسن لحامد : هذا الكلوذاني كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته. فقال : هولاء كتاب الوزير الآن (بياض فى الاصل) هواه ولزمت ابن الفرات حجة حتي قال له حامد: لم أمضيت ضماني في وزارتك الثانية ؟ فقال ابن الفرات : لهذا نقلني أمير المؤمنين الى حبسه . وذكر حامد حججا كانت في يده فقال ابن الفرات : أنا فتشت صناديقك فلم أجد فيها ما ذكرت وأنا المقدم باحضارها وبتفتيشها . فقال حامد : أفتشها بعد أن فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح أقفالها ! فخجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة . وزادفيه أيضاً صاحب التكلة : وصودر محمد بن عبدالله النصراني حاجبه والحسن بن على الخصيب كاتبه على ثمانين ألف دينار واستعمل الخصيب مع حامد من المكاشفة مالم يستعمله كاتب مع صاحب فردّ ابن الفرات عليه ما صادره به

واخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتّاب وشفيع اللؤلؤي بما ظهر من الحجّة على حامد

وكان [١٨٥] ابن الفرات يرفق في المناظرة ولا يُسمعهُ ولا يخرق به ولا يزيد على إيجاب الحجّة عليه ويدعهُ حتى يستوفي منه لنفسه الحجة وكان المحسّن ابنه يشتمه بحضرة الناس اقبح شتم ويقول : ليس يخرج المال منك الامثل المكاره التي كنتَ تُجريها على الناس . ويقول : اني اعطي خطي ان سلم مني ان استخرج منه الفي الف دينار معجلة ويبذل دمه ان لم يف بذلك . . .ويستكفه ابوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهي

فقال حامد . أيها الوزير قد أكثر من شتمي واحتملتهُ وليس الاحتمال له وانما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التي أنا فيها شيء يُخاف أعظم من القتل ولولا مايلزمني من توقير مجلس الوزير لرددت عليه . فخلف أبو الحسن لئن عاد المحسّن لشتم حامد ليستعفينّ الخليفةَ من مُناظرته فحينئذ أمسك عن الشتم ثم أعاده الى المناظرة مرّات [١] وكان يحصل في آخره انه لامال له وكان قد باع ضياعهُ ومستغلاّتهُ وفرشهُ ودارهُ ولم يبق له حيلة .

فلما أعيت ابن الفرات الحيلةُ فيه خلا به في دار من دُور حرمه من حيث لم يحضر معهما أحدٌ من خلق الله ورفق به وحلف له على انه ان صدقهُ عن أموالهِ وذخائرهِ لم يُسلِمهُ الى المحسّن ولم يُخرجهُ عن دارهِ [١٨٦] وحفظ نفسه فاما أقام في داره مكرما واما خرج الى فارس مُتقلّداً لها او الى أي بلد أحبّ مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه ووكّد اليمين على ذلك ثم قال له : أنت تعلم انك ضمنتني من أمير المؤمنين لأُسلّم اليك فافتديت نفسي بسبعمائة

١) راجع ما رواه أبو القاسم زنجي في كتاب الوزراء ١٧٤

ألف دينار وأحرزت بها عنوا من مالي حتى سُلِّمتُ منك وأنت فقد تناسيت كل جيل فعلتُه وفعله أخي (١) بك والخليفة الآن مقيم على ان يُسلّمك الى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحدٌ مع وزير ولا مع ولد وزير وأنا أرى لك ان تفتدي نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة من التسليم الى المحسن . ووكّد له الايمان فعند ذلك ركن حامد الى قوله ويمينه وأقر له من الدفائن في البلاليع احتفرها وتولى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار وأقر بان له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقر بان له كسوةً وطيبا مودوعة بواسط فاخذ ابن الفرات خطّه بذلك وبادر بالركوب الى المقتدر من غير ان يحضر معه المحسن ولا عرّفه شيأ من الخبر فسر المقتدر بذلك ووعدهُ ان يسلّم اليه كل مَن ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات(١٨٧) بانفاذ شفيع ليسلم هذا المال بواسط . فخرج شفيع فوجد تلك الاموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها الى المقتدر بالله

وما زال حامد في دار ابن الفرات مَصُونا الى ان توصل المحسن الى المقتدر بالله على يد مُفلح فالتمس منه ان يوقّع الى أبيه بان يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة فتردّد مفلح برسائل من المقتدر بالله الى أبي الحسن بن الفرات وتنكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات الى ان خُلع على المحسن وركب معه أبوه والقوّاد ثم انصرف أبوه الى داره ومضى المحسن الى داره . ثم ركب المحسن مع أبيه الى دار السلطان وخاطب

(١) ليراجع قصة حامد مع اسمعيل بن بلبل واعتماده على عناية أبي العباس ابن الفرات في الفرج بعد الشدة ١ : ١١٤

الخليفة بحضرة أبيه وقال : قد بقيت على حامد جملة وافرة من مال مصادرته وان سُلّم اليّ استخرجت منه خمسمائة ألف دينار . فامر المقتدر أبا الحسن بتسليمه اليه فقال ابن الفرات : قد عاهدتُه ان لا أُسلّمه اليه . فراجع المحسن المقتدرَ الى ان أمر المقتدر أمرا لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه فسلّمَه اليه وحمله المحسن الى داره . وطالبَهُ وأوقع به مكروها وأقام حامد على انه لم يبق له مال ولا حال فامر بصفعه فصفع خمسين صفعة وسقط كالمغشي عليه وما زال[١٨٨] يُصفَع الى ان تكلّم وقال : أي شيء تريد[١] مني ؟ قال : أريد المال . قال : مابقي غير ضيعتي . قال : فاكتب بوكالة لابن مُكرم (وكان أحمد ابن كامل القاضي حاضراً) تقرّ فيها أنّك قد وكلته في بيعها . فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد . ثم ان المحسن عامله بعد ذلك بمعاملةٍ تجري مجرى السُخف من إذلاله والوضع منه ثم سلّمه الى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجالة ليحدروا به الى واسط ويبيع ضياعَه وأملاكَه

وشاع ببغداد ان حامداً طلب ليلة انحداره بيضا فحمل اليه وتحسّي منه وقت افطاره عشر بيضات وان خادم المحسن الموكل به طرح فيه سما فما استقر في جوفِهِ حتى صاح ولحقه ذرب عظيم ودخل واسط وهولما به فسلمه الخادم الى محمد بن علي البزوفَري وجعله في داره وبادر الخادم بالانصراف وقلم حامداً أكثر من مائة مجلس ولم يتغذّ الاّ بسُوَيق السُلت . وأراد البزوفري الاستظهار لنفسه فاستحضر القاضي والشهود بواسط وكتب كتابا يقول فيه ان حامدا وصل الى واسط وتسلّمه البزوفري وهو عليل من ذرب شديد لحقه في طريقه بين بغداد وواسط وانه ان تلف من ذلك

(١) في الاصل تريدين

الترب فانما مات [١٨٩] حتف أنفه ولا صنعَ للبزوفرى فى شيء من امره» ووجَّه بالكتاب الى حامد فاظهر له حامد الاستجابة الى الاشهاد على نفسه بما فيه فلما دخل اليه القاضى والشهود قال لهم : ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض عاهدنى وحلف لى بايمان البيعة والطلاق على انى ان اقررت بجميع اموالى لم يُسلِّمنى الى ابنه المحسن وصانني عن كل مكروه واطلقنى الى منزلى وولاّني اجلّ الاعمال فلما اقررت له بجميع ما ملكته سلّمنى الى ابنه المحسن فعذبنى باصناف العذاب واخرجنى مع فلان الخادم واحتال علىّ وسقانى بيضا وطرح فيه سما فحقنى الترب ولا صنع للبزوفرى فى دمى فى هذا الوقت ولكنه فعل وصنع ثم اخذ قطعةً من اموالى وامتعتي وجعل يحشوها فى المساور البزيون المخلقة فتباع المسورة بخمسة دراهم وفيها امتعة تساوى ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ماشرحتُهُ لكم . وتبين البزوفرى حينئذ انه اخطأ فيما فعله . وكتب صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات بجميع ما تكلّم به حامد .

وتوفى حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة ٣١١ [١٩٠]

﴿ ماجرى فى امر على بن عيسى وتسليمه الى ابن الفرات [١] ﴾

لما قبض المقتدر على علىّ بن عيسى وجعله فى يد زيدان القهرمانة راسله بان يقرّ بامواله فكتب رُقعةً يقول فيها انه لا يقدر على اكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق ان ورد الخبر بدخول ابى طاهر سليمان بن الحسن الجنّابى الى البصرة سحر يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى الف وسبعمائة

(١) ورد ذكر ما جرى فى أمر على بن عيسى الى أن نفى الى مكة فى كتاب الوزراء : ٢٨٩ — ٣٠٨

راجل وانه وصل اليها بسلالم نصبها بالليل على سورها وصعد الى اعلى السور ثم نزل الى البلد وقتل البوابين الذين على ابواب السور وفتح الابواب وطرح عن كلّ مصراعين منها حصى ورملا كان معه على الجمال لئلا يمكن اغلاق الباب عليه . وانه لم يعرف سُبك المفلحي والى البصرة الا فى سحر يوم الاثنين ولم يعلم انه ابن أبى سعيد الجنّابى وقدّر أنهم اعراب فركب مغترّا ولقيه وجرت بينهم حرب شديد وقتل سُبك ووضع أبو طاهر في أهل البصرة السيف وأحرق المِرْبَد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم يعرض للقبر . وهرب الناس الى الكلاء فكانوا يحاربونهم عدّة أيام ثم أخذهم السيف فطرحوا أنفسهم فى الماء فغرق اكثرهم . واقام ابو طاهر بالبصرة [١٩١] سبعة عشر يوما ويحمل على جماله كل مايقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان ثم انصرف الى بلده . فانفذ ابن الفرات فى الوقت الذى ورد فيه خبر القرمطيّ بُنيّ بن نفيس وجعفراً الزرنجى الى البصرة وقلد محمد بن عبدالله الفارقى اعمال المعاون بالبصرة وخلع عليه وانحدر فى الطيّارات والشذا آت وورد الخبر بوصوله اليها بعد انصراف ابى طاهر الجنابى عنها فاقام فيها الفارقى رجالةُ وانصرف بُنيّ والزرنجى

وكان بُنيّ بن نفيس انفذ جماعةً من القرامطة الى بغداد ذَكَرَ انهم استأمنوا اليه وانهم زعموا ان علي بن عيسى كاتبهم بالمصير الى البصرة وانه وجّهَ اليهم في عدّة اوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وانهى ابن الفرات الحالَ في ذلك الى المقتدر بالله

﴿ذكر مناظرة ابن الفرات عليّ بن عيسى﴾

عرض الكتاب بعينه عليه فامره المقتدر باخراج علي بن عيسى اليه

ليناظره والجمع بينه و بين القرامطة حتى يواجهوه بما قالوا فيه فصل ابن الفرات . فاحتجّ علي بن عيسى بان قال: انه من كان في مثل حالتي وتحت سخط السلطان كاشفَهُ الناس بالكذب (١٩٢) والباطل لا سيّما اذا كان الوزير منحرفا ومُتَغاظا . ثم أخذ ابن الفرات يُخاطبه فى امر الاعمال وكان فيما ناظره عليه امر المادرائيين وقال : قد اخذ ابن بسطام [1] خطوطهما في ايام وزارتى الثانية صلحا عمّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما اخذاه من المرافق بها مدّة تقلّدهما فى أيامك الأولى بالفي الف دينار وثلاثمائة الف دينار وادّيا فى ايامي نحو خمسمائة الف دينار . فصرفت على ابن بسطام ساعة وليتَ الدواوين وقلّدتَ هذين العاملَين المجاهرَين باقتطاع مال السلطان وأنشأتَ اليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءهُ باسقاط ذلك بأسره عنهما . ثم ادّعيت ان أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيتُ هذه الحال الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال : لم آمر بشيء من هذا ولا ظنّ ان أحداً يُقدم عليه بمثلها . فأجاب علي بن عيسى بانه كان في الوقت (كاتباً) لحامد بن العباس بخلفهُ على العمل : وكان أمير المؤمنين أمر فى قبول قوله وان حامدا ذكر ان أمير المؤمنين أمر باسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقّع بذلك توقيعاً فوقّعتُ تحت توقيع حامد بامتثال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره به صاحبهُ . فقال له (١٩٣) ابن الفرات: أنت كنتَ تُعارض حامداً وتخاصمهُ أبدا فى اليسير تخرجه عليه فى عِبَره ما كان ضمنهُ حتى جرى بينكما ما تحدث به الناس فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين فى هذا المال العظيم الجسيم ؟ فقال على بن عيسى : كنتُ فى أوّل الامر كاتباً لحامد

---

(١) هو أبو القاسم على بن أحمد : راجع صلةعريب ٦٥

مدّة سبعة أشهر ثم بان لامير المؤمنين ما أوجب أن يعتمد عليّ وكان الذى جرى من أمر المادرائيين فى صدر أيام حامد . فقال له ابن الفرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين الا صدقته عن خطأ حامد فى هذا الباب وتلافيته ؟ فقال : أغضيتُ عن ذلك لانى كنتُ فى ذى القعدة سنة ستّ اوصلتُ الحسين ابن احمد الى حضرة أمير المؤمنين وأخذتُ خطّه فى مجلسه بما عقدتهُ عليه من ضمان أعمال الخراج والضياع بمصر والشام بعد النفقات الراتبة واعطاء الجيش فى تلك النواحى وهو ألف ألف دينار فى كلّ سنة خالصة للحمل الى بيت المال لا ينكسر منه درهمٌ واحدٌ وذلك بعد ان أخذتُ خطّه بجميع ما تصرّف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبة فى ناحية ناحية ووقفتُ عليه أيضاً فى كل سنة لما ينكسر ويتأخر فى هذه الاعمال مائة وثلاثين ألف دينار (١٩٤) وخطه بذلك في ديوان المغرب وهذا غاية ماقدرتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنتَ تعملُ أعمال الدواوين منذُ نشأتَ وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم وليتَ الوزارة ودبّرت أمر المملكة مدّة طويلة هل رأيت من يدع مالاً واجبا يُؤدّى معجلا ويأخذ عوضا منه مالا مؤجلاً يُحَال به على ضمانٍ ! وهبك أغضيتَ كما ذكرتَ ورأيتَ ذلك صواباً في التدبير فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن فى مدّة خمس سنين دبّرت فيها المملكة ؟ فاجاب عن ذلك بانه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جُملةٌ ثم سار العلوى (١) من افريقية حتى تغلّب على أكثر النواحى بمصر فنفذ مونس المظفّر الى مصر لمحاربته فانصرف أكثر المال الى اعطيات الجند ونفقات العساكر وانكسر باقيه لاجل استخراج العلوىّ ما استخرجهُ

---

(١) هو المهدي عبيد الله . راجع صلة عريب ٥١

من أموال النواحي المجاورة لمصر . فقال ابن الفرات : فقد انهزم العلوى منذ صفر سنه تسع ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوى فهل استخرجتَ من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟ فاجاب على ذلك مالم يحفظ ثم قال له فى آخر خطابه : فقد (١٩٥) أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالاموال التى جمعتَها وخُنْتَهُ فيها فينبغى ان تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه . فقال على بن عيسى : لستُ من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار

ثم ناظره على أموال الحاشية فقال لعلى بن عيسى : أنتَ قد أسقطتَ من ارزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنتُ أوفّيهم أرزاقهم على الادرار فى أيّامي الأُولى والثانية مدّة خمس سنين دبّرتَ فيها أمر المملكة ما يكون مبلغهُ في كل شهر مع ارتفاع الضياع التى هى ملك خاصّة خمسة وأربعون ألفاً يكون فى السنة خمسمائة واربعون ألف دينار وفى هذه المدّة ستّة ألف ألف دينار ولستَ تخلو من أن تكون احتجنتَها لنفسك أواضعتَها . فقال على بن عيسى : ما استغللتُهُ من هذه الضياع ووفّرتُهُ من أرزاق من يستغنى عنه تمّمتُ به عجزَ الدخل عن النفقات المسرفة حتى اعتدلتْ الحال فلم أمدّ يدى الى بيت مال الخاصّة فاما الخمسة والاربعون الالف الدينار التي كنتَ تحملها من أموال المرافق فانى ما استصوبُ ما استصوبتهُ أنت من أخذها والاذن للعُمّال فى ان يرتفقوا بل حظرتُها ورفعتُها فلم أعرض لها لانها كانت طريقاً الى تلف أموال السلطان وظلم الرعية (١٩٦) وخراب البلاد وأنتَ كنتَ تُعوّل فى النفقات على ما كنتَ تحوّلُهُ من بيت مال الخاصّة الى بيت مال العامة فترضي به الحاشية وتخرب به بيت المال . وتكرّر

الخطاب فى هذا المعنى

ثم ناظره على ماحملهُ الى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّدت بينه وبينهم من المكاتبات مرّةً والمقاربات أخرى فقال : أردتُ استمالتهم وإدخالهم فى الطاعة وكففتُهم عن الحاج وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولايتى دفعتين وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة . فقال له ابن الفرات : فأى شىء أعظم من ان تشهد انّ أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوّة النبي عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبوهم مسلمون[1] وتكاتبهم بذلك وتؤخر اطلاق ارزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أخلوا مراكزهم فدخلها القرمطي وقتل أهلها . فاحتج بحجج يطول شرحها

فسأل نصر الحاجب والمحسن ابا الحسن ابن الفرات ان يدعهما يخلوان به فخلوا واشارا عليه بالمصادرة فاستجاب اليها والزماهُ ثلثمائة ألف دينار يُعجل منها فى مدّة شهر مائة الف دينار اوّلها يوم خروجه من دار السلطان الى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل اليه الناس[١٩٧] فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وانفذه الى المقتدر بالله فامضاهُ ثم كتب ابن الفرات كتبا عن نفسه الى كلّ واحد من اصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة على بن عيسى وسَرقتهُ وما واجهه به وما بذله من المصادرة

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المُطوّق أن أبا الحسن على بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات ان يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة ٣١١ ليؤديه من جملة المُصادرة وان ابن الفرات قال له : هو خمسون ألف دينار . فقال على بن عيسى : قد رضيتُ بعشرين ألف دينار . وذكر

(١) فى الاصل مسلمين

أنه دون ذلك فلما نُفي الى مكة وجد فى ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار[١]

قال أبو الفرج : فسمعتُ المُمانى الواسطى يقول : سمعتُ أبا الحسن على بن عيسى يُوبِّخ أبا عبدالله البريدى ويقول له : يا أبا عبد الله أما خفتَ الله حيث حلفتَ بما حلفتَ به ونحن مُجتمعون فى دار السلطان أطال الله بقاءه أن استِغلالك واستِغلال اخوتك من ضيعتكم بواسط عشرة ألاف دينار وقد وجدتُه من حساب رفعَهُ اليَّ (يعني المُمانى) ثلاثين ألف دينار . فقال أبو عبد الله : اقتديتُ بسيّدنا أيّده الله حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقْهُ وساتَرَهُ (١٩٨) وعلِمتُ أنه مع ديانته لو لم يعلم ان التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لَمَا حلف بتلك اليمين . فكأنّه ألقَم على بن عيسى حجراً

ونعود الى تمام خبر على بن عيسى مع ابن الفرات . امتنع المقتدر من تسليم على بن عيسى الى ابن الفرات فذكر على بن عيسي أنه لا يمكنه أن يؤدّى مال مصادرتِهِ الا بعد أن يخرُج من دار الخليفة وأحضره المحسّن دفعتين وطالبهُ ورفق به فلم يؤدِّ الا ثمن دارٍ باعها فقيّده المحسّن فلما رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسّن على بن عيسى فقال : لو كنتُ اقدرُ ههُنا على أداء المال لَمَا قُيِّدتُ . فالبسه جُبّةَ صوف وأقام على أمره فحينئذٍ صفعهُ عشر صفعات فقام نازوك من المجلس فقال المحسّن : الى اين تقوم ؟ فقال : ما أحبُّ أن أحضُرَ مكروهَ هذا الشيخ . وأُعيد على بن عيسى الى محبسه وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامَلَ به المحسّن على بن عيسى فأقلقَهُ ذلك وقال لابنِهِ : قد جنيتَ علينا بما فعلتَهُ كان يجب أن تقتصِر على

(١) ليراجع ما روى فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٢٩٥

القيد. ثم كاتبَ المقتدر بالله يشفع لِعلى بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما جرى عليه لحقهُ من الغمّ أمرٌ لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً مُنذ عرف خبره لأنه شيخ من مشايخ الكُتّاب وقد خدم أمير المؤمنين (١٩٩) وتحرّم بداره ومثله يُخطئ وأمير المؤمنين أولى بالصفح وسأل أن يُزال عنه القيدُ والجُبّة الصوفِ فاجابهُ المقتدر بان على بن عيسى مُستحقٌ لاضعاف ما جرى عليه وأن المحسن قد أصاب فيما عاملهُ به وأنه قد شفعهُ فى امرِهِ وأمر بحلّ قيده ونزع جُبّة الصوف عنه وتقدّم بعد ذلك بتسليم على بن عيسى الى ابن الفرات ليؤدّى مال التعجيل من مُصادرته. فلما حُملَ اليه [قال] لستُ أحبّ أن يكون فى دارى لئلا يلحقه مرضٌ وهو شيخٌ فيُنسبُ الىّ وأنا أسئلُ أمير المومنين أن يأذن فى تسليمه الى شفيع. فقيل لِلمقتدر ذلك فقال: أنا أُسلّمهُ اليك لانك الوزير فأحفظ نفسهُ ولا تُسلّمهُ الى المحسن فأما غير هذا فانت أولى وما تراهُ. فانفذ ابن الفرات الى شفيع وأحضره

وأخذ ابن الفرات فى توبيخ على بن عيسى وعاتبهُ على أمر وقوفِ وقفهِ أميرُ المؤمنين بردّها عليه وان مالها كان ينصرف الى أشياء يتقرّب بها الى الله عزّ وجلّ وينصرف بعضها الى ولده وغلمانه وان ما فعله لا يجوز فى الدين ولا فى المروءة. فأخذ على بن عيسى يعترف بالتفريط الذى وقع منه وسأله قبول عذره وكان المحسن حاضراً (٢٠٠) فاطنب فى توبيخه وتقريعه على هذا الباب فاجابه بمثل ما اجاب به والدهُ وزيادة (١) وقال فى عرض كلامه: انا

(١) وفى كتاب الوزراء ٣٠٣: ودخل المحسن فى القول فى الزيادة من توبيخ على ابن عيسى فى فعله فقال له الخ

والله استجليك . فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على ابيه ايضا فاجابه المحسن بجواب فيه غلظة واقبل ابوه يسكّنه ويرفق به ثم قال لعلى بن عيسى : ابو احمد كاتبُ امير المومنين وصنيعتُه (وأخذ يصفَ محلهُ منه وتفويضه اليه) وأخذ على بن عيسى فى الاعتذار من تلك الكلمة . ونهض على بن عيسى مع شفيع فاجلسه شفيع فى صدر طياره وحمله الى داره

وحكي ابو الحسن ابن أبى هشام انه كان حاضرا المجلس وانه رأى الحسن بن دولة ابن أبى الحسن بن الفرات خرج فى تلك الحال فقام له على ابن عيسى وقبّل رأسه وعينه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له : لا تفعل يا أبا الحسن هذا ولدُك . ثم فتح دواته ووقّع الى هرون بن عمران الجهبذ أن يحمل الى أبى الحسن على بن عيسى بلا دُعاء ألفى دينار يستعين به على أمره فى مصادرته وقال لابنه المحسّن : وقّع أنت أيضا بشىء . فوقّع بالف دينار ثم أحضرا بشر بن هرون وكتب قبضاً لعلى بن عيسى من مال مصادرته بهذه الثلاثة الالاف الدينار [٢٠١] فانصرف على بن عيسى شاكراً

ولم يقبل على بن عيسى من أحدٍ من الكُتاب مونةً فى مصادرته مع بذل جماعتهم له وحملهم اليه ما أطاق كل واحد منهم الا من ابن فرجويه وابنى أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين فانه قبل من كلّ واحد منهُما خمسمائة دينار وحمل اليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة آلاف دينار فردها وقال : لو كنتَ متقلداً فارس اقبلتُها منك ولكنى أعلمُ انهذه جميع مالكَ وما أحبّ أن أثلمك . فحلف أبو الهيجاء أن لا يرجع الى ملكه ففُرّقت فى الطالبين وفى الصدقة على الضعفى وبذل له شفيع اللؤلوى الفى دينار فامتنع من قبولها وقال : لا أجمع عليك مؤونتى ومعونتى فى مصادرتى . وقبل

من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيع المقتدرى

فلما ادّى على بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر : ان فى مقام على بن عيسى فى دار شفيع ضرراً عليه فان الاراجيف قد كثرت وان ردّ الى دار السلطان زاد الارجاف . والتمس الاذن فى إبعاده الى مكة فأذن له المقتدر فى ذلك فأطلق ابن الفرات لما قدّر له من نفقته وما يحتاج اليه سبعة آلاف درهم فخرج [١] اليها ثم كتب ابن الفرات بابعاده الى صنعاء من بلاد اليمن [٢٠٢] فأبعد اليها

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعماله وكتابه مالا عظيما بالمكاره وبسط يد ابنه فأنكر الناس اخلاقه وما كان يعرف من كرمه ونبله . فأما أبو على ابن مقلة فانه كتب الى أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجى رقعة وكانت بينهما مودّة وضمنها أبياتا له ما أثبتها لانى لم أستجدها وكتب رقعة الى ابن الفرات يذكره بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها فى درج تلك الرقعة وسأله ايصالها فلما وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرّر مصادرته علي ما ينهض به ثم خفف عنه بعد ذلك وأطلقه

فأما ابن الحوارى [٢] فان ابن الفرات سلمه الى ابنه المحسن فصنعه صفعاً عظيما فى دفعات وضربه بالمقارع ثم أخرجه الى الاهواز مع مستخرج له فلما وصل اليها قتله المستخرج

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فاستجار له جمالا وأعطاه نفقة وأنفذ معه ابن الكوثانى صاحبه فاراد قتل علىّ فبلغ ذلك أهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثانى فمنع على منه وحفظه

(٢) وزراء ٤٠

فأما المادرائيان[١] فانه كتب باشخاصهما فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور فاعتقله ابن الفرات فى داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين الى داره وحضر المحسن وأحضروا أعمالا عملوها لابى زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطه من الابواب التي نوظر عليها بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار ثم استكثر[٢٠٣] ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرته على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وعرض خطه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله وتناهى ابن الفرات فى معاملته بالجميل وكان يسترجله ويصف فهمَهُ ويقول انه ما خاطب عاملا أفهم منه ولا أجلد وسَامَهُ أن يُواجه على بن عيسى بانه أرفقه فى أيام تقلّدهِ ديوان المغرب وفى أيام وزارته فاستعفاهُ من ذلك فقال له ابن الفرات : فكيف واجهتني انا بامره[٢] ولا تُواجههُ بامرى فقال . ما حمدتُ معه تلك الحال ولا استحسنها الى أحد مع الظاهر من اساءة الوزير الىّ بتسليمهِ اياى الى ابن بسطام وبسط يده علىّ فى أيام وزارته الثانية فكيف تستحسنون لى هذه الحال فى معاملة على بن عيسى مع قديم وحديث احسانه الىّ فاعفاه ابن الفرات من ذلك

ثم قدم محمد بن على المادرائى[٣] ولم يكن تقلد في أيام وزارة حامد

---

(١) وزراء ٤٤ (٢) ليراجع ما تقدم ص ٦١ وكتاب الوزراء ص ٦٢ (٣) قال صاحب تاريخ الاسلام انه مات سنة ٣٤٥ وان مولده سنة ٢٥٧ وولى أبوه خراج مصر وقدم هو مصر شابا على والده وولى الخراج استقلالا وله ثلاث وعشرون سنة وقد وزر أبوه أيضا لابي جيش خمارويه فلما قتل أبو جيش واجلس فى مكانه ابنه هرون بن أبي الجيش استوزر ابا بكر محمد بن على فلما قتل هرون وقدم محمد بن سليمان الكاتب مصر من قبل المكتفى وازال دولة الطولونية وخرب ديارهم حمل ابا بكر الي بغداد ثم انه وافى مصر مع مونس والعسكر في نوبة حباسة وأمر أبو بكر ونهى ودبر البلد

ابن العباس شيئا من الاعمال فناظره ابن الفرات على المال الباقى عليه وعلى الحسين بن احمد من ضمان اجناد الشام ومصر وعن حق بيت المال فى ضمانه وهو حينئذ شريك للحسين بن احمد فى الضمان فاحتج فى بعضه فقال له ابن الفرات : لست بأفهم من الحسين وقد احتجّ بأكثر ما ذكرتَ (٢٠٤) فلم تثبت له حجّة . وأخذ خطّه بلا تهديد ولا مكروه بالف الف وسبعمائة الف دينار ثم سلّمه الى المحسّن وكان فى داره على أتم صيانةٍ وأقام فيها يوما واحداً وكان المحسّن يتطاول عليه اذا حضر ثم أطلقهُ وكان السبب فى ذلك انه حمل اليه مالاً جليلاً وثيابا فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً رُوقة

﴿ ذكر ما دبّره ابن الفرات فى أمر مونس حتى أبعده ﴾

كان ورد مونس من الغزو بعد ان ظفر بالروم ظفراً حسناً فتلقّاه المحسّن ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وسائر القوّاد ولقى المقتدر بالله فتحدث الناس ان مونسا (١) أنكر ما جرى على الكتّاب والعمّال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس وان أكثر الفرسان التفاريق بالحضرة قد عملوا على الانضمام الى عسكر مونس المظفر لتروج أرزاقهم . فغلُظ ذلك على ابن الفرات وصار الى المقتدر بالله بعد أسبوعَ من قدوم مونس المظفر فخلا به وأعلمَه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال اليه وانه ان تم له ذلك صار أمير الامراء وتغلب على أمر المملكة ولا سيما والقوّاد (٢٠٥) والغلمان مُنقادون له . وعظم عليه الامر وأغراه به إغراء شديدا فلما ركب مونس المظفر الى دار المقتدر بالله قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات : ما شيء أحب اليّ من مقامك لانى أجم الى

(١) وزوله ٤٦ ـ ٤٥

الأنس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك فى أمر الحضرة كله
ولكن أرزاق الفرسان برسم التفاريق عظيمة وما يتهيأ أن تطلق أرزاقهم
على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون فى الخروج الى
نواحى مصر والشام لانهم يحتجّون بقصور أحوالهم عن ذلك وقد علمتَ
ان الريّ وابهر وزنجان متغلقة باخى صعلوك وكذلك ارمينية وآذربيجان
بيوسف بن أبي الساج وان أقمتَ ببغداد التمس الرجال الانضمام اليك فان
لم أُجبهم شغبوا وافتنوا البلد وان أقمت لم يَرُج من مال ديار ربيعة ومضر
والشام شيء وليس يفى مال السواد والاهواز وفارس بنفقات الحضرة
ومال عسكرك والوجه ان تخرج الى الرقة وتتوسط عملك وتُنفذ عُمالك فى
اقتضاء الاموال وتستخرج مايجب على المادرائيين من الاموال العظيمة التى
بذلوا بها خطوطهم وتهابك عمال المعاون والخراج بمصر والشام فيستقيم
امر (٢٠٦) الملك . ورسم له الشخوص من رقة فى سائر الغلمان الحجرية
والساجية برسمه

فعلم مونس ان هذا من رأى ابن الفرات وتدبيره وعرف شدّة
عداوته له فسأل المقتدر بالله ان يأذن له فى المقام بقية شهر رمضان حتى
يُعيّد ببغداد فاجابه الى ذلك . فلما عيّد صار الى ابن الفرات لوداعه فقام له قياما
تاماً فاستعفاه مونس وحلف عليه أن يجلس فى المُصلّى فامتنع وسأله مونس
فى عدّة أمور فوقع له بجميع ما التمسهُ وأراد القيام عند خروجه من حضرته
فاستحلفه برأس الخليفة ألا يفعل ثم ودّع الخليفة وخرج الى مضربه فى
يوم مطير

﴿ ما دبّره ابن الفرات بعد مونس فى أمر الحاشية ﴾

ولما فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتاب وأخرج مونساً شرع في القبض على نصر الحاجب [1] وشفيع المقتدرى فوصف للمقتدر ما فى جنب نصر خاصةً من الاموال والضياع وكثرة مايصل اليه من الاعمال التي يتولاّها ثم من سائر وجوه مرافقه فاجابه المقتدر الى تسليمه اليه واتّصل الخبر بنصر فلجأ الى السيدة واستغاث اليها [٢٠٧] فكلّمت ابنها وقالت له : قد أبعدَ ابن الفرات مونسا عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن ان ينكب حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على ماعاملتهُ به من ازالة نعمه وهتك حُرمه فليت شعرى بمن تستعين عليه ان أراد بك مكروهاً من خلعك والتدبير عليك لاسيما معما أظهر من شرّه واقدام ابنه المحسن على كل عظيمة ! وقد كان نصر مضى الى منزله واستظهر بتفريق ماله فى الودائع واستتر فراسلته السيدة بالرجوع الى داره فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرّف المقتدر من احواله ومن إفساده ابن أبى الساج حتى ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه مايُهمّ معه المقتدر بتسليمه اليه .

فلما كان في ذى الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبي الساج باحمد بن على أخي صعلوك وقتله اياهُ وانه أخذ رأسه وهو على حمله الى بغداد فركب المحسّن الى المقتدر والتمس من مفلح أن يوصله اليه من غير حضور نصر الحاجب فاوصله وبشّره بالفتح وأعلمهُ ان نصراً الحاجب يكره ذلك وانه عدوٌّ لابن أبي الساج وهو الذي [٢٠٨] أفسدهُ

---

(١) وزراء ٤٧

على السلطان فلذلك كتمهُ الخبر

﴿ ودخلت سنة اثني عشرة وثلثمائة ﴾

فلما كان بعد أيام ظهر فى دارٍ للسيّدة كان المقتدر يكثر الجلوس فيها عند والدته رجل اعجمى[1] على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلى بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكين وأقلام وورق وسويقٌ وحبل ويقال انه دخل مع الصنّاع فحصل فى الموضع وبقى ايّاما فعطش وخرج ليطلب الماء فظفر به وسُئل عن خبره فقال : ليس يجوز أن أُخاطب غير صاحب الدار . فأُخرج الى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فقال له : أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ماشئتَ . فقال : ليس يجوز غير خطابه فى نفسه ومسئلته عمّا احتاج اليه . فرفق به فلم يغن الرفق فلما لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعربية وقال بالفارسية « ندانم »[2] ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها فى كلّ مايخاطب به وأخرج فعوقب حتى تلف وهو لا يزيد على « ندانم » فصُلب ولُف عليه حبل من قنّب ومشاقة ولطخ بالنفط وضُرب بالنار

وخاطب ابن الفرات نصراً الحاجب بحضرة (٢٠٩) المقتدر فى أمر هذا الرجل وقال له : ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك فى دارك مثل هذا الذى جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبُهُ وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء فى قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب احمد بن على اخى صعلوك لامحالة والدليل على ذلك انه أعجمي فاما ان يكون احمد بن على قبل أن يقتل واطأك حتى أوصلتَهُ الى هذا الموضع

(١) وزراء ٤٨ (٢) يعنى لست أعرف

واما ان تكون أنت دسستهُ ليفتك بأمير المؤمنين لتخوّفك على نفسك منه ولاجل عداوتك لابن أبي الساج وصداقتك لاحمد بن علي ولاجل عظيم ماوصل اليك من احمد بن علي من الاموال . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري أُدبّر على أمير المؤمنين لانه أخذ أموالي وهتك حُرمي أو قبض ضياعي أو حبسني عشر سنين . فقال المقتدر : لوتمّ هذا على بعض العوّام لكان عظيماً[1] وتمكّن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاجّ من القرمطي وسنشرحهُ فيما بعد فشغل ابن الفرات بنفسه وقوي أمر نصر وسلم من ابن الفرات

وفي هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر في مصير ابن أبي الساج من آذربيجان الى الريّ ومحاربته (٢١٠) احمد بن علي وحمل رأس احمد بن علي وجُثّته الى مدينة السلام

وفيها فرّق ابن الفرات على طلاّب الادب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله (٢) وكان السبب في ذلك انه جرى حديثهم في مجلسه فقيل : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق فضة أو دونها ويصرفه الى ثمن ورق وحبر . وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق وكان فرّق في الشعراء مالا فقال لما جرى حديث هؤلاء : انا أولى من عاونهم على أمرهم . وأطلق لهم لما يصرفونه الى ذلك عشرين ألف درهم

فذُكر انه لم يُسبق ابن الفرات الى ذلك الاّ ماحدث به الضّبي عن رجاله ان مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب

---

(١) ليراجع ما زاد فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٤٩ (٢) وزراء : ٢٠٢ — ٢٠١ وراجع أيضا ارشاد الاريب ٢٢٨:١

الادب وقال « هم مجفوون »[١]

وكان يستعمل كلّ يوم فى مطبخ ابن الفرات[٢] من لحوم الحيوان وفى دوره من الثلج الكثير ومن الاشربة التى تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله احد قبله ولا بعده وكان اذا ولى الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة واذا عزل رخصت . وكان اهدى الى مونس (٢١١) المظفر عند موافاته من المغرب والى بُشرى ويلبق والى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس احد بمثلها وقدّر انه يستكفهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد

﴿ ذكر السبب فى ضعف أمر ابن الفرات بعد تناهيه فى القوة والاستقامة ﴾[٣]

اتّفق أن ورد الخبر الى بغداد على ابن الفرات بان أبا طاهر ابن أبى سعيد الجنابى ورد الى الهَبير ليتلقى حاجّ سنة ٣١١ فى رجوعهم فاوقع بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتّصل خبره بهم وهم بفَيْد فأقاموا حتى فنى زاد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم . وأشار عليهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وكان اليه طريق الكوفة وطريق مكة وبَذرَقة الحاجّ لما بلغهم خبر الهجرى أن يعدل بهم من فَيْد الى وادى القرى لئلا يجتازوا بالهَبير فضجّوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورةً الى

(١) وفى ترجمة مسلمة فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى سنة١٢٢: قال الواقدى : أوصى مسلمة بثلث ماله لاهل الادب وقال : أنها صناعة مهجورة تجفو أهلها

(٢) وزراء : ٦٣ : ١٩٥　(٣) ومن هنا الى مقتل ابن الفرات وابنه راجع كتاب الوزراء : ٦٢ — ٤٩

الهَبير فلما قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبى سعيد الجنّابى وقاتلهم فظفر بهم وقتل[٢١٢] منهم خلقاً كثيراً وأسَر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان وأحمد بن كشمَرد[١] ونحرير العُمَرى واحمد ابن بدر عمّ السيّدة امّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحُرمه وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ فى سائر القوافل وسبى مِمّن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار بهم الى هجر وترك باقي الحاجّ فى مواضعهم بلا زاد ولا جمال وكانت سنّ أبي طاهر في ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلّف من الحاجّ بالعطش والحفا والرُجلة

وانقلبت بغداد وطُرُقها فى الجانبين وخرج النساء حُفاة مُنشّرات الشعور مُسوّدات الوجوه يلطمنَ ويصرخنَ فى الشوارع وانضاف اليهن حُرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وذلك فى يوم السبت لسبع خلون من صفر فكانت صُورةً فظيعة قبيحة شنيعةً لم يُر مثلها . وتقدّم ابن الفرات الى نازوك بالركوب الى المساجد الجامعة فى الجانبين ببغداد بسبب حركة العامّة فركب في جميع جيشهِ من الفرسان والرجالة والنفّاطين حتى سكن العامّة . ثم قدم سابقُ الحاجّ فشرح الصورة[٢١٣] لابن الفرات فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه الى المقتدر وشرح له الحال واستدعى نصرا الحاجب وأدخله فى المشاورة وتمكن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانُه عليه وقال له : الساعة تقول « أى شىء الرأى » بعد أن زعزعتَ أركان الدولة وعرّضتها للزوال بابعادك مونساً الذى يُناضِل الاعداء ويدفع عن الدولة فمن يمنع الآن هذا الرجل

(١) وفى إطلاق كشمرد راجع كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٨٠

عن السرير ومن الذى أسلَمَ رجال السلطان وقُوادَهُ وحُرمه وخدمه الى القرمطى سواك ؟ وقد ظهر الآن أمرُ الاعجمىّ الذى وُجد فى دار السلطان وانه انما كان صاحب القرمطى. وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس بالتعجُّل الى الحضرة فأمر أن يُكتَب بذلك ووثبت العامّة على ابن الفرات ورجَمت طيارهُ بالآجرّ وركب المحسن من داره يُريد طياره فرجموه وضجت العامّةُ فى الطُرقات بان ابن الفرات القرمطى الكبير وليس يقنعه الا إتلاف أُمة محمد وتحرّكتْ العامّة فامتنعت من الصلاة فى المساجد الجامعة ذلك اليوم وارتجت بغداد باسرها من الجانبين [٢١٤]

وأشار ابن الفرات بانفاذ ياقوتٍ الى الكوفة لِضبطها لئلا تَردها الهجريةُ ويضمّ الغلمان الحجرية ووجوه القوّاد اليه وان كان الهجرى مقيماً سار لمحاربته فتقدّم المقتدر الى ياقوت بالشخوص والى ابن الفرات بازاحة علته فالتزم ابن الفرات له ولولدَيه وهما المظفر ومحمد وللزيادة فى اقطاعهم ومواثدهم ولمن ضمّ اليه أموالاً عظيمة

وخرج ياقوت بمضربه الى باب الكناسة وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجرى الى بلده فوقع الى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه الى الكوفة

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضافر على ما فيه الصلاح للدولة وكفاية الهجرى. ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم يتأخر عنه احد وركب اليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لاحد قبله فلما عرف مونس خبره خرج الى باب داره وتلقاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل وصعد اليه من طياره حتى هناه بمقدمه فلما خرج

لينصرف خرج معه مونس الى أن نزل الى طياره [٢١٥]

﴿ ما عامل به المحسن المنكوبين لما اضطرب أمره وأمر أبيه ﴾

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجرى بالحاج من المنكوبين ونظر الى سقوط حشمته فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من اداء المصادرين وفاز به فنصب أبا جعفر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى العزاقر [١] وكان هذا يدّعى من حلول اللاهوت فيه ما ادّعاه الحلاج وكان المحسن قد عنى بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدام على الدماء من أهل البصرة فسلم المحسن الى صاحب ابن الفرات هذا البصرى جماعة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب بن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر انه يطالبهم بما بقى عليهم من المال فلما حصلوا فى يده ذبحهم كما يذبح الغنم . وكان جماعة مستترين فكتب ابن الفرات اليهم كتبا جميلة حتى ظهروا ثم صادرهم واستخرج منهم أموالا كثيرة

﴿ ذكر القبض على أبى الحسن بن الفرات وهرب ابنه المحسن [٢١٦] ﴾

واشتدّ الارجاف بابن الفرات حتى استتر أولاده وكُتابه فراسله المقتدر على لسان نسيم . فحكى أبو القاسم ابن زنجى أنه كان بين يديه اذ جاءه نسيمٌ فتقدّم اليه فادى الرسالة التى كانت معه فسمعتُه يقول فى جوابها [٢]

---

(١) ليراجع رسالة الخليفة الراضي بالله الى نصر بن أحمد الساماني بقتل العزاقرى وردت في ارشاد الاريب ١ . ٢٩٨ فى ترجمة ابن أبي العون وما رواه ثابت بن سنان فى عناية المحسن به . وفى العزاقرية ليراجع قصة للوزير المهلبي مع هذه الفرقة بالبصرة في سنة ٣٤٠ وردت في الكامل لابن الاثير ٨ : ٣٧٢ (٢) راجع وزراء : ١٢٥

قل له : أنت تعلم ياأمير المؤمنين انى عاديتُ فى استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجتُ لك المال من الدَّنى والشريف وبلغتُ غاية ما أمكننى فى تأييد دولتك ولم أفكر فى أحدٍ مع سلامة نيّتك وما قرّبنى منك واجتلب لى حُسن رأيك فلا تقبل فىّ قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويُغريك بما لافائدة فيه ويدعوك الى ما تُذَمّ عواقبه وبعد فطالعى وطالعك واحدٌ وليس يلحقني شيء الا يلحقك مثله فلا تلتفتُ الى ما يُقال فقد علمت الخاصّة والعامة انى أطلقت لِلرجال النافذين الى طريق مكة ما لم يطلقهُ أحدٌ تقدّمنى واخترت رؤساء الجند والقوّاد وشجعان الرجال وأزحتُ العلة فى كل ما التُمس مني فحدث من قضاء الله عزّ وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله (١) فما أنكره (٢١٧) على وزيره ولا ألزمَهُ جريرته ولا أفسدَ عليه رأيه . . . وتكلم فى هذا المعنى بما يُشاكله وانصرف نسيمٌ والغلمان بانصرافه .

واحتدت الاراجيف وكثرت بابى الحسن ابن الفرات والمحسن ابنه وأراد المقتدر ان يسكن منهما فكتب اليهما رُقعة يحلف فيها على ما هو عليه لهما وما يعتقده من الثقة بهما وانه ينبغى لهما ان يثقا بما تقرر فى نفسه من مُوالاتهما وأمرَهُما ان يظهرا رُقعته اليهما لِاهل الحضرة ويكتب بنسختها الى جميع عُمّال الحرب والخراج في البلدان

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسّن الى الدار فوصلا الى المقتدر فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرة ولما خرجا أجلسهُما نصر الحاجب (٢)

(١) يعني في سنة ٢٩٤ فيها أوقع بالحاج ذكرويه بن مهرويه القرمطي : طبري ٣ : ٢٢٦٩ (٢) وزراء ص . ٥١

وكان راسل الغلمان الحجريّة المقتدرَ فى القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم ثم أشار عليه بتأخير الامر وقال له : ان صرف الوزير بكلام الاعداء خطر وخطأ فى التدبير وإطماع للغلمان . فامره ان يقدّم الى نصر بإطلاقهما ويُعرّف الغلمان ان الامر يجرى فيما راسلوه على محبتهم فقدم مفلح وقال : لينصرف الوزير . فأذن نصر للوزير وابنه فى الانصراف [٢١٨] فقام ابن الفرات فى الممرّات كالمهزول حتى وصل الى طيّاره وكذلك ابنه المحسّن فلما وصلا الى دار الوزير دخل اليه المحسّن فسارّهُ اسراراً طويلا ثم خرج من عنده وانصرف الى منزله وجلس فيه ساعةً وتقدم بما أراد ثم خرج فاستتر . وجلس أبوه غير مكترثٍ ينظرِ فى العمل وبين يديه وجوه الكُتّاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشككوا فيما بلغهم من صورة الامر لما رأوه من نشاطهِ وانبساطهِ وجريهِ على رسمه فى الحديث والأنس والامر والنهى . وتحدّث بعض خواصه قال : سمعتُه يقول فى اخر الليل وهو فى مرقده يتمثل بهذا البيت

وأصبحَ لا يدرى وان كان حازما أقدّامهُ خيرٌ له أم وراؤهُ

فدل ذلك على سهرهِ وتفكّره فى أمره . وجلس من الغد ينظر فى أمره قال أبو القاسم ابن زنجى : فبينما هو كذلك اذ وردت رُقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفت ممن هى فى الوقت ثم عرفت انها كانت من مفلح . ثم وردت رُقعة أخرى من رجل يجري مجرى الجند كان ملازما لدار السلطان فلما قرأها أمسك [٢١٩] قليلا ثم دعا يحيي قهرمانه فاسرّ اليه بشيء وانصرف ثم صرف الناس ووعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه الى دور حُرمه وتفرّق الناس . فلما صرت الى الروشن ذكرت شغلا عليّ كان

شغلني به فانصرفتُ وجلستُ لذلك فاذا بنازوك قد دخل عليه سيفُهُ وبيده دبُوسٌ واذا يلبق يتلوه وهُما بخلاف ما اعهدهُما من الانبساط ومع كل واحد منهُما نحو خمسة عشر غلاما بسلاحٍ . فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا الى دار حرمه فاخرجوه منها حاسرا وأجلس في طيّار وحُمل الي دار نازوك وقبض معه على ابنيه الفضل والحسين ومن وُجد من كُتّابه .

ومضى نازوك ويلبق الى مونس المظفّر وعرّفاه الخبر وكان قد خرج الى باب الشمّاسيّة وأظهر انه خرج للنزهة فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قوّاده وذهب يلبق الى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هُناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصب وطرحه على رأسه لانه كان حاسراً . فلما رأى ابن الفرات مونسا أظهر الاستبشار (٢٢٠) بحصوله في يده فاجلسه معه في الطيار وخاطبه بجميل مع عتابٍ فتذلل ابن الفرات وخاطبه بالاستاذية فقال له مونس : الساعة تخاطبني بالاستاذية وبالامس تخرجني على سبيل النفي الى الرقة والمطر يُصبّ على رأسي ثم تذكر لمولانا أمير المؤمنين اني أسعى في فساد مملكته . وانحدر به الى دار السلطان وتقدّم بحمل ولديه وكتابه اليها وتسليمهم الى نصر

فتكاثر العامّة على ابن الفرات ومعهم اسباب المنكوبين يدعون عليه ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورجموا طيار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا « قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير » ولما وصلوا الى باب الخاصة صعد جمع عظيم من السميريات لرجم ابن الفرات وولديه وكتابه بالآجُرّ حتى حوربوا واحتيج الى رميهم بالسهام وجرح بعضهم فانصرفوا وتسلّمهم نصر .

فكانت مدّة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . ثم اجتمع وجوه القوّاد الى دار السلطان وأقاموا [٢٢١] على ان ابن الفرات ان حبس [١] في دار الخلافة خرجوا بأسرهم الى المصلى وأسرفوا في التهدّد فدعا المقتدر مونسا ونصرا وشاورهُما فأشارا بتسكين القواد وبان يخرَج ابن الفرات ويسلَّم الي شفيع اللؤلؤي ويعتقل عنده فاستحضر شفيع وسلم اليه

﴿ ذكر توصُّل أبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبيدالله الخاقاني الى الوزارة ﴾

كان أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقانى استتر فى أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد العلة وقد أسنّ وتغير فهمه [٢] ولما اضطرب أمر ابن الفرات عندما جرى علي الحاج ماجرى سعى عليه أبو القاسم الخاقانى وعلى ابنه المحسن وعمل لهما عملا وسعي له فى ذلك نصر الحاجب وثمل القهرمانة وغيرهما . وكان مونس أشار بابي القاسم الخاقانى قبل ذلك فقال المقتدر : أبوه خرب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن نقلد الحسين بن أحمد المادرائي . فعرّفه مونس انه قد نفذ الى مصر وان استحضاره يبعد. ثم ساعده نصرٌ وابن الخال [٢٢٢] فى ذلك ثم استحضره المقتدر وشافههُ بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهرون بن غريب الى داره

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر ابن الفرات واسبابه
بعد تقلد أبي القاسم الخاقانى الوزارة ﴾

ذكر أبو الحسن انه سلم الى شفيع كما ذكرنا فراسلهُ شفيع على يد المعروف بالجمل كاتبه فيما يبذلهُ من المصادرة عن نفسه ليسلم من اعدائه

(١) وفى الاصل جلس (٢) يراجع فيه صلة عريب ١٢٠

ومن تسليمه الى الخاقاني وأبي العباس بن بعد شرّ وهو كاتب الخاقاني فاجابه ابن الفرات بانه لايفعل أو يثق من المقتدر بالله في حفظ نفسه من تسليمه الى أحد من هذه الطبقة . وقال للكاتب الملقّب بالجمل : قل لصاحبك [١] « اني قد خلفتُ في يد هرون الجهبذ وابنه مائة ونيفاً وستين ألف دينار حاصلة قبلهما من مال المصادرين » ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها الى بيت مال الخاصة من وقته هذا حتى لا يوهمه الخاقاني انه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها ان ينفق من بيت مال العامه . فركب شفيع للوقت وأنهى ذلك الى المقتدر [٢٢٣] فوجه الى الجهبذين وكانا في دار الخاقاني لم يُكلّمهما بعدُ لتشاغله بالتهنيَة فاحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصححاه في بيت مال الخاصة .

وتقدّم المقتدر الى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكُتّابه وأسبابه الى الخاقاني فسلمهم اليه وأخذ خطهُ بتسلمهم وسلمهم الخاقاني الى ابي العباس ابن بُعد شرّ فقيدهم واجلسهم على الارض في الحر الشديد . ثم أخذ خطّ كلّ واحدٍ من ولدي ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن ابراهيم [٢] بمائتي ألف دينار وخط أبي غانم كاتب المحسن بمائتي ألف دينار ووقع النداء على المحسن وهشام وابني فرجويه والتهديد لمن وُجدوا عنده بعد النداء بالنهب واحراق المنازل وضرب ألف سوطٍ . ووافق

(١) راجع وزراء : ١٢٤ (٢) هوالتستري أبو الحسين (وقال ياقوت أبو الحسن) كان نصرانيا من صنائع بني الفرات هو وأبوه يلزم السجع في كلامه وله كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب رسائل الفتوح كذا في الوافي بالوفيات للصفدي

أبو الحسن شفيعا على ان يضمن عنده مالاً ان رُدّ الى دار السلطان ولم يسلم الى أحد فذهب شفيع فخاطب فى ذلك المقتدر فقال له المقتدر : ان مونسا ونصراً وهرون بن غريب قد اجتمعوا على انه لا يمشي للخاقاني أمرٌ الا بتسليم ابن الفرات اليه وضمن ان يستخرج منه ومن ابنه واسبابه(٢٢٤) ألفى الف دينار .

فانصرف شفيع ووجه الى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له فقال هذا الكاتب وهو الملقّب الجمل : كنتُ أدخل الى ابن الفرات فى كل يوم لتفقُّد أحواله فكنتُ أجده اقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر (قال) ولقد سألني عمّن تقلد الوزارة فعرّفته (١) أنه أبو القاسم ابن أبى على الخاقانى فقال « السلطان نكب ومانكبتُ أنا » وسألني عمّن تقلّد الديوان (يعني ديوان السواد) فقلتُ : محمد بن جعفر بن حفص . فقال « بحجره رُمى » وسألني عمّن تقلد باقى الدواوين فعرّفته أنهم يحيى بن نُعَيم المالكى ومحمد بن يعقوب المصرى واسحق بن على القنّائى فقال « لقد أيّد الله هذا الوزير بالكفاة »

وكان المُناظر لابن الفرات ابن بُعد شرّ فرفق به فوعده ان يتذكر ودائعهُ ويُعرّفه اياها فعاوده بالرفق فأقرّ أن له عند التجار مائة وخمسين ألف دينار وكان المقتدر رسم أن يكون مال مُصادرة ابن الفرات وحده يُحصّل فى بيت مال الخاصّة ومال مصادرة أسبابه فى بيت مال العامّة . ولما(٢٢٥) استُخرج ما ذكره ابن الفرات من التجار أعاد ابن بُعد شرّ مطالبة ابن الفرات فذكر أنه لم يبق له مالٌ فاوقع به مكروهاً يسيراً ولم يكن ابن

(١) وزراء ١٢٤

الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعَدَ وامتنع دفعةً واحدة من أداء شيء . فمضى هرون بن غريب الى المقتدر وعرّفه أن الخاقاني جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات الى ابن بُعد شرّ وانه كان ينبغي أن يرفُق به ويُداريه فانه ممّن لا يستجيب بالمكروه فتقدّم المقتدر الى الخاقاني بان تكون مُناظرة ابن الفرات بحضرة هرون بن غريب وان يرفق به . وكان ابن بُعد شر قد ضيّق على ابن الفرات فى مطعمه ومشربه حتى أنه أدخلَ اليه خبز خُشكار وقثاء وماء الهواء فوجه اليه بطعام واسع وشراب وثلج كثير وفاكهة واعتذر اليه عمّا جرى وحلف أنه لم يعلم بما عُومل به

ثم أن الخاقاني راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيي برفق ومداراة بان يقرّ بماله ولا يلاجّ السلطان فليس ذلك بمحمود فأجابه بان قال : قُل للوزير « لست حدثاً غرّاً فتحتال عليّ فى المناظرة ولست (٢٢٦) أقول انى لا أقدر على المال ولكن اذا وثقت لنفسى بالحيوة فديتُها بالمال وانما أثق بذلك اذا كتب أمير المؤمنين بخطّه لى أماناً وشهد الوزير والقُضاة بخطوطهم ويكتب لى الوزير أيّده الله أماناً بخطّه ويسلّمنى الى أحد رجلين إما مونس المظفّر وان كان عدوّى وإما شفيع اللؤلؤى فان لم يفعل ذلك فقد وطنتُ نفسى على التلف . فوجّه اليه الخاقاني : بانى لو قدرتُ على التوثق لك لتوثّقتُ ولكن ان تكلّمتُ فى هذا المعنى عادانى خواصّ الدولة لاجلك ثم لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفةُ أمرَكَ الى هرون بن غريب . فتواعدوا الى دار الخاقاني بالمُخرّم واستحضر ابن الفرات وناظرَهُ ابن بُعد شرّ بحضرته فما تَن ابن الفرات فبدأ ابن بُعد شرّ يُسمِعهُ المكروه فأنكره هرون وزبره وقال : بهذا تريدُ ان تستخرج مال ابن الفرات ؟ واقبل هو على ابن

الفرات وداراهُ وخاطبَهُ بجميل وقال له : أنت أعرف بالامور من كلّ من يخاطبك والخلفاء لا يُلاجّهم وزراؤهم اذا سخطوا عليهم . فقال له ابن الفرات : أشِر عليّ أيّها الامير فان من كان في مثل حالي عزب عنه الرأى . فلم يزل معه في مناظرات الى ان أخذ (٢٢٧) خطّهُ بمصادرة الفى ألف دينار على ان يُعجّل منها الربع وعلى ان يحتسب له من الربع بما أدّاه وما أُخِذ بعد ذلك مما لعلّه استُخرِج من ودائعه بغير إقرار منه ويطلق له بيعُ املاكه ومايستبيع من ضياعه وأمتعته وينقل الى دار شفيع اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان ويطلق الكلوذانى ليتصرّف فى جمع أمواله وتطلق له الدواة[1] ليكاتب من يرى مكاتبته . فأخذ هرون بن غريب خطّهُ بجميع ما كتب به وحمله الى المقتدر بالله

﴿ ذكر اتّفاق سيّئ اتّفق على المحسن حتى ظفر به وصودر وقتل ﴾

كان المحسن استتر عند حماته حِنزابة وهى حماتُهُ ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كلّ يوم بكرة الى المقابر فى زىّ النساء وتردّهُ الى المنازل التى تثق بها بالليل . فمضت به يوما الى مقابر قُريش فى زىّ النساء على رسمه وأمست فبعُد عنها الطريق الى الكرخ . فوصفت لها امراة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لان زوجها مات منذ سنة فصارت حنزابة مع النسوة والمحسن (٢٢٨) الى هناك فقالت لصاحبة الدار : ان معنا امرأةً لم تتزوّج بعد وقد عادت من مأتم وضاقت عليها فافردي لها بيتاً . فافردت لها بيتاً فى صُفّةٍ وادخلت اليه المحسن ثم ردّت عليه الباب وجلس النسوة مع المحسن فى البيت . فجاءت جاريةٌ سوداء بسراج

(١) في الاصل الدواء

معها فوضعته فى الصُفّة وأدخلت حنزابة الى المحسن بسُوَيق وسُكَّر وكان المحسن قد نزع ثيابهُ فاطّلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسن ولا حنزابة فى البيت وعلمت انه رجلٌ فانصرفت وأخبرت مولاتها فلما جن الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسن . وكان ذلك من نحس المحسن وخذلان الله اياه لأن تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل على بن عيسى وكان المحسن طلبهُ فأدخل الى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فُجأةً من غير ان يكلمه المحسن . فمضت المرأة فى الوقت الى دار السلطان حتى وصلت الى دار نصر الحاجب وشرحت له الصورة فأنهى نصر الحاجب الخبر الى المقتدر بالله فتقدمّ بالبعثة الى نازوك ليركب الى الموضع ويقبض على المحسن فركب (٢٢٩) نازوك من وقته الى الموضع وكبسه وقبض على المحسن . وضُربت الدبادب لذلك نصف الليل عند الظفر به حتى ارتاع الناس ببغداد وظنّوا ان القرمطى قد كبس بغداد

وحمل المحسن الى دار الوزارة بالمخرّم وتسلّمه ابن بُعد شرّ [فأوقع به ابن بُعد شرّ وجرّعهُ] فى وقته مكروهاً عظيما وأخذ خطه بثلاثة ألاف ألف دينار . وحضر هرون بن غريب دار المخرّم وناظر المحسن فوعدهُ ان يتذكّر ودائعه ويقرّ بها ولحِقه فى يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهمٍ واحدٍ وقال : ليس يجمع بين نفسى ومالى . وحضر بعد ذلك هرون بن غريب ومعه شفيع اللؤلؤى وأحضر المحسن والكتّاب وابن بعد شرّ وناظر المحسن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له : هبك لا تقدر ان توفى المال الذي أخذ خطّك به لا تقدرُ ان توفى مائة ألف دينار ؟ فقال له :

يلى اذا أمهلت وزال عنى المكروود . فقال له : نحن نمهلك فا كتبْ خطك بمائة ألف دينار . وثبت بذلك خطه وانه يؤديها فى مدة ثلاثين يوماً فلما قرأ هرون بن غريب الرقعة قال : كأنك ترجو ان تعيش ثلاثين يوماً . فخضع له المحسن وقال له : [٢٣٠] افعلْ ما يأمر به الامير . قال : اكتبْ بأنك تؤديها فى مدة سبعة أيام . فارتجع الرقعة ليكتب بدلها فلما حصلت فى يده مضغها وبلعها وامتنع ان يكتب غيرها . فقيد وغلّ وألبس جبة صوف وضرب على رأسه بالدبابيس على ان يكتب ما كان كتبه فلم يكتب فأعيد الى محبسه وعذّب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدرهم واحد .

فلما كان بعد ذلك حضر الاستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب مجلس الوزير الخاقانى وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقانى ولم يكن الخاقانى من رجاله وكاد أبو الحسن ابن الفرات ان يأكله فكان فيما قال له : انك استغللتَ ضياعك فى مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار . فقال : قد كانت هذه الضياع في يد على بن عيسى عشر سنين أيام وزارته وأيام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها الا أربعمائة ألف دينار فقد ادّعيتَ لى المعجزات . فقال له : أضفت حقوق ضياع السلطان الى ضياعك . (١) فقال : الدواوين لا يمكن ان يكتم ما فيها فتنظر فى ارتفاع النواحى السلطانية فى أيام نظرى فيها وفى ارتفاعها أيام على بن عيسى ووزارة [٢٣١] حامد بن العباس ووزارة أبيك التى دبّرتها أنت حتى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيامى أم نقصت .

ونوظر فيمن قتل وشنع عليه بهم فقال : ليس يخلو ذلك من أحد

(١) فى كتاب الوزراء (٥٧) قد أضفت الى حق الرقبة حقوق بيت المال

أمرين اما ان يقال انى أنا قتلتهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لم ينسب الى المدّعى قتله بالبعد منها واما أن يقال « كتبتَ خطّك بقتلهم » وهؤلاء أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمّال الخراج ووجوه متصرّفى عمّال السلطان قد حكّمتهم على نفسى . فقيل له : قد قتلهم ابنك . فقال : انا غير ابنى وأنتم تناظرونى . فقال له ابن بعد الشرّ (كذا) : اذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم . فقال له ابن الفرات : هذا غير ما حكم الله ورسوله فانه عزّ وجلّ يقول : (ولا تَزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرَى) . وقال النبي عليه السلام لرجل من أصحابه : أهذا ابنك . فقال : نعم . قال : أما انه لايجني عليك ولا تجنى عليه . ومع هذا فهو في أيديكم سلوه فان وجب عليه قودٌ بادّعاء قتل فى موضع ناءٍ عنه يقال فيه ان غيره تولّى قتله فالحكم فى هذا معروف .

فتحير القوم فى الجواب فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب : ان رأى الحاجب ان يقول له : حيث كنت تقول لمن تطالبهُ «ان اديتَ والاّ سلّمتُكَ [٢٣٢] الى المحسّن» أكنت تسلّمهُ ليسقيَه السويق والسكّر أو ليُعذّبه ومَن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل لان الانسان قد يتلف بمقرعةٍ واحدةٍ يُضرَب بها فضلاً عن غيرها . فخاطبَهُ نصر بذلك فقال فى الجواب : ان الخليفة أطال الله بقاءه ولّي المحسّن وأنا اذ ذاك محبوس وهو مُطلَقٌ فضمن ماضمنه وجرى ذلك على يد مُفلح وتوسطه جماعة من ثقات السلطان . ثم لما تقلّدتُ الامر كنتُ أحبّ الرفق بالناس واذا ناظرتُهم ورفقتُ بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فاذا أقاموا على الامتناع سلّمتهم الى مَن نصبَهُ السلطان وأمر بتسليمهم اليه . فقال له مونس : كانك تُحيل على الخليفة فى قتل الناس فان الخليفة قال « ما أمرتُ بقتل أحد سوى ابن

الحواري فقط »

ثم أقبل نصر عليه فقال له : معي رسالة من الخليفة اليك فتسمعها وتُجيب عنها . قال : وماهي . قال : يقول : سلّمتُ اليك قوما عال ضمنتهُ لي وأريد منك أحد أمرين اما وفّيتني المال أو رددت عليّ القوم . فقال ابن الفرات : اما المال فقد صح في بيت المال واما الرجال فما ضمنتُ أرواحهم ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف انافهم . فقال له مونس المظفر : هب ان لك في كل شيء عذرا وحجّة أي عُذر[٢٣٣] لك في اخراجي الى الرقة حتى كأني من العمّال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين . قال : انا أخرجتُك ! قال : فمن أخرجني ؟ قال : مولانا أمرني باخراجك . قال : مولاي لم يأمر بذلك . قال : معي حجة بخطه كتب اليّ رُقعة احتفظت بها لانها بخطه يشكو فيها أفعالك وقتاً بعد وقت وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة ثم اغلاقك اياها بسوء تدبيرك واثارك القبيحة . قال : وأين الرقعة . قال : في أيديكم في جملة المهمات التي أمرتُ بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي بالتحفظ به من المهمات وفيها الامر باخراجك الى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج . فامر الخاقاني باحضار السفط فوجدهُ مختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه الرُقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخط المقتدر فاخذها . ومضى مونس من وقته الى المقتدر حتى لقيه وأقرأه الرُقعة فاغتاظ المقتدر على ابن الفرات غيظا شديدا فامر هرون بضربه بالسوط فمضى هرون حتى ضرب ابن الفرات بين المنبازين خمس درر فقط وقال له : ياهذا اذعن بمالك . فاعطى خطّه بعشرين الف دينار وقال : هذا مالي .

ثم أخرج المحسن[٢٣٤] في الوقت فضربه ضرب التلف فلم يذعن

بشيء بتة فصار هرون بن غريب الى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم ليس فى عزمهم ان يُؤدُّوا شيأ البتة وقد استقتلوا . فامر بتسليمهما الى نازوك وبسط المكروه عليهما فاوقع نازوك بالمحسن أنواع المكاره حتى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه وضرب أبا الحسن ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يذعن بدرهم واحد واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقانى الوزير وقال له : مارأيت شيأ مما ضمنتهُ من أموال ابن الفرات وابنه صحّ . فقال : لانه لم يترك والتدبير [1] وان ابن الفرات لما عدل به عن مناظرة الكتاب وسلم الى أصحاب السيوف يئس من الحياة فضنّ بالمال ونظر اليه ابنه فاقتدى به . وقال نازوك للمقتدر . قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكاره الى الغاية حتى ان المحسن مع ترفه قد تدوّد بدنهُ وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يُسمع بمثلها وقد مضت له الآن أيام لم يطعم طعاما وانما يشرب الماء شربا يسيراً وهو فى أكثر أوقاته مغشى عليه . فقال المقتدر بالله : اذا كان الامر كذلك فلا بد من حملهما الى دارى . فاظهر مونس [235] والجماعة ان الصواب فى ذلك وقال الخاقانى : قد وفق الله [رأى] أمير المؤمنين . وخرجت الجماعة من حضرته

فاسرّ الخاقانى اليهم وهم بعد مجتمعون فى دار السلطان وقال : ان حمل ابن الفرات الى دار الخليفة بذل أسبابه عنه وعن ابنه الاموال واذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل فى داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه . فاذا أمن على نفسه تضمن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها اليه ويطمعه فى ان يوفر أرزاقها واقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالا جليلة خطيرة . والوجه

(١) يعنى مع التدبير

ان يقع التجمّع من القوّاد واليمين على انهم ان وقفوا على ان ابن الفرات وابنه حملا الى دار الخليفة خلعوا الطاعة . فقال مونس : هذا شيء ان لم نفعله لم يصف لنا عيشٌ . وتجرد لهذه الحال هرون بن غريب ونازوك فجمعا القواد ووجوه الغلمان الحجريّة وكان يلبق يستحلفهم .

﴿ذكر مقتل أبى الحسن ابن الفرات وابنه المحسن﴾

ثم اجتمعوا باسرهم الى مونس ونصر وأظهروا ما فى نفوسهم فاشار مونس بان يلتمس القوّاد نقل ابن الفرات وابنه الى دار مونس فان مات المحسن استبقى أبوه فقال له (٢٣٦) هرون بن غريب : اذا مات المحسن لم يصلح ان يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قتل ابنه حتى يؤمن على الملك ؟ ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا باجمعهم : ان لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الاولياء باسرهم الطاعة . وواصل هرون بن غريب مخاطبة المقتدر فى قتل هذين وقال : لستُ آمنُ أن يجتمع الاولياء على البيعة لبعض بنى هاشم ثم لا يتلافى الامر . وأرادت الجماعةُ من الوزير الخاقانى التجريد فى ذلك فقال : لستُ أدخل فى سفك الدماء وانما أشرتُ بألاّ يحملا الى دار السلطان فاما قتلهٔ فخطا لانه ليس ينبغى ان يُسهّل على الملوك ولا يُحسّن لهم قتل أحدٍ فانهم متى فعلوا ذلك خفّ عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى ذنبٍ وخطإٍ يكون منهم

فلما كان يوم الاحد لاثنى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر قُدّم الى ابن الفرات طعامهُ فأمر برفعه وقال : أنا صائمٌ . وحضر وقت الافطار فقدّم اليه لما حضر وقت الطعام فقال : لستُ أفطر الليلة . فحضر عنده من اجتهد به ان يفطر فقال : أنا مقتول فى غد لامحالة . فقيل له : (٢٣٧) أعيذك

بالله . فقال : بلى رأيتُ البارحة أخى أبا العباس رحمه الله فى النوم وقال لى « أنت تفطر عندنا يوم الاثنين بعد غد » وما قال قط فى النوم شيئا الا صحّ وغداً الاثنين وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على صلوات الله عليه . فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين انحدر الناس الى دار الخليفة فلم يصلوا فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر : ان دعونى انظرُ فى ذلك . فكتبوا اليه : انه ان تأخّر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى .

وكتب المقتدر الى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤسهما الى حضرته فقال نازوك : هذا أمر عظيم لا يجوز ان أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر الاستاذين والخدم بالخروج اليه برسالته بامضاء ما كتب به فخرجوا اليه بذلك فقال : لا أعملُ على رسالة ولا بدّ من مشافهة بذلك . وابن الفرات يراعى الخبر فلما قيل له ان الناس قد انصرفوا وان نازوك انصرف الى منزله سكن قليلاً ثم قيل له : ان نازوك قد عاد الى دار السلطان . فاضطرب جدًّا وصار نازوك الى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس (٢٣٨) فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلا فيها ووجّه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسّن. وصار برأسه الى أبيه فوضعهُ بين يديه . فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً وعُرض هو على السيف فقال لنازوك : ياأبا منصور ليس الا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين فى أمرى فان لى أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة . فقال له نازوك : قد جلّ الامر عن هذا. وأمر به فضُربت عنقهُ وحمل رأسه ورأس ابنه الى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما فغُرّقا فى الفرات وغرّقت الجثّتان فى الثمانين ببغداد . وكان سنّ أبى

الحسن ابن الفرات رحمهُ الله يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهوراً وسنّ ابنه المحسّن ثلاثا وثلاثين سنة وقد كان حكم العاصمي المنجّم فى تلك السنة انه يخاف فيها على ابن الفرات نكبةً وتلفاً بالسيف وذكر ذلك فى مولده الذى كان بين يديه وحكم على مولد المحسِّن ان عُمرَهُ ثلاث وثلاثون سنة فصحّ حكمه [١]

وفى هذه السنة ورد كتاب الفارقى من البصرة يذكر ان كتاب أبى الهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر انه كلّم أبا طاهر القرمطى فى أمر من استأسر من الحاجّ [٢٣١] وسأل إطلاقهم فوعده بهم وانه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة امرأة . ثم وردت الاخبار بورود قوم بعد قوم الى ان كان آخر من ورد منهم أبو الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيّدة . وقدم بقدوم أبى الهيجاء رسولُ أبى طاهر القرمطى يستدعى الافراج عن البصرة والاهواز ونواحٍ أخر فأنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الانزال الواسعة ثم صرف ولم يقع اجابة الى شىء مما التمس

وفيها خلع على نجح الطولونى ورُدّ الى أصبهان لولاية أعمال المعاون بها .

وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عُمَير ابن عبد الباقى ووصل الى السلطان وأوصلهُ معه هدايا والتمس الهُدنة والفداء فأجيب الى ذلك بعد الغزاة الصائفة وخلع عليهما ورجع الرسول الى بلد الروم

وفيها خلع على جنّي الصفْوانى وكان ورد من ديار مُضر واستدعى

---

(١) وفيما حكم به أبو معشر راجع كتاب الوزراء (١٦١) وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي توفى سنة ٢٧٢ : فهرست ٢٧٧

محاربة أبي طاهر القرمطي

وكان سليمان بن الحسن بن مَخْلَد وأبو على ابن مقلة مبعَدَيْن بشيراز فى يد أبى عبد الله جعفر بن القاسم الكرخى فذكر أبو على انه كان مجتمعاً مع سليمان فى دار (٢٤٠) واحدة مصونَيْن مُكرَمَيْن . فورد عليه الخبر بالقبض على ابن الفرات وكان أبو الحسين ابن أبى البغل معتقلا فى يد صارفه جعفر بن القاسم الكرخى قال : فاطّلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبى البغل قد وقف على ما كان رسمه ابن الفرات والمحسّن فى أمره فحين وقف على الخبر وقّع فى حاشية التقويم : وفى هذا اليوم وُلد محمد بن أحمد بن يحيى وله احدى وثمانون سنة .(١) ولما وقف الكرخى على الخبر أطلق أبا على ابن مقلة وسليمان بن الحسن وهنّأهما بالسلامة قبل ان يرد عليه كتاب باطلاقهما . ثم ورد كتاب الخاقانى على المسمعى والكرخى باطلاقهما ومراعاتهما حتى لايخرجا من شيراز فأقام سليمان مدّة أسبوع حتى أحكم أمره . ودعا المسمعى جعفر بن القاسم الكرخى دعوة عظيمة وأقام على حال سرور يومين متواليين نخفى عنهما الخبر فى خروج سليمان وكان خرج فى زىّ الفيوج فلما كتبا الى الخاقانى بهرب سليمان عظُم عليه واشتدّ الاراجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مُستتراً . وأقام أبو على ابن مقلة بشيراز الى ان توصّلت زوجتهُ الى أسباب الخاقانى وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقانى بإطلاقه (٢٤١) والأذن له فى المصير الى الاهواز وكتب له بإجراء مائتى دينار فى كلّ شهر عليه ومنعه من الخروج فأقام مدّة ثم أذن له فى قدوم بغداد بشفاعات الناس له .

(١) يعنى هو بنفسه أبو الحسين ابن أبي البغل وراجع وزراء : ٢٧٣

وفيها خاطب مونس المظفّر الوزيرَ الخاقانى فى أمر على بن عيسى وان يكتب الى أبى جعفر صاحب اليمن بالاذن له فى الرجوع الى مكة فكتب اليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل اليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد على بن عيسى الى مكة مع حاجّ اليمن فلما حصل بها قلّده الخاقانى بمسئلة مونس الاشراف على مصر والشام [١] . وكتب على بن عيسى لما وصل الى مكة وقبل تقلُّده الاشراف على مصر والشام الى الوزير الخاقانى كتاباً يهنّئه فيه بالوزارة ويُعزّيه بأبى على ابيه ويسئله صيانة أهله وولده والعناية بهم فى ضيعته ومَعيشته فأجابه الخاقانى بجواب جميل وانه قد رعى حقَّهُ فى أهله وولده وحاشيته غير مُعتدّ عليه ولا مُتحمّدٍ به

﴿ ذكر الاسباب التى اتّفقت على الخاقانى حتى صرف عن الوزارة ﴾ [٢]

كان أبو العباس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسّن بنت حزابة فسأل ان يُولّى النظر [٢٤٣] فى أمرها واستخراج مالها ففُعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها فى بيت مال الخاصّة فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة . وبلغ ذلك الخاقانى فحمل ابن بعد شرّ على ان بذل خطه انه يستخرج من الخصيبى مائة ألف دينار معجلة وصل اليه من مال المحسّن وزوجته زيادة على ماصححه من هذه الجهة وعرض الخاقانى الرُقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العباس الخصيبى فكتب الى المقتدر رُقعةَ يذكر فيها معايب الخاقانى وابنه وكتابه وضياع

(١) وعامل مصر يومئذ الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن بن عبدالوهاب . وزراء ٣٠٩ (٢) وأما ماجرى بينه وبين نصر الحاجب ومونس فليراجع فيه صلة عريب ١٢٣ : ١٢٦ ـ ١٢٤

الاموال وفساد التدبير وسلمها الى من يعرضها على المقتدر والسيدة . وبلغ ذلك الخاقانى واشتدت به الاراجيف وضعفت نفسه وكان عليلا فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على اكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم وزن أربعين درهما خبزاً ثم صار عشرين درهما وظهر به ورم فى بدنه ورجليه ووجهه وكان يتجلد ويركب فى كل شهر مرة أو مرتين الى دار السلطان وينوب عنه ابنه فى أيام المواكب . فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا الى المصلى فوعدوا به وتأخر عنهم (٢٤٣) فعادوا وطمعوا فى النهب وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج اليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله الى الخاقانى باطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك . فراسل المقتدر الوزير الخاقانى باطلاق نفقاتهم فذكر انه لا يقدر على ذلك وكان عليلا فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال فى مائة ألف دينار ليضيف اليها مائتى ألف دينار ينفق فيهم . فأقام على انه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وان له فى توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغلمان الحجرية والحشم وخلفاء الحجاب شغلا طويلا . فتقدم المقتدر باخراج ثلثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة واعتمد على ياقوت فى تفرقتها

وكان مونس المظفر بواسط فاستدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافى وتلقاه الامير أبو العباس والوزير الخاقانى ونصر وسائر الاستاذين والقواد ولقى المقتدر فعرفه ضيق الاموال وتبلح الخاقانى وشاوره فى صرفه فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويواقفه فلقيه مونس فعرفه الخاقانى انه لا حيلة له فى شىء يصرفه فى المهم واحتج بانه عليل لا فضل فيه للعمل فأشار مونس (٢٤٤) لما رأى تبلح الخاقانى الشديد باستحضار على بن عيسى وتقليده

الوزارة فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيّدة والخالة بأبى العباس الخصيبي فقبض على الخاقانى واستتر ابنه عبد الوهاب واسحق بن على القُنّائى وأخوه وابن بُعد شرّ وخاقان بن احمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقون فكانت مدة وزارته سنة واحدة وستة أشهر

﴿ ذكر سبب وزارة أبى العباس الخصيبي ﴾

واستحضر المقتدر أبا العباس الخصيبي وهو احمد بن عبيد الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فقلده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هرون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر القواد واستكتبت ثمل القهرمانة مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمد وكان قد تاب من عمل السلطان فلما أسند اليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسماه الناس « المرتد » واستدرك أموالا جليلة كان الخصيبي أضاعها فتنكرت ثمل للخصيبي فى الباطن

وكان أبو العباس الخصيبي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم (٢٤٥) بالنهار فى أيام وزارته كلها واذا انتبه يكون مخموراً لا فضل فيه للعمل فردّ فض الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقراءتها والتوقيع عليها واخراجها الى الدواوين وقراءة الكتب النافذة والتعليم عليها الى مالك بن الوليد ويعمل جوامع مختصرةً للمهمّ مما يرد وينفذ فيعرضه عليه اذا انتبه فربما قرأه وربما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج اسرائيل ويوقّع فيه على حسب رأيه . وكانت الجوامع تعمل بخط أبى سعيد وهب بن ابراهم بن طازاذ فتبقى اياما بحضرته فاذا كثرت تقدم بأن يقرأ عليه ويتقدم بالتوقيع تحت كل فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع الى مالك بن الوليد فيبقى عنده

يوماً أو يومين ثم يخرج الى صاحب الديوان فيقرأه ويوقع تحته بما يراه ويجاب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ الى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم عليه والى ان ينفذ الجواب ما قد تمردت البثوق واتسعت الفتوق واحتملت الاعراب الغلات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب

فلما رأى الكلوذاني ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب الى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها الى الوزير اليه[٢٤٦] فكانوا يكتبون اليه نسخا بما ينفذ منهم الى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج اليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر

وتقدم الوزير الخصيبي الى [أبي] الحسن بن ثوابة[١] بان يقرأ قصص المتظلمين ويوقع عنه فيها في غير يوم المظالم ويجمع القصص في يوم المظالم ويختصر ما في الرقعة فاذا قرأها وقّع بحسبه وكان اكثر اعتماده على اموال المصادرين وكان اول المصادرين ابو القاسم الخاقاني واعتنق مونس امره وذكر للمقتدر انه لا فضل فيه للحركة وانه قد قرر امر مصادرته عن نفسه وابنه وكتابه المختصين به على مائتي ألف وخمسين الف دينار . فامضى المقتدر ذلك وأنفذ خطه به الى الخصيبي ووضع الخصيبي يده على العمال والكتاب وجاذفهم فيما صادرهم عليه فصادر جعفر بن قاسم الكرخي على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هندى وورثة ابي احمد الكرخي[٢] والحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمرويه وأبي الحسن بن مابنداذ واسحق بن اسمعيل النوبختي ومحمد بن يعقوب

(١) هو محمد بن جعفر تقدم ذكره وفي ارشاد الاريب ٢ : ٣٧ هو أبو الحسين

(٢) هو الحسن بن محمد وراجع فيه كتاب الوزراء ٨٢ - ٨١ : ١٦٩ ـ ١٦٨ : ٣٠٩

المصري وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال (٢٤٧) وابن عبد الوهاب وعبد الله بن جُبَير وكثرت الاراجيف بالخصيبي وانه مصروف عن الوزارة لانه حمار لايُحسِن شيئا غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وان الامور كلّها ضائعة والمهمّات واقفة وأُرجِفَ بالوزارة لجماعة

وفيها كانت وقعة أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بالكوفة وأسر قُوّاد السلطان

﴿ ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة ﴾

كان جعفر بن ورقاء يتقلّد أعمال الكوفة وطريق مكة فلما شخص الحاجّ من بغداد تقدّمهم خوفا من أبي طاهر القرمطي وكان معه الف رجل من بني عمّه من بني شَيْبان. ثم خرج في القافلة الاولى ثمل صاحب البحر وفي قافلة الشمسة [1] جنّي الصفواني وطريف السُبكري وسياشير الديلمي فكانت عدة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل. فتلقاهم أبو طاهر الجنّابي وكان أوّل من لقيَ جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً ثم طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نُجُب يقودون خيلاً فنزلوا عن النُجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهزم (٢٤٨) بمن معه من بني شيبان فلقي القافلة وقد نزلوا من العَقَبة فردّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مُبادرين حتى دخلوا الكوفة . وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتى بلغ باب الكوفة فخرج قُوّاد السلطان الذين ذكرناهم فاوقع بهم وهزمهم وأسر جنّيًا الصفواني . وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستة

(١) وفي صلة عريب ص ١١٩ . وأسر مازج الخادم صاحب الشمسة . . . وأخذت القرامطة الشمسة

أيام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبيت في معسكره ويحمل كل ما قدر على حمله فكان في جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلثمائة راوية زيت . فلما حمل كلّ ما قدر عليه رحل الى بلده

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين الي بغداد فتقدّم المقتدر بالله الى مونس بالخروج الى الكوفة لمحاربة القرمطي . واضطرب أهل بغداد اضطرابا شديدا وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ودخل مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الجنّابي عنها فاستخلف مونس بها ياقوتا وسار هو الى واسط . ولم يتمّ الحجّ لاحد

﴿ ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة (٢٤٩) ﴾

وفيها ورد الخبر بمسير على بن عيسي الى مكة حاجاً في هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبهُ بغداد ومعه سفاتج بمائة الف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرها وكان الخصيبي قد أقرّ علىّ بن عيسى على ما كان اليه من الإشراف على مصر والشام

وفيها فتح ابراهيم المسمعى ناحية القُفص وأسر منهم خمسة آلاف انسان وحملهم الى فارس

وفي هذه السنة كثرت الارطاب ببغداد حتى عُمل منها التُّمور وحُملت الى البصرة فنُسبوا الى البغى (١)

وفيها كتب ملك الروم الى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج اليه ويقول : ان فعلتم ذلك طائعين والاّ قصدتكم فقد صح عندى ضعفكم

(١) وفي تاريخ الاسلام : أبيع كل ثمانين أرطال بحبة

﴿ ودخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

وفيها دخل الروم ملطية فاخربوا وسبوا وأقاموا ستّة عشر يوما

وفيها وصل نمل الى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقانى وكان أطلق الى منزله فلما ارتفعت الصرخة[٢٥٠] بوفاته كبست داره لطلب عبد الوهاب ابنه فلم يُوجَد

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين مما نزل بهم من الروم

وفيها خرج أهل مكة منها ونقلوا حُرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطى بهم بأنه قريب منهم فتخوّفوا على أنفسهم وأموالهم منه .

وكتب الكلوذاني الى الخصيبي بان أباطالب زيد بن على النوبندجانى قد صار يجرى مجرى أصحاب الاطراف وانه قد تغلب على ضياع السلطان وانه يلزمُهُ مما استغلّهُ منها ثلاثة آلاف الف درهم . وعمل بذلك عملا أحال فيه على ما كان كتبه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام وقت تقلّده فارس وكتب الى الحسن بن اسمعيل وكان شخصَ ليُقرِّر خلافاً كان بين المسمعى والكرخي بان يُصادره على مائة ألف دينار فاستدعى الحسنُ بن اسمعيل أبا طالب زيد بن على وأخذ خطّه بمائة ألف دينار

﴿ ذكر تدبير سيء دبره الخصيبي أخرج به أكثر ﴾
(الماليك عن يده ولم يمكن تلافيه)

دبر الوزير أبو العباس الخصيبي أن يقلد يوسف بن ديوداذ جميع نواحي المشرق ليُسلّم أموالها اليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وآذربيجان مصروفة الى قوّاده وجنده[٢٥١] وغلمانه وكاتبه في المصير الى واسط ليُنفذه الى هجر لمحاربة أبي طاهر الجنّابي وأشار بتكنيته وبان يكون مونس

المظفّر ببغـداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعظُم الهيبة فى قلوب الاعـداء .
فلما قرب ابن أبي الساج من واسط وكان فيها مونس المظفّر رحـل مونس
الى بغداد ودخـل ابن أبي الساج واسط . وأنفذ قبـل وصوله اليها أبا على .
الحسن بن هرون كاتبه وكان يخدمه فى خاصّ أمره على سبيل الخلافة لابي
عبد الله محمد بن خلف النيرماني كاتبه واختصّ به وخف على قلبه فصار الى
بغداد ليواقف الخصيبي على مال رجالهِ وأموال الاعمال التي كانت معقودة
عليه والاموال التي جعل مالها مصروفا الى رجاله زيادة على الاموال المتقدّم
ذكرها . فان الخصيبي جعل أموال الخراج والضياع بنواحي همذان وساوه
ورُوزه وقمّ وماه البصرة وماه الكوفة والايغارين وماسبذان ومهرجانقذق
لابن أبي الساج لمائدته لمحاربة الجنابي . وأمضى المقتدر ذلك وتقدّم بتقليده
أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بسائر كور الجبل وأنفذ اليه اللواء
وكنّاه فكان يوسف يتكنّي (٢٥٢) على جميع الناس الا على الوزير ومونس
المظفر . والتمس الحسن بن هرون أن يجعل لابن أبي الساج مائدة مبلغها فى
الشهر خمسة الف دينار وقال : ليس هو بدون أحمد بن صُعلوك . وكان قد
جعلت له مائدة فى أيام وزارة حامد بن العباس مبلغها ثلاثة آلاف دينار فى
الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار في كل شهرين من شهور المماليك
لارزاقِ غلمانٍ لا يحضرون . وسام الكُتّاب الحسن بن هرون ان يشرط
على نفسهِ أن ينفذ السلطانُ منفقاً يُنفق أموال تلك النواحي فى رجالهِ وغلمانهِ
فاستجاب الى جميع ما طالبوه به وأعطى خطه الا بأمر المنفق فانه زعم ان
صاحبهُ لا يصوّر نفسه عنـد أصحاب الاطراف بصورة من لم يوثق به على
مال رجالهِ . ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل وندب لمحاربة القرمطي عقد

لصاحب خراسان على الريّ فصار الى الريّ وأنفذ اليه من يخاطبه على المال الذى وُقف على حمله من الريّ . وصار ابن أبي الساج الى الريّ وحمل اليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلا بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً (٢٥٣)

﴿ ذكر الخبر عن القبض على الخصيبي وتقليد على بن عيسى الوزارة ﴾

أضاق أبو العباس اضاقةً شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلي ابن عيسى . فأنفذ ضحوة نهار يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة الى الخصيبي حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتّابه وحُملوا الى دار السلطان وحُبسوا عند زيدان القهرمانة . وفرّق بين الخصيبي وبين ابنه وحمل باقى المعتقلين الى دار الوزارة بالمخرّم فاعتقلوا فيها وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبي حتى حفظت داره القديمة من النهب . واستدعى المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى وأوصله الى حضرته وعرّفهُ أنه قد قلّد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وانه قد استخلفهُ له ويقدم اليه بالنيابة عنه واستحضر سَلامةَ الطولونى وتقدّم اليه بالنفوذ فى البرية الى دمشق واستحضار على بن عيسى منها . وانصرف أبو القاسم الكلوذانى من دار السلطان فى الطيار الذى قُبض على الخصيبى الى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الاعمال وكتب الى العمال فى النواحى والى جميع الامراء وأصحاب البُرد والخبر والقضاة بما قلد على بن عيسى من (٢٥٤) الوزارة واستخلاف امير المؤمنين اياه . وأمر ونهى وصرف وولى

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن حنزابة وصارا الى الكلوذانى وسلما عليه

﴿ ذكر خلافة أبي القاسم الكلوذاني لعلي بن عيسى وتمشيته للأمور ﴾

قد كان جمع الخصيبي عنده جميع رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب وكان عنده خط كاتب المسمعي عن مال فارس بما يعجّله عن الزيادة في ضمانه وهو الف الف درهم وخطّ سليمان بن الحسن بما استدركه على ابي عبد الوهاب وهو اربعمائة الف دينار وكسر وما ضمن حملهُ عن اعمال الشام وهو خمسمائة الف دينار وخطوط ضمناء واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذنب الاسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم فحفظ جميع ذلك الكلوذانى الى ان قدم على بن عيسى فسلّمهُ اليه

وأدّى نُصير بن على اليه مائتي الف درهم وأحمد بن اسحاق بن زريق [1] عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيبي نيج بكتُب سليمان ابن الحسن وفي درجها سفاتج (٢٥٥) بثمانين الف دينار وورد ما كان حملَهُ على بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمالى من قُمّ عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبي على ابن رُستم من مال الضمان سفاتج بأربعمائة الف درهم فكان ذلك سبب تمشيته للامور . وأنفق الكلوذانى في سائر المرتزقة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو القاسم الكلوذاني يدبر الامور وقد تمكّنت الهيبة لعلي بن عيسى في الصدور فاستغان بذلك على أمره . وسار على بن عيسى من دمشق الى جسر منبج ثم انحدر في الفرات الى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمسة عشرة فمنهم من ابعد الى الرقة

(١) لعله « أحمد بن محمد » كما تقدم ص ٧١

﴿ودخلت سنه خمس عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر مادبّره على بن عيسى فى وزارته هذه وماجرى فى أيّامه﴾

وصل على بن عيسى الى بغداد وبدأ بدار المقتدر ووصل الى حضرته بعد عشاء الآخرة ومعه مونس فخاطبَهُ أجمل خطاب وانصرف الى منزله ووجّه المقتدر اليه فى ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال انه بقيمة عشرين الف دينار وخلع عليه (٢٥٦) من الغد وسار معه مونس المظفر الى ان بلغ داره وحلف عليه على بن عيسى فنزل فى داره وسار بين يديه هرون ابن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد حتى وصل الى داره بباب البستان

وكان قد ضرّب علىُّ بن عيسى على هشامٍ فتأخر عنه واستوحش فكاتبه وونّسَهُ حتى حضر مجلسه ثم قال له : ما مذهبي ان أذكر اساءة لاحدٍ من الناس ولما خلّصنى الله من صنعاء وعدتُ الى مكة عاهدت الله على ترك الاساءة الى أحدٍ ممن سعى علىّ فى ولايتى ونكبتى ووكّلت جميعهم الى الله ولك خدمة متقدّمة توجب لك حقاً وعليك اضعافه فان كنت لا ترعى ذلك فلن ادع رعايتَهُ

وقلد على بن عيسى الكلوذانى ديوان السواد وقال له : هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلت بخلافتي اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك . ثم نظم الأعمال وقلّد العُمّال ورتّب الدواوين (١) واعتمد على ابراهيم بن أيوب فى إثبات أمر المال بحضرتهِ وفى موافقة صاحب بيت المال على ما يُطلقه وينفقه فى كلّ يوم ومطالبته بالروزنامجات (٢٥٧) فى كل اسبوعٍ ليتُعجّل

(١) وزراء ٣١٤

معرفة ما حلّ وما قبض وما بقى . وكان الرسم اذا عُملت الختمة لم يُرفع الى الديوان للشهر الاوّل الا فى النصف من الثانى .

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حنزابة ديوان المشرق وأبا بكر محمد بن جنّى ديوان المغرب وأبا على ابن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة وأبا محمد الحسين بن أحمد [(١)] المادرائى ديوان الضياع الفراتية وأبا محمد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والاهواز وفارس وكرمان وما يجرى فيه . وقلّد أبا القاسم ابن النفّاط ديوان زمام النفقات والخزائن وأبا جعفر القمّى ديوان الدار وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات وأبا الفتح محمد بن أحمد قلنسوه ديوان زمام الجيش ومحمد بن عيسى ديوان الحرَم وأبا يوسف ديوان الفص والخاتم .

وقلد أيضاً كفاة العمّال واقتصر فى أرزاقهم على عشرة أشهر فى كل سنة وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كل سنة . وحطّ من مال الرجالة برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق مَن كان يرتزق بهذين الرسمين [(٢٥٨)] من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح وحط أولاد المرتزقة الذين فى المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الجلساء والندماء والمغنّين والتجار وأصحاب الشفاعات وحط أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين . ولازم النظر بنفسه فى العمل ليلا ونهاراً والجلوس لاصحاب الدواوين فى الليل وكان يسهر اكثر الليل حتى استقامت الامور وتوازن الدخل والخرج وكان الى أبى عبد الله البريدى فى الوقت الضياع الخاصة ضماناً واقطاع الوزراء وكان أبو يوسف البريدى يتولى لعلى بن عيسى الخراج

(١) هو «ابن كردى» صلة عريب ١٤٥ وقال صاحب التكملة أنه مات فى سنة ٣٣٨

برامهرمز سهلها وجبلها

﴿ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن على بن عيسى ﴾
﴿ وبين أبي العباس أحمد بن عبيد الله من المُناظرة ﴾

تقدّم المقتدر الى أبي الحسن على بن عيسى بمُناظرة أبي العباس الخصيبي فأخرج اليه وناظره في دار السلطان بحضرة الاستاذين والقوّاد والقضاة مُناظرةً جميلةً وسأله عن مبلغ ما صحّ له من الخراج والضياع وسائر النواحي فلم يعرفه وسأله عن مبلغ ما أُنفق بالحضرة من بيت المال فلم يحفظه وسألهُ عمّا صحّ له من مال المصادرين وعن رقاعهم [٢٥٩] بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ماضمنه عنهم فقال : امّا المصادرات فقد صحّ لى منها في مدّة أربعة عشر شهراً تولّيتُ فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار . فقال له : كم منها من جهة الخاقاني فان أمير المؤمنين عرّفني انك ضمنتهم بخمسمائة ألف دينار . فقال : دفع عنه مونس المظفّر . فردت الجماعةُ قولَهُ وقالوا له : قد سُلم اليك حتى شُنّع عليك بانك سممتَهُ ثم أطلقتَهُ . ثم قال له على بن عيسى : لأيّ شيء استحضرتَ يوسف بن أبي الساج الى واسط وسلّمتَ اليه أعمال المشرق بأسرها سوى أصبهان وكيف وقع لك انه يجوز ان يخرُج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه في طريق البرّ يقصدون طريق السواحل في بلدان حوالى هجر . قال : كان عندى ان هذا صوابٌ . فقال له : فحيث قلتَ ذلك لِمَ لمْ تقتصر على ان يعرض رجالَهُ وغلمانَهُ ويُجرى مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المُظفّر فانه يُسبَّب له مالٌ ويُطلَق على أيدى مُنفقين من قبل السلطان ويُرفَع الحساب بذلك الى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوانٍ منها دون جميعها ولا يُزاد أحدٌ

(٢٦٠) ولا يُنقل عنه من رسم الى رسم الا على استقبال معروف ثم يُوفر المُعطون كل شهر من التوفيرات بسبب الغُرم ولاجل سُقوط من يسقط جُملة من المال ولِمَ لم تترك الاعمال فى أيدى عُمّال السلطان ويُسبّب له عليهم مال رجاله كما يُسبّب مال رجال أبى الحسن مونس المُظفّر؟ قال: لم أفعل هذا لانه تكلّف من هذا الامر عظيماً احتيج معه الى فضل مُسامحة.

فقال له: فلاىّ سببٍ ضمنتَ ابراهيم بن عبد الله المسمّى أعمال فارس وكرمان؟ فقال: لاجل زيادة بذلها. فقال له: أما علمتَ ان حفظ الاصول أولى من طلب الارباح؟ وهبْك رغبتَ فى الزيادة لِمَ لم تستدعه الى الحضرة فاذا وردَها واردتَ تضمينه أقام بها واستعمل على العمل خُلفاءهُ وأقام لك الضُمناء الثقات بالمال ومضى بعد ذلك. فقال: انما رغب فى الضمان ليعملهُ بنفسه. فقال على بن عيسى: أرجو ان يسلّم الله. ثم قال: لِمَ قبضتَ جارى ابنك محمد الفى دينار فى كل شهر وهو لا يقرأ كتاباً ولا يحضر ديواناً ولا يحسن ان يعمل شيئا؟ قال: سألتُ أمير المؤمنين له رزقَ المُحسن وعبد الوهّاب بن الخاقانى (٢٦١) فأجابنى اليه. قال: المحسن رُبّي فى الدواوين ودبّر الامور وكان مع شرّه واستحلاله وقبح ديانته كاتباً وابن الخاقانى كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فَهِمٌ وابنك لا يجرى مجرى واحد منهُما فاكتبْ خطك انك تردّ ما قبضتَهُ.

فقال: كيف أردُّ مالاً قبضه ابنى وأنفقَهُ؟ فقال له: على أى شىءٍ أنفقَهُ؟ قال: على ماينفق مثله الاحداث.

ثم سأله عن أموال المصادرين وما صحّ من جهتهم فقال: لا أحفظهُ الاّ انه ثابتٌ فى ديوان المصادرين. قال: فمنهُ أسألك. قال: هو عند هشام

وان سئل عنه خبّر به فان رقاع المصادرين والكفالات والاعمال فى يده .
فقال له : ما سبقك أحدٌ الى تسليم خطوط المصادرين الى صاحب ديوان المصادرات لان سبيل الخطوط ان تكون فى خزائن الوزراء محفوظة يتسلمها وزيرٌ بعد وزير فان كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي ان تأخذ الخطوط على نسختين نسخة للديوان ونسخة تكون عندك . فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضمناء هل كان على السلطان مضرّة (٢٦٢) فى هذا المال أعظم منك ؟ واذا كان هذا تدبيرك فيما لم تكن تحسن سواهُ فاىّ شيء دبّرت غيره من أعمال الدواوين ؟ فامّا أن تكون خُنتَ الامانة وإما ان لم تُحسن ضبط شيء من الاعمال . وكلّ ذلك يُخاطبه به عن غير إسماع مكروهٍ ولا صياح

ثم قال : غررت الملكة فضرب النساء والحُرم بالمقارع وهتكتَ الستور بما فعلتَ من تسليمهنّ الى الرجال فلايّة حالٍ سلّمتَ بنت جعفر بن الفرات الى أفلح وهو رجلٌ شابٌ جميل الوجه يتصنّعُ حتى تزوج بها فى حبسك ولايّة حال ضربتَ دولةَ وابنها بحضرتك ثم لم ترض بذلك حتى اعتقلتَ الجماعةَ فى يد غلمانك وحجّابك عدّة شهور ؟ ثم قال : ارتزقتَ لنفسك خمسة الاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين الف دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذتَ من اقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ما ثبت فى الختمات الموجودة لجهبذك في ديوانك مائة وثمانين الف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين الف دينار . ثم أخرج عملاً بخط على بن محمد بن روح بهذا المبلغ وبأنه انفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبة التي وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين الف دينار (٢٦٣) وفى النفقات

الحادثة والصلات والمؤونة مع ثمن الطيب والكسوة عشرين الف دينار وفى ثمن عقارات أضافها الى داره مع ما أنفقهُ على البناء أربعين الف دينار وفي ثمن الهدايا فى النوروز والمهرجان الى الخليفة والى الأميرين أبى العباس وهرون ابنيه والى السيدة والخالة وزيدان ومفلح خمسة وثلاثين الف دينار وفي ثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان عشرة الاف دينار وفيما يحتاج الى إنفاقه وصرفه الى من برسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوابين وأصحاب الرسائل وانزال الفرسان والرجالة عشرين الف دينار

فقال في الجواب : هذا عملٌ صحيحٌ وليس كلّ ما أنفقتهُ كتبتهُ فقد كنتُ أصوغ لحُرمى وأولادى وانفق نفقات أسترها عن كاتبي وما سرقتُ ولا خُنتُ . فقال له على بن عيسى : ما يقول أحد انك سرقتَ أو خُنتَ ولكنك أضعتَ وأسأتَ التدبير ودخلتَ فيما لا تحسنه ولو أخذتَ أضعاف ما أخرجناه عليك لمّا ناظرك أمير المؤمنين فيه لاسيّما وهو منسوبٌ الى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة لك وكيف نُناظرك فى ذلك وما نعيش (٢٦٤) ولا أحدٌ من كتّاب أمير المؤمنين الا فى نعمته وإحسانه ؟ ولنا ضياعٌ استفدناها فى خدمته وخدمة اسلافه رضى الله عنهم

ولم يزل يرفق به الى أن أخذ خطّه باربعين الف دينار يؤدّيها فى مدّة أربعين يوماً بعد أن حلف أنه لا يتجهُ له حيلة فى غيرها وسلم على بن عيسى رُقعته بها الى مفلح وقال له : تعرضها على أمير المؤمنين وتقول : ان هذا وان كان قد غرّ من نفسه وأضاع وأهملَ فقد تحرم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بأيمان بيعته على أنه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنبٌ وانما الذنب لمن غرك منه ولم ينصحك فى أمره . ثم كتب رُقعة الى المقتدر بقبول ما بذله

الخصيبي وبحمله الى ثمل القهرمانة الى أن يؤدّي ما فُورِقَ عليه

﴿ ذكر ما دبّره علي بن عيسى من الأمور في وزارته هذه ﴾

لما نظر علي بن عيسى في الأمور وجد أهمّ ما يحتاج اليه أمر الرجّالة المصافية وكان مبلغ مالهم في أيّامه ثمانين الف دينار ومال رجال مونس المظفر وهو ستمائة ألف دينار في كلّ سنة سوى مال الرجّالة معه ومال الحجريّة برسمه فانه يطلق (٢٦٥) مع أرزاق نظرائهم. وكان يُسبَّب مالُ رجال مونس على نواح اختارها مونس فاذا ازاح العلّة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجّاب والحشم والمتطبّبين والفرسان برسم التفاريق والمنجّمين والفرّاشين والطباخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم. فخرج علي بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب في طياره فوثب به الخدم والحشم بألسنتهم وثوباً قبيحاً.

وورد الخبر على عليّ بن عيسى بأن ابراهيم بن المِسْمَعي [1] اعتلّ علّةً حادّةً وتوفّي بالنوبَنْدَجان فأشار علي بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبي طاهر محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان فخلع عليهما وعقد لهما لواآن. وكتب علي بن عيسى الى القاسم بن دينار بالمبادرة الى فارس وقلّده أعمال الخراج والضياع بها وقلّد ما كان اليه من أعمال الاهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ وابن السلاسل [2]

---

(١) وأما ابراهيم وولده عبد الله بن ابراهيم الذى توفى سنة ٣٠٥ ليراجع صلة عريب ص ٦٩ (٢) قيل في كتاب الوزراء ٣٤٦ ان العامل بادوريا من قبل علي بن عيسى هو ابن أبي السلاسل وفي تاريخ ميافارقين لاحمد بن يوسف بن علي الفارقي ان والي ميافارقين من قبل المقتدر هو ابن أبي سلاسل

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : لما بلغ أبا عبد الله البريدي ما تقلّده هؤلاء من أعمال الاهواز وما حولها قال : يقلّد هؤلاء هذه الاعمال ويقتصر بأخي أبي يوسف على سُرّق وبي على ضمان الضياع (٢٦٦) الخاصّة ! خذ يا أبا هشام هذا الكتاب (يعني الكتاب الوارد عليه بما قلّد) واعطه ابنك حتى يمثّل عليه ويتعلّم منه الخط فان لطيلي صوتاً سوف تسمعهُ بعد أيّام . وكان أبو عبد الله البريدي أنفذ أخاه أبا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الاهواز اذا تجددت وزارة لمن يرتفق : فان علي بن عيسى يعفّ ولا يرتفق

فلما تمت الوزارة لأبي علي ابن مقلة صار أبو الحسين الى أبي أيّوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلّد أخوه أبو عبد الله البريدي أعمال الاهواز سوى السُوس وجند يسابور وقُلد أبو الحسين الفراتيّة وأبو يوسف الخاصة والاسافل على أن يكون المال في ذمته الى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال وكتب أبو علي ابن مقلة في القبض على أبي السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه الى تستر حتى حصلهُ وأسبابه . ووجد له في صناديقه وعند جهبذه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يصك بما كان عند الجهبذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفي دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار (٢٦٧) ومن حاجبه ألفي دينار . وكان أبو عبد الله البريدي احد دجالي الدنيا وشياطينها (١) ثم كثّر على أبي علي ابن مقلة بأنه أهلّهُ لما لا يستحقه فصرفهُ بابي محمد الحسين بن احمد المادرائي وقلدّه اشرافا وقلد الاصل جماعة من العمال فما أحلى أبو محمد ولا أمرّ وكان كاتبه علي بن يوسف وخليفته

(١) ليراجع صفة البريديين فى صلة عريب ص ١٣٨

صحبته من الحضرة فبان من تجلفه وسقوطه ماصار به نكالا وحديثاً

وحسبك ان أبا عبد الله البريدى أخذ عليه الطرقات فكان كل ما كتب به يؤخذ من رسله فما قرئ له كتاب منذ دخل الاهواز الى أن صرف عنها . ثم صرفه بعد ذلك أبو على بابى عبد الله البريدى وقال : اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كل من يصلح للكتابة ينفذ فى العمالة

وعدنا الى تمام حديث على بن عيسى وما دبره به المملكة . ولما أخرج اليه الارتفاعاتُ كان فيها مبلغ ارتفاع لضياع أقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبة مائة وسبعين ألف دينار فكتب الى المقتدر بأنه غنى عن هذا الاقطاع وانه قد وفر ماله فان أمر ضيعته قد صلح وكذلك(٢٦٨) وقفه باعادته اياه الى خدمته وانه يُوفر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفى دينار أجريت لابن الخصيبي سبعة آلاف دينار في كل شهر . وكتب اليه المقتدر بالشكر وانه لابد من أن يقبض الرزق على الرسم فخاف على بن عيسى انه لايقبض رزقا لهذه الخدمة لان مذهبه ترك التنعم(١)

وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالثريّا وذبحوا الوحش الذى فى الحاير وذبحوا البقر التى لاهل القرى التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا الى منازلهم

وفيها خلع على مونس للخروج الى الثغر لان ملك الروم دخل سميشاط وضرب فى مسجد الجامع بالنواقيس وصلى فيه الروم صلواتهم

﴿ وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

(١) راجع صلة عريب ١٣٢ - ١٣١

كان السبب فى ذلك ان خادماً من خدم المقتدر بالله حكى لمونس ان المقتدر
تقدم الى خواص خدمه بحفر زُبية فى الدار المعروفة بدار الشجر من دار
(٢٦٩) السلطان حتى اذا حصل مونس فيها عند الوداع اذا أراد الخروج الى
الثغر حجب الناس وأدخل مونس وحده الى ذلك الصحن فاذا اجتاز على
تلك الزبية وهي مغطاة وقع فيها ونزل اليه الخدم وخنقوه ويظهر انه وقع فى
سرداب فمات. فامتنع مونس من دار السلطان وركب اليه جميع القواد
والغلمان والحاشية وعبد الله بن حمدان واخوته وأكثر العرب وخلت دار
السلطان من الجند. وقال عبد الله بن حمدان: نقاتل بين يديك أيها الاستاذ
الى أن تنبت لك لحية. فوجه اليه المقتدر بنسيم الشرابى ومعه رقعة بخطه
اليه يحلف له فيها على بطلان مابلغه فصرف مونس جميع من اجتمع اليه من
الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب فى مثل ذلك وانه لاذنب له فى حضور
من حضر عنده لانه لم يستدعهم. وامتنع ابن حمدان من الانصراف وحلف
انه لا يبرح من دار مونس ليلا ونهاراً الى ان يركب معه الى دار السلطان
ويطمئن الى سلامته ولازم مونساً أياما كثيرة. وانضاف الى ذلك ان
اسحاق بن اسمعيل كان يسبب عليه مال مونس (٢٧٠) ومال رجاله فتلح
فيها. وكان على بن عيسى متنكرا له لاشياء بلغته عنه فى غيبته فشغب
الفرسان لتأخر أموالهم فجد على بن عيسى باسحاق بن اسمعيل واعتقله
وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل احمد بن يحي الجلخت
كاتبه وعدة من أصحابه حتى استوفى ذلك ثم صرفه عن أعماله

وجدّ بعمال السواد حتى صح له فى مدة ثلاثة أيام ما أنفقه فى أصحاب
مونس. وكتب المقتدر الى جماعة من وجوه القواد بانه قد صفح عما كان

منهم فى نهب الثريا وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضم جماعة منهم ممن اتهم بذلك الي مونس المظفر لينحدر معهم الى حضرته فانحدر معهم ووصل الى المقتدر بالله وقبل الارض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودّعه مونس

وقرأ عليه على بن عيسى كتابا ورد عليه من وصيف البكتمرى بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من فى عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة . وخرج مونس من داره الى مضربه بباب الشماسية وشيّعه الامير أبو العباس والوزير على بن عيسى ونصر الحاجب وهرون ابن غريب [٢٧١]

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللغثيط الى الوزير على بن عيسى يلتمس فيه الهدنة

﴿ ظهور الديلم ﴾

وفى هذه السنة ظهر الديلم [١] وكان أول من غلب على الرىّ منهم بعد خروج ابن أبي الساج منها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكى ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لانه كتب اليه واستدعاه فمضى اليه وغلب على الرىّ اسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار احد قواده . وكان اسفار بن شيرويه لما غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلا وعسفهم عسفاً شديداً وخبطهم وأحل بهم من تسليط الديلم على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلا عن غيره ورقت القلوب منه وضاقت النفوس وبلغت الحناجر ويئس الناس من الحياة وتمنّوا

(١) راجع صلة عريب ص ١٣٧

الموت فخرج الرجال والنساء والاطفال الى المصلّى مستغيثين الى الله تعالى وراغبين اليه فى كشف ضرّهم فمضى لهم يومٌ على ذلك

وانهى الخبر الى أسفار فتهاون بالدُعاء فلما كان فى اليوم الثانى خرج عليه مرداويج فواقعهُ وهزمهُ (٢٧٢) فمرّ على وجههِ فتبعه يومه أجمع فلم يظفر به ولحقت أسفار مجاعة في اليوم الثانى فأوى الى رحى طحّان فى قرية وسأله أن يُطعمهُ فأخرج اليه خبزاً ولبناً وكان يأ كل وأطلّ مرداويج على الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هُناكَ فوقف يتأمَّل فرأى ا كّاراً فتشبَّث به وسأله عن أسفار فانكر وأرهبهُ فقال له : ما اعرفهُ ولكني رأيتُ فارساً قد دخل الى هذه الرَحَى وكبس مرداويج الموضع فوجده يأ كل خبزاً فاحتزّ رأسهُ وعاد الى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وازال تلك المُطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب دعاءهم

ثم أن مرداويج ذهب فتغلب على الريّ واصبهان واساء السيرة باصبهان خاصّة وتبسّط فى أخذ الاموال وانتهاك الحُرم وطغى وجلس على سرير ذهب دونه سرير فضة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جندهُ يوم السلام عليه صفُوفاً بالبُعدِ منه . وسام مرداويج رجاله الخسف وكانوا يرهبونه رهبة عظيمة وكان يقول : انا سليمان بن داود وهؤُلاء الشياطين . وكان يبغضُ من الاتراك (٢٧٣) غضاً شديداً فساءت نيّاتهم له فطلبوا كيداً يكيدونه به وتمكّنت له فى نُفوس الخاصّ والعامّ البغضاءُ وضجروا منه وضعفت نفوس أهل مملكته فى أيّامه (قال) وركب يوماً فى موكب عظيم وخرج الى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحدٌ على القرب منه فكان العالَمُ يتعجبون منه ومن تمرّدهِ وطغيانهِ اذ اشتقّ

العسكرَ رجلٌ شيخٌ لا يُعرَف على دابة فقال : زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفنونه قبل تصرُّم النهار ويأخذه الله اليه. فلحقت الجماعة دهشة وتبلدوا * قال أبو مخلد عبد الله بن يحيى : وكنتُ فى الموكب فنظر بعض الناس الى بعض ولم ينطق أحدٌ منهم بحرف ومرّ الشيخ كالريح ثم قال الناس : لِمَ لا نتبعه ونستعيدهُ الحديث ونسئلهُ من أين علِمَ أو نأخذه ونمضى به الى مرداويج لئلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه . فركضوا يميناً وشمالاً الى كلّ طريق وسبيل فى طلبه فلم يُوجَد وكأنّ الارض ابتلعته

ثم عاد مرداويج ولم يلوِ على أحدٍ ودخل داره ونزع ثيابه ثم دخل الحمّام وأطال . وكان كورتكين قريباً منه وخصيصهُ يحرسهُ ويراعيه فى خلواته وحمّامه فأمره ان لا يتبعه وتأخر عنه مُغضباً . فتمكّن منه الاتراك[٢٧٤] وهجموا عليه فى الحمّام فقتلوه بعد ان مانع عن نفسه وقاتل بكرنيب فضّة كان فى يده فشقّ بعض الاتراك بطنَهُ فلما خرجت حشوتهُ ظنّ انه قد قتله فلمّا خرج الى أصحابه قالوا له : اين رأسهُ ؟ فعرّفهم انه قد شق بطنه فلم يرضوا بذلك وعاودوه لحزّ رأسه . فوجدوهُ قد قام على سريرين فى الحمام وردّ حشوةَ بطنه وأمسكها بيده وكسر جامة الحمام وعاونه قيّم الحمام وهمّ بالخروج من ذلك الموضع الى سطح الحمّام فلما رأوه كذلك حزّوا رأسهُ . فظهر أمرهُ بين الظهر والعصر بخروج الاتراك الذين كانوا معه الى رُفقائهم وإخبارهم ايّاهم بخبره وركوبهم الى الاصطبلات للنهب

﴿ وفيها ارتفع ذكر أبى جعفر بن شيرزاد وعنى به على بن عيسى ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان ابن شيرزاد كان يكتب لهرون بن غريب

وينظر فى جميع أموره فاطمع هرون فيه وقُرِّف بجنايات عظيمة فقبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٣١٥ وسلّمه الى خادمه (٢٧٥) مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعهُ من الدواة . فتأخّرت رُقعته من أخيه أبى الحسن زكريا وكان يكتب للخالة على ديوان ضياعها فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك الى السيّدة فوجّهت السيّدة بخادم لها الى هرون حتى انتزعهُ من يده وحمله الى دار السلطان وتقدّمت بإطلاقه . وخاطب هرون بن غريب على بن عيسى فى أمر ابن شيرزاد وقال له : قد كان اقترض منى للخاقانى أموالا كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المؤمَّل كاتبى بمال عظيم وأنا أرضى بنظر ثقةٍ من ثقات الوزير فى العمل . فتقدّم الوزير على بن عيسى الى أبى يوسف كاتب السيّدة بالمصير الى دار هرون وحضر المؤمّل وكُتّابه فنظروا فى العمل .

فكان أوّل باب فيه انه وُجد فى دفترٍ من دفاتر ديوانه ثبت ما قبض من التسبيبات التى سبّبها الخاقانى لابن شيرزاد من مال القُروض التى اقترضها من مال هرون بن غريب وقد حكى فيه انه قبض خمسة عشر ألف دينار وانه لم يجد هذا المال فى ختمات الجهبذ الثابتة فى الديوان . وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبى الميمون فقال (٢٧٦) ابن أبى الميمون : قد صحّ فى ختمة الجهبذ ومع صاحبى خطّ الامير بقبضه ايّاه لانه حمله الى حضرته وصرفه فى ثمن دار المُحسِّن التى أُبتيعت من وكيل الخليفة فى وزارة أبى القاسم الخاقانى . فأُخرجت الختمة بعينها فوُجد ذلك فيها . ووجد مُحرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنّه تفصيل المال المتقدم وكان سبيلهُ ان يكون مُخرَجاً بارزاً عن التفصيل الاوّل . فوجد أبو يوسف

ومحمد بن جنّي الامر على ماقال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هرون بن غريب بصحّة هذا المال منسوباً الى تلك الجهة وانه اُدّى فى بيت المال لِثمن الدار واُحضر قبضُ صاحب بيت المال به

ثم نظر فى الباب الثانى ان المُطلق لِلفرسان فى عسكر هرون من مالهم فيه الرُبعُ دراهمُ تساوى ستّة عشر درهماً بدينار وانه لم يضع الصرف من مال الرجال وانه يلزمهُ منه فى مدّة ولايته كتابة هرون نيفٌ وعشرون ألف دينار . فأخرجوا الختمات فوجدوا الجهبذ قد احتسب بما صرفهُ فى اعطيات الرجال ورقاً من غير أن يُوضَع منه شيء لِفضل الصرف فاحتجّ كاتب ابن شيرزاد بان فضل [٢٧٧] الصرف فى ختمةٍ تورَد فى أصول الأموال فى آخر بابٍ من أبواب الأصول وهو ما يتوفر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هرون بن غريب فأخرج ذلك من الختمات

فلما بطل هذان البابان وهما معظم ما كان فى العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جني وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هرون فقال : قد هتكني كاتِبي هذا الجاهِل الناقِص قبّحهُ الله وقد جنيتُ على نفسى بصرفك ولكن ان تصرّفتَ لِاحدٍ فعلتُ وصنعتُ... وتهدّدهُ فذهب ابنُ شيرزاد وشرح لعلى بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لِعناية على بن عيسى به واشتهر حديثهُ وفاض فى الكتّاب

وفيها ورد الخبر وكتابُ الفارقي من البصرة بانه قد اجتاز بباب البصرة مما يلى البرية جيش لِلقرمطي كثير العدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر الى مونس المُظفّر يأمرهُ بالرجوع الى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعدصلوة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشهِ الى الثغر

وخرج ياقوت الى مضربه بالزعفرانية متوجهاً الى عمله بفارس

وفى هذه السنة قبض يوسف بن أبي الساج على كاتبه[(٢٧٨)] أبي عبدالله محمد بن خلف النيرماني وقلد مكانه أبا على الحسن بن هرون وقيد محمد بن خلف بقيود ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والغلمان ما قيمته مائة الف دينار وأخذ خطه بخمسمائة ألف دينار مُصادرة عن نفسه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما استعمله بواسط من السرف فى التكبر والتجبر والتوسع فى النفقات حتى أنه جعل فى داره بواسط فى شراب العامة ثلاثين غلاماً وفى شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره الى دار صاحبه يوسف ويركب اليه جميع قوّاد ابن أبي الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء فى أيام المواكب .وكان قبل ذلك فى مسير ابن أبي الساج من الريّ الى واسط قد لبس القباء والسيف والمنطقة الا أنه لم يكن يركب الى دار صاحبه بسواد فرقاً بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبي الساج على ذلك . ثم أطمع نفسه أيام مقامه بواسط في الوزارة للسلطان وتبين[(٢٧٩)] عداوة نصر الحاجب لابن أبي الساج فكاتبه ووجه اليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان على بن عيسى وضمن أن يستخرج من على بن عيسى وأخيه وسليمان بن الحسن وأبي زنبور المادرائي والكلوذاني وأسبابهم ألف ألف دينار.[(١)] ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء

وسعى بصاحبه وقال انه كان يستر عنه مذهبهُ فى الدين وأنه لما سار

(١) قال للمقتدر انه قد بذل تحصيل هذا المبلغ من مال النواحى : وزراء ص ٣١٥

الى واسط أنس به وانبسط اليه فكشف له أنه يتديّن بان لا طاعه عليه للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وان الامام المنتظر هو العلوي الذى بالقيروان وان أبا طاهر الهجرى صاحبُ ذلك الامام وانه قد صح عنده انه يتديّن بدين القرامطة وأنه انما صير العلوى متحققاً به وبجميع أسرارهِ بهذا السبب وأنه ليس له نية بالخروج الى هجر وانه انما يحتال بالوعد بالخروج الى هجر حتى يتمّ له أخذ الاموال وانه قال له فى شهر ربيع الآخر: أى شىء بقى لنا على الخليفه ووزيره من الحجة ولِمَ ليس تخرج الى هجر ولا أراك تستعدّ لذلك. فقال له فى الجواب: لِمَ لا تكون لك معرفةٌ[٢٨٠] بالامور من فى نيّته الخروج الى هجر؟ وانه قال له: فلِمَ غررت السلطان من نفسك ووعدتَهُ بهذه الحال حتى سلّم اليك جميع أعمال المشرق؟ فأجابه بأنه يرى انتقاض الخليفة وسائر ولد العباس الغاصبين أهلَ الحقّ فرضاً لله عز وجل عليه وان طاعة طاغية الروم أصلح من طاعة الخليفة وأنه قال: فهبك فعلت ذلك ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافى الى واسط والى الكوفة فلا تجد بدّاً من لقائه ومحاربته؟ فقال فى الجواب: ويحك كيف أحارب رجلا هو صاحب الامام وعدّة من عدده! فقال له: فان أراد هو حربك أىّ شىء تعمل؟ فقال له: ليس لهذا أصلٌ وقد ورد عليه كتاب الامام من القيروان بأن لا يطأ بلداً أكون فيه ولا يحاربنى بوجه ولا سبب. وأنه ختم القول بأن قال: انى انما انتظر أن يقبض رجالى باسرهم أموال سنة ٣١٤ فاذا قووا بذلك منعت أولاً من أعمال واسط والكوفة وسقى الفرات وانفذت اليها العمال فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فاكاشفه واخطب للامام واظهر[٢٨١] الدعوة وأسير الى بغداد فان من بها من الجند قوم يجرون مجرى النساء قد

القوا الدور على دجلة والشراب والثلج والخيش والمغنيات فآخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع الهجرى يفوز بالاسم وأكون أنا سائق الدولة الى الامام فان أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصل وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لما ارتفع النصف ممّن معى وما هو الا أن أظهر الدعوة حتى قد اجتمع مائة الف ضارب سيف. ويقول محمد بن خلف : قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الامر فان ولانى الوزارة انقمع ابن أبى الساج وبطل عليه تدبيره وأخيب حينئذ رجاله وغلمانه فاما أسروه واما هرب طائراً على وجهه الى آذربيجان فانى اذا توليت الوزارة جددت به فى المطالبة بالخروج الى هجر فان كاشف دبّرت عليه

فانهى نصر الحاجب كله الى المقتدر وعرّفه ان محمد بن خلف قد كتب اليه يحلف له على انه ما حملَهُ على هذا الفعل الاّ الغضب للدين أولاً ثم الانفة من ان يتمّ لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصّة والعامّة ما دبّرهُ . وكان الحسن بن هرون يخلف محمد بن خلف (٢٨٢) ويقف دائماً بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبى الساج فلما رأى اختصاصهُ بابن أبى الساج تنكّر له وعمل على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لابى بكر ابن المُنتاب وكان قد اختصّ به وغلب عليه . فاتفق ان شرب ابن المُنتاب مع جماعةٍ من اخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن على الجرجرائى عامل الصلح والمبارك[1] فسأله عبدالله بن على ان يشكر له أباعلى الحسن بن هرون لما يوليه من الجميل وقال له : تعرضُ لى رُقعةً على سيّدنا أبى عبد الله محمد بن خلف اسئله فيها ان يُعرّفه شكرى ويأمره بالزيادة فيما شكرتُهُ عليه . فقال له

(١) ليراجع كتاب كتب اليه الوزير على بن عيسى فى سياسة الرعية: وزراء ص٣٣٩ — ٣٣٧

ابن المُنتاب : اتّقِ الله في نفسك ولا تفعل فان أبا عبد الله على غاية التنكّر للحسن بن هرون وان يومد ان يقبض عليه ويبلغه فحفظ ذلك عبدالله بن على وتقرب به الى الحسن بن هارون. ووقعت بين محمد بن خلف وبين عبد الله بن على مُماحكة فيما سُبِّب عليه لقوم يعتنى بهم محمد بن خلف فشتمهُ محمد بن خلف وهدّدهُ وأمر بإخراجهِ من مجلسهِ على أقبح صورةٍ . فاجتمع عبد الله بن على والحسن بن هرون على التدبير على محمد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الاخبار الى ان وقفا [٢٨٣] على ما عملَهُ فى السعى فى تقلّد الوزارة للمقتدر وسمايته بصاحبِهِ فاطلع عبد الله بن على ابن أبي الساج على ذلك وتقرّب اليه . فنصب يوسف بن أبي الساج أصحابَ اخبارٍ على محمد بن خلف الى ان وقف على ان خادماً له يثقُ به قد أنفذه دفعاتٍ الى بغداد وأظهر انه انما ينفذه لابتياعِ كسوةٍ وفرشٍ ودواب وغلمان له وانه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب فى التدبير على ابن أبي الساج . فتقدّم ابن أبي الساج الى عبد الله بن علي فى أخذ الطُرُق على هذا الخادم والى الحسن بن هرون بمراعاة الوقت الذى ينفذ فيه الخادمَ فلما نُفذ من واسط عرّفهُ الحسنُ ذلك فوجّه بثقاته وأمرهم ان يرصدوا الخادمَ فى الطريق فاذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلّموه الى صاحب عبد الله بن على بجرجرايا وتقدّم الى عبد الله ابن على بان يوجّه بمن ينتظره بجرجرايا. وانفذت الكُتُب التى معه الى ابن أبي الساج فوجدها بخطّ كاتبِ نصرٍ جوابات عن كُتُب محمد بن خلف اليه تدلّ على اشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعي على دم ابن أبي الساج وحالهِ وإطماع فى مالهِ وحالهِ [٢٨٤] وتحذير من تأخّر القبض علي عليّ بن عيسى . فبادر ابن أبي الساج فى إنفاذ الحسن بن هرون الى الحضرة

بكتب ورسائل الى علي بن عيسى على رسمه ووجه بتلك الكُتُب بعينها وقال له : تقول للوزير عني : قد سعي هذا الرجل على دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد ان أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندى سعيه عليك . فلما وقف علي بن عيسى على جميع كُتُبِهِ ورسائلهِ تعجّب وقال له : تقول لاخى أبي القاسم : ان كنتَ تريد ان تفعل ذلك لِتُريح نفسك من هذا الرجل الخائن المُستحلّ فالله يوفقك ويُحسِن معونتك وان كنتَ تفعل هذا بسببي فوالله ما أشكُر أحداً كما أشكُر من يسعى فى صرفى عن الوزارة فالحبس والنفي اسهَل ممّا اقاسيه منها .

وزوّر عبد الله بن علي عن الخادم كُتُباً على انها من بغداد الى محمد ابن خلف بانه «قد أحكم أكثر ما تحتاج اليه وانه سريع العود الى واسط» فسكنت نفس محمد بن خلف الى ذلك . وصار عبد الله بن على الى محمد بن خلف وترضّاهُ وبذل له ان يحمل اليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول مافى نفسه عليه فظنّ محمد بن خلف ان ذلك صحيحٌ ودعا عبد الله بن علي وواكلهُ وشاربَهُ . (٢٨٥)

ولم يلبث الحسن بن هرون ان عاد من بغداد فبدأ بدار محمد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمد بن خلف : يا عاضّ قد بلغنى انك شنّعتَ عليّ عند علي بن عيسى وذكرتَ له انى أطلب الوزارة مكانَهُ وانك مع ذلك قد ضربتَ عليّ حاشية الامير وغلمانَهُ ووالله يا كاب لأضربنك خمسمائة سوط ولآخذنّ منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرَتْك . والحسن بن هرون لايزيد على ان يقول له : الله بيني وبين من أغرى مولاى ومَنْ أنا عبده وغرسهُ . ومحمد بن خلف يشتمهُ الى ان قال له : لقيتَ الاميرَ . فقال الحسن

ابن هرون : ما لقيتُه بعد . فقال له : فامض الى لعنة الله فالقَهُ وعُد اليّ .
فمضى الى ابن أبي الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن خلف عليه وما خاطبَهُ به لما لقيهُ بعد قدومه من بغداد .
فقال ابن أبي الساج لخازنه الذي يتسلّمُ من محمد بن خلف : الاموال المحمولة اليه التي ينفقها في رجاله وغلمانه ونفقاته : قد كنتَ أحضرتني مُنذ مدّة مالاً نصفه غلّة ودراهم بهرجة وخُراسانية وذكرت ان ابن خلف حملهُ اليك لتنفقهُ في الاولياء[٢٨٦] وغيره وذكرتَ ان الامر مُسرفٌ في فضل الصرف وانه كثير فعرّفني الآن الحال فيما يحملهُ اليك . فقال : الذي يحمله الآن شرٌّ من كلّ ما تقدّم وقد أخرجتُ من مائة الف درهم حملها اليوم الف وخمسمائة درهم جديد والفي درهم صحاح لا سيئة واثنين وأربعين الف درهم غلّة رديئة .
وعظم عليه الامر في فضل الصرف في ذلك فقال له : فاذا حضر محمد بن خلف العشيّة فادخل اليّ واحمل المال كهيئته وعرّفني ان جميع غلماني ورجالي قد فسدت نيّاتهم بهذا السبب . ففعل الخازن ذلك فقال ابن أبي الساج : يا أبا عبد الله أنت تعلم ان هذا المال لا يجوز لاحد ان يقبض مثلهُ واذا فوّتّ رجالي شهراً وأعطيتهم مالاً جيداً أو مُقارباً للجودة كان أصلح من هذا .
فغضب محمد بن خلف وقال له : ما جرّأ هذا الكلب على خطابي بحضرتك في هذا الباب الاّ لانه قد وقف على فساد رأيك فيّ وانما أفسدك عليّ من قدّر ان يتولّى كتابتك وهو هذا العلج الحسن بن هرون وأهوّن به وبهذا الخازن وبجميع غلمانك ورجالك عليّ وأنا عقدتُ لك هذه الحال وهذا الامر[٢٨٧] والآن فوالله لا نظرتُ في شيء من أمرك فاعمل ما شئت .
ونفض يده في وجهه وخرج من مجلسه فجعل ابن أبي الساج يحلف عليه

ان يعود فلا يفعل ويحلف انه لا يرجع . فلما طال ذلك بينهما وبلغ ان يعطف الى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه : ضعوا أيديكم فى قفا الكلب اللأحد الخنزير فاسمعوني صوتهُ بالصفع . فصُفع نحو من مائة صفعة وأخذ سيفهُ ومنطقتهُ . واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن على وأحضر للوقت فوجّه به الى دار محمد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه . وكان عبد الله بن على مشهورا بالعفاف والثقة وتقدم الى الحسن بن هرون بان يتقلّد كتابته مكانه واستحلفه ان يدخل الى الحجرة التي اعتُقل فيها ويقيّده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص بايياف[1] ففعل به الحسن بن هرون ذلك فقال له : يا محمد بن خلف اخبرنى أغرّك انى أقول لك « يا مولاى » انما كنتُ أسخر منك أيّنا كان أبعد غوْرا وتدبيراً انا أم أنت ؟ وأخذ الحسن بن هرون خطّهُ بستمائة الف دينار بعد ان أهانهُ وصفعهُ وضربهُ بالمقارع فادّى نحو خمسين الف دينار[٢٨٨] الى ان رحل ابن أبي الساج من واسط الى الكوفة لمحاربة الهجرى وحملهُ معه مُقيَّداً وشُغل عنه بالحرب وأسر فافلت محمد بن خلف

﴿ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي وما استعملهُ من ترك الحزم واستهانته بالعدوّ حتى أسر وما اتفق عليه بعد الاسر حتى قُتل ﴾

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط الى الوزير أبي الحسن على بن عيسى يلتمس منه حمل مال اليه ليصرفهُ فيما يحتاج اليه من اعداد الانزال والعُلوفات بين واسط والكوفة ويحتج بان أموال المشرق متأخرة عنه وان الامر ليس يحتمل مع قرب موافاة الهجرى بان ينتظر ورود مال من

(١) كذا في الاصل

الجبل ويقول انه لا يُقنعه لذلك أقل من مائة الف دينار . فعرض علي بن عيسى كتابَهُ على المقتدر فتقدم بان يحمل من بيت مال الخاصة سبعون الف دينار وينُفَذ اليه

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هجر بنفسه يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان فنزل في الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به الى يوم السبت ورحل من غد . وكتب(٢٨٩) السلطان الى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة الى الكوفة . وكتب علي بن عيسى الى عُمّال الكوفة باعداد الميرة والعلوفات ليوسف. وسار يوسف من واسط يوم الاربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفا من عنده وكان حمل اليه المال

ولما قرُب أبو طاهر الهجري من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عُمّال السلطان من الكوفة فاخذ أبو طاهر جميع ما أعدّ ليوسف من الميَر والعلوفات وهو مائة كرّ دقيقاً والف كرّ شعيرا وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة ولحقَهُ وأصحابه شدة فقوى ومن معه بما صار اليهم . ووافى يوسف الى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوّال وقد سبقه أبو طاهر اليها بيوم واحد فحال بينها وبينه

وحكى عن أبي طاهر انه قال ان عسكره قرُب من عسكر يوسف في الطريق بين واسط والكوفة ؟ وكان يوم ضباب فلم ير أحدهما صاحبهُ وانه أحسّ به ولوشاء لأوقع به . ووجّه يوسف الى أبي طاهر يدعوه(٢٩٠) الى الطاعة فان أبي فان الوعد للحرب يوم الأحد . فحكى الرسول انه لما

صار اليه حُمل الى موضع فيه جماعة متشا كلو الزىّ وقيل له : تكلّم فان السيّد يستمع . ولم يعرف من هو منهم فادّى الرسالة فأُجيب بانه غير مُستجيب لِما دعاهُ اليه ولا لِتاخير المُناجزة فكانت الحرب بينهما يوم السبت لِتسع خلون من شوّال سنة ٣١٥ على باب الكوفة . فيقال ان ابن أبي الساج لما عاين عسكر أبي طاهر ووقف على عِزّتهِ ازرى عليه واحتقرهُ وقال : مَن هؤلاء الكلاب ؟ هؤلاء بعد ساعة في يدي . وتقدّم بان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاوناً به وزحف كلّ واحد منهُما الى صاحبه .

فلما سمع الهجرىّ صوت البوقات والدبادب والزّعقات عن عسكر ابن أبي الساج وكانت عظيمة جدّا التفت رجل منهم الي رفيق له وهو يُسايرهُ فقال له: ما هذا الزجَل ؟ فقال له رفيقهُ : فَشَلٌ . فقال له : اجل . ما زاده لفظة ورسم عسكر أبي طاهر ان لاتكون فيه بوقات ولا دبادب ولا صياح . وعبّى ابن أبي الساج رجالَه وانفرد هو مع غلمانه على عادة له فى الحرب وكان ابتداء الحرب بينهُما مذ ضحوة نهار يوم السبت الى وقت غروب (٢٩١) الشمس . وما قصّر ابن أبي الساج فى الثبات وأثخن أصحاب أبي طاهر بالنُشاب وجرح منهم خلقا فلما رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفا فى عمّارية له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتى فارس بالقرب من حيطان الحيَر نزل من العمّارية فركب فرسا له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسهِ وغلمانهِ عليه واشتبكت الحرب بينهُما (١) فأسر ابن أبي الساج اخر النهار وبه ضربه على جبينه بعد ان اجتهد به غلمانه ان ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيراً فى يد أبي طاهر مع جماعةٍ من غلمانهِ بعد ان قُتل من أصحابه عددٌ

(١) وفى تاريخ الاسلام : وجرح من القرامطة بالنشاب المسموم نحو خمسمائة

كثيرٌ وانهزم الباقون .

ولما أُسر يوسف وقت المغرب حُمل الى معسكر أبي طاهر وضُربت له خيمة وفُرش له فيها ووكل به . وأحضر رجل مُعالج يعرف بابن السُبيعي فقال ابن السُبيعي هذا : لما دخلتُ اليه الى الخيمة التي حُبس فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فِضّي وجُرُّبانها ولبنتها من ديباج أحمر وقد تلوّنت بالدم الذي سال من الضربة التي في جبينه . ووجدت الدم قد جمد على وجهه فالتمست ماءً حارًّا فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر : والله ما ذاك عندنا ولا عندنا ما يُسخن فيه . وكانوا[۲۹۲] خلّفوا سوادهم بالقُرب من القادسيّة وتجردوا لِلقتال فغسلتُ وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالجتهُ . وسألني عن اسمي وبايّ شيء اعرف فذكرتُ له ذلك فوجدته يعرف أهلي أيّام كان بالكوفة وهو صبيّ مع أخيه الافشين وكان يتقلّد الكوفة . فعجبتُ من ذِكره وفهمِه وقلّة اكتراثه بما هو فيه

وورد خبر الوقعةِ وأسْر ابن أبي الساج على علي بن عيسى فراح الى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المُظفّر على إنهاء الخبر الى المقتدر بالله . وانتشر الخبر فدخلت الخاصّةَ والعامّةَ لِابي طاهر هيبةٌ عظيمةٌ ورهبة شديدة . وعملت الجماعة على الهرب الى واسط ثم الى الاهواز وابتدأ المنهزمون بالدخول الى بغداد وأخرج مونس المظفّر مضربه الى ميدان الاشنان وخرج على ان يمضي الى الكوفة . وورد كتاب العامل بقصر ابن هبيرة على عليّ بن عيسى بأن أبا الطاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لِاثني عشرة خلت من شوّال قاصدين عين التمر وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر . فبادر علي بن عيسى باستئجار خمسمائة سميريّة وجعل

فيها الف رجل ومعها عِدّة[٢٩٣] من شذاءات وطيارات وحوّلها من دجلة الى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجريّة لمنع الهجرى من عبور الفرات وتقدّم الى جماعةٍ من القوّاد بالمسير على الظهر من بغداد الى الانبار لِضبطِها .

فلما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومنَ بها من القوّاد خيلَ أبي طاهر مقبلةً من الجانب الغربي فبادروا الى قطع جسر الانبار وأقام أبو طاهر الى أن أمكنه العبور بالسفُن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحابُ السلطان الى أن حصلوا بالانبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القوّاد . فلمّا خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسرَ الانبار وعَبَرَ وخلّف سوادَهُ في الجانب الغربي وفيه ابن أبي الساج . ولما علم مَن فى الشذاآت من أصحاب السلطان ان أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا اليه بالليل فضربوه بالنار فبقى أبو طاهر فى جماعة من أصحابه فى الجانب الشرقى من الفُرات وسواده فى الجانب الغربى منه وحالت الشذاآت والطيّارات بينهم . ولما ورد الخبر بعبور أبى طاهر الى الانبار وقتله من بها من القُوّاد خرج نصر الحاجب ومعه[٢٩٤] الحجريّة والرّجالة المصافيّه وجميع من كان بقى ببغداد من القوّاد وبين يديه عَلَمُ الخلافة وهو شبيه باللواء أسودُ وعليه كتابة ببياض « محمد رسول الله »

وكان مونس قد صار بباب الانبار واجتمع مع نصر وكان عدد مَن معهما من الفُرسان والرجّالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل . وخرج أبو الهيجاء ومن اخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا فى أصحابه واعرابه وسار نصرٌ وسبق مونسا على قنطرة النهر المعروف بزُبارا بناحية عقرقوب على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونسٌ واجتمعا على النهر . وأشار

أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبارا وألحّ عليه فى ذلك فلما رآه يتثاقل عن قبول رأيه قال له : أيها الاستاذ اقطعها واقطعْ لحيتى معها . فقطعها حينئذ

وسار أبو طاهر ومَن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقى من الفرات قاصدين نهر زُبارا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان اخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذى القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير الى قنطرة نهر زُبارا . وتقدّم من رجّالته(٣٩٥) راجلٌ أسود يقال له صُبيح فكان امام عسكره فما زال نُشّاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدم ولا يهوله وقد صار بالنُشّاب كالقُنفُذ فلما صـ[ـار الى] القنطرة ورآها مقطوعة رجع وما زال أصحاب أبي طاهر يمتحنون غورَ الماء فى النهر فلمّا علموا انه ليس يُخيض انصرفوا راجعين القهقرى من غير ان يولّوا ظُهُورهم وصاروا الى الحسينية فوجدوا الماء قد أحاط به لان نصرا ومونسا وجها قبل ذلك مَن بثق هنالك بُثوقا كباراً فصار ماء المخر محيطا بعسكر أبى طاهر . فاقام هنالك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابهُ الى الانبار ولم يجسر أحدٌ من أصحاب السلطان ان يتبعهُ أو يُصلح قنطرة زُبارا أو يعبرُها . وكان ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فانها لو كانت صحيحة لعبر أصحاب القرمطى عليها وما هالَهُم وفور عسكر السلطان ولانهزم أصحاب السلطان وملك القرمطى بغـداد . وذلك ان أكثر أصحاب السلطان كرّوا الى بغداد منهزمين لمّا بلغهم وصول أبي طاهر الى النهر من غير ان يروهم أو تقع عينٌ عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبى الساج(٣٩٦) ولم يحدِّث أحدٌ نفسه بعد ذلك ان يجوز له ان يثبت فى وجهه .

وكان مع أبي طاهر جماعة من الأدلاء فعدلوا به عن المخر وسار نحو الانبار ولما ولّي أبو طاهر وأصحابُهُ عن موضع العسكر بزُبارا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبادر أصحاب الاخبار الى على بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعهِ الى الانبار وبانه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة فى الوصول الى مُعسكر عسكره ولا الى نواحى بغداد. وطمع مونس فى الظفر بسوادِهِ وباقي رجالهِ الذين خلّفهم فى الجانب الغربى من الانبار وفى تخليص ابن أبى الساج فانفذ يلبق حاجبَهُ وجماعة من القوّاد ومن غلمان ابن أبى الساج فى ستة آلاف رجل وظنوا انهلا يتم لابى طاهر العبور الى خيلهِ وسواده وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجالهِ ومشى مشيا طويلاً حتى خرج عن الانبار الى الصحراء التى تتصلُ بالفرات ثم عبر فى زورق صيادٍ يقال انه دفع اليه الف دينار حتى عبر به الى سواده فلما حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلبق ومن معه[٢٩٧] فلم يثبت له يلبق وانهزم ومن معه وقتل جماعة من أصحابه. وبصر أبو طاهر فى الوقت بابن أبىالساج وقد خرج من خيمته التى كان معتقلا فيها متطلعا الى الطريق لينظر ما يكون من حال الوقعة فوقع لهانه أراد ان يهرب فدعا به الى حضرته وقال: أردت الهرب. ويقال ان غلمانه كانوا نادوه فقال له القرمطي: طمعتَ ان يخلّصك غلمانك. فأمر به فضربت عنقه بحضرته وضرب أعناق جماعةٍ كانوا فى الأسر.

واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه فى الجانب الشرقى من الفرات بالانبار فحصلوا معه فى الجانب الغربى الذى يلي البرّية. وعاد يلبق منهزمامفلولا الى مونس المظفر

وحكى أبو القاسم ابن زنجى انه كان عدة أصحاب أبى طاهر الف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وانه عرف ذلك من رجل انبارىّ كان يقيم له ولرجاله الخبر وقد قيل انهم كانوا الفى وسبعمائة قال: وسمعت بعض مستأمنة أبى طاهر وقد سُئل عن السبب في سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم هم[٢٩٨] فقال: السبب فى ذلك ان أصحاب السلطان يُقدّرون ان السلامة فى الهرب فيقدّمونه ونحن نقدّر ان السلامة فى الصبر فنثبت ولا نبرح[١]

ورتب على بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارا المرتبين وسلم اليهم مائة طير الى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتبا بخبر العدو فى كلّ ساعة. وكان السبب فى سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطى زُبارا مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجند وتشوُّفهم الى النهب ان على بن عيسى تقدّم الى نازوك بمواصلة الركوب والتطواف فى جميع جيشه كلّ يوم غدوةً وعشيةً فى الجانبين ففعل ذلك ثم تقدم اليه فى يوم مُوافاة أبى طاهر الى نهر زُبارا ان يُبكّر الى باب حرب بجميع جيشه ويُقيم فيه الى وقت العتمة وان يُواصل النداء فى الجانبين بانه: من ظهر من العيارين والمتشبهة بالجند ومن وُجد معه حديدٌ ضُرب عنقهُ. فانجحر العيارون وأغلق أهلُ باب المحوّل ونهر طابق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم الى منازلهم. وأما وجوه الناس فاكثروا الزواريق وجعلوها فى[٢٩٩] الشوارع فى دجلة

(١) قال صاحب كتاب العيون. وحكي أن رجلا من أهل بغداد تقدم الى الاسود ولامه على تهجمه على ذلك الجمع العظيم فقال له. يارجل نحن نرى الصبر راحة وانتم ترون الفرار راحة فتعمدون عليه.

ونقلوا اليها أمتعتهم ومنهم من حدّرها الى واسط . ونقل قومٌ من المجهّزين أمتعتهم الى حلوان ليحمل الى خراسان مع الحاج ولم يكن عند أحد من الخواصّ والعوامّ شكٌ فى ان القرمطى يملك بغداد . وأقام نازوك فى ذلك اليوم كما رسم له على بن عيسى على ظهر دابّته من أول النهار الى ان مضى صدر من الليل لا ينزل هو ولا احد من اصحابه عن دوابّهم الا للصلوات وضربت له ولهم الخِيَم فنزلوها بالليل وكان ذلك سببا لسلامة البلد

وقصد القرمطي الى هيت وبادر هرون بن غريب وسعيد بن حمدان الى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطي الى هيت وصعدا الى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت فلمّا وصل القرمطى اليها قاتلوهُ بالمنجنيقات فقُتل من القرامطة جماعةٌ وانصرف أبو طاهر عنها . وورد الخبر بذلك الى بغداد فسكنت النفوس واطمأنّت القلوب وتصدّق المقتدر والسيّدة لمّا بلغهُما خبر انصرافه بمائة ألف درهم . وكان مونس ونصر أحضرا جرائدَ جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر زُبارا مما يلى بغداد سوى [٣٠٠] الاعراب فوجدوهم اثنين وأربعين ألف رجل سوى غلمانهم وأسبابهم فانهم كانوا أضعاف هذه العدّة

وكان على بن عيسى لما بلغه أسرُ ابن أبى الساج بادر فى الوقت الى المقتدر وقال له : انّما جمعَ الخلفاء المتقدّمون الاموالَ ليقمعوا بها اعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الاسلام والمسلمين ولم يلحق المسلمين مُنذ قُبض النبي صلى الله عليه وسلم شئٌ أعظمَ من هذا الامر لان هذا الرجل كافرٌ وقد أوقع بالحاج فى سنة ٣١٢ بجرى مالم يُعهَد مثلهُ وقد تمكّنت له هيبة فى قلوب الاولياء والخاصّ والعامّ . وانما جمع المعتضد والمكتفى فى

بيت مال الخاصة ماجمعوا لمثل هـذه الحوادث والآن فلم يبق فى بيت مال الخاصة كبير شيء فاتق الله ياأمير المومنين وخاطب السيّدة فانها ديّنـه فاضلة فان كان عندها مالٌ قد ذخرته لشدّة تلحقها أو تلحق الدولة فهـذا وقت إخراجه وان تكن الأخرى فاخرج أنت وأصحابك الى أقاصى خراسان فقـد صدقتُك ونصحتُك . فدخل الى والدته ثم عاد فاخبر ان السيدة استرأته وأمرت باخراج خمسمائة ألف دينار من مالها الى بيت مال العامـة لينفق فى الرجال . (٣٠١) وسأل على بن عيسى عن مقدار مابقى فى بيت مال الخاصة من المال فعرّفهُ على بن عيسى ان فيه خمسمائة ألف دينار .

وتجرّد على بن عيسى لحفظ الاموال وتقـدّم الاّ يُضيّع منهـا درهمٌ واحدٌ فى قضاء الذمامات وجمع أموال النواحى وأنفذ المُستحثين الى العُمّال فاجتمعت له جملة أخرى . وتنصّح الى على بن عيسى رجـل من التجار بانه وقف على خبر رجل شيرازى يتخبر للقرمطى ويكاتبهُ فانفـذ معه جماعـةً فقبض عليه وحُمل الى دار السلطان . وناظرهُ على بن عيسى بحضـرة القاضى أبى عمر والقوّاد وقال : انا صاحب أبى طاهر وما صحبتُهُ الا على انه على حق وأنتَ وصاحبك ومن يتبعكم كفّار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضـه من حُجةٍ وامام عـدلٍ وامامنا المهـدى فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمقى الذين يدعون الى غائب منتظر . فقال له على بن عيسى : اصـدقنى عمن يكاتب القرمطى من أهـل بغـداد والكوفة . قال : ولمَ أصـدقك عن قوم مؤمنين حـتى اسلّمهم الى قوم كافرينَ فيقتلونهم (٣٠٢) لاأفعلُ ذلك أبداً . فأمر بصفعه بحضرته وضربه بالمقارع وقيّدَهُ وغلّهُ بغلٍّ ثقيف وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه الى نازوك

وحبسهُ فى المطبق فمات بعـد ثمانية أيام لانه امتنع من ان يأكل ويشرب حتى مات . وشغب الجند [١]

(ودخلت سنة ستّ عشرة وثلثمائة)

ودخل مونس المظفّر بغداد من الانبار ودخل بعـد نصر وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرّم وكان الجندُ قد شغبوا بالانبار لطلب الزيادة في أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم فزيد كلّ واحد منهم ديناراً وأنفق فيهم على الزيادة .

وورد الخبر بدخول أبي طاهر القرمطى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا وقتل من أهلها جماعة . ثم سار الى الرَحْبة فدخلها بعـد ان حارَب أهلها ووضع السيف فيهم بعـد ان ملكهم ونُدب مونس المُظفّر للخروج اليهم بالرقة . وكان أهل قرقيسيا وجّهوا الى القرمطي يطلبون الامان منهم ووعدهم بجميل ثم أنفذ اليهم من نادى بقرقيسيا الاّ يظهر بها أحدٌ بالنهار فلم يجسر أحد بها ان يظهر . (٣٠٣) فعبرت سرية له الى الاعراب على جسر عقده بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الاعراب رهبة شديدة وصاروا لا يسمعون بذكره الاّ تطاروا وجعل عليهم اتاوة الى هذه الايام وهى من كلّ بيت دينار فى السنة ثم أصعد من الرحبة الى الرقة . وسار مونس المظفّر الى الموصل ومنها الى الرقة فانصرف أبو طاهر عن الرقة على طريق الفرات ووصل الى الرحبة فحمل ما معه من

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : شغبوا على المقتدر وطلبوا الزيادة وشتموه ونهبوا القصر الملقب بالثريا وصاحوا : أبطلت حجنا وأخذت أموالنا وجرّأت العدوّ وتمام نوم الجارية . فبذل لهم المال فسكنوا . وجددت على بغداد الخنادق وأصلحت الاسوار

الزاد وغيره في زواريق وانحدر في الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً . وكان أهلها قد نصبوا على سورها عرّادات ومنجنيقات فحاربوه وقتلوا من أصحابه [١] فانصرف عنها الى ناحية الكوفة وزاد الخبر بذلك فأخرج بنيّ بن نفيس وهرون بن غريب على مقدّمة نصر .

وجاءت خيل القرمطي ومعها ابن سنبر الى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر فخرج نصر الحاجب ومعه القوّاد والرجّالة المصافيّة يريدون مُواقعة أبي طاهر وحُمّ نصر حمى حادّة فلم يمنعهُ ذلك من المسير الى سُورا . ووافى [٣٠٤] أبو طاهر الى شاطئ سورا وقت المغرب فلم يكن في نصرٍ نُهوضٌ للركوب لشدّة علته فاستخلف أحمد بن كيغلغ وانفذ معه الجيش فانصرف القرمطي قبل ان يلقاهُ أحمد بن كيغلغ . واشتدّت علّة نصر وجفّ لسانهُ من شدّة الحُمى فرُدَّ الى بغداد في عمارية ومات في الطريق . فخرج شفيع المقتدري برسالة المقتدر الى الجيش الذي كان مع نصر بانه قد جُعل الرئيس عليهم مكانَ نصرٍ هرون ابن غريب فدخل هرون بن غريب مع الجيش بغداد [٢]

﴿ ذكر الحال التي أدّت الى صرف علي بن عيسى
وتقليد أبي علي ابن مقلة [٣] ﴾

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : قتلوا أبا الدواد من خواص أصحابه (٢) وفي تاريخ الاسلام : ورجع القرمطي فبني دارا سماها دار الهجرة ودعا الى المهدي وتفاقم الامر وكثر أتباعه وبث السرايا فهرب عمال الكوفة عنها . فسار هرون ابن غريب الى واسط فظفر ببرية لهم فقتلهم وبعث الى بغداد بأسارى وبمائة وسبعين رأساً واعلام بيض منكسة عليها مكتوب : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ففرح الناس واطمأنوا (٣) ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقصها فيقول : يامقلة أبيها . فغلب عليها : ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠

لما رأى على بن عيسى [١] اختلال النواحى فى أيام وزارة الخاقانى والخصيبي ونقصان الارتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الانبار من حرب القرمطى وان زيادتهم بلغت مائتى وأربعين ألف دينار فى السنة مضافةً الى النفقات المفرطة هالَهُ ذلك واستعظمهُ ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطى وتبين انحراف نصر الحاجب عنه وذلك لميل مونس اليه استعفى (٣٠٥) المقتدرَ من الوزارة فأمرَهُ بالصبر وقال له : أنت عندى بمنزلة المتضد بالله ولى عليك حقوقٌ . فواصل الاستعفاء [٢] فشاور المقتدر مونساً المظفر واعلمهُ انه قد سُمى له ثلاثة الفضل بن جعفر ابن حنزابة فلم يشر به لاجل من قُتل من آل الفرات وأبو على ابن مقلة فلم يشر به لحداثته وقال : لا يصلح للوزارة الا شيخٌ له ذكر وفيه فضل ومحمد بن خلف النيرماني فلم يشر به وعرفه انه جاهلٌ لا يحسن ان يتهجّى اسمهُ وانه متهوّر وأشار بمداراة على بن عيسى . ثم لقى مونس على بن عيسى ورفق به وداراهُ فقال له على بن عيسى : لو كنت مقيما بالحضرة لاستعنتُ بك وعملتُ ولكنّك خارجٌ الى الرقة . وبلغ أبا على ابن مقلة ذلك فجدّ فى السعى وشاور المقتدر نصرا الحاجب فى أمر الثلاثة فقال : اما الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحلّ ولكنّك بالامس قتلت عمّهُ وبنو الفرات يدينون بالرفض وأما ابن مقلة فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف لما كان بينهما مما ذكرناه فيما تقدم فنفر المقتدر منه لما عرفهُ من جهله وتهوّره . وواصل ابن مقلة (٣٠٦) مداراة نصر الحاجب فأشار على المقتدر به وقال : يُقلد فان قام بالامر كما يجب والاّ فالصرفُ العاجلُ بين يديه . واضطرّ

(١) وزراء ٣١٦ — ٣١٤ (٢) وفي الأصل : الاستقصاء

المقتدر الى ان استوزر أبا على بن مقلة .

وكان ما مال به المقتدر الى أبي على ان أبا طاهر القرمطى لما قرُب من الانبار تشوّف الى علم خبره ولم يكن يكاتب بشئ من خبره غير الحسن بن اسمعيل الاسكافى عامل الانبار فلما عرف أبو على ابن مقلة الصورة طلب أطياراً وأنفذها الى الانبار وكُوتب عليها أخبارُ القرمطى وقتاً بعد وقتٍ فكان ينفذها الى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر السبيل الى تقريظ ابن مقلة وقال للمقتدر : ان كان هذه مُراعاتهُ لامورك ولا تعلُّق له بخدمتك فكيف يكون اذا اصطنعتهُ

﴿ ذكر القبض على علىّ بن عيسى وتقليد ابن مقلة ﴾

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاوّل سنة ٣١٦ أنفذ هرون ابن غريب للقبض على علىّ بن عيسى فصار هرون الى دار على بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطّلا فى الوقت فوجّه بأبى جعفر اليه لانه (٣٠٧) استحيا منه وعرّفه ما أمر فيه فلما أدّي اليه الرسالة قال له : أنا جالس متوقّع له . وكان قد لبس على بن عيسى خُفًّا وعمامةً وطيلساناً وفى كمّهِ مُصحفٌ ومقراض وسأل هرون ان يصون حُرَمهُ وولدَهُ ففعل وحملَهُ مع أخيه أبى على عبد الرحمن الى دار السلطان فسلّم على ابن عيسى الى زيدان القهرمانة واعتقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين .

فلما كان فى آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر أُحدر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان ولم يصل الى المقتدر وأقام عند نصر الحاجب فى دار السلطان . وجدّ محمد بن خاف فى طلب الوزارة

وضمن ثلثمائة الف دينار مُعجَّلةً غير أموال النواحي فقلق أبو علي ابن مقلة لذلك وحضر من غدٍ دار السلطان ولم يصل أيضاً . واجتمعت الألسُن على المقتدر بامضاء أمرِهِ وبلَدمّ لمحمد بن خاف فامضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء اذا تقلّدوا

وكان أبو الحسن [٣٠٨] علي بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب الى أبي عبد الله البريدي يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ انه قد اجتمع في بيت مال الاهواز من مال الاهواز وهو الف الف وخمسون الف درهم وانضاف الى ذلك ماحمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة الف درهم سوى ماحمله أبو علي ابن رستم من مال أصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع الفي الف ومائتي ألف درهم . وكان في أبي عبد الله البريدي حركة ورجلة يحتاج اليهما في ذلك الوقت فكتب الى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأن المال حاصل . وكان ابن مابنداذ بتستر فوجّه اليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه لحمل في الشذا آة الفي الف ومائتي الف درهم وكتب انه ان عادت الشذا آة حمل فيها باقي المال فصرف علي بن عيسى قبل موافاة بقية المال .

وقد كنا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن علي بن عيسى لِمَيل مونس المُظفّر اليه فلمّا نكب علي بن عيسى ادّعى نصر الحاجب [١] انه وجد رجلا يعرف بالجوهري اقرّ انه صاحب القرمطي [٣٠٩] وانه جعله سفيراً بينه وبين علي بن عيسى وحكى عنه ان علي بن عيسى كان يكاتب القرمطي على يده .

---

(١) وزراء ص ٣١٦

وجمع بينه وبين على بن عيسى حتى واجهه بذلك فقال له على بن عيسى : بهتنى وما خلق الله لما يقوله أصلا . وعاون أبو على ابن مقلة نصرا الحاجب فى هذه القصة الى ان كاد يتمّ المكروه على علىّ بن عيسى وهمّ المقتدر ان يضربه بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادّعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك فى نفس ابنها وأزالت ما كان أمرَه به فيه

وأخذ أبو على ابن مقلة خطوط العُمّال والضُمناء بنحو مائة الف دينار وبلغ أباعبد الله البريدى وهو بالاهواز تقلُّد ابى على ابن مقلة الوزارة وكان بينهما مُودة فانفذ اليه من وقته سفاتج بثلاثمائة ألف دينار من حمله الباقى بالاهواز بعد ما كان حمله . وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رُستَم قد حملا الى على بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم فوصلت بعد صرفه فقبضها ابن مقلة فمشى أمر أبى على ابن مقلة بهذه الاتّفاقات . وكتب (٣١٠) أبو على ابن مقلة كتاباً برفع كلّ الجنايات والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا فى أعمالهم [1]

﴿ وفى هذه السنة وقعت حربٌ بين نازوك وهرون بن غريب الخال ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان سُوّاس هرون بن غريب وسُواس نازوك تغايروا على غُلام أمرد ووقع الشرّ بينهم وأخذ نازوك سُوّاس هرون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعد ان ضربهم . فصار أصحاب هرون بن غريب الى مجلس الشرطة ووثبوا على أبى الجود خليفة نازوك وانتزعوا

(١) وأما من تقلد الدواوين وما قال فى حق الوزير أبو بكر الصولى فليراجع صلة عريب : ١٣٥

أصحابهم من يده وركب نازوك الى المقتدر وشكى اليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر انكار رضيه نازوك فانصرف محفظا وجيع رجاله . وجمع هرون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك الى دار هرون بن غريب وأغلق هرون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هرون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح بابُ هرون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدت فوجه نازوك الى أصحابه بمن صرفهم . ثم ركب (٣١١) الوزير أبو على ومعه مفلح الاسود لتوسط القصة فبدأ بابن الخال وأدى اليه رسالة المقتدر بالكف ثم صار الى نازوك فادى اليه مثل ذلك فسكنت القصة . واستوحش نازوك وأقام فى داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر فى ساقه توتة وقلعها وجعلها سببا فى ترك الركوب وبعد ثلاثة ايام صار اليه هرون بن غريب بدراعة فاصطلحا وأقام نازوك فى داره وصار هرون بن غريب الى البستان النجمى فاقام فيه ليبعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بامرة الامراء . فاشتد ذلك على أسباب مونس المظفر وكتبوا به اليه وهو بالرقة فاسرع الشخوص منها على طريق الموصل الى بغداد ووصل اليها ولم ينحدر الى المقتدر ولا لقيه وصاعد اليه الامير أبو العباس والوزير أبو على فسلما عليه وانحدر نازوك

﴿ ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر ﴾

وأقام هرون بن غريب فى دار السلطان منابذاً لمونس المظفر ودخل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار الى مونس المظفر . وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر (٣١٢)

﴿ ودخلت سنة سبع عشر وثلمائة ﴾

﴿ذكر فتنة نازوك وأبي الهيجاء التي أدت الى خلع المقتدر وذكر قتلهما ورجوع المقتدر بالله الى الخلافة﴾

لما كان يوم السبت لثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر الى باب الشماسية وخرج الجيش معه . وركب نازوك من داره فى غلمانه وأصحابه فى السلاح فلما وصل الى الجسر وجده مقطوعا فأقام بمكانه الى ان أصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا الى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان اليه وسائر القوّاد ثم انتقلوا من باب الشماسية الى المصلى . وشحن المقتدر داره بهرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان فى دار السلطان وصاروا الى مونس وصرف مونس نحرير الصغير [١] عن الدينور وردها الى أبي الهيجاء مضافة الى أعماله

وراسل مونس المقتدر بان الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يصير الى الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم فى الرأى والتدبير ويطالبون بإخراجهم من الدار [٣١٣] وابعادهم وأخذ ما فى أيديهم فكتب المقتدر الى مونس رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : أمتعنى الله بك ولا أخلانى منك ولا أرانى سوء فيك . تأملت الحال التى خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها وأقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا الا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى وملكي واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطلبها بكل سبيل بارك الله عليهم وأحسن اليهم وأعاننى على صالح ما أنويه فيهم . وأما أنت يابا الحسن المظفر لاخلوت منك فشيخى وكبيرى

(١) توفى فى هذه السنة بالموصل وكان يتولى معونتها : صلة عريب ١٤٦

ومن لا أزول ولا أحول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به والايجاب له اعترض ما بيننا هذا الحادث ام لم يعترض وانتقض الامر الذي يجمعنا أم لم ينتقض وأرجوا الا تشك فى ذلك اذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها والقوة بالله . والذى خاض لاصحابنا [1] فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط رسومهم فى الخدمة ويمنعون منها ويبرّؤن من نعمهم ويحال بينهم وبينها الى ان يفرجوا عما في أيديهم من المال [٣١٤] والضياع ويردّوها الى حقوقها قول اذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه كنهَ تصفحه علموا انه قول جافٍ والبغى علىّ فيه غير مستتر ولا خاف. ولا يثاري موافقتهم واتباعى مسرّتهم ما اجبتهم الى التيسر فى أمر هذه الطبقة خاصة فاتقدم بقبض بعض اقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط ايغاراتهم واخراج من يجوز إخراجهُ من داري ولا اطلق للباقين الدخولَ فى تدبيرى ورأيي وأوعز بمكاتبةِ العُمال فى استيفاء حقّ بيت المال فى ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انه قد لابَسَهُ الريبُ والشك وانظرُ بنفسى فى أمر الخاصّة والعامّة وأبلغُ فى إنصافها والإحسان اليها النهاية . ولا اعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتّة وانتصبُ لاثارة الاموال وجمعها ووضعها فى مواضعها واحميها من كلّ ما يثلمها وينتقضها واشمّرُ فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الاعداء قُرباً وبُعداً . وهذا انما قعدتُ عنه لاعتماداً عليكم وتفويضا اليكم وثقة بانكم شركائى وسُهمائى والمخصوصون بخير أيامى وشرّها وحلوها ومرّها . ولو علمتُ انه يُجعل ذلك ذنباً لى وجُرماً يتجنّى به علىّ لـكُنتُ أوّل شاخص الى

---

(١) لعله أصحابنا

كل [٣١٥] تعب واوّل مبادر نحوه من غير ابطاء عنه ولا ريث . فأما انتم فمعظم نعمكم منّي وما كنت لاغور عليكم فى شيء سمحت به لكم ورأيته فى وقته واراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وانا بتثميره اولى وبتوفيره احرى والله المطّلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبّتي لايصالها الى اقصى امانيها [١] ونازوك فاست ادرى من ايّ شيء عتب ولا لايّة حال استوحش واضطرب لانى لم اله على محاربة هرون بن غريب الخال ولم امنعه من الانتصار منه والاخذ بثاره عنده ولا امرت بمعاونة هرون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة اليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا غيرت له حالا ولا حزت له مالا ولا سمع منى ولا بلغه عنى ما يسوء موقعه وينفر منه والله ينفر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذى احفظه صرفه عن الدينور وقد كان يتهيأ إعادته اليها ان كان راغباً فيها فيسعف بمسئلته وان يستدعى تعويضه من الأعمال ماهو اعظم خطراً من الدينور فلا تقصر عن ارادته وما عندى له ولنازوك وللعصاة كلها الا التجاوز والابقاء والاغضاء وقبل هذا وبعده فلى فى اعناقكم بيعة قد [٣١٦] وكّدتموها على انفسكم دفعةً بعد دفعةٍ ومن بايعنى فانما بايع الله ومن نكث انما نكث عهد الله ولى ايضا عليكم نعمٌ واياد وعندكم صنائع وعوارف آمل ان تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها تشكروها وان راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها واقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم بها واجريتم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه

(١) وردت خلاصه هذا الكتاب فى صلة عريب ١٤٠

فى الثقة بكم والايثار لكم والسكون اليكم والاشتمال عليكم لكم بذلك عهد الله ان عهده كان مسئولا . وان ابيتم الا مكاشفة ومخالفة واثارة فتنة وتجديد محنة فقد وليتكم ما توليتم واغمدت سيفى منكم وتبرأت الي الله ان امدّ باعي الى احد منكم ولجأت فى نصري ومعونتي وكفايتي الى الله عزّ وجلّ . ولم اخرج من منزلى ولم اسلم الحق الذى جعله الله لى الا كما خرج عثمان بن عفّان عن داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقاته وانصاره وكان ذلك حجة فيما بين الله عز وجل وبينى ومعذرة وسببا (٣١٧) باذن الله لما أؤمّلهُ من الفوز فى الدنيا والآخرة . والله بصيرٌ بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبي الله ونعم الوكيل .

ولما وصلت هذه الرقعة الى مونس ووقف نازوك وابو الهيجاء على ماتضمّنت عدلوا الى مكاتبته باخراج هرون بن غريب عن بغداد فأجابهم الى ذلك وقلّد هرون الثغور الشاميّة والجزرية وخرج من يومه ومضى الى قطربلّ فأقام بها .

ولما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم دخل مونس المظفر والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهيةً لمرّة الجند . وظهر عند الناس ظهوراً بيّناً وارجفوا ارجافاً قوياً ان نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفر على الاستبدال به ونصب غيره فى الخلافة . فلمّا كان يوم الاربعاء لاثنى عشرة ليلة خلت من المحرّم خرج مونس الى باب الشمّاسيّة دفعةً ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبُنَيّ بن نفيس وجميع القوّاد والجيش وزحفوا الى دار السلطان .

﴿ ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله وتقليد القاهر بالله الخلافة ﴾

لما زحف القوم بأسرهم الى دار السلطان هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجّاب والحشم (٣١٨) والخدم والوزير أبو على ابن مقلة منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كله فى دار السلطان . فلما كان بعد عتمة بساعة أُخرج المقتدر ووالدتهُ وخالتهُ وخواصّ جواريه من الدار وأُصعد بهم الى دار مونس المظفر ودخل هرون بن غريب من قطربلّ سرًّا الى بغداد واستتر بها

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الى دار ابن طاهر ليحدر منها محمد بن المعتضد بالله فلم يفتح له كافور الموكَّل بحفظ الدار وطالبهُ بعلامة من مونس فلم تكن معه فانصرف . وأصعد ونازوك بعدان أخذ العلامة وطرح فى طريقه النار فى دار هرون بن غريب وأحدر محمد بن المعتضد ووصل الى دار السلطان فى الثلث الاخير من ليلة السبت لِلنصف من المحرّم وسُلم عليه بالخلافة وبايعهُ مونس والقُوّاد ولقب القاهر بالله .

وأخرج مونس على بن عيسى من الحبس فى دار السلطان وأطلقهُ الى منزلهِ وأحضر أبا على ابن مقلة وقلّده وزارة القاهر بالله وقلّد نازوك الحجبة مضافة الى ما اليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف الى ما كان الى أبى الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق (٣١٩) سُرّ من رأى وبُزُرْج سابور والراذانيْن ودَقوقا وخانيجان [كذا] والموصل أعمال المعاون بهَمَذَان ونهاوَند والصَيْمَرة والسيروان وما سَبَذان ومِهْرجانقَذق وارْزن .

ووقع النهب فى دار السلطان ومضى بُنَىُّ بن نفيس الى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هنالك ستمائة الف دينار فحملها الى دار السلطان .

وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرّم وأشهد على نفسه بذلك القضاة وسُلم الكتاب بذلك الى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف .

﴿ ذكر حزم استعمل وانتفع به ﴾

حدّث أبو الحسين ابن أبي عمر[1] ان أباه سلم الكتاب اليه بالخلع وقال له : يابُنيّ احفظْهُ واسترهُ ولا يراه أحدٌ من خلق الله عندك . (قال) فقلت له : وما الفائدة في كتمانه وقد علم به الخلق ؟ (قال) فقال لي : وما الفائدة في اظهاره ومن أين تعلم ما يكون ؟ قال : فامتثلت أمره . فلما أُعيد المقتدر بالله الى الخلافة بعد يومين أخذ القاضي أبو عمر ذلك الكتاب فسلمه الى المقتدر بالله من يده الى يده وحلف له على انه (٣٢٠) ما رآه أحد من خلق الله عنده غيري فحسن موقع ذلك من المقتدر جدًّا وشكره له وقلده بعد مديدة قضاء القضاة (قال) فقال لي : يا بنيّ ماضرّنا كتمان الكتاب وستره شيئا

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غدٍ وهو يوم الاحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة ووصل اليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن النهب وكتب أبو علي ابن مقلة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أنشأه الى الولاة في النواحي . وأمر نازوك الرجالة المصافية بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجّالته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثم تقدّم الى خلفاء الحجاب والبوّابين الاّ يدخل الدار الاّ من كانت له

---

(١) هو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الازدي مالكي المذهب توفي سنة ٣٢٨ وفي كشف الظنون انه صنف كتاب الفرج بعد الشدة . وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام : كان أبو عمر القاضي يقول : ما زلت مروعا من مسألة تجيئني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين

مرتبة فاضطربت الحجرية من ذلك وتكلموا وصار ذلك سبباً لردّ المقتدر الى الخلافة .

﴿ ذكر السبب فى ردّ المقتدر الى الخلافة ﴾ [(١)]

فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من المحرّم بكّر الناس الى دار السلطان لانه يوم موكب ودولة جديدة فامتلأت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطىء دجلة [(٣٢١)] منهم وحضر الرجّالة المصافية بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر مونس الى دار السلطان ذلك اليوم وأقام فى منزله . وارتفعت زعقات الرجّالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال فتقدّم الى غلمانه وأصحابه الاّ يعرضوا لهم . وزاد شغب الرجّالة وهجموا يريدون الصحن التسعينى فلم يمنعهم أحد لما كان نازوك تقدم به الى أصحابه ودخل منهم من كان على الشط من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق التسعينى وبين يديه أبو على ابن مقلة ونازوك وأبو الهيجاء فوجه بنازوك ليخاطبهم . وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته فلما برز الى الروشن ونظر اليه الرجالة أسرعوا نحوه فخافهم لانهم شهروا السلاح عليه فولّى منهم وعدا . وأطمعهم فى نفسه وعدوا خلفه وانتهى به الهرب منهم الى باب كان هو سدّه أمس

(١) وفى صلة عريب ص ١٤١ ان في المحبوسين في دار الخلافة الذين أخرجهم مونس كما تقدم الحسين بن روح بن بحر أبا القاسم القيني المتوفى سنة ٣٢٦ . وقال في حقه الحافظ الذهبي انه كان وافر الحرمة مع أهل الشيعة فجرت له خطوب مع الوزير حامد ابن العباس وقبض عليه وسجن خمسة أعوام وأطلق لما خلعوا المقتدر من السجن . فلما أعيد الى الخلافة شاوروه فيه فقال : دعوه فبخطيئته جرى بلينا ما جرى

ذلك اليوم بالآجر والجصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا اليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله عجيبا وصاحوا : مقتدر يا منصور. فتهارب كل من فى الدار من الوزر والحجاب والحشم وسائر الطبقات حتى بقيت الدار خالية .

وصلب [٣٢٢] الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة . [ثم صار الرجّالة الى] دار مونس يُطالبون بالمقتدر بالله وبادر الخدم فى دار السلطان فغلقوا أبوابها وكان جميعهم خدم المقتدر وحاشيته وصنائعه وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلّق به القاهر وقال : يا أبا الهيجاء تُسلمنى ؟ فدخلت أبا الهيجاء الحميّة والانفة فرجع معه وقال : والله لا اسلمتك وعاد فوجد الابواب مغلقة فدخلا دار السلم وارتفعت ضجة وتكبير فقال فائق وجه القصعة لبعض الخدم الصغار الرسائلية : انظرْ ماهذه الضجة . فمضى وعاد وقال : قُتل أبو الهيجاء . فقال له: انظرْ ويلك ما تقول . فاعادَ ذلك ثلاثاً فقال : أبو الهيجاء هو ذا لنا ويلك . فقال الخادم : غلطت قُتل نازوك . فقال القاهر لوجه القصعة : افتحْ لى الباب لاخرج الى الشطّ . فقال : ان وراءه أبواباً كثيرة يتعذر منها الوصول الى الشطّ ولكن نفتحه على كلّ حالٍ . فقُتح فافضى بالقاهر المشى الى دَرَجة الدواليب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعدها ويده فى يد أبى الهيجاء ابن حمدان وأشرفا على دجلة فرأيا الرجّالة فى السلاح من نهر المعلّى منتظمين متراصّين الى التاج والى باب الخاصة لا يحصيهم [٣٢٣] العدد فنزل مُبادراً فقال له أبو الهيجاء : امضِ يامولاى فوتُربة حمدانَ لافارقتُكَ أو أُقتل دونك . ومضيا حتى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس الى الرحبة فلقيا غلاماً لمفلح الخادم راكباً فلما رآهما ترجّل وقالا له : من أين جئتَ ؟ قال : من

باب النوبي . فنزع أبو الهيجاء سوادهُ ومنطقته ودفعها الى الغلام وقال له : اعطني جُبتك . وكانت عليه جبة صوف مصري فاعطاه اياها فلبسها وركب دابة الغُلام وترك القاهر مع الخدم وقال : يا مولاي قف بمكانك حتى أعود اليك . فلم يطلْ أبو الهيجاء حتى عاد فقال له القاهر : ماوراءك ؟ فقال : صرتُ الى باب النوبي فلقيني جعفر البوّاب فقلتُ له : افتح الباب . فقال : لا يمكنني لأن وراءه من الرجّالة والجيش من لا يحصى لانه قد جئ برأس نازوك الى هاهُنا . ثم قال للقاهر : هذا أمر من السماء فقُد بنا . ودخلا الفردوس فجالا فيه ثم خرجا الى القُرب من القلّاية ثم دخلا الصحن الحسني الصغير ثم دخلا الى دار الأترجة وخفّ من معهُما من الخدم وتأخّر هُناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم : ادخُلوا اليهما فافرغوا من عدُوّ مولاكم . فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقِسِي وبعضهم [٣٢٤] بدبابيس فلما رآهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرّد سيفهُ ونزع الجُبة الصوف التي كانت عليه فلفّها على يده وأسرع نحوهم فانجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم في البركة وغشيهم فرموه ضرورةً فرجع ودخل بيت ساج في بُستان دار الأترُجة فلما حصل في البيت خرج من كان في البركة من الخدم وصاروا الى قُرب البيت وأحسَ بهم فخرج اليهم بسيفهِ فولّوا بين يديه الى جانب من الصحن وفتحوا باباً من زاوية هـذا الصحن فدخل منه خمارجويه [١] أحد أكابر الغلمان الحجرية ومعه قُوس ونُشّاب ومعه غلامان أسودان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم : أين هُو يا أصحابنا ؟ فقالوا : هو في البيت الساج : فقال لهم : تحرشوا به حتى يخرُج . فشتموه فخرج كالجمل الهائج

(١) في تاريخ الاسلام . خماجور

وقال : يا آل تغلب أأقتلُ بين الحيطان ! أين الـكميتُ أين الدهماء ؟ فرماهُ خمارجويه بسهم أصابهُ تحت ثديه واتبعهُ بسهم آخر فأصاب ترقوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشكّ فخذيه .

قال بُشرى وهو الحاكي لهـذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيتُ أبا الهيجاء وقد ضرب السهم الذي(٣٢٥) شك فخذيه فقطعهُ وجـذب السهم الذي أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبـل أن يصل اليه على وجهـه فأسرع اليه أحـد الأسودين فضرب يده اليُمنى فقطعها وفيها السـيف وأخـذ السيف وغشيهُ الأسود الآخر فحزّ رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مُبادراً به

وكان الرجّالة لما انتهوا الى دار مونس وسمع زعقاتهـم قال : ما الذي يريدون ؟ فقيل له : يريدون المقتـدر بالله . فقال : سلموه اليهم . فلما قيـل للمقتدر « امض معهم الى الدار حتى تعود الى أمرك » خاف ان يكون حيلة عليه فامتنع فحمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس الى الطيار ومن الطيار الى درجـة الصحن التسعيني فحين وضع رجله فى الدار صار الى دار زيدان القهرمانة وقال : ما فعل أبو الهيجاء ؟ فقيل : هو فى دار الاترجة . فدعا بدواة فابطأ بها الغلمان ولم يزل يطلبها حتى جاءوه بها فكتب له أمانا بخطه ودفعها الى بعض الخدم وقال : ويلك بادر به لئلا يحدث عليـه حادثة . فلقى الخادمُ الخادمَ الذى معـه الرأس فعاد معـه فلما رآه قال له : ويحـك(٣٢٦) ماوراءك . قال : عمر الله أمـير المؤمنين . فقال : ويلك مـن قتـله ؟ فغمزهُ مفلح الاسود فقال : لا أدرى من قتـله ولا يعرف قاتلهُ فان اخلاط الرجالة قاتلوه . قال : فانا لله . واقبل يكرّرها وقال : ما كان

يدخـل الىّ فى هـذه الايام وأنا فى دار مونس من يسليني ويظهر لى الغمّ حتى كانه بعض أهـلى سواه هذا الى ماله ولاهله من الحقوق . وظهر فيه من الـكآبة أمرٌ عظيمٌ

فبينما هو كذلك اذ ارتفعت ضجة فشغل عن أمر أبى الهيجاء وقال : ما هذا ؟ فجاءه خادمٌ يعدُوا وقال : محمد (يعنى القاهر بالله) وقد أُخـذ وجىء به فاحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثم جـذبه اليه وقبّـل جبينه وقال له : يا أخى أنت لاذنب لك وقـد علمتُ انك قهرت . والقاهر بارك يقول : نفسى نفسى الله الله يا أمير المؤمنـين . فلما كرر ذلك قال له : وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجرى عليك سوء منى أبداً ولا وصل أحدٌ الى مكروهك وأنا حىٌّ ولا حرصنّ على انصرافك الى منزلك من دار ابن طاهر فى هذه الليلة فطِبْ نفساً ولا تجزع[١]

وأخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشـهرا [٣٢٧] فى الشوارع ونودى عليهما « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته » وسكن الهيج وعاد أبو على ابن مقلة الى وزارته وكتب عن المقتـدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له الى الولاة فى النواحى .

ولما تمـكّن المقتـدر من دار الخلافة وأقرّ أبا على ابن مقلة على وزارته أطلق للجند البيعة امّا للرجّالة فستّ نوائب وزيادة دينارٍ لكلّ راجل وأمّا الفرسان فثلاث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لـكلّ فارس ولمّا نفدت الاموال

(١) زاد صاحب التكملة : وحكي ان بدر بن الهيثم القاضى ركب لتهنئة رجوع الخلافة الى المقتدر بالله وقال لابن مقلة : بين ركبتى هذه وركبة ركبتها مائة سنة لانني ركبت لتعزية بوفاة المأمون سنة ٢١٧ مع أبى وقد ركبت اليوم للتهنئة بعود المقتدر سنة ٣١٧ . وتوفي بدر بعد أيام وسنه مائة واثنى عشرة سنة

فى ذلك أخرج مافى الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك . ثم أطلق لهم بها العهدَ بالاشرية على وكيل نصبهُ المقتدر وهو على بن العباس النُوبَختى [1] وأشهد على نفسه بتوكيلهِ اياه فى البيع وشرط للمبتاعين فى كتب الأشرية ان يحملوا فى حقّ بيت المال فيما اشتروهُ على معاملة القطائع المشورة ثم بيع منهم بالصلة فضل مابين المعاملتين فى املاك الرعيّة وهو فضل ما بين الاستان والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على علىّ بن العباس وحسبت عليهم الضياع والاملاك بأرخص الأثمان .

فحكى ثابت بن سنان انه حضر مجلس [(٣٢٨)] الوزير أبى على ابن مقلة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل مابين المعاملتين بالصلة ولا كان لاصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع وكان الناس مجتمعين عليه وهو يُوقّع اذ استُؤذن لعلىّ بن عيسى عليه فاذن له فلمّا رآه قام له قياماً تاماً وأجلسهُ معه على دستهِ وأقبل عليه وترك ما كان فيه . فلما سأله عن خبرهِ رأى الناس متكبين عليه فقال له : يشتغل الوزير أيّده الله بشُغلهِ. واقبل أبو على ابن مقلة على الناس يُوقّع لهم فلمحَ على بن عيسى خرجاً قد اخرج بعبرةِ ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالاضافة الى ما اشتريت نزراً يسيراً فقال : لااله الاّ الله بلغ الامر الى هذا ؟ فترك ابن مقلة ماكان فى يده وأقبل عليه فقال : حدّثنى شيخنا أبو القاسم رحمه الله (يعنى عيسى بن داود) [(٢)] ان المتوكل على الله لمّا غضب على بختيشوع

(١) توفى سنة ٣٢٩ : ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩ (٢) أما داود فقد قال الصفدى فى كتابه الوافي بالوفيات : داود بن الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهريار أبو محمد الكاتب أصله من فارس كتب للمستعين وصنّف كتاب التاريخ وأخبار الكتاب وكتاب الامم السالفة جامع كبير وكتاب رسائله وهو جد الوزير أبي الحسن على بن عيسى

المُتطبّب أنفذ الى داره لاحصاء ما في خزائنه فوجد في خزانة كسوته رقعةً فيها ثبتُ ما اشتراه من الضياع وهو بيضعة عشر الاف الف درهم فقد آل أمرها الى ان تُباع بهذا القدر النزر . فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة الى شُغله وقام على بن عيسى لينصرف [٣٢٩] فقام له الوزير أبو على كما قام للمخوله

وفى هذه السنة خلع على أبي على ابن مقلة وكُنّى وكُتب الى جميع النواحى .

وفيها قلد أبو عُمر قضاء القضاة وكتب عهده .

وفيها اوقع القرمطى بالحاجّ في البيت الحرام بمكة وقتل أميرها

﴿ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاجّ وتخريبه مكة ﴾

كان منصور الديلمى بَذْرَقَ بالحاجّ فى هذه السنة فسلموا فى طريقهم فلمّا وصلوا الى مكة [١] وافاهم أبو طاهر الهجرى الى مكة يوم التروية فقتل الحاجّ في المسجد الحرام وفى فِجاج مكة وفى البيت قتلاً ذريعاً . وقلع الحجر الاسود وقتل ابن محلب [٢] أمير مكة وعرّى البيت وقلع الباب واصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرزاب [٣] فتردّى الرجل على رأسه ومات وأخذ أموالَ الناس وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن باقيهم فى مَصارعهم فى المسجد الحرام وغيره من غير ان يصلى عليهم وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف الى بلده وحمل معه الحجر الاسود

وكان للجراح بنون جماعة منهم داود وابراهيم ومحمد ومخلد وكتب منهم داود ومحمد لابراهيم بن العباس الصولى (وترجمته موجودة فى ارشاد الاريب ١ : ٢٦٠) وكتب له الحسن بن مخلد بن الجراح : وتوفي داود سنة ٢٩١ (١) زاد صاحب كتاب العيون : وأميرها يومئذ محمد بن اسمعيل المعروف بابن محلب . نقل هذا عن تاريخ ابن الجزار الذى وردت ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٨١ (٢) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة هو : ابن محارب (٣) في صلة عريب ١٣٧ : الميزاب

(وفيها قلد ابنا رائق [١] شرطة بغداد مكان نازوك [٢])

﴿ ودخلت سنة ثماني عشرة وثلثمائة (٣٣٠) ﴾

وشغب الفرسان وتهددوا بأمور عظيمة فأحضر المقتدر قوّادهم وخاطبهم بجميل ووعدهم باطلاق أرزاقهم في الشهر الجديد فانصرفوا وسكنوا . وشغب الرجّالة فأطلقت أرزاقهم .

وفي شوّال منها خلع المقتدر على الامير هرون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران اليه . وفي ذي القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الامير أبي العباس وركب معه الوزير ومونس المظفّر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه

وفيها صرف ابنا رائق عن الشرطة وقلّدها أبو بكر محمد بن ياقوت

﴿ وفي هذه السنة كان هلاك الرجّالة المصافية [٣] ﴾

﴿ ذكر السبب في هلاكهم ﴾

كان قد عظم الامر في تسحّب الرجّالة المصافية وادلوا بأنهم كانوا السبب في ردّ المقتدر الى الخلافة بعد ماخلع وثقل مالهم واحتدّت مطالبتهم وكثر شغبهم وزاد تعدّيهم وبلغ مالهم في كلّ شهر من شهور الاهلة مائة وثلاثين الف دينار . فاتفق ان شغب الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناوشهم الرجّالة فقتل منهم جماعة . واحتجّ (٣٣١) السلطان على الفرسان بأن المال

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٠ هما ابراهيم ومحمد وكانا يلقبان بخديجة وأم الحسين

(٢) زاد صاحب التكملة : وفيها فتح هرون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومائتي الف درهم (٣) ليراجع صلة عريب ص ١٤٨

منصرفٌ الى الرجالة فحاربوهم حتى طردوهم من دار السلطان وركب محمد بن ياقوت فنادى فيهم الا يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعدالنداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم . وهدمت دُور عرفاء الرجّالة وركب فى ذلك ابنُ ياقوت وجدّد النداء فيهم ثم ظفر بنفر منهم فضربوا وشهروا وقبضت أملاك الرجالة المصافية وهدمت دُورهم . ثُم هاج السودان بباب عمّار فركب محمد بن ياقوت والقوّاد الحجرية فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار . وكانت لابى العلاء سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرّقين ثم اجتمع منهم جماعة من البيضان من رجّالة المصافية وغيرهم فكثر عددهم وانحدروا الى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلا من الفرسان يعرف بنصر الساجي وطردوا عمّال السلطان بواسط . فانحدر اليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك

﴿ وفيها قبض على الوزير أبى على ابن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب فى القبض عليه ﴾

كان المقتدر متّهماً لابن مقلة لمايلة (٣٣٢) مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يظهر له الجميل وانحرف عنه ياقوت لميل مونس اليه . واتفق ان خرج مونس المظفر الى أوانا متنزهاً وانحدر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان فتغنّم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه . وكان محمد بن ياقوت معادياً له فلما قبض عليه أنفذ الى داره بالليل من أحرقها [1]

(١) أما هذه الدار فقدقال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن مقلة سنة ٣٢٨. وروى الحسين ابن الحسن الواثقى وكان يخدم في دار ابن مقلة مع حاجبه ان فاكهة ابن مقلة لما ولى الوزارة الاولة كانت تشترى له في كل يوم جمعة بخمسمائة دينار وكان لابد له ان يشرب

وكان المقتدر قد عمل على ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكراهته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي على ابن مقلة فاغتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلة وكان السفير على بن عيسى فكان يداريه الى ان سكنه وقال : ما ذنب وزيرك في شفاعة مونس له . ولم يزل به حتى انصرف عن رأيه . وكان المقتدر من محبته لان يستوزر الحسين بن القاسم استحضره وبيته عنده وخلع عليه ووعده ان يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة . فلما اتصل ذلك بمونس غلظ عليه ان يتفرد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال : لا يصلح للوزارة . فترددت الرسائل بينه وبين [٣٣٣] المقتدر على لسان على بن عيسى فاستشار المقتدر على بن عيسى

بعد الصلاة من يوم الجمعة ويصطبح يوم السبت . وحكي انه رأى الشبكة التي كان أفرخ فيها ابن مقلة الطيور الغريبة قال : فعمد الى مربع عظيم فيه بستان عظيم عدة جربان شجر بلا نخل فقطع منه قطعة من زاوية كالشابورة فكان مقدار ذلك جريبين بشباك ابريسم وعمل في الحائط بيوتا تأوى اليها الطيور وتفرخ فيها . ثم أطلق فيها القمارى والدباسى والنوبيات والشحور والزرياب والهزار والببغ والفواخت والطيور التي من أقاصي البلاد من المصوتة ومن المليحة الريش مما لا يكسر بعضه بعضا فتوالدت ووقع بعضها على بعض وتولدت بينها أجناس . ثم عمد الى باقي الصحن فطرح فيه الطيور التي لا تطير كالطواويس والحجل والبط وعمل منطقة أقفاص فيها فاخر الطيور وجعل من خلف البستان الغزلان والنعام والابل وحمر الوحش . ولكل صحن أبواب تفتح الى الصحن الآخر فيرى من مجلسه سائر ذلك

وذكر أيضا ان محمد بن عبد الملك الهمذاني قال في تاريخه ان أبا على بن مقلة حين شرع في بناء داره التي من جملتها البستان المعروف بالزاهر على دجلة جمع ستين منجما حتى اختاروا وقتاً لبنائه (قال) فأحرقت هذه الدار بعد ستة أشهر فلم يبق فيها جدار . وراجع أيضا صلة عريب ١٥٤

فأشار بردّ أبي على ابن مقلة موافقةً لمونس وذلك بعد ان سأله ان يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدرُ : هـذا غير ممكن فاذكرْ سِواهُ . فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبـد الرحمن بن عيسى فمال المقتدر الى سليمان لِما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلة وما ظهر من عداوته له فأمر باحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر وكانت مدّة وزارة أبي على محمد ابن على بن مقلة سنتين وأربعة أشهر

﴿ ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي على وتقلّد سليمان بن الحسن لها ﴾

أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لاربع عشرة ليـلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدرُ بالله اليه فى ذلك اليوم وعاد من غدٍ وهو يوم الخميس فوصـل وخلع عليه وتقدّم المقتدر الى على بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمـال والدواوين ومُعـاضَدَة سليمان والاّ يتراخى فى ذلك فصار يصل مع سليمان الى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفُهُ ولا يعمل شيئاً الاّ بموافَقَة على بن عيسى (٣٣٤)

﴿ وفيها قُبض على البريديين وصُودروا ﴾

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : كان أبي يكتب لِاحمد بن نصر القُشورى وكان أحمدُ يطمع أن يُجعَل مكان أبيه نصر ويُستحجَب قال : فبينما نحن بين يدى أحمـد بن نصر بالأهواز وكان يتولّى أعمال المعاون بها اذ ورد عليـه توقيع من المقتدر بالله بخطِّه مع ركابيّ يعرفه سراً يقول فيه : يا أحمد قد عرفتَ ذنبك الذى جنيتهُ وحرمت به نفسك رأيى وقد تيسرّ لك تلافيه بامتثال أمرى فيما أضمّنهُ توقيعى هذا · اقبض على البريديين الثلاثة

وحصّلهم في دارك واياك أن تفرج عنهم الا بتوقيع يَرِد عليك بخطٍ كهذا الخط الذى فى هذا التوقيع وثق منى بالعود لك اذا فعلتَ ذلك الى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك . قال : فاقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر فى الوقت الى دار ابى عبد الله وأنفذ حاجبَهُ أبا يعقوب الى دار أبي يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل الى دار أبى الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طيارتهم . وكان الخبر قد سبق اليهم فاظهروا أنهم يريدون مسجد[٣٣٥] الرضا المُتَّصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنهم ساروا الى البصرة فقامت قيامته من ذلك

وأنفذ أبا يعقوب والغلمان وراءهم فاتفق ان عصفت الريح على البريديين فنعتهم عن السير ولحقهم الطلبُ فأخذوا

وبذل أبو عبد الله لأبي يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله ان يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى وردّهم وحصلوا في دار أحمد بن نصر. ولم تمض خمسة أيام حتى ارتفعت ضجة فقال لى أحمد بن نصر : أخرج فأعرف ما سبب هذه الضجة قال : وكان سلّم اليهم داره الشطية واعتزل فى حجرة فخرجتُ مبادراً فرآنى أبو عبد الله فقال : قُل له وبشّرهُ أن الفرج قد أتى وان هذا كتاب الوزير بالاطلاق وإقرارى وان انظر فى الاعمال. وأعطانى الكتاب وبادرتُ به الى أحمد بن نصر فقرأهُ وخرج اليه والى أخويه وقال : هذه نعمة يلزمنى فيها الشُكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خط أمير المؤمنين اليّ بما رسمَهُ وأريد خطاً مثلَهُ بما ينقضهُ . فتغيرت وجوهُ الاخوة

من ذلك واضطربوا حتي ظهر على وجوههم ما فى قلوبهم ثم أخذوا فى مُداراته ومسئلته الرفق (٣٣٦)

فلما كان من الغد شغّب الرجّالة بالاهواز تعصباً لهم وقالوا : لا بدّ من إطلاقهم. وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصرية وعدّه كثيرة من السودان والغلمان الحجرية فجمعهم ثم حلف بالطلاق أنه ان هجم على داره أحدٌ منهم قتلهم وأخذ رؤس الثلاثة وحملها الى الخليفة وقال : هذا كتاب مُزوّر والا فلِمَ لا يقع تثبيت وانما ضرّبتُم علىّ الرجّالة وراسلتموهم فى حمل السلاح وأخذكم من منزلى لئلا يظهر ما زوّرتموه وتعجّلون الخروج والهرب. فلمارأوا المَصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم له وراسلوا الرجّالة فى الانصراف بعد أن حلفوا أنهم يتبرّءوا بالتعصب لهم وأقاموا بمكانهم

ووافى بعد عشرة أيام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخطّ فتسلمهم وحملهم وعلم أنهم كانوا زوّروا واحتالوا وتأكدّت الوحشة بينهم وبين أحمد بن نصر القشوري ولم يزالوا عليها حتى فرق بينهم الدهر

ولما ورد البريديون الحضرة نوظروا على المُصادرة فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى وكان فى الوقت عدواً لهم : بكرتُ الى أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخى وقلتُ له : الأهواز (٣٣٧) خطة القاسم أبيك وهى دارك ودار أخيك وأنتم تتصرّفون فيها منذ ستين سنة فلِم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة وهلّا سعيتَ على سحقهم وسجبهم حتى لا يبقى لهم جناح يطيرون به ؟ فقال : يا أبا زكريا ما الذى تقدّرهُ فى مصادرتهم التى تؤدّيهم الى هذه الحال ؟ فقلتُ : معظما ثلثمائة ألف دينار

يزهق الله به نفوسهم. فقال لى: يا أخ قم بنا حتى نعبر الى دار الوزير. (وكان يومئذٍ أبو القاسم سليمان بن الحسن) فخرجت معه فنزلنا الطيّار فلما وصلنا وتوسطنا الدار وجدنا أبا القاسم الكلوذانى فى جانبٍ منها والبريديين بين يديه والكُتّاب فقال لى أبو جعفر : ترى أن نقضى حقّه ونُعرّج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نُخاطِب الوزير به بحسبِه؟ فقلتُ : صواب . فعدلنا الى أبى القاسم وجلسنا عنده فقال لأبى جعفر : قد فصلنا أمرَ أصحابنا وأنت وجهُ الحضرة وتاجُها وحرُّها وهم اخوتك وما أحقك بمعونتهم فقال: ان أيسر ما يكون لهم أيّدهم الله مُشاركتهم فى المحنة فأما المعونة فما أقنعُ من نفسى بها فعلى كم انفصلَ أمرُهم ؟ فقال : على تسعة الآف ألف درهم . قال أبو زكريا:[٣٣٨] فنظر الىّ أبو جعفر وقد بُهِتَ. ونهضنا فقال : يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك . فقلتُ: هذا الأمر يُراد والله ما يملكون هذا المال فانى أعرف بمكاسبهم ولكن لأبى عبدالله نفس أبية وهمة علية فعرفت نفسه على سلطانه فأعطاه أكثر مما اطمع فيه ومما سعى به أعداؤه متربصاً بالأيام والأوقات ومتوقعاً الدوائر وان يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب فى تجديد الصنيعة عنده وما كل أحدٍ يغرر هذا التغرير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شرّهُ . قال أبو زكريا : وعدلتُ مذ ذلك اليوم الى مداراته وخدمتهِ واستصلاحه

وتقدّم المقتدر بالله الى سليمان بن الحسن وأبى الحسن على بن عيسى بمناظرة أبى على ابن مقلة فاختارا لذلك أحمد بن محمد بن صالح العكبرى وانفذه الى دار السلطان فناظرهُ ولم يزد على توبيخه وموافقته على قبيح

آثاره . فالتمس أبو علي ابن مقلة أن يكون المناظر له علي بن عيسى فاجتمع الوزير سليمان وعلى بن عيسى على مناظرته فى دار الحجبة بحضرة ياقوت الحاجب فاغلظ له سليمان فى الخطاب (۳۳۹) والتخطئة والاحتقار ونسبهُ الى التضريب بين السلطان وأوليائه الى أن قرّر على بن عيسى أمرَهُ على مائتي ألف دينار على جمل يُعجَّل منها النصف ويودّى الباقي فى نجوم المصادرات وكانت تلك النجوم انما هى رسمٌ لا يطالب من يؤخَذ خطه بها . فكتب مونس المظفر الي المقتدر يشفع لابن مقلة ويسئله ان يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً فى يد مرشد الخادم فأجابه الى ذلك

(ودخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة)

وفى هذه السنة استوحش مونس المظفر زيادة استيحاش .

﴿ ذكر السبب فى استيحاش مونس وخروجه ﴾

كان محمد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً الى الحسين بن القاسم ومونس المظفر وأسبابه يميلون الى سليمان لمكان على بن عيسى وثقتهم به وينحرفون عن الحسين بن القاسم وقوى أمرُ محمد بن ياقوت وقلّد مع الشرطة الحسبة واستضمّ رجالا وقويت بهم شوكتُهُ فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن (۳٤۰) الحسبة وتقليد ابن بطحاء [1] ففعل ذلك .

(۱) وأما أبو اسحق ابراهيم بن البطحاء فقد وردت في تاج العروس (٦ : ۳۷۸) رواية من تاريخ الخطيب فى ترجمة المتقى بالله : اجتمعت فى أيامه اسحاقات وانمحقت خلافة بنى العباس في زمانه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التى كان بها فخرهم . وذلك أنه كان يكنى أبا اسحق ووزيره القراريطى كان يكنى كذلك وكان قاضيه أبو اسحق الخرقى ومحتسبه أبو اسحق بن بطحاء وصاحب شرطته أبو اسحق بن أحمد بن أمير خراسان

وتقدّم مونس الى أصحابه بالاجتماع اليه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنُهُ الرجال فى دار السلطان وفى دار محمد بن ياقوت . وقيل لمونس ان محمد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارقهُ أصحابه حتى أخرجوه الى باب الشمّاسيّة وخرجوا معه . وصار اليه على بن عيسى فعرّفه خطأ هذا الرأى وأشار عليه بأن يعود الى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره .

وطالب بصرف محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوت عن الحجبة وابعادهما عن الحضرة فوجّه المقتدر قاضى القضاة أباعمر وابنهُ الحسن وابن أبى الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب الى مونس برسالة يرفق فيها ويسئلهُ الرجوع الى داره . فقال قاضى القضاة : الوجه ان يكتب رُقعة بما حمّلناه من الرسالة نرجع اليها ونثنى الكلام على معانيها فانا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون . فقال الوزير : وما معنى هذا ؟ فقال على بن عيسى : هذا هو الصواب . وكُتب بذلك رُقعة .

وقعد الوزير وعلى بن عيسى فى دار السلطان ينتظران عودَ الجماعة فعادوا وذكروا انهم [٣٤١] لم يصلوا الى مونس وانهم اجلسوا فى الحديدى وراسلهم مونس فى إعلامه بما وردوا فيه فذكروهُ له فصار اليهم كتابُهُ يخاطبونهم خطاباً جميلا عنه . فبينا هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يفرقونهُ وقالوا : لانرضى الاّ باخراج ياقوت وابنيه . وتكلموا بكلام قبيح فراح فى آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلى بن عيسى ومن

وكانت داره القديمة في دار اسحق بن ابراهيم المصعبي وكان الدار نفسها لاسحق بن كنداج ودفن في دار اسحق في تربته بالجانب الغربي

معهما من خدم الخاصّة الى باب الشمّاسيّة فشافهوا مونسًا بالرسالة فلم يعد [1] طيهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في الحديدى . فخرج ياقوت في تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابناه فلما كان من غد ذلك اليوم وعرفت المونسيّة ان ياقوتًا وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا عن الوزير والجماعة وانصرفوا الى منازلهم

وقلّد المقتدر ياقوتًا أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب الى أبي طاهر محمد بن عبد الصمد بالانضمام اليه وانضم اليه وخاطبه بالاستاذيّة وقلّد المظفر بن ياقوت أصبهان وتقلّد ابنا رايق ابراهيم ومحمد مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدّة . وكان على بن خلف [٣٤٢] بن طناب متضمنًا أموال الضياع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا فقطعا الحمل عن السلطان الى ان ملك على بن بُوَيه الديلمى فارس يوم السبت سنة ٣٢٢

وفيها دخلت قوافل الحاجّ من مكة سالمين مع مونس الورقانى فاستبشر الناس بتمام الحج وانفتاح الطريق وضربت له القبابُ ببغداد

وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن [2]

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان سليمان أضاق اضاقة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلّح واتصلت الرقاع ممن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان ابن الحسن وأبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى فشق [3] من ذلك وجزع جزعًا عظيما وحملا الى دار السلطان . وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد

(١) لعلهم يعد (٢) راجع صلة عريب ١٦١ (٣) لعله فشق عليه والاصل غير واضح ٣١٩

الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوذانى فاضطر المقتدر الى تقليده وكانت مدّة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج اليه (٣٤٣) مفلح برسالة المقتدر بأنه قد قلّده وزارته ودواوينه ولم يوصله اليه وتقدّم اليه بأن ينحدر اليه يوم الاثنين ليخلع عليه . فخاف الكلوذانى من حيلة تتمّ للحسين بن القاسم فى تقلّده الوزارة لانه بلغهُ ان الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفر وقال : لا يؤمن ان يحتجّ الخليفة فى تأخر الخلع على الكلوذانى بانه لم تعدّ له الخلع . وأشار بأن يوجّه مونس بخلع من عنده الى دار السلطان ليخلعها عليه ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبى القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى يوم الاثنين وخاطبهُ بتقليده الوزارة والدواوين وتقدّم اليه بأن يقلّد الحسين بن القاسم ديوانا جليلا ليظهر ويزول عنه الاراجيف بالوزارة . ووصل على بن عيسى بوصول الكلوذانى فأمره المقتدر بحضرة الكلوذانى بأن يجرى على عادته فى الاشراف على الامور والحضور معه وعرّفه انه قد أفردهُ بالنظر في المظالم دون الكلوذانى فركب الكلوذانى فى الخلع من دار السلطان الى داره فأخذ خط سليمان بن الحسن بمائتى الف دينار

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر (٣٤٤) من الشام وأبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله من نواحى جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح منصرفاً الى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلّده الكلوذانى مكرها وانقطعت بتقليده موادّ كانت تصل الى الكلوذانى

وأبي الفياض من أرزاق قوم لا يحضرون وتسبيبات باسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبب للغلمان والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويبتاع ببعضه ما يحتاج اليه وأشياء تشبهُ هذه ولم تنبسط يد الكاوذاني على قوم لعناية مونس المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققا بمفلح الاسود فأوصلهُ مفلح الى المقتدر وجعلهُ واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له ان الوزراء كانوا يرتفقون بها وان الضمناء قد بذلوا ان يرفقوا به الخليفة ليصرفه في مُهمّ نفقاته لشدّة الاضافة. وكان ابن قرابة يظهر للمقتدر ولمفلح الاسود انه يمشي أمر الوزارة وان الوزراء لايتمّ أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكاوذاني ويقرضه عن (٣٤٥) بني البريدي وغيرهم بربح درهم في كلّ دينار فاقرضهُ مائتي ألف دينار مشى بها أمرُ الكاوذاني وعال المصادرات

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت بين هرون بن غريب وبين مرداويج بنواحي همذان وان هرون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره الى حلوان. ونزل هرون بدير العاقول

وفيها قصد لشكري الديلمي أصبهان وحاربهُ أحمد بن كيغلغ فانهزم أحمد وملكَ لشكري اصبهان وهذا لشكري من أصحاب أسفار بن شيرويه فلما قصد هرون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن اليه لشكري ثم لما انهزم ابن الخال انهزم لشكري بانهزامه الى قنسرين فلما تأهّب ابن الخال ثانياً وجُهّزت اليه العساكرُ من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكري الى نهاوند من الدينور مع جماعة من الغلمان لحمل مالٍ اليه ورسم أن يحمل المال

الى همذان ويقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكرى الى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها فى مدة أسبوع وأثبتَ جنداً ثم خرج الى الكرج ففعل مثل ذلك (٣٤٦) واتصل الخبر بابن الخال فطالبهُ فرحل من بين يديه وسار حتى وقع الى اصبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلغ

﴿ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلغ بعد هزيمته ودخول ﴾
﴿ أصحاب لشكرى أصبهان ﴾

حكى أبو الحسن المافروخى أنه كان باصبهان فى الوقت وان أحمد بن كيغلغ انهزم أقبح هزيمة ثم لجأ الى بعض القُرى فى ثلاثين نفساً معه وراء حصنها. ودخل أصحاب لشكرى اصبهان ونزلوا فى الدُور والخانات والحمّامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته لإهراق ماء فرأى كوكبةً أنكرَها وقال: ما هذه؟ فقيل: شرذمةمن الكيغلغية. فركب فى الوقت يريدُها فلما قرُب منها أسرع أحمد بن كيغلغ اليه بعد أن علم أنه هو فتناوشا وكاد لشكرى يَستأسِره فخرج أهل تلك القرية فزعقوا به فضعفَت نفس لشكرى وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد بسيفهِ ضربة قدَّ المِغفَر والخُوذَة ونزل السيف فى رأسه فقتلهُ وخر لشكرى ساقطاً فنزل أحمد اليه وحزّ رأسَهُ وعرف أصحابهُ الخبر فطاروا هاربين وكان فتحاً طريفاً واتفاقا عجيباً وكانت سنُّ أحمد بن كيغلغ (٣٤٧) ومئذ تجاوز سبعين سنة.

وفيها صُرف الكلوذانى عن الوزارة وقُلّدها الحسين بن القاسم

﴿ ذكر السبب فى تقلّد الحسين بن القاسم الوزارة وما تمّ له من الحيلة فيها ﴾

كان أبو القاسم ابن زنجي يحكي فى توصُّل الحسين بن القاسم الى الوزارة خبراً طريفاً ويقول: كان أبو على الحسين بن القاسم يُعرف بأبى الجمال وكان لى صديقاً يسكن اليَّ ويستدعيني الى الموضع الذى كان مُستتراً فيه ويشاورنى فالزمني بذلك حقاً وحُرمة فاجتهدتُ فى السعى له والتوصُّل بكلّ سبب وحيلة الى أن تقلَّد الوزارة . فكان من أنجع ما عملتُهُ أن رجلا بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمنى ويبيت عندى ويخرج اليَّ بسرِّه ويحدثني أنه يظهر كتباً ينسبها الى دانيال بخط قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مُقطَّعة اذا جُمعت فُهمت واستوى له بذلك جاه وقامت له به سوقٌ . ووصلت اليه جُملة من القاضى أبى عُمر وابنه أبى الحسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به[٣٤٨] لأنه عرَّفهُ أنه وجد فى الكتب أنه من ولد جعفر بن أبى طالب فجاز ذلك عليه ووصل اليه منه برٌّ كثير . فانفتح لى ان سألتُهُ إثبات فصل فى كتُب يكتُبها بشرح ما اسئلهُ فأجابنى الى ذلك فوصفتُ له الحسين بن القاسم واقتصرتُ من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدَرى فى وجهه والعلامة التي فى شفته العليا وخفة الشعر هُنالك وانه ان وزر للثانى عشر من خلفاء بنى العباس استقامت أموره كلها وعلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا فى أيامه . ودفعت النسخة الى الدانيالى وواقفني على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويجعل هذا الباب فى تضاعيفها فسألتُهُ تقديم ذلك ولم أزل أطالبهُ حتى أعلمني أنه لا يستوي على ما يريد حتى لا يشك فى قِدَمه وعتقه فى أقلّ من عشرين يوماً وانه يحتاج أن يجعلهُ فى التبن أياما ثم يجعله في الخُفّ ويمشى فيه أياماً وانه يصفرّ ويعتق . فلما بلغ المبلغ الذي

قدّر صار اليّ وهو معه وأرانيه فوقفتُ على الفصل ورأيتُ دفتراً لولا ما عرفتهُ من الأصل فيه لحلفتُ على أنه قديمٌ [٣٤٩] لا شك فيه . ومضى بذلك الى مفلح فقرأه عليه في جملة أشياء قرأها فقال له مفلح : أعِد عليّ هذا الفصل . فأعاده ومضى مفلح الى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضرهُ اياه فقال له : منَ تعرف بهذه الصفة ؟ وأقبل المقتدر يكرّرها فذكر مفلح أنه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف انساناً يوافق هذه الصفة صفته فقال مفلح : لستُ أعرفُ بهذه الصفة الاّ الحسين بن القاسم الذى يقال له أبو الجمال . فقال له المقتدر : ان جاءك صاحبٌ له برقعة فخذها منه وان حملك رسالة فمرّ فيها واكتمْ ما يجرى فى أمره ولا تعلم أحداً به . وخرج مفلح الى الدانيالى فقال له : هل تعرف أحداً بهذه الصفة ؟ فأنكر ان يعرف ذلك وقال : انما قرأتُ ما وجدتُهُ فى كتب دانيال ولا علم لى بغير ذلك .

وانصرف اليّ فحدثني بهذا الحديث فقمتُ من فورى الى الحسين بن القاسم فاعدتهُ عليه فسر به غاية السرور وابتهج نهاية الابتهاج وظهر فى وجهه استبشارٌ عظيم وقال لى : اعلم ان أبا بشر الكاتب [٣٥٠] كان أمس عند مفلح برسالة لى اليه فانصرف كاسف البال ظاهر الانخزال مغموما بما شاهدهُ من اعراضه عنه فغمني ذلك . فقلتُ : الآن يتبين لنا صدقُ الدانيالى من كذبه ابعثْ بأبي بشر فى غد الى مفلح برسالة منك فانه سيتبين له فيما يعاملهُ به صحة ما حكاهُ من بطلانه . فدعا أبا بشر النصرانى كاتبه وحمّله اليه رسالة ووكّد عليه فى البكور اليه فلما كان من غد آخر النهار مضيت اليه اتعرّفُ خبره وما جرى فدعا أبا بشر وقال له : اعِد عليه خبرك . فأعلمني

انه دخل اليه وفى مجلسه جماعة فرفعهُ عليهم فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه يحدثه ثم استدناهُ وسأله سرًّا عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال « تقرأ عليه سلامى وتعرّفه تكفّلى بأمره وقيامى به » وكلاما فى هذا المعنى وان ينفذ اليه رُقعة ليوصلها وينوب معه. قال لى أبو بشر : وانصرفت وأنا فى نهاية قوة النفس والثقة باللّه عزّ وجل وتمام ما يسفر فيه. فاعلمتُ الحسين ان الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثرهُ.

قال : (٣٥١) ثم ان الدانيالى طالبنى بالمكافأة فطيبتُ نفسهُ واستمهلته الى ان تقلّد الحسين الوزارة فاذكرته حق الرجل فقلّده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار فى كل شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسهُ فيجلسه الى جانب مسورته ثم مضت أيّام فقال : لا يقنعنى ما أجرى لى. وسأل زيادة فكلّمتُ الحسين بن القاسم فى أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب برسم الفقهاء. وكان ما ذكرتهُ من حديث الدانيالى من أوكد الاسباب فى تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين فى أمره.

وانضاف الى هذا الخبر الذى أخبر به أبو القاسم ابن زنجى ان الكلوذانى عمل عملاً لما يحتاج اليه من مُهمّ النفقات وأخذ خطّ صاحبى ديوان الجيش والنفقات باعمال أُخر مفردة عملوها لما يحتاج اليه بزيادة مائتى الف دينار على ما عمل هو حتى تبين للمقتدر باللّه وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة الف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له : ليس لى معوّلٌ الاّ على ما يطلقه أمير المؤمنين (٣٥٢) لا نفقهُ. فعظم ذلك على المقتدر فلما بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذى عملهُ الكلوذانى كتب رُقعةً الى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير

ان يطلب منه شيئا وانه يستخرج سوى ذلك الف الف دينار يكون فى بيت مال الخاصة . فانفذ المقتدر رُقعته الى الكلوذانى وقال : هذه رُقعة فلان ولستُ اسومك الاستظهار بالمال وما أريد منك الا القيام بالنفقات فقط . فقال الكلوذانى : قد يجوز ان يتمّ لهذا الرجل مالم يتمّ لى . وسأله تقليد من ضمن هذا الضمان فاعفاه من الامر . فلمّا وقف المقتدر على تبلح الكلوذانى وحصل في نفسه مابذله الحسين بن القاسم عمل على ان يستوزرهُ وعلم شدة كراهية مونس المظفر لذلك فراسلهُ على يد مفلح بأن يجتهد في إصلاح اعدائه . فابتدأ الحسين ببنى رائق فكان يمضى بنفسه الى كاتبهم ابراهيم النصرانى ويضمن لهم الضمانات حتى صالحوا له ثم فعل ذلك بأبى نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطفن بن يعقوب كاتب مونس وقال له : ان تقلّدتُ الوزارة فانتَ قلّدتنيها . فأشار عليه بملازمة [٣٥٣] أبى على يحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق ففعل ذلك وكان يلبق قد سمع انه متّهم فى دينه شرٌ فجمع أبو على الطبرى بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكلّ يمين يحلف مسلم ومعاهدٌ انه مكذوبٌ عليه فى كلّ ما يطعن به عليه فى ديانته أوّلا ثم فى عداوته لمونس وخاصته وأصحابه لا ينوى لاحد من الناس سوأً ولا يأخذ الاموال الا من بقايا صحيحة على تجار ملاءٍ كسروا مال السلطانِ من أثمان الغلاّت ومن ضُمناء قد ربحوا ربحاً عظيما . وضمن الحسين ليلبق ضياعا جليلة كذلك لكاتبه فسعى له يلبق وسأل مونساً فى أمرهِ وسأل مونس المقتدر فتقرّرت الوزارة له وبلغ ذلك الكلوذانى فواصل الاستعفاء .

واتفق ان دخل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل فى ماه الكوفة

وحلوان وهـذه نواح لم يتغلب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخّرت فطالبوا الـكاوذاني وأمرهم الـكاوذاني بالرجوع لينفق فيهـم هُناك فـلم يسمعوا ورجمود بالآجُرّ وهو مُنصرف فى طيّاره . فجعل ذلك حجة وأغلق بابَهُ وحلف على انه لا ينظر فى أعمـال (٣٥٤) الوزارة فـكانت مدّة وزارته شهرين وثلاثة أيام .

وكـتب المقتـدر الى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب اليه وجوه الـكـتاب والعمال والقوّاد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار اليه مع قاضي القضاه أبى عمر محمد بن يوسف وابنه والقاضى ابن أبى الشوارب [1] وكتب عن المقتـدر بخبر تقليده الوزارة الى خراسان وجميع النواحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة لِليلتين بقيتا من شهر رمضان . فعدل عن الجلوس لِلتهنئة وتشاغل بالنظر فى أمر المال وما يحتاج اليه فى نفقة العيـد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لانهما كانا يتوليان ديوان المشرق وزمامهُ وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العُمّال والضُمناء بسـبعين ألف دينار . وصار اليـه على بن عيسى آخر النهار فهنأهُ وقـد كان الحسين شرط لنفسهِ الا ينظرُ علي بن عيسى فى شيء من الامور ولا يجلس للمَظالم فأجيب الى ذلك

وتبسط كاتب بني رائق وكلّ منَ كان سعى له فى الوزارة فى طلب الأموال حتى قبضوا علي شذاةٍ وردت من الأهـواز (٣٥٥) فيهـا مال الأهواز واصبهان وفارس فكتب الحسـين الوزير الى المقتدر يشكو هذه

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب كذا فى تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٢٢ وفى صلة عريب ص ١٣٩ هو الحسين بن عبد الله

الحال فلم يُنكر كلّ الإنكار فوقع الاتّفاق بين الحسين وبين ابى رائق على أن يأخذوا من المال النصفَ ويفرجوا عن الباقي ففعلوا ذلك

وكانت دِمنَة جارية المقتدر حظيّةً عنده وكانت تُوصِل رِقاع الحسين الى مولاها وتقوم بأمره فحمل اليها جملة عظيمة من المال وبعث الى ابنها وهو الأمير أبو أحمد اسحق أيضاً جملة [١] واستأذن المقتدر أن يستكتب له أبنَهُ القاسم بن الحسين فأذن له فى ذلك وضمن لِدمنة أن تحمل الى ابنها فى كلّ يوم مائة دينار وتدفَعُ عن صرفه

واختصّ به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدّم له جُملة من المال عن الضُمناء بربح درهم فى كلّ دينار على رسمه . واختصّ به من القوّاد جعفر بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وقلّده أعمال الحرب والخراج والضياع بحلوان ومرج القلعة وماه الكوفة والبسه القباء والسيف والمنطقة وتسمى بالأمارة وخوطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كُوَر [٣٥٦] المشرق وينتزعها من يد مرداويج وكان قداحتجن أموال السلطان من بقايا ضمان كانت عليه فى أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضياع والخراج الخاصّة والعامة وكانت جملة عظيمة . وكان تقلد كرمان فى بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارِفُهُ أنه ما أنفق منها درهماً واحداً واتفقت له أشياء تجرى هذا المجرى.

وتجرّد الحسين بن القاسم لاخراج على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن الى مصر والشام فراسل المقتدر على بن عيسى فى ذلك ودفع عنه مونس

(١) قال صاحب التكملة انه كان يخدمها ويخدم ابنها في كل يوم بمائة دينار . وابنها هو والد الخليفة القادر بالله

المظفر وقال: هذا شيخ يُرجَع الى رأيه ويُعتضد بمكانه. الى أن تقرّر أمرُه على أن يخرج الى الصافية فخرج[1]

وابتدأ مونس فى الاستيحاش والتنكر فى يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجّة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعةٍ من القوّاد على التدبير عليه. وبلغ الحسين تنكُّر مونس له وأنّه عزم على كبسه بجماعةٍ من خواصه فى الليل للقبض عليه[(٣٥١)] فتنقل فى مدّة عشرة أيام فى نحو عشرة مواضع وكان لا يُعرَف له دارٌ ولا موضع يلقاهُ فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين الا اذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام في دار الخليفة. وراسل مونس المظفر المقتدر بالله في صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه الى صرفه والتقدّم اليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه ونفيه الى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وتردّدت بينهما فيه رسائل. وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبى العباس من داره بالحُرَم والخروج به الى مصر والشام ليعقد له الأمر فى الخلافة هُناك وأشار بردّ الأمير أبى العباس الى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك. ووقف الامير أبو العباس على ما فعلهُ الحسين ابن القاسم فحقده عليه فى نفسه الى أن أفضت اليه الخلافة فأنزل به من المكروه ما سنشرحهُ فى موضعه ان شاء الله

وكتب الحسين بن القاسم الى هرون بن غريب وهو بدير العاقول

---

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٥ أنه أخرج الي دير قنا

بعد هزيمته من بين يدى مرداويج بالمُبادرة الى الحضرة فزادت وحشة مونس بهذه الاحوال وصحّ عنده أن الحسين بن القاسم (٣٥٨) فى تدبير عليه فخرج من داره لخمس خلون من المحرّم وجلس فى حديدى وامتدّ الى باب الشماسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هُناك . و كتب مونس الى المقتدر بأن مفلحاً الاسود مُطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وان نفسه لا تسكن الا بانفاذ مفلح اليه ليُقَلِّدهُ اجلّ الاعمال ويخرج فكتب المقتدر بأن مفلحاً خادمٌ يثق به فى خدمته وانه ليس ممّن يُدخل نفسهُ فيما ظنَّهُ به . وبلغ مونساً أن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجريّة فى دار السلطان وانه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وان هرون بن غريب قد قرُب من بغداد فأظهر الغضب وسار الى الموصل . ووجّه بُشرى خادمه ليؤدي رسالة الى المقتدر فلما حصل بُشرى فى دار السلطان بحضرة الحسين ابن القاسم قال له الحسين : هات الرُقعة التى معك . فقال له : ليس معى رُقعة وانما معى رسالة . قال : فتذكرها . فقال : قد أمرتُ الا أذكرها الا للخليفة . فوجّه الحسين الى المقتدر بالله وعرّفهُ ذلك فوجّه المقتدر الى بُشرى يأمره أن يؤدي الرسالة الى الحسين فقال بشرى : حتى أمضى واستأذن صاحبي (٣٥٩) فى ذلك واعود . فشتمهُ الحسين وشتم صاحبهُ وأمر به فقُبض عليه وضربه بالمقارع وقال : لا أرفع عنك الضرب أو تكتب خطك بثلثمائة ألف دينار . فكتب وأمر به الى الحبس ثم وجه للوقت الى داره وقبض على أمرأته وصادرها وحمل ما فيها . ولما بلغ مونساً ما جرى على خادمه بشرى امتدّ واصعد ومعه من كان برسمه من قُوّاده وأصحابه وكتب الحسين بن القاسم الى من كان معه من القُوّاد والغلمان

بالانصراف عنه والمصير الى باب السلطان فانصرف عنه جماعة منهم [١]
ومضى مونس في خواصه وغلمانه مسرعاً الى الموصل . ووقع الحسين
بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفرد لها ديواناً سماه ديوان
المخالفين وردّهُ الى محمد بن جني

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ اليه طعاماً من بين يديه
وأمر بأن يكنّى ويلقّب عميد الدولة وان يضرب لقبهُ على الدنانير والدراهم
ففعل ذلك وخلع عليه يوم الاثنين لاربع بقين من المحرّم وانشأ فى ذلك
كتابا نفذ الي جميع الاعمال والاطراف . وصرف قوما وقلّد قوماً فكان
فيمن قلّد (٣٦٠) أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدى وذلك بمسئلته فقلّده
أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها
فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون الف دينار ووقع
بتسبيبها على مال الاهواز . فلمّا وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك
استعظم الايفى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتي يحتاج الى ان يسبب على غيرها
وتقدم باخراج الجماعات والحسبانات اليه وتقدّم الى كلّ واحد من أصحاب
المجالس ان يخرج اليه ماعنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت
الجماعات اليه وهو ينظر فيها وفى أعمال كُتّاب المجالس ويضيف من عمل
الى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة الى بعد العتمة الى ان انتظم العملُ
على ما أراد . ثم احضر أبا يوسف البريدى وواقفه عليه ولم يتهيأ له انكار شيء
مما أخرجه فاعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للاولياء وان يثبت لحفظ

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٧ كان ممن رجع عنه أبو دلف القاسم بن دلف ومحمد
بن القاسم بن سيا

السور الف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات الراتبة ويحمل اليه بعد ذلك كله ستين الف دينار الى بيت المال(٣٦١) بالحضرة. فصار الفضل بن جعفر بالخط الى الوزير الحسين بن القاسم متبجحا به وعرضه عليه وعرّفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتى تقرّر على ما كتب به خطّهُ.

فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذى قدّره الفضلُ وتبين منه تنكّره له وظنّ انه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله فلما تبين الفضلُ الصورةَ راسل المقتدر بما فعله فوقع ذلك عنده احسن موقع وشاع ماعمله فى الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم. واتصل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد ان يضع منه فواقف ابن جبير على مهاترته فى المجلس والغضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتى تكلّم بما لم تجر العادة بمثله والحسين ممسكٌ عن الجميع لا يكفّ أحدَهما عن الآخر فلما تبين أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال: ليس المكلم لى أنت بل المكلم غيرك. فلما ولى خارجا عرفَ الحسين الخطأ فيما جرى فقال لابى عبد الله زنجى: ان أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ ان يخرج على هذه الجملة فأحبّ ان تلحقه وترضيه وتردّه. فبادر اليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتى(٣٦٢) ردّه واعتذر اليه الحسين من خطاب ابن جبير له. وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقى ديوانه شاغراً الى ان يئس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوذانى الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له فى طلب الوزارة حتى تمّ له كما سنذكرهُ.

ولما لم[1] يعد مونس الى بغداد وجّه الحسين الى ابن مقلة فصادره وكان معتقلا فاعطى خطّهُ بمائتي الف دينار وأنفذ الى على بن عيسى وهو بالصافية يستحضره وأطمع المقتدر من جهته في مائتي الف دينار فلمّا وصل الرسول الى الصافية وجد بها هرون بن غريب وكان هرون شديد العناية بعلى بن عيسى فمنعه من حمله وقال : انا اخاطب أمير المؤمنين فى أمره. فلمّا وقف الحسين على عناية هرون بعلى بن عيسى أمسك عنه .

ولمّا وصل هرون بن غريب الى دار السلطان وصل اليه في خلوة وانصرف الى داره فقصدَهُ الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره. فخاطب المقتدر فى أمر على بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه فى أمر أبى على ابن مقلة فحط من مُصادرته خمسين ألف دينار وأمر بحمله اليه . ثم لم يستصوب ذلك (٣٦٣) وخاف ان يكاتب مونسا أويُراسله فسأل ابنُ مقلة هرونَ ان يُعاود الخطاب فى بابه ويستحلفه بأيمان مغلظة الاّ يكاتب ولا يراسل مونسا ولا أحدا من أسبابه ففعل ذلك وحُمل اليه قال : فحدّثنا أبو على ابن مقلة فى وزارته للراضى انه أخذ فى استماحة الناس وأدى المال كلّه مما وصل اليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وانه اشترى بها ضياعا باسم عبد الله بن على النفّرى[2] ووقفها على الطالبين .

وكتب الحسين الى ياقوت بالقبض على الخصيبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفة على بن محمد بن روح بالخبر اليه فخرج من يومه من شيراز مستترا حتى وافى بغداد واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وكان الفضل بن

(١) بالاصل ولما يعد (٢) وفى التكملة «المقرى»

جعفر مستترا عنده أيضا فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمد بن ياقوت من الاهواز . وقُبض على محمد بن المتضد بالله وعلى أبي أحمد ابن المكتفى بالله وحدرا الى دار السلطان واعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة فى التوسعة على محمد بن المتضد وفى اكرامه وأهدت اليه عدّة من الجوارى .

وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب (٣٦٤)

(ذكر السبب فى ذلك)

اشتدت الاضاقة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة ٣٢٠ شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة لتمام نفقات سنة ٣١٩ الخراجية . وعرف هرون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقليد الخصيبي الوزارة وكتب له أمانا فظهر فخوطب فى تقلد الوزارة فذكر انه لم يبق للسلطان في النواحى من مال سنة ١٩ شيء وقد بقى منها نحو ثلاثة أشهر وان الحسين قد استسلف من مال سنة ٢٠ قطعةً وافرةً وانه لايغرّ السلطان من نفسه . فاشار عليه هرون ان يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الاصول فى يد الحسين ليضبط الاموال مُستأنفا فرضى الحسين بذلك وتقلد الخصيبي دواوين الازمّة وأجرى عليه وعلى كُتّابه الفى وسبعمائة دينار فى كل شهر وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الارجاف

ثم ان الحسين بن القاسم عمل أعمالا أخذ فيها (٣٦٥) خطوط أصحاب الدواوين الاصول والازمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الاموال من النواحى وما يُرجى حصولهُ منها . وقدّر النفقات تقديراً مُتقاربا للارتفاع فسكن بذلك قلب المقتدر فسلّم المقتدر ذلك العمل الى الخصيبي وأمره بتتبعه فوجد

الخصيبي الحسين بن القاسم قد احتال بان أضاف الى ما يقدّر حصوله من النواحي أموال نواحٍ قد خرجت عن يد السلطان بتغلُّب من تغلّب عليها مثل الديلم على أعمال الرى والجبل ومونس على أعمال الموصل وديار ربيعة وما لم يُحمل من ديار مُضَر ومن مصر والشام منذ أربع سنين وذلك جملة عظيمة وأُسقط من النفقات الزيادات التى زادها هو للجند والحاشية وغيرهم ولم يُسقط من الاموال التى يقدّر حصولها من النواحى ارتفاع ما باع من الضياع فعمل الخصيبى عملاً عرضهُ على المقتدر فامر المقتدر ان يواقف عليه الوزير فاجتمع الكُتّاب وأمره المقتدر بمُناظرتهم . فلما خاطبوه أخذ فى التشنيع عليهم وانهم سعوا به وقال : فى أى شىء غالطتُ السلطان ؟ أليس هذه خطوط الضمناء ؟ فقالوا : معاذالله ان يقول [٣٦٦] أحد فى الوزير ذلك ولكن العمل أخرج بما اضطرّ الوزير أيّده الله الى التسبيب به على مال سنة ٣٢٠ من الاموال المستحقة فى سنة ١٩ وقد رفع الضمناء الى ديوان الزمام أعمالاً لما أطلقوه من مال سنة ٢٠ وما كانوا ضمنوا اطلاقهُ من مال هذه التسبيبات عند ادراك الغلات ولهذا احضرنا . فقال الحسين : أفتعلم كم مبلغه ؟ فقال: نعم . وأحضر عملا كان عملهُ بمبلغ ذلك فوجد ان الذى سُبّب على مال السواد والاهواز وفارس لسنة ٣٢٠ قبل افتتاحها بشهور أربعون ألف ألف درهم وان الذى يبقى الى آخر سنة ٢٠ على الضمناء الى افتتاح سنة ٣٢١ عشرون ألف ألف درهم . وقد كان قيل فى العمل ان هذا ما لم يجر به فى قديم الدهر ولاحديثه رسمٌ بمثله .

فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد ان يقطع المجلس بالمشاغبة وقال : يكتَب فى الاعمال التى عملت ما لم يعملهُ أحد من الوزراء قط ثم

يُعرض عليّ . فقال هشام : هذا غلط كتب على سبيل السهو وليس مما يزيد في المال ولا ينقص منه . وضُرب على تلك الحكاية وقال : انما احضرنا لننظر في أمر المال (٣٦٧) ونصدق الوزير عنه. فعدل الى الخصيبي يُهاتره فترك الحجة فنهض الخصيبي عن المجلس لما ظهرت الحجّة على الحسين وصار مع الضمناء ومع أبي جعفر ابن شيرزاد الى هرون بن غريب فشرحوا له ما جرى . وأعيد المجلس كهيئته الى المقتدر ثم شافه الخصيبي بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحلّ أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر

﴿ وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر ﴾ [1]

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا في شهر ربيع الآخر فركب في الخلع وركب معه القوّاد وخواصّ المقتدر . وسلم المقتدر الحسين بن القاسم الى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فاجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أدّاها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقليده الاشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك . ثم ظهر انه أراد ان ينقُب الموضع الذي كان فيه وقال الخصيبي : هذا رجل في جنبه للسلطان مالٌ عظيمٌ وليس يصلح ان يخرج وان يدبر شيأ من الاعمال . فتأخر أمره وصودر أيضا ثم تسلمه الوزير فبقي عنده مدة ثم أبعده الى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار والتمس (٣٦٨) ان يُقاطَع عن الاعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هرون بن غريب بامره فقرّرهُ على ان يسلم الى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان

(١) هذه الترجمة زدناها

ويُقلّد باقي الاعمال ويحمل عنها مالا وكُتب له العهد وأنفذ اليه اللواء ومعه خِلعٌ

ثم ان المقتدر همّ بتقليد أبي على ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هرون بن غريب فكره ذلك لِمَيل أبي على الى مونسٍ فاجتمع مع الوزير أبي الفتح وألزما . أبا عبد الله البريدى مائة الف دينار وسلّم ابنُ مقلة اليه فمشى أمر الوزير أبي الفتح وحمل ابن مقلة الى شيراز مع رشيق الايسر

وفيها مات أبو عمر القاضي فاغرى أبو بكر ابن قرابة بورثتهِ أغراءً شديداً وقال لِلمقتدر : ينبغي لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فانه من ورائها والا حضَرَ من يتقلّد قضاء القُضاة ويُوفّر هذا المال من جهته . فرسم المقتدر لِهرون بن الخال أن ينفذ كاتبه وللوّزير أن يضمّ اليه ثقتهُ حتى يصيرا مع ابن قرابة الى أبي الحسين ابن أبي عُمر ويخاطِبه بحضرتهما . فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو على أحمد بن نصر البازيار فلمّا حصلوا عند أبي الحسين القاضي وجدوا عنده عالمًا من الناس مُعزّين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا (٣٦٩) كما يحسُن أن يعمل في المصائب فقال ابن قرابة : ما لهذا حضرنا قُم يا أبا الحسين معنا حتى نخلو . فنهض واستوفى عليه ابنُ قرابة استيفاء شديداً فقال أبو الحسين : ان نعمتي ونعمة والدى من أمير المؤمنين المقتدر ولستُ ادخر دونه شيئاً . وسأل أن يمهل يومهُ حتى يُحصّل أمرَهُ ويبكر فيصدقُ عنه وكان شهر رمضان فلمّا جنّه الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الافطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه الى الافطار فغسل يده وسمى وأكل ومصيبتهُ طرية وانها

ليومه ولكنه ليستكفي شرّهُ[1] فلما انقضى الافطار قال له : يا سيدى قد جئتك مُستسلماً اليك فدبّرني بما تراه . فقال له : قم فامض بسلام وما بك حاجة الى أن توصيني ولا تفكر في أمرك فاني أفصلّهُ وأعملُ فيه مايرضيك . وكان على مائدة أبي بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف أبنا البريدي فلمّا فرغوا من الاكل قرُب البريديان من القاضي أبي الحسين كالمتوجعين له ووصفا مُشاركتهما اياه واستصوبا قصدَهُ أبا بكر وإفطارَهُ معه وقالا له : أنت مقبل . وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال : ان احتجت اليها نخُذها وافتد نفسك وان أوجبت الصورة أن تستتر (٣٧٠) فانفقها في استتارك فلم ينفد حتى يأتيك الفرج.ولم يحتج أبو الحسين الى الاستتار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون واخوانه أحسن مُعاونة فقلّدهُ قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمرُهُ

ثم ان المقتدر وصف لابن قرابة الاضاقة فقال له: يا أمير المؤمنين لِمَ لا يُعاونك هرون بن الخال وعنده آزاج مملوة مالا . فاعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال . يا أمير المؤمنين ان كنتُ أملكُ ما قال فلستُ أبخلُ عليك به لانى أسلمُ بسلامتك وفى جيشك أنفقُهُ واليك مَعادهُ وابن قرابة معه من المال مالا يحتاج أبداً اليه وأنا استخرجُ لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذي يجمعني واياه فلم يُترك عليه وأنا أودّيها من مالِهِ اليك . فقال له : اذهب فتسلمه . فقبض عليه وجري عليه من المكروه ما اشفى به على التلف حتي قتل المقتدر بالله فتخلص ولا عجب من أمر الله .

---

(١) وفي التكملة: فأكل قاصداً لاستكفاء شره .

وكان قد وقع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عملٌ بما صار اليه من الربح فى الاموال التى قدّمها عن الضُمناء وبقايا مُصادرته فى أيام عبد الله الخاقانى وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعهُ من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات (٣٧١) ألف الف دينار فصح له من هذه الجملة تسعون ألف دينار . ثم شغل الوزير وهرون بورود الخبر عليهما بانحدار مونس من الموصل وكان هرون قيّده وسلّمه الى حاجبه وعدّة من غلمانه ليخرجوه الى واسط فقتل المقتدر فى ذلك اليوم فهرب من كان مُوكلا به وبقى منه غلامان كان هو اشتراهُما لابن الخال فعُنيا به وصارا معه الى فُرضة جعفر وأدخلا الى مسجدٍ وأحضرا حداداً وحلاّ قيوده وأطلقاه فمشي الى منزله بسويقة غالب ووهب لهُما خمسمائة دينار

وحكى ثابت بن سنان (١) فى كتابه أن اباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبى بكر ابن قرابة مودّة . فصرنا اليه لنُهنئه بخلاصه فقال لوالدى : يا أبا سعيد قد اجتمع لى فيك المحبة والعقل وجودة الرأى وأريد أن أستشيرك فى أمرى . فقال له أبى: قل فانى امحضك النصيحة . فقال : أنت تعلم انى كنت فى بحارٍ من التخليط وكانت علىّ تبعاتٌ فيما كنتُ أدخلُ فيه وأُقدّمهُ من مالى عن الضمناء لم يكن على أحد مثلها وقد غسلت هذه النكبة وما اديّتُ فيها من المصادرة دون ما كنتُ فيه وقد حصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون الف دينار خالصة وحصل لى من البساتين (٣٧٢) والمستغلات بعد ذلك ماليس لاحد مثلهُ ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لاحد مثلهُ ومن

(١) ترجمته موجودة فى ارشاد الاريب ٢ : ٣٩٧

الرقيق والخدم والروقة والغلمان والكراع ما ليس لاحد مثله ولى بعد ذلك كله ثلثمائة ألف دينار صامت لا احتاج اليها . وبيني وبين هذا الوزير (يعني أبا على ابن مقلة وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس) مودة وكيدة فهل ترى لى اذا قدم ان اقتصر على لقائه فى الاوقات لعمارة الحال بيني وبينه ولا أداخله ولا اعاود ما كنت فيه أو اعاود وارجع الى التخليط ؟ فقال له والدي : ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وانما يشاور فى المشكل من الامر فأما الواضح فيستغني فيه عن الرأى. انظر أعزك الله فان كان ذلك التخليط أثمر لك ما تحب فارجع اليه وان كان انما أثمر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده. ومع هذا فان الانسان انما يكد ويكدح ويتعرض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها وارتبح الصيانة وحسن العافية. فسمع ذلك كله [و] قال : قد علمت والله انك قد نصحت وبالغت ولكن لى نفساً مشؤمة لا تصبر[٣٧٣] وسأعاود ما كنت فيه . فقال له والدي : خار الله لك . وانصرفنا فقال لى والدي : يابني ما رأيت قط اجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله الا مقتولاً أو فقيراً بأسوأ حال .

فكان الامر على ما قدر وادّاه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فازال نعمته وقبض أملاكه وهدمت داره وأراد قتله حتى زال أمر القاهر ثم عاد أيضاً الى التخليط ومضى الى البريديين لما خالفوا السلطان ثم مضى الى أبي الحسين أحمد بن بويه لما غلب على الاهواز ثم وقع أسيراً لما انصرف الامير أبو الحسين من نهر ديالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى ان يخدم ناصر الدولة أبا محمد ابن حمدان برزق مائة دينار فى كل شهر فكثرت

فى عينه وكان ينفق مثلها كلّ يوم ومات بالموصل ونعوذ بالله من الجهل والادبار

﴿ ودخلت سنة عشرين وثلثمائة ﴾

﴿ فيها انحدر مونس من الموصل الى بغداد وقتل المقتدر بالله ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس فلما تمّ له الانصراف الى الموصل كتب الحسين بن القاسم الى داود وسعيد ابنى (٣٧٤) حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فانه عاص . وكان مونس يكتب فى طريقه الى رؤساء العرب فى ديار ربيعة بأن السلطانً أنفذه لمحاربة بنى حمدان يريد بذلك ان يقعدهم عنهم (١) فامتنع داود من لقاء مونس لإحسانه اليه فانه كان عظيما جدًّا فما زال أهله به حتى فثؤوا رأيه وقالوا له : نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ماعمله أبو الهيجاء بالامس نريد ان نعملّ لنا حديثاً ثالثا . وما زالوا به حتى استجاب على تكرّهٍ شديدٍ وقال : ياقوم بأىّ وجه القى مونساً مع احسانه العظيم الىّ؟ وكان يعدّ دهانم يقول : والله ما آمن ان يجيئني سهمٌ عائرٌ فيقع فى هذا الموضع منى (يعني حلقه) فيقتلنى . (قال) فوالله ماهو الا ان لقيه مونس حتى أتاه السهم العائر فوقع فى موضع أصبعه فذبحه ولم يقتل غيره .

وكان بنو حمدان فى ثلاثين ألفاً ومونس فى ثمانمائة رجل فانهزموا وقتل داود وكان مونس اذا قيل له : قد أقبل داود لمحاربتك . يعجب ويقول : ياقوم يلقانى داود وفى حجرى طُهّر ولى عليه من الحق ماليس لوالده . فلما ملك

(١) وأما ماجرى بين مونس وبنى حمدان فليراجع صلة عريب ص ١٦٩ وفيها قصة الواقعة رواها الفرغانى يعنى أبو محمد عبد الله بن أحمد فى تاريخه المواصلة بتاريخ الطبرى

مونس أموال بني حمدان وغلاتهم وضياعهم (٣٧٥) واستولى على أعمال الموصل خرج اليه الناس من الاولياء ارسالا وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر . فانحدر مونس وبلغ الجندَ بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأنفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمى مضرب الدم الى باب الشمَّاسيَّة . ووافى مونس وأصحابه الى باب الشمَّاسية (١) وكان المقتدر قد وجَّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل الى سر من رأى ثم أنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في الفي فارس ومعه الغلمان الحجرية [الى المعشوق] . ثم أنفذ مونساً الورقاني على سبيل الطلائع فلمَّا قرب مونس أقبلوا راجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكبرا فلما قرب مونس من عكبرا انكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت الى البردان فلما نزل مونس عكبرا انكفأت الجماعة الى باب الشمَّاسية فعسكروا هناك واضطرب الامور وتقاعد الضمناء والعمال بحمل الاموال . واجتهد المقتدر بهرون ان يشخص الى حرب مونس فتقاعد واحتجَّ بان معظم أصحابه ممن انضمَّ اليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربته مرداويج (٣٧٦) في المشرق أو من استأمن اليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وانهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب وليس يثق باحد منهم لانه يعلم انهم يستأمنون ويسلمونهُ ودافع بالخروج الى ان صار أصحاب مونس بباب الشمَّاسية بازاء عسكر محمد ابن ياقوت . فجاء محمد بن ياقوت الى الوزير الفضل بن جعفر فانحدر الى

---

(١) وفي صلة عريب ص ١٧٥ : كتب مونس الى المقتدر كتباً سرَّ بها المقتدر ولكن راجعه القوَّاد عن رأيه فيه

المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له : ان الرجال لايقاتلون الاّ بالمال وان أُخرج استغني عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً الى الهرب أو الاستتار . وقال له : ان الوزير أطلق مالا لم يتمّ . وسألوه ان يحتال مائتي ألف دينار من جهته وجهة والدته ليصرف فى المهمّ فعرّفه انه لم يبق له ولا للسيدة حيلة فى مال يطاق وتقدّم الشذاآت والطيارات لينحدر هو وحرمه الى واسط ويسلم البلد الى مونس ويكتب من واسط الى من بالبصرة والاهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه . فقال له محمد بن ياقوت : اتق الله يا أمير المؤمنين فى جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد بغير حرب . وجعل يفثأه عن رأيه [٣٧٧] ويشير بان يخرج بنفسه الى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له : ان رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك . فقال له المقتدر : أنت والله رسول ابليس ، ثم أمر هرون على لسان الوزير الفضل ابن جعفر ان يخرج وبخه فمضى اليه ووافقه على ان يخرج يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوّال الى دار السلطان . وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التى توارثها الخلفاء وبيده القضيب وبين يديه الامير أبو على ابن المقتدر والانصار ومعهم المصاحف المنشورة والقرّاء يقرؤون القرآن وحوله جميع الحجرية رجالة بالسلاح وخلفه جميع القوّاد مع الوزير . واشتق بغداد الى الشمّاسيّة وكثر دعاء الناس له جدًّا وسار فى الشارع الاعظم الى المعسكر . فلما وصل اليه أشير عليه ان يقوم الى موضع عال بعيد عن موضع الحرب واشتدّت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيما بالراشديّة لم يحضر الحرب وثبت محمد بن ياقوت وهرون بن

غريب واشتبكت الحرب . وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان الى المقتدر بالله برسالة هرون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب وقال له : ان (٣٧٨) رآك أصحاب مونس استأمنوا . فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافي البصرى فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه ثم حضر محمد بن أحمد القراريطى كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول الى المقتدر بالله فأوصل اليه وهو واقفٌ على ظهر دابته فقبل الارض وقال له : يا أمير المؤمنين القوّاد وعبدك محمد بن ياقوت يقول « يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنفسك الى الموضع فان الناس اذا رأوك اقتلوا » فلم يبرح وبقى واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الاسود وجماعة من الغلمان الخاصّة . فهم على تلك الحال اذ وافت رسالة القوّاد المحاربين فتقدم بعضها بأن ينادى بين يديه « من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير » فنودى بذلك . ثم جاءته رقعة فسلمت اليه فقرأها ثم استدعى مفلحاً والقراريطى فسارّهما ثم استدعى الوزير فسارّهُ وأجابه بشئ ماسمع به ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من القواد تؤدى اليه ويسمع الناس ان الرجال فى الحرب يقولون « نريد ان نرى مولانا حتى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب » ولم يزل (٣٧٩) القراريطى وغيره يسهلون عليه ويسألونه المسير حتى سار مع مفلح ومن بقي معه . وتخلف الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشطّ وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا من قبل ان يصل المقتدر الى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب حرباً شديداً محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد .

واتى على بن يلبق المقتدر وهو فى الطريق لم يصل الى المعركة فى

صحراء منبسطة فلما وقعت عينه عليه ترجل وعليه سلاحه وقال: مولاى أمير المؤمنين. وقبل الارض ثم قبل رُكبته. ووافى البربر من أصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربهُ رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها الى الارض وقال: ويحكم أنا الخليفة. فقال البربرى: اياك اطلب. وأضجعه فذبحه بالسيف [1] وكان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه حتى سراويله وتُرك مكشوف العورة الى أن مر به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حفر له فى الموضع ودُفن حتى عفا أثرهُ [2] (٣٨٠)

ونزل يلبق وعلى ابنه فى المضارب وأنفذ للوقت الى دار السلطان من يحفظها وانحدر مونس من الراشدية الى الشماسية فبات بها ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق على الظهر الى المدائن. فكان ما فعلهُ مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله اياه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحدثهم به من الغلبة على الحضرة وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ ذلك وتفاقم حتى انتهى الى مانشرحه فيما بعد ان شاء الله.

---

(١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولى: قتل المقتدر البربرى وقيل كان غلاماً ليلبق وكان بطلا شجاعا تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف. ثم حمل على المقتدر وضربه بحربة أخرجها من ظهره فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه وهو يسوق حمل الشوك الى قنارالحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من تحته فات فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك. (٢) وفي تاريخ الاسلام: ذكر المسبحي أن العامة لم تزل تصلي على مصرع المقتدر وبني فى ذلك المكان مسجد

وحكي ثابت حكاية فى تبذير المقتدر للاموال ما رأيت ان أثبته مشروحاً لئلا يغترّ أحدٌ من الملوك ومدبّرى أمر المملكة بكثرة الاموال فيترك تثميره ويعدل عن التعب به الى الراحة اليسيرة فانه حينئذٍ ينتدر ولا يلحق . ويكون مثله مثل البثق الذى ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط .

قال صاحب الكتاب : ولقد وعظتُ انا بذلك بعض مدبّرى الملك فأكثرتُ عليه فتبسم تبسم المدِلّ بكثرة الذخائر والاموال (٣٨١) فما أتت عليه سنتان حتى رأيته فى موضع الرحمة حيث لا ينفعه الرحمة . وسأشرح خبره وحالهُ اذا انتهيتُ اليه بمشيئة الله .

فأما المقتدر فانه أتلف نيفاً وسبعين الف الف دينار سوى ما أنفقه فى موضعه وأخرجهُ فى وجوهه وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه ولم يكن فى ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد فان القاسم بن عبيد الله قال للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحدٌ واحدٌ من ولد العباس من المال انه لم يكن فيهم من خلّف أكثر مما خلّفه هرون الرشيد فانه خلّف فى بيت المال ثمانية وأربعين الف الف دينار . وهذه نسخة لما أثبته بعض كتاب أبى الحسن ابن الفرات لما وزّره المقتدر بالله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى كان فى بيت مال الخاصّة لما تقلّد المقتدر الخلافة : أربعة عشر الف الف دينار . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة ٢٩٩ فارتفع من مال الخراج والضياع العامة والمعروف بالامراء فى كلّ سنة: ثلاثة وعشرون الف الف درهم وثمانمائة الف درهم. منها من مال فارس: ثمانية عشر الف الف درهم. ومن مال كرمان :خمسة آلاف الف درهم (٣٨٢) يكون ذلك

في مدّة احدى وعشرين سنة آخرها سنة ٣٢٠ الخراجية بعد وضع ثمانمائة الف درهم كانت تنكسر في كلّ سنة من مال البقايا :أربعمائة الف الف درهم وثلاثة وثمانين الف درهم. واذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان الى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف الف في السنة ومبلغه في هذه السنين :ثلاثة وثمانين الف الف درهم. كان الباقي بعد ذلك أربعمائة الف الف درهم قيمتها ثمانية وعشرون الف الف دينار

ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيام المعتضد : ثلاثة آلاف الف وستمائة الف دينار

وأخذ المقتدر من أموال على بن محمد بن الفرات في مصادرته ومصادرات كتّابه وأسبابه : أربعة آلاف الف وأربعمائة الف دينار. منها في الدفعة الأولى : الفي الف وثلاثمائة الف دينار. وفي الدفعة الثانية :الف الف ومائة الف دينار . وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة : تسعمائة الف دينار . وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الاقطاع والايغار في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حسابا [٣٨٣] في السنة :مائتي وخمسين الف دينار .أربعة آلاف الف ومائتي وخمسون ألف دينار .

وما صحّ مما أخذ لابي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين: الفي الف دينار

وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حسابا في السنة :مائة وعشرين الف دينار .الفي الف وثمانمائة الف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه الى ان ردّت على ولده الفى الف ومائتى ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن على المادرائيين فى أيام وزارة أبى على الخاقانى ووزارات ابن الفرات الثلاث وأيام أبى القاسم الخاقانى وأبى العباس الخصيبي وأبى الحسن على بن عيسى الثانيـة وأبى على ابن مقلة: الف الف وثلاثمائة الف دينار .

وما أخـذ من أموال على بن عيسى وابن الحوارى وسـائر الـكتاب ووجوه العمال المصادرين: الفى الف دينار.

وما أخذ من تركة الراسبي: خمسمائة الف دينار .

وما اخذ من تركة ابراهيم المسمعى :ثلاثمائة الف دينار

وما حصل من ثمن المبيع فى أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر: ثلاثة آلاف الف دينار

وما حصـل من أموال أمّ موسى [٣٨٤] وأخيها واختها وأسبابها: الفى الف دينار

فصار الجميع من العين: ثمانية وستين الف الف وأربعمائة وثلاثين الف دينار. وضع من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع منذ سنة ٣١٧ الى آخر سنة ٣٢٠ حسابا فى السنة على التقريب: تسعمائة الف دينـار. ثلاثة آلاف الف وستمائة الف دينار

الباقي بعد ذلك مما حصل فى خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل الى بيت مال الخاصـة فى أيام المعتضـد والمـكتفى من أموال الضياع والخراج بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة

وثلاثين ألف دينار. وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفى يستفضل فى كلّ سنةٍ من سِني خلافته من أموال النواحى بعد الذى يُصرف فى أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادِثة معما كان يحصّلهُ فى بيت مال الخاصة : ألف ألف دينار.

وكان سبيل المقتدر ان استفضل مثلها فيكون مبلغهُ فى خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر فى بيت مال الخاصة للمقتدر بالله فى هذه السنين الى آخر سنة عشرين : (٣٨٥) تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار. خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أطلق فى البيعة ثلاث دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشر ألف ألف دينار. وبقى بعد ذلك ما بُذر وأتلف نيّف وسبعون ألف ألف دينار

وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً

خلافة القاهر بالله ابي منصور

﴿ محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلثمائة ﴾

لما قُتل المقتدر بالله وحمل رأسه الى بين يدى مونس بكى وقال : قتلتموه والله لنقتلنّ كلنا فأقلُّ مايكون أن تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصدٍ منكم ولا أمرٍ به وأن تنصبوا فى الخلافة ابنَهُ أبا العباس فانه تربيتى واذا جلس فى الخلافة سمحت نفس جدّتهِ والدة المقتدر واخوته وغلمان

أبيه بإخراج المال . فعارض هذا الرأى أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل النوبختى بحسنه وما سبق له فى حكم الله تعالى وقال : بعد الكد استرحنا من له والدة وخالة وخدم فنعود الى تلك الحالة ! وما زال بمونس (٣٨٦) وأسبابه حتى فثأ رأيهم عن أبى العباس وعدل به الى محمد بن المعتضد بالله ليتمّ المقدار من جرْيِ قتله على يده . وحضر فائق وجه القصعة الحرمي فذكر لمونس ان والدة المقتدر لما بلغها قتل ابنها أرادت الهرب وأنه وكل بها وتوثق منها وذكر ان محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفى معتقلان فى يده فوجّه به مونس وأمره باحضارهما وأصعد بهما الى دار مونس بعد ان أطلق بُشرى خادمه .

وابتدأ مونس بخطاب محمد بن المكتفى فامتنع من قبول الامر وقال : عمى أحقّ به . فخاطب حينئذ محمد بن المعتضد فاستجاب واستُحلف لمونس المظفر وليلبق ولعلى ابنه وليحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق . فلما توثقوا منه بالايمان والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقوّاد ولقب القاهر بالله وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال . وأشار مونس بأن يستوزر له علىّ بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلبق وابنه : الحال الحاضرة لا تحمل أخلاقَ على بن عيسى وانه يحتاج الى مَن هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً . فأشار بأبى على ابن (٣٨٧) مقلة وبأن يُستخلف له الى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوذانى فأمضى مونس ذلك وكتب الى أبى على ابن مقلة بالاسراع والى ياقوت بحمله وتعجيله

وانحدر القاهر الى دار الخلافة وصعد الدرجة وانحدر مونس وأسبابه الى دورهم وصرف محمد بن المكتفى الى داره فى دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله على بن يلبق واستكتب على بن يلبق أبا على الحسن بن هرون .

ووجّه مونس المظفّر فاستقدم على بن عيسى من الصافية فراسله القاهر على يد الحسن بن هرون واستدعاه فلقى مونسا ثم انحدر الى القاهر فوصل اليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقلة . واستحضر مونس أبا القاسم الكلوذانى وانحدر معه الى دار السلطان وأوصله الى القاهر فعرّفه انه قد استوزر أبا على ابن مقلة واستخلفه له الى أن يقدم وأمره أن ينتقل الى دار مفلح ليقرُب عليه اذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنؤوه وأمرونهى.

وتشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحُرمه وبمناظرة والدته وكانت فى علة عظيمة من فساد مزاج وابتداء [٣٨٨] استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وانه لم يدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من المطعم والمشرب حتى كادت تتلف ورفق بها رفقا كثيرا الى أن اغتدت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء . ثم دعاها القاهر فقررها بالرفق مرة وبالتهديد مرّة فحلفت له على انه لا مال لها ولا جوهر الا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وان هذه الصناديق في دار تتصل بالدار التى كانت تسكنها من دار السلطان ووقفته على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت : لوكانت [١] عندي مال لما سلمتُ ولدي للقتل . فضربها حينئذ بيده وعلقها [٢] بفرد رجل وأسرف فى ضربها على المواضع الغامضة من بدنها ولم يرع لها احسانها وقتَ اعتقال المقتدر اياه ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعا . فلما كان مستهل ذي القعدة حضر يلبق وعلى ابنهُ ومعهما أبو القاسم الكلوذانى دار السلطان فأوصلهم الى حضرته فطالبوهُ بحمل مال الى مونس المظفّر لِيُنفق فى صلة البيعة

(١) كذا بالاصل ولعله حكاية كلامها (٢) فى التكملة : بحبل البرادة

فحدثهم بما فعله بوالدة المقتدر [٣٨٩] وانه ضربها بيده مائة مقرعة ضرب التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرت بدرهم واحد غير ما كانت أقرّت به عفوا وقال لهم : هي بين أيديكم . ثم أدخلهم الى الدار التى فيها الصناديق فاذا فيها ثياب وشي وديباج رومي وتُستريّ مثقّلة بالذهب وفرش ادمى وخزّ رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير من عودٍ هنديّ وعنبر ومسك وكافور وتماثيل كافور قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلثمائة الف درهم فتسلم أكثر ذلك مونس المظفّر ليباع فتركوا بعضه ليخدم به القاهر .

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعني به مونس ويلبق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال : هذا كان وزير المقتدر ولا بد من مصادرته . فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس : أنا أزن هذا المال عنه فانه ثقة عفيف كاتب دين . ورسم أن يقلد ديوان الضياع المقبوضة عن والدة المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الاسباب وأكرم كل اكرام وصار الى [٣٩٠] الكلوذاني فقام له لما حضر ولما انصرف ووقّع له القاهر بجميع تلك الدواوين التى ذكرتها فتسلم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لانه لم يستحسن وكان بالامس وزير المقتدر أن يتقلد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوذاني هشاما وقلده ذلك أزمة وقلد أبا محمد المادرائي ديوان الاصول فكانت مدة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوما

وكانت مصادرة أبي بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وانه لم يؤدّ منها الا تسعين ألف دينار فطونب بتمامها . وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على

نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت وقوفها ووكلت فى بيعها على بن العباس النوبختى [١] ونوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت انها وقفته على مكة والثغور على الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها «فأما أملاكى الطلق فقد وكلت على بن العباس فى بيعها» فنهض القاضى عمر بن محمد والشهود الى حضرة القاهر فاشهدهم على نفسه بأنه قد حل وقوفها ووكل فى بيعها على بن العباس النوبختى وفى بيع سوى ذلك من الضياع الخاصة والفراتية والعباسية [٣٦١] والمستحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها في سائر النواحى ووكل أبا طالب النوبختى واسحاق بن اسماعيل وأبا الفرج جلخت في بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل مابين المعاملتين. ورأى أسباب مونس انه لايتم البيع الا بأن يبتدئوا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار

وقدم أبو على ابن مقلة من شيراز فى يوم النحر وكان كتب الى القاهر بالله ويسأله أن يجلس له في الليل لانه كان اختار لنفسه أن يلقاه بطالع الجدى وفيه احد السعدين والآخر فى وسط السماء فوصل فى الوقت الذى قدره وصادف القاهر ينتظره فلقيه وخرج من عنده وقد أعدت له دار هرون بن المقتدروفرشت فدخلها ووقع فيها بتقليد قوم وخلع عليه من الغد خلع الوزارة وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره. وحضر الناس للتهنيئة وراح اليه فى آخر النهار على بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له

---

(١) مات في سنة ٣٢٤ وقد قارب ثمانين سنة وكان حسن الادب والشعر وكان ابنه الحسين يكتب لابن رائق ويدبر أمره : كذا فى الاوزاق لابي بكر الصولى وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩

ذلك وصار اليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعده فى مداخلته اياه والعود الى التخليط كما كنا شرحناه من أمره [١]

ودخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة [٣٩٢]

كان أبو على ابن مقلة عاتباً على الكلوذانى وذلك انه لم يعرف خبر احد من اخوته وولده وحرمه وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار الى داره ولا قلد أحدا من أسبابه شيئاً من الاعمال ولا تفقد حرمه وولده بشيء واعظم من هذا كله ان أبا عبد الله ابن ثوابة استأذن أبا القاسم الكلوذانى فى وقت خلافته أبا على فى ذكر كنيته على الكتب النافذة الى العمال فلم يأذن له . فقبض على الكلوذانى وأسبابه وكان هذا أول ما وبخه به وأخذ خطه بمائتى ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه الى أبى بكر ابن قرابة ثم قبض على جماعة من العمال وكتاب الدواوين وقبض على اسحاق بن اسماعيل النوبختي وعلى بنى البريدى وضمن أعمالهم من محمد بن خلف النيرمانى بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلمهم وحملهم الى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمد بن خلف فى داره وفرق بينهم . وجمع أبو على ابن مقلة لمحمد بن خلف مع هذه الاعمال أعمال المعاون فخاف اسحاق بن اسماعيل وبنو البريدى على أنفسهم لما يعرفونه من شدة اقدام محمد بن خلف وتهوره فأما أبو عبد الله البريدي [٣٩٣] فانه دارى محمد بن خلف ورفق به وأوهمه انه يعمل من قبله ويقوم بعمال النواحى

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وظهر شفيع المقتدرى بأمان وقرر عليه خمسون ألف دينار وكان مملوكا لمونس فحلف أن لابد من بيعه فتودي عليه فبلغ ثمنه سبعين (ألف) دينار فابتاعه الكلوذاني باسم القاهر وشهد الشهود في العهد

وبالزيادة التي بذلها وأن يطيعه فى المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه فرفعه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوءة ودهقهما فلم يدعنا بشيء وضيق على اسحاق بن اسماعيل ولم يوقع به مكروها

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين اسحاق بن اسماعيل مودة وكيدة فخاطب أبو جعفر الوزير أبا على فى لقاء اسحاق وقال : احتاج أن أواقفه على ما سبب لصاحبي هرون بن غريب عليه فى أيام المقتدر وما أطلقه حتي لايحيل علىّ بما لم يطلقه . فوجه معه بحاجب من حجاب الوزارة فأوصله الى اسحاق فلما وقعت عين اسحاق عليه قال له : ياسيدى الله الله فى أمرى بادر الى الاستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يخلصنى من يد هذا المجنون . فمضى أبو جعفر الى مونس ولم يزل يسئله حتى دعا بليبق وأمره أن يمضى الى أبى على ابن مقلة ويخاطبه فى أمره فان أطلقه والا انتزعه من يد محمد بن خلف وحمله اليه . فمضى يلبق الي ابن مقلة فخاطبه فلم يجد ابن مقلة بدا من الاستجابة لتقريب أمر اسحق

فحكى أبو الفرج ابن أبى هشام عن أبى سعيد ابن قديدة أن السبب فيما لحقهم عتبُ أبى بكر ابن قرابة (٣٩٤) عليهم لتأخيرهم مالا كان له عليهم وهو الذى قدّمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فعاهد محمد بن خلف يوم تضمّنهم من أبي على ابن مقلة بسمّائة الف دينار على أن يستوفى له من جماعتهم ماقدّمه عنهم ويردّه عليه فلما حصلوا فى يد محمد بن خلف استخرج من أبى عبد الله وأخويه عشرين الف دينار وأنفذ قبضَ بعض الصيارف بدرب عون الى أبى بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم . واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعهُ أبو عبد الله اطماعاً

لم يصح ورفق به. فلما كان فى اليوم الثالث ركب محمد بن خلف الى أبى على ابن مقلة فقال له أبو على : يا أبا عبدالله غررتنا والقوم فى يدك فنفذت مخاريقهم عليك وذهبت بربحك . فخجل محمد واغتاظ وقال : قد حملتُ من جهتهم عشرين الف دينار وانما ضمنتُ المال فى مدة ثلاثة أشهر فأىّ عتب للوزير علىّ حتى يخاطبنى بهذا الخطاب البشع ! فقال الوزير : ماسمعتُ بهذا الا منك فالى من سلمتَ المال ؟ قال : الى ابن قرابة . فدعا بابن قرابة وهنأ له عما ذكر محمد بن خلف فقال : انفذ أيها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت ما له(٣٩٥) من الصيرفى وزعم انه من دين لى عليهم ولو قال انه من الحمل لأنهيتُ حاله فى الوقت واذ قد بدا له فها هى الرقعة بارك الله له فيها . وسلمها الى محمد بن خلف فقال محمد : لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدّم مالك على مال السلطان ؟ فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدى خبر المجلس فسرّى عنه واجتهد فى أن يكتب رقعة الى ابن قرابة يسئله فيها المصير اليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق ان أنفذ أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن اليه أبو عبد الله ورغّبه فى الاصطناع والاحسان ووعده أن يغنيه اذا أوصل رقعة له الى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحتال له فى جوفة جعل فيها كرسفا وأحضره قلما صغيرا وقطعة من كاغد فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له انه ان أخذه اليه وفّاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة . فبكر أبو بكر ابن قرابة الى محمد بن خلف وأظهر له انه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضة معه ثم قال له : أخرج ابن البريدى الىّ فانه يستقيم الى كلامى حتى أقرر مصادرته وأعرف ما عنده(٣٩٦) فى دينى . فاخرجَ اليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

أول اقبالى ان قلت لمحمد بن خلف « لم يبق من السحر الا السرار فيتفضل الامير ويخلى لنا مجلسنا » فنهض محمد بن خلف من مجلسه وسلمه الى برفاعته وقال : أنا داخل الى دار الحرم . فتخاطبنا وجلست مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلتُ وقلتُ « هذا مجلس كان لى فانتقل اليه وقد عاد الىّ » فاستصلحتُ أبا بكر ابن قرابة ووعدنى بتخليصى ووفى ومضى ففصل أمرنا وضمن الوفاء عنا. فلما كان فى اليوم الثانى رضى عنا أبو على ابن مقلة واستدعانى واخوتى فدعانا محمد بن خلف وسكّن بنا وأنفذنا اليه فلما أردتُ الخروج قلتُ لمحمد ابن خلف : أيها الامير أبو يعقوب اسحق بن اسمعيل خادمك ومونس يعتنى به وسينفذ الساعة من يأخذه فدعنى حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهدا ويميناً . فقال : افعل . فخلوت باسحق بن اسمعيل وقلتُ له : قد سخرتُ من هذا النفس وأنا منصرف فعاقِدهُ واحلف له ثم قل له « بيننا الآن عهد ولا بد من صدقك ابنُ مقلة يبغضك ويتهمك بأنك تطلب الوزارة وانما أراد أن يستنفر لك الاعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثم يحملنا على أن تتضمنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدى [٣٩٧] بثلثمائة الف دينار وحدثنى بهذا فلا تركب أياماً فان كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه الخليفة وان طالبك فانما يريد أن يسلمك اليه » ثم انعطفتُ الى محمد بن خلف وقلتُ : قد فرغتُ من القصة والرجل يخدم الاميرَ كما يريد . وخرجنا فأعاد عليه اسحق ما سمعه منى فانصرف قبل العصر بعدى

فلما جلس محمد بن خلف فى منزله ولم يركب الى أبى على ابن مقلة مضى أبو عبد الله البريدى الى ابن مقلة وقال له : قد عرفتُ من دار محمد انه يطلب

الوزارة وأن رسله منبثون الى أسباب مونس والى القاهر فلا تدعه يقيم فى البلد . وكان ابن مقلة جبانا فطلبه وكان ذلك القول الاول قد تقدم الى محمد ابن خلف فوثب بخدم ابن مقلة وغلمانه وحاجبه وضربهم وحصّلهم فى بيت وقفل الباب عليهم وتسوّر السطوح وهرب فلم يظهر الا فى وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله للقاهر بالله . وكان أبو عبد الله البريدى مقيما بالاهواز وعرف محمد بن خلف من بعد ان الحيلة تمت عليه فقال لمن بلّغ أبا عبد الله البريدى : ظننت بك ظنا جميلا ولم أعلم انك فى الحيلة علىّ وكنت قد صدقت عنك فلم أقبل . (٣٩٨) فقال أبو عبد الله البريدي لابى على الكاتب : اكتب الى فاتق الغلام أن يقول لمحمد بن خلف : هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك فقد خفى مثلها على من هو اكبر منك ولكن أعظم من ذلك انه كان لنا من الموضع الذى حبسنا فيه طرق الى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستأنف .

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقلة فوقع ابن مقلة باعادة ابنى البريديين الى أعمالهم فاستقامت أمورهم . ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين واسحق بن اسمعيل صُرف أيضا عن أعمال المعاون فى هذه النواحي وطلبه ابن مقلة (وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ماذكرناه) ووجه ابن مقلة الى دار محمد بن خلف ثم فتح الباب عن خدمه وغلمانه وحاجبه وانصرفوا .

وكان أبو على ابن مقلة يعادى أبا الخطاب ابن أبى العباس ابن الفرات ولم يكن يجد الى القبض عليه طريقا ديوانيا لانه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته وكان سبب عداوة أبى على له انه كان

استسعفه أيام نكبته فاعتذر بالاضاقة ولم يسعفه. (٣٩٩) ثم ان أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي علي بن مقلة فشاهدوا مروءة تامة وآلات جليلة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدثوا أباهم الحديث وعظموا وكثروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات الى الوزير أبي علي ابن مقلة في رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه. فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا زكريا يحيي بن أبي سعيد السوسي حدثه انه كان حاضرا حين قبض على أبي الخطاب وان الوزير أبا علي أنفذ اليه وسائط وانه كان فيهم وطالب بثلثمائة الف دينار وان أبا الخطاب قال: بماذا يتعلق الوزير علي وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولما تصرفت كنت عفيفا سليما ما آذيت أحدا ولي على الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاره بالكرم ويقبح بي أن أهجنه بخطوط له عندي قبل هذه الحال العالية فقولوا له «أيها الوزير أبو علي ذكرتك بما لو طالبتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفتك في أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو اماحة او احسانا في معاملة في ضيعة أو ارفاد (٤٠٠) وهل من الجميل الا اجد عندك اذا رفهتك من هذا كله سلامة في نفسي فيما قد ركبته مني مما اذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عز وجل ثم قبح الاحدوثة من الناس اما ما ظننته عندي فما الامر كما وقع لك لان هذا المال ان كان موروثا عن ابي رحمه الله فلست وارثه وحدي ولو كان لاقتسمناه ونحن عدة فلم يكن بد من ان يشيع ويعرف خبره وان ظننته من كسبي فتصرفي وما وصل الى منه معروف وما خفيت عنك نزارته ومن بحضرتك من اصحاب الدواوين يشهدون لي بأني ماحظيت ببعض مروءتي وان ظننته

من استغلال فما استغلّه مقسوم بين الورثة وان رجعت اليهم بالمسئلة لم تجد ما يخصني فى زمان تصرفى الا بعض ما انصرف الى مؤنتي ومروءتى . وقد خاف الوزراء والا كابر أولادا مثلى فى كفايتي ودونى فتعرضوا لمواقف واستشرفوا لِرُتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتني الا فى طريق التسلم وراضيا بامتداد ستر الله تعالى والزهد فى هذه الدنيا ؟ فأى شيء تقول لله تبارك اسمه ثم لِعباده اذا أسأتَ الى ؟ فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقلة من غير جهتنا (فانه كان [٤٠١] انفذ من يتسمع) خجل وتبلد وتحير ثم قال : هذا يدلُّ علي بالقُراتيَّة وأمير المؤمنين ليس يمكنني من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذهُ الى الخصيبي فانه أعرف بدوائه . فقمنا وجئتُ الى الخصيبي فحدّثته بما جرى فى المجلس وقلتُ له : أعيذك بالله أن تنتصب للتشرُّر على الناس وأن يقال ان النعم تزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلك بصناعتك وعفافك وأبوّتك . فقال : أحسن الله جزاءك ستعلم انى أرده اليه بعد ان أعزر باليسير اليه .

ثم ان أبا على ابن مقلة استدعى الخصيبي وسلمه اليه بعد ان اضطرّه الى كتب خطه بثلثمائة الف دينار يصححها فى مدة عشرين يوماً فاحضر له الخصيبي صاحبَ الشرطة وجرّدهُ وضربهُ عشر درر وخُلع تخليعاً يسيراً ثم ضربهُ بالمقارع فأقام على انه لا مال له وان ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها فاستعفى الخصيبي منه وردّه الى دار ابن مقلة فحبسه . ثم سلمه الى المعروف بابن الجعفرى النقيب واحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكر له انه قد أمر بضرب عنقه ان لم يودّ صدراً من المال فما زال يعللهم الى آخر الوقت ولم يودّ [٤٠٢] شيئا . فلما حضر الوقت احضره السيف وشدّ رأسه وعينيه

فقال له أبو الخطاب : وجهني رحمك الله الى القبلة . فوجهه ثم قال له : برفق .
وتشاهدَ فبادر بالخبر ابن الجعفرى الى ابن مقلة فقال ابن مقلة : لا يجوز ان
يكون بعد هذا شيء. وقال مونس المظفر لابن مقلة : أيّ طريق على رجل
لم يعمل عملاً منذ آخر سنة ٢٩٩ ؟ فأخذه ابن مقلة وسلمه الى حاجبه وأمره
ان يعتقله فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا اليه ابن مقلة
ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلد ووسّطه بينه وبينه فصار اليه أبو يوسف
وقرّر أمرَهُ على عشرة الاف دينار فحلف أبو الخطاب الا يودّى منها
درهماً ولو قتل أو يطلق الى منزله فوجه اليه ابن مقلة بخلعة من ثيابه وحمله
على دابة بمركب واستدعاهُ ووثب اليه حتى كاد ان يقوم له ثم قال له : كثر
على الخليفة في أمرك وعزيز عليّ ما لحقك فامض مصاحباً الى منزلك. فانصرف
وادّى المال فى مدّة عشرة أيام وأطلق ضياعهُ وأملاكهُ (١)

وأحضر ابن مقلة اسحق بن اسمعيل وأخذ خطهُ بأن يحمل (٤٠٣) فى
كلّ شهر من شهور الاهلة مثل ما كان يحمله الى المقتدر بالله لخريطته على
سبيل المرفق وهو الفا دينار وأخذ خطّ أبى عبد الله البريدى يحمل ثلاثة
آلاف دينار فى كلّ شهر على هذه السبيل وخط أبى يوسف وأبى الحسين
أخويه بألف وخمسمائة دينار فى كلّ شهر

﴿ذكر ماجرى فى أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر ومآل أمرهم اليه﴾

كتب هرون بن غريب الى أبي جعفر محمد بن يحيي بن شيرزاد من
واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة الف دينار على ان يطلق له ضياعه

---

(١) وفي تاريخ الاسلام انه فى سنة ٣٣٨ توفى العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات
أبو الخطاب والد المحدث أبي الحسن وكان صدراً نبيلا أريد على الوزارة فامتنع تديناً .

الملكُ في سائر النواحي ومستغلاّته دون الاجارات والوقوف التي كانت في يده وعلى ان يودّي حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتّجم اقطاعاته وعُني به مونس المظفر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادرته التي بذلها وقلد أعمال المعاون بماه الكوفة وما سبذان ومهرجا نقذق .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوت الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين [٤٠٤] لهرون بن غريب من واسط الى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم الى التناء والتجار ثم خرجوا على الظهر الى سوق الاهواز فلما طال مقامهم بالاهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقبه هرون بن غريب بجرجرايا ثم نفذ لحرب القوم

فأما ما حكاهُ أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدة وعيان فانه قال : ان الهاربين من قوّاد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الاهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبدّ محمد بن ياقوت بالامور على ابني رائق والجماعة . وقلد أبا اسحق القراريطي كاتبه النظر فاستخرجَ وأمر ونهى وكانت الاموال تنصبّ الى ابن ياقوت ويعطي منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه

وتحقّق أبو عبد الله البريدي بأبي علي ابن مقلة وكانت الكتب ترد عليه من الاهواز بجميع ما يجري فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال: ان القوم متخاذلون وابن ياقوت مستبدٌ عليهم وقلوبهم شتى وان ابني رائق صديقاهُ فان أخرج اليهم جيشٌ اختلفت كلمتهم [٤٠٥] وان تركوا قويت شوكتهم بأموال الاهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة . فأنفذ أبو علي ابن

مقلة أبا عبد الله البريدى الى مونس حتى شافهه بذلك كله فقال مونس : قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحق الناس رزقة لان الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال ؟ فقال أبو عبد الله البريدى : أنا أضمنه ويسبب على وأقدّم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصحح بالسوس خمسين الف دينار وبتستر عشرين ألف دينار والباقى بالاهواز . وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّد مع يلبق واجمل مالهم فبلغ مائتى وخمسين الف دينار فحمل أبو عبدالله الثلاثين الالف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطب القوّاد وتكاثرت العساكر مع يلبق وأبوعبدالله البريدى معه. وخرج بدر الخرشنى فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلد البصرة ان يسير معه فلما تحصلت الجيوش بواسط تغيرت القلوب على محمد بن ياقوت وتبين ذلك فقال للجماعة : أنا واحدٌ منكم ولستُ أخالفكم فى رأى ولكن الوجه أن نجتمع بتستر (٤٠٦) فانها حصينة منيعة وندبر أمرنا بما يوفق الله عزّ وجلّ له ولا نحارب . ووافقهم على مال يعطيهم وساروا للوقت الى عسكر مكرم وأفرجوا عن قصبة الاهواز فعمل القراريطى بها مالا يعمله الدمستق وفتح الدكاكين بالليل وبعث اليها البغال وحمل منها أمتعة التجار وصادر الاسود والابيض ولما ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة الى تستر وورد البريدي وسلك طريق القراريطى وزاد ومازال يحتال حتى وفّى الخمسين الالف الدينار ثم وافى يلبق والجيوش جسر تستر فوجده مقطوعا وحال بينه وبين تستر دُجيل .

فحكى عن أبى عبد الله البريدى بعد ذلك انه قال : هممتُ بالتغلب ووضعتُ فى نفسى الامرة وتدبير الرجال منذ ذلك لمّا رأيتُ انحلال يلبق

وسقوط ابن الطبرى كاتبه لانى رأيتهما متخلفين ساقطين . وكان الشارد قد طار وضج يلبق واضطرب رجاله فهمّ بالانصراف فثبته أبو عبد الله البريدى وما زال يتردّد الى القوّاد ويهزّهم ويهاديهم ويسكّنهم ويكاتب ابنى رائق بالمودة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء اخلاقه وشدة عجبه وتطاوله (٤٠٧) عليهما حتى استجابا الى تقلد البصرة والانصراف عن تستر . فما عرف ابن ياقوت الخبر حتى ضربا بالبوق بكرةً ورحلا فلم يكن له بهما يدان لانه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى بازائه اليه وقتل أو أسر

ولما توجه ابنا رائق الى البصرة استأذن مفلح وسرور فى العبور بعبيد الواحد الى يلبق وقالوا لمحمد بن ياقوت : قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدة لنا ولأصحابنا الا غلماننا. فردّ الاختيار اليهم كاتبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا اليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبق فى أن يحلف بسلامة نيته اذا لقيه ليعبر اليه ويفاوضه ويعود الى معسكره فأجابه وحلف له على ذلك وعبر اليه محمد بن ياقوت بدرّاعة بيضاء وعمامة وجمشك فى رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفردا وتطاولا حديثاً ما عرف فى الوقت . واشتعلت النيران فى ثياب البريدى وتردّد دفعات الى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له : البريدى خليفة الوزير وثقة الاستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئا . فقال يلبق : ما كنت بالذى أخفر أمانتى (٤٠٨) وأحنث فى يمينى ولو ذهبت نفسى . وحضر وقت الصلوة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسح فأذن وأقام وتقدم للصلوة يلبق واكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة انثنى الى يلبق معانقاً له فقام اليه وودع كل

واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت الى عسكره . وظهر السر وكان تعاتبهما أولا ثم تحالفا وتعاقدا واصطلحا على أن يسيرا الى الحضرة بشروط الامان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فنزل

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر الى عسكر مكرم ودخل يلبق تستر فعمل بها البريدى أعظم مما عمل القراريطى بكثير لان الناس توقوا منه فلما رأوا اصحاب السلطان أنسوا . فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كل قبيح ووفى بالمائة الالف الدينار وسار يلبق الى الاهواز وأهلها هاربون من محمد بن ياقوت فسلموا لانهم مضوا الى البصرة. وابتلى البريدى أهل عسكر مكرم وتستر فأيسر ما عمل ان ركب الى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الاموال لهم ولمن يضاربهم وخسف بالسواد حتى صحح ليلبق مائتى الف دينار (٤٠٩) وبقيت على البريدى خمسون الف دينار وعنى به ابن الطبرى لان البريدى خدمه خدمة تامة حتى انه كان يحضر أبواب البيع فى البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه فاذا خرج سأله أن يعطيه برشائه فاذا اعطاه قبله وجعله فى كمه واشهد له بضياع ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن الطبرى به . وخاطب له يلبق وقال له : أبو عبد الله ثقة ونجعل هذه الخمسين الالف الدينار فيما يخص الأمير (وكان مالهُ فى الجملة) وقد خدم وبيّض وجه الأمير فيما خدم ودبر وبدّد شمل هولاء وانه لأحقُّ بمجلس أبى على ابن مقلة منه وأنفذ فى التدبير والامور . فأجابهُ يلبق الى ما سأل وخلف غلاماً عند البريدى يقال له ايتاخ

ورحل ابن ياقوت الى شابرزان وتبعهُ يلبق ودخلوا مدينة السلام .
وأطلقت أملاكُ ابي رائق ومحمد بن ياقوت ومُفلح وسرور دون اقطاعاتهم
وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة
وعادت يد ابن البريدى الي عمالة الاهواز واستقامت الامور. وخلع القاهر
على يلبق وطوّقه وسوّرهُ (٤١٠) بطوقين وسوارين مرصّعَين بالجوهر

وخرج أمر القاهر ببيع دار المخرّم التي كانت برسم الوزارة وكانت
قديماً لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعةٍ من الناس بمال عظيم لان
ذرعها يشتمل علي أكثر من ثلمائة الف ذراع وصرف ثمنها فى مال الصلة
لبيعة القاهر بالله

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر [1] فاشار الوزير أبو على ابن مقلة
بانفاذ على بن عيسى اليها للاشراف عليها فابتدأ بالاستعداد للخروج ثم صار
الى أبي على ابن مقلة فى بعض العشايا وصادفهُ خالياً فعرّفهُ كبر سنهِ وضعف
حركتهِ ونقصان قوّتهِ وانه لايستشفع اليه بغير كرمه ولا يوسط بينه وبينه
أحدا غيره وحلف على موالاته ايمانا أكّدها وسأله اعفاءهُ من الشخوص
وتذلل له وانكبّ على يده ليُقبلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقهِ وعلهِ
بمكانه فاعفاه من الشخوص فانصرف على بن عيسى شاكراً . وورد كتاب
محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فاجيب الى ذلك وحُمل اليه الخلع والعهد.

وكتب القاهر رُقعةً بخطه الى أبي علي ابن مقلة بالتكنية وبزيادة فى
التشريف والرتبة وأمره (٤١١) ان يكتب بذلك الى الامصار والاعمال كلها
ففعل ذلك ثم حمل اليه خلعةً بعد خلعة للمنادمة وحمل اليه صينية فضة مذهبة

(١) ليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨١

فيها ند وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رَطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلور وكوز ومغسل فضة .

وشغب الجند بمصر على محمد بن تكين فقاتلهم وهزموه

وفى هذه السنة استوحش مونس المظفر و يلبق وعليّ ابنه والوزير أبو على ابن مقلة من القاهر بالله فضيّقوا عليه وعلى أسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك انحراف الوزير أبى على ابن مقلة عن محمد بن ياقوت فسكّن فى قلب مونس المُظفّر ويلبق وعلى ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر بالله وان عيسى المتطبب يترسل للقاهر اليه فوجه مونس بعلي بن يلبق الى دار السلطان وسأل عن عيسى فعُرّف انه بحضرة القاهر فهجم عليه غلمان على ابن يلبق فوجدوه واقفا بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوهُ اليه فنفاه من وقته الى الموصل . واجتمع رأى مونس ويلبق وابنه والوزير أبى على على الايقاع بمحمد بن ياقوت والنداء فى أصحابه[٤١٣] الا يقيموا ببغداد .

فلما كان يوم الاربعاء لليلة خلت من جمادى الآخرة خرج على بن يلبق فى الجيش ومعه طريف السُبكرى للايقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن ياقوت ذلك فانكشف من معسكره من ميدان الاشنان وطلبه على بن يلبق فلم يقف على خبره وذلك انه دخل الى بغداد واستتر بها وتفرق رجالهُ وانصرف على بن يلبق من فوره الى دار السلطان وأوقع التشدّد على القاهر ووكل بالدار أحمد بن زيرك وأمره ان يفتش كل مَن يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل الى القاهر ففعل أحمد بن زيرك ما أمره به حتى بلغ الامر به أن فتش لبناً حُمل الى القاهر وأدخل يده فيه لئلا

يكون فيه رقعة . ونقل على بن يلبق المحبوسين فى دار السلطان الى داره من والدة المقتدر وغيرها ومنع القاهر أرزاق حشمه وأكثر ما كان يقام له وطالب على بن يلبق القاهر ان يسلم اليه ما بقى عنده من الفرش وأمتعة والدة المقتدر وابن الخال فسلّم ذلك اليه وبيع وحُصّل ثمنه فى بيت المال وأطلق للجند . وباع أبو على ابن مقلة من الضياع وأملاك السلطان لتمام (٤١٣) الصلة للبيعة بالفى ألف وأربعمائة الف دينار مع ما باعهُ الكلوذانى أيام خلافته اياه قبل قدومه من شيراز . ومكثت والدة المقتدر عند والدة على بن يلبق مكرمةً مرفهةً مدّة عشرة أيام وماتت لستّ خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر فحملت الى تُربتها بالرصافة ودفنت فيها .

وفيها هم على بن يلبق والحسن بن هرون كاتبه بلعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم على بن يلبق بالقبض على البربهارى (١) رئيس الحنبلية فنذر به وهرب وقبض على جماعة من كبار

(١) هو الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق ومات سنة ٣٢٩ كذا فى تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي وفى ترجمته انه كان شديداً على المبتدعة له صيت عند السلطان وجلالة وكان عارفاً بالمذهب أصولا وفروعا وصحب سهل بن عبد الله التستري وانه لما قبض على أصحابه استتر هو وأعاده الله الى حشمته وزادت . ثم لم تزل المبتدعة يوحشون قلب الراضى بالله عليه (وهذا في سنة ٣٢٢ كما سيأتي ذكره) فاختفى البربهاري الى ان توفى مستتراً ودفن في دار أخت توزون مختفياً . فقيل أنه لما كفن وعنده الخادم صلى عليه وحده فنظرت من الروشن ست الخادم فرأت البيت ملآن رجالا بثياب بيض يصلون عليه فخافت وطلبت الخادم تهدده كيف أذن للناس فحلف ان الباب لم يفتح . ويقال أنه تنزه عن ميراث أبيه لم يأخذه وكان سبعين ألفاً .

أصحابه وجُعلوا فى زورق مطبق وأحدروا الى البصرة

وفيها نفذت حيلة القاهر على مونس المظفر وانعكس ما دبره الوزير أبو على ابن مقلة من القبض على القاهر حتى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب أبو على بن مقلة والحسن بن هرون

﴿ ذكر انعكاس هذا التدبير ﴾

لما ضيّق على بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر فى الحيلة على مونس وأصحابه وبابنه فساد نيّة طريف السبكرى وبشرى ليلبق وابنه [٤١٤] ومنافستهما اياهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونسا ويلبق أكثر اعتمادهما انما هو على الساجيّة وكانا وعداهم بالموصل اذا دخلا بغداد أن يجملاهم برسم الحجرية وأنهما ماوفيا لهم بذلك وان نيّاتهم متغيرة لهما. فراسل القاهر الساجية وهزّ بهم على مونس ويلبق وضمن لهما أن ينقلهم الى رسم الحجرية (وكان الساجية يقبضون في كل ستين يوماً برسم المماليك والحجرية يقبضون فى كل خمسين يوماً) وان يلحقهم فى النزل والعلوفة بالحجرية.

وكان بين اختيار القهرمانة وبين أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة فأشارت على القاهر بمكاتبته وأن يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدقه عن تدبير أبى على بن مقلة وابن يلبق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان الى دار القاهر القديمة التى فى دار ابن طاهر وتظهر أن خروجها فى حوائج حرم القاهر وولده فاذا كان بالليل صارت الى محمد بن القاسم ولقيته. وبلغ أبا على ابن مقلة أن القاهر قد جدّ فى التدبير عليه وعلى مونس ويلبق وابنه [٤١٥] والحسن بن هرون وحملهم على

الجد والمبادرة الى خلعه من الخلافة واتفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن المكتفي بالله ووافقوا شاذمروز حماة ابراهيم بن خفيف صاحب ديوان النفقات وكانت متحققة بابى أحمد على ما دبروه وعقدوا الامر سرّا لابى أحمد ابن المكتفي بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو على ابن مقلة والحسن بن هرون ثم كشفوا ما فعلوه لمونس فقال لهم مونس : لست أشكّ فى شر القاهر وقد أسرفتم فى الاستهانة به وأخطأتم في تقليده الامر فلا تعجلوا الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط اليكم ثم حينئذ تقبضون عليه. فقال على بن يلبق والحسن بن هرون : الحجبة الينا والدار فى أيدينا وما نحتاج ان نستعين بأحد في القبض عليه لانه بمنزلة طائر فى قفص. وعملوا على معاجلته

فاتفق ان ركب يلبق الى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتلّ ولزم منزله وتمكن على بن يلبق من متابعة ابن مقلة وحسنوا الامر عند مونس وهوّنوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه . فلما كان يوم السبت سلخ رجب انصرف أبو على ابن مقلة من دار السلطان واجتمع اليه كتابه وأخوه ومن جرى عادته بمواكلته (٤١٦) وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلما فرغ من طعامه التفت الى أبى بكر ابن قرابة فقال له : قد وافى صديقك القرمطى الى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى بأنه قد آمن الرعية سوى أصحاب المعروف بمحمد الملقّب بالقاهر . فقال ابن قرابة : أيها الوزير هذا باطل لان ابن بسر الكوفى جارى واليوم كان عندى وقد وقفت عليه أطيارٌ باخبار السلامة . فقال أبو على : سبحان الله أنت وابن بسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائرٌ على أبى الحسن ابن يلبق وقد جاءنى سعيد بن حمدان ومعه رجل من الاعراب قد قتل

نفسه وقطع عدّة من الافراس تخبر عن معاينة ومشاهدة . وكان ابن مقلة قد
واطأ سعيد بن حمدان على ذلك . ثم دعا بالدواة وثلث قرطاس وكتب
بخطه الى القاهر رقعة يقول فيها : ان القرمطي الهجري المعروف بابى طاهر قد
وافى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط علىّ من عامل الخراج وعلى
علىّ بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول
أصحابه بها وانى أنا ويلبق سترنا ذلك عن القوّاد (٤١٧) والجند وخواص
الدولة لئلا يذيع الخبر وتضعف قلوب الاولياء وقد اتفقتُ مع مونس على
اخراج على بن يلبق مع أكثر قوّاده وقوّاد أبيه الى نواحى الكوفة ليدفع
القرمطي عن الرحيل منها الى بغداد وهو يخرج فى سحر غد مارّاً الى صرصر
من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتى يلحق به الرجال وقد وجه
النقباء فى عشية يومنا وقد وافت علىّ بن يلبق على الرواح الى دار مولانا
أمير المؤمنين ليصل اليه ويودّعهُ وعملتُ على التأخر لئلا يشيع الخبر
بحضورى فى غير وقت حضور مثلى الدار ويفسد التدبير فى خروج على بن
يلبق بكرة غد وأنهيت ذلك الى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن الى ما دبرتهُ
وينعم بايصال علىّ بن يلبق اذا حضر العشية ان شاء الله . وأنفذ الرقعة ونام
فكتب القاهر فى جوابها : وانه استصوب فعلهُ وبانه يوصل ابن يلبق
اذا حضر . ولما انتبه ابن مقلة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته الى
القاهر وأعاد اليه رقعةً ثانيةً بمثل ما كتب به فلما وصلت الثانية الى القاهر
ولم تكن الحالُ تقتضيها لنفوذ جوابه عن الاولى استراب وخاف ان تكون
حيلة عليه . ثم نم اليه (٤١٨) الخبر من جهة طريف السبكرى بما عمل عليه
على بن يلبق من القبض عليه اذا أوصله اليه فاخذ القاهر حذرَهُ وراسل

الساجيـة بالحضور وعرّفهم ان علي بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها فحضروا متفرّقين . فلما كان بعد العصر حضر علي بن يلبق وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف في طياره وأنفذ جماعة من غلمانه بسلاح الى دار السلطان وصعد من طيّاره في الروشن وراسل القاهر يسألهُ ايصاله اليه فدافعه القاهر الى أن حضر الساجيّة كلهم بالسلاح . فبرزوا اليه وشتموهُ وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمانه وحاجبهُ ابن خندقوقي وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن الى الطيّارة وعبر واستتر من ليلته . وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق الى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حضر دار مونس من القوّاد . وقدّر يلبق انه يمسح القاهر ويعتذر لابنه فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى عزن الاعور صاحب الشرطة وحصل الجيش (٤١٩) كله في دار السلطان .

فراسل حينئذ القاهر مونسا وسأله الانحدار اليه ليشاوره فيما يعمل وقال له : أنت عندي كالوالد وما أحبُّ ان أعمل شيئاً ولا أمضي عزما الا عن رأيك فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألحّ القاهر في طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكري التأخر وحملهُ على الانحدار فلما حصل في الدار قبض عليه وحبس

(وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم)[1]

فكانت وزارة علي ابن مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام ووجه القاهر الى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الاحد

(١) هذه الترجمة زدناها

مستهل شعبان فلقيه وقلده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الاثنين خلع الوزارة ووجه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحت النار فى دار أبى على ابن مقلة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد . وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم فى الحجبة يومه ذلك ثم وقف على كراهية طريف السبكرى والساجية والحجرية اياه فاحتال الى ان تم له الهرب واستتر وانحدر الى أبيه وهو بفارس [٤٢٠] فلم يتجاوز كورة ارّجان ولا لقى أباهُ . وكان جاس فى الماء بزىّ أصحاب المحابر [١] وركب البحر ووافى مهروبان وجاء ليلا الى ارّجان فنزل على أبى العباس ابن دينار . وحمل اليه أبوه مالاً وكسوة ودوابّ وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاها ولحق به رجالهُ وكاتبهُ القاهر بما يسكّنهُ منه وأعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده المعاون بكور الاهواز فاقام بارّجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم انتقل الى رامهرمز . وكان القاهر قد كاتب مرداويج بالافراج عن أصبهان ليقلده الرىّ والجبل ويصير فى جملة الاولياء ويزول عنه العصيان فاتم له . وكاتب وشمكير بالانصراف عن أصبهان فانصرف وبقيت شاغرة سبعة عشر يوما خالية من مدبرٍ وكاتب القاهر محمد ابن ياقوت بتقليده أصبهان وأمره ان يسير اليها وكان ذلك بعقب هزيمة المظفر بن ياقوت وبعد انصراف على بن بويه من أصبهان . فاخذ محمد بن ياقوت فى التأهب فبقى هو كذلك اذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر فانتكث أمرهُ .

ولما استتر على بن يلبق وهرب محمد بن ياقوت استحجب القاهر

(١) وفى التكملة : بزى الصوفية

سلامة الطولونى وطلب المسترين وقلّد أبا العباس أحمد بن [٤٢١] خاقان الشرطة بغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفى فوجده مستترا فى دار عبد الله بن الفتح فقبض عليه وتقدّم القاهر بان يقام فى فتح باب ويسدّ عليه بالجص والآجرّ وهو حىّ ففعل [١] وأمر بنهب دور بني مقلة ودار الحسن بن هرون ودار أبي بكر ابن قرابة . ووُجد على بن يلبق مستترا بقُرب باب المقبرة وكبس وأُخذ من تنور كان دخله لما أحس بالكاس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفى أمره وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده فاتفق ان تأخر بعض الرجالة لطلب شئ يأخذه من الدار فانتهى الى التنور وطلب فيه خبزا يابسا فلما كشفه وجد على بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه الى دار السلطان . وضرب بحضرة القاهر ضربا مبرحا فاقر بعشرة آلاف دينار فوجدت وصُحّحت فى بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وحبس

وكان الحسين بن القاسم بن عبيد الله مستترا فراسله أخوه الوزير محمد ابن القاسم بن عبيد الله وسأله ان يظهر ويعينه حتى يقلده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلواذى وابراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [٤٢٢] وحلف له بحضرة السفير الذى كان بينهما بالله العظيم وبسائر ايمان البيعة بعتق مماليكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له

---

(١) وفى تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٢١: قال ثابت بن سنان : قبض المقتدر على أبي أحمد بن المكتفي واعتقله لانه بلغه أن جماعة سعوا في خلافته. وذكر أيضاً عن الصولى أن القاهر ضربه ضرباً مبرحاً يقرره على المال فما دفع اليه شيئاً ثم أمر به فلف في بساط الى أن مات رحمه الله

وبان باطنه له مثل ظاهره فيما بذله له وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها
الله على نفسه وتسلم ذلك السفير وحمله الى الحسين فاعاد عليه ما جرى ولم يزل
محمد يتوقع أخاه الى آخر النهار . فحكى ابن أخيه القاسم بن الحسين ان عمه
الوزير أباجعفر صار فى الليلة الى الحسين أخيه وليس معه غلام فخاطبه فى
الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الايمان حتى وعده بالرواح
اليه وعرف الحسين أصحابه فاجتمعوا بالعشى له وركبوا بركوبه وصار الى
أخيه وكان الوزير أخوه قد أعدّ له زورقا مطبقا فلما حصل عنده أمر بتحصيله
فى الزورق . فوقفت والدته على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة
فى الموضع الذى ينزل منه الى طياره وهناك خلق من الناس فاستغاثت اليه
وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها وحلّفته بكل حق لها عليه ان يطلق
ابنها فلم يلتفت اليها ولا فكر فيها وجلس فى طيّاره وانحدر الى دار السلطان
فلم يبق أحد ممن حضر (٤٢٣) الا استقبح فعله ودعا عليه وذهب فحكى
للقاهر انه انما طلب أخاه الحسين ونفاه الى الرقة لما كان يعتقد من مذهب
ابن أبى العزاقر وانه خاف منه على الدولة . فوكل القاهر بدور بني بسطام لما
كان يذكر عنهما فى اعتقادهما لدين ابن أبى العزاقر

﴿ ذكر مقتل مونس ويلبق وعلىّ ابنه ﴾

اضطرب حال مونس ويلبق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش
وخرجوا الى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبى جعفر محمد بن القاسم
وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس .
ودخل القاهر الى الموضع الذي كان فيه مونس ويلبق وابنه معتقلين فذُبح
على بن يلبق بحضرته ووجه برأسه الى أبيه فلما رآه جزع وبكي بكاء عظيما

ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس أبيه الى مونس فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله الى البالوعة وذُبح كما يذبح الشاة والقاهر يراه. وأخرجت الرؤس الثلاثة فى ثلاث طسات الى الميدان حتى شاهدها الناس وطيف برأس على بن يلبق فى جانبي بغداد ثم رُدّ الى دار السلطان وجُعل مع سائر الرؤس فى خزانة الرؤس (٤٢٤) على الرسم (١)

قال ثابت: فحدثنا سلامة الطولونى الحاجب انه لما أخرجَ اليه رأس مونس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت انا ذلك من الجُفني وكان حاضرهُ

ومما جرى في ذلك انه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباتة العدلَ الدقاق فى درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجّهَ بهم لطلب الحسن بن هرون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلا على رأس واحدٍ منهم وأخرجوه وأظهروا انه الحسن بن هرون فركب أحمد بن خاقان فى طلب القوم فظفر بواحدٍ منهم وقرّره فاقرّ على جماعةٍ ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكباسين.

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام. ثم ذبح يمن وابن زيرك ثم أطلقت أرزاق الجند فسكنوا واستقامت الامور للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه « المنتقم من أعداء دين الله » ونقش ذلك على السكة. ثم أحضر عيسي المتطبب من الموصل وأمر أن لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضى وعيسي المتطبب. وقال أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق: حدثنى الراضى قال: لما قتل القاهر مونساً ويلبق وابن يلبق أنفذ رؤسهم الىّ مع الخدم يتهددنى بذلك وأنا فى حبسه لأنى كنت فى حجر مونس فقطنت لما أراد وقلت «ليس الا مغالطته» فسجدت شكراً لله وأظهرت للخدم من السرور ماحملهم على ان جعلوا التهدد بشارة وجعلت أشكره وأدعوله فرجعوا بذلك

وفيها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الانبذة وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى المغنيات فنفى بعضهم الى البصرة وبعضهم الى الكوفة وبيع الجوارى على انهن سواذج [1] وكان القاهر مع ذلك مولعا بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد

وسعى بأبي عبد الله ابن مقلة [2] (٤٢٥) فوجد وقبض عليه ووُجد عنده خطوط أخيه أبي على فى رقاع فحمل الى دار الوزير أبي جعفر فسأله عمن كان يوصل اليه الرقاع فذكر ان أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى [3] كان ينفذها اليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبي على بن مقلة فحلفا انهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرّف القاهر انهما من قواد السلطان وسهل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان فى أيام المواكب الى دار السلطان .

---

(١) ساذجة غير بالغة : كذا في لسان العرب ٣ : ١٢١ (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠ (٣) هو مذكور فى كتاب الفهرست ص ١٢٧ وفيه انه صنف كتاب الوزراء ذكره هلال الصابى في كتاب الوزراء ص ٢ ونقل منه أبو على التنوخى في الفرج بعد الشدة ١٠٨:١ وتوجد نسخة كتاب الجهشيارى في كتبخانة وين وقال فى حقه أبو بكر الصولى في كتاب الاوراق (في سنة ٣٢٤ في وزارة أبي جعفر الكرخى): وقبض على أبي عبد الله ابن عبدوس وصودر على مائتى الف دينار فتكلم سعيد بن عمرو في خطيئه والوزير يخالفه حتى شرق الامر بينهما فكان ذلك سبب زوال الكرخي وقال أيضاً انه في سنة ٣٢٦ هجم الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات بعقب خروجه الى الشام على أبي عبد الله ابن عبدوس وطولب بمال عظيم ثم تقرر أمره على خمسة عشر الف دينار وأخذت منه بالوف منها جارية حسنة كانت له وترك له من أجلها الباقي

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالا جليلة وابتاع من المبيع ضياعا كثيرة وان ارتفاعه قد بلغ الف الف درهم فى السنة فتوسط بينه وبينه اسحاق بن اسماعيل وأخذ خطه بعشرين الف دينار وأطلق الى منزله من يومه

﴿ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصيبي الوزارة﴾

كان بنو البريدى بعد استتار ابن مقلة والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فتوسط اسحاق بن اسماعيل أمرهم فأخذ لهم (٤٢٦) امانًا من الوزير حتى ظهروا: ثم أشار اسحاق على الوزير أبي جعفر بان يخاطب القاهر فى أمر بنى البريدى ويعرفه أن الوجه ردهم الى ضمانهم بالبصرة والاهواز فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرفه انه ذامٌّ لمحمد بن القاسم الكرخي لتقصيره فى أمر استخراج الاموال وحملها وان البريديين أقوم بذلك وأطمعه فى أن يزداد عليهم فى مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال: حتى أنظر فى ذلك . واستدعى القاهر عيسى المتطبب وأعاد عليه ما جرى وكان عيسى كارها للوزير محمد بن القاسم لانه لم يكن له مدخل فى تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأى وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصيبي الوزارة فأمره القاهر بلقاء الخصيبي ومسئلته عما عنده فى أمر البريديين وغيرهم فصار اليه وتقرر الامر معه وضمن استخراج أموال جليلة

وكتب الى القاهر على يد عيسى انه متى ظهر انه تقلد الوزارة استتر من عنده الاموال التى وعد باستخراجها وان الوجه أن يتقدم الى الوزير بالقبض على جماعة سماهم على مهل فاذا قبض عليهم وجه القاهر فحملهم الى داره وانتزعهم

من يد الوزير فتركهم معتقلين أياما ثم قبض على الوزير محمد بن القاسم . ففعل القاهر ذلك(٤٢٧) وتقدم الى سابور الخادم بالمصير الى دار الوزير والقبض على بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فوجه سابور بثقة له الى دار الوزير لينظر هل يجدُ فيها بني البريدى واسحاق بن اسماعيل فيرجع اليه بالخبر. وكان بنو البريدي قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدم به سابور الى الرجل الذى وجه به يتعرف أخبارهم فاستتروا . وكان سابور قد قال لثقاته : ان الخليفة امرنى بتفتيش دار اسحاق لانه قد بلغه أن جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان. وأمرهم أن يستعدوا للركوب معه فبلغ الخبر اسحاق من وقته ولم يقع له ان ذلك لمكروه يراد به فقال لجواريه . ان صار اليكم سابور بطلب المغنيات فلا تمنعوه ودعوه يفتش . وانحدر هو الى دار الوزير وصار سابور الى دار الوزير أبى جعفر فوجد اسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله الى دار السجان

ووجه القاهر بمن كبس دُور البريديين فلم يوجدوا وكبست دُور اسحق فى النوبختية وعلى شاطئ دجلة ونهارب حرمه وولده وسلموا وقبض على أحمد بن على الكوفى كاتبه . واستحضر القاهر على بن عيسى وعرّفه انه ليس (٤٢٨) لوزيره نظر فى أعمال واسط وسقي الفرات وكانت فى ضمان اسحق وقلده هذه الاعمال واعتمد فى تدبير المعاون فيها عليه ووقع له بخطه فتقلده على بن عيسى

وورد الخبر بموت أبى على أحمد بن محمد بن رستم باصبهان (١) وان المظفر

(١) وفي ارشاد الاريب ٦ : ٤٢١ انه رتب مكانه أبو مسلم بن بحر (المتقدم ذكره ص ٦٠) فنزل هو بدخول على بن بويه أصبهان بعد هزيمته المظفر بن ياقوت (سيأتى ذكرها)

ابن ياقوت مدّ يده الى ماله ودوابه وخازها لنفسه وكان المظفر اليه أعمال المعاون باصبهان فتنكر القاهر له ولابيه ولاخيه . وسُعي بأبي يوسف البريدي فكبس عليه واخذ وحمل الى دار الوزير محمد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهر الى الوزير بأن يقرّر معه مصادرته ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وساءمه ان يقرّر الامر معه فى مصادرتهم فقال له أبو يوسف : اذا وثقنا بأن الامر لك وانك مقرّ على الوزارة قررنا الامر معك فاما ونحن نتحقق ان الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الامر معك. فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكسف القمر وقبض القاهر على الوزير محمدبن القاسم أنفذ اليه سابور الخادم فأخذه وأخذ من وجد فى داره وفيهم أبو يوسف البريدى وغيره فنقلهم الى دار السلطان فكانت (٤٢٩) مدّة وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهر ثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً.

ووجه القاهر الى اسحق بن على القنّائى وأحضره وأحضر معه عبد الوهاب بن عبد الله الخاقانى على ان يقلّد أحدهما الوزارة والاخر الدواوين فلما حضرا قبّل القوّاد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث ان خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس الغامضة . ثم وجّه القاهر الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر فى طيّاره وتلقاه القوّاد والناس وقبّلوا يده وجلس الاستاذون بين يديه فى دار السلطان ووجّه القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة . ووجه الى الفضل ابن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عمله بالخاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرّر الوزارة لاحدٍ فى ذلك اليوم .

فلما كان من الغد تقدّم القاهر الى عيسى المتطبب ان يحضر الخصيبي يوم الخميس ويأمره بالتأهُّب للوزارة وان يحضر بسوادٍ وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها الى داره ولقيه الناس فهنئوه(٤٣٠) ونظر فى الدواوين وقلّدها من استصلحهُ. ونصب ديواناً للمبيع واحضر الناس وناظرهم والزمهم لفضل مابين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطا ووقع لهم فيها بالامضاء وصادر الناس وقبض على خلق .

وتوسط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثنى عشر ألف ألف درهم وكتبت الامانات لاحمد وعليّ ابنى البريدى بخطّ الخليفة والوزير واشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظهرا . فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة ان أبا عبد الله البريدى حضر عند أبى العباس الخصيبى بطيلسان وعمامةٍ وخفّ وهما معه فاستخلاهُ المجلس فاخلاهُ له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكّرَهُ بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدَمهُ بها فى أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصيبى وقال له فى آخر كلامهِ : انما اعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور فى أمر المال لانك تزعم انه بأمر الخليفة وطاعتهُ واجبة وفى ضربك أبا يوسف لانه تمانَ عليك لِمَ ذكرتَ أمّ أبى يوسف وهى أمّى ولِمَ استحسنتَ قذفَها اما استحققتُ عليك بجميع(٤٣١) حقوقى هذه ان تصونها عن الذكر بالقبيح لاجلى ؟ فخجل الخصيبى وقال : صدقتَ كان يجب ان أفعلَ ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر اليك ودع

ماضى الخليفة مقيمٌ على انه لا بدّ من الف الف دينار وقد وصفتك لأمير المؤمنين وقلتُ « أبو يوسف حرجُ الصدر وأبو عبد الله أخوه رَحب الصدر ولايخالف أميرالمؤمنين» ولولا ذلك لنقل أبا يوسف اليه ولما امنتُ عليه فأحبُّ ان تكفيني امركما لحسبى حيائى مما مضى واكتبْ خطك بزيادة الفى الف درهم . فقال أبو عبد الله : لقد أغنيتنى أيها الوزير وما قصّرتَ وأحسنتَ العذر والتلافى . فقال له : بحياتى لما كتبت . فقال : أكتبْ وأنا آمن أيّها الوزير مما أقول والله ما املك ولا اخوانى هذا المال فان عطف الله قلب الخليفة وقلبك علينا تصرّفنا واذّينا وان حرمنا ذلك استدفعنا القتل الى مدّة فان الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضلهُ . فقال الخصيبي ولم يكن فى المجلس الاّ أبو زكريا وابن قديدة مستخرجُ الخصيبي : يا أبا عبد الله قد قسمت ووفيت الرأى . . . .[1] وضحك وأخذ خطهُ بألفى الف درهم زيادة وانصرف . (٤٣٢)

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبى بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامهِ وواقفه أبو بكر على ان ينتجز تسبيباتهِ وتسبيبات رجاله على الاهواز ويخرج اليها ويتغلب عليها . وشخص هو عن البصرة لئلا يتمّ هذا الرأى بمقامهِ عنده فينسب اليه فلما وافى واسطا وجد بها أبا الحسن على ابن عيسى وقد عمرّ واسطا فعقدّها عليه القاهرُ (لانه كان من قِبله لامن قبل الوزير) بثلاثة عشر الف الف درهم . واشهد على أبى عبد الله البريدى بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمانية ينظر فى أعمال الموفقى ثم مضى الى بغداد

(١) بياض في الاصل

وركب يوماً هو وأخوه الى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصيبي فراسله عيسى المتطبّب بأن القاهر قد عزم على القبض عليهم فانحطّوا عن دوابّهم وغيّروا زيّهم واستتروا فما ظهروا حتى خلع القاهر من الخلافة وتقلّدها الراضي بالله

وفي يوم الاثنين لاربع خلون من ذى الحجّة من هذه السنة ورد كتاب على بن خلف بن طناب الى الخصيبي يذكر فيه مصير رجل من وجوه قوّاد الديلم الذين كانوا مع مرداويج الى نواحى ارّجان يقال له على بن بُوَيه (٤٣٣) وان هذا الرجل كان ضامناً لنواحي ماء البصرة فانكسر عليه مالٌ لمرداويج ففزع منه وعصى عليه وصار فى أربعمائة من الديلم الى ارّجان وتغلّب عليها .

﴿ ذكر السبب فى ظهور على بن بويه والاتفاقات التى اتفقت له حتى ملك ما ملك ﴾

كان أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو على الحسن بن بويه من قوّاد ما كان بن كاكي ولم يزل الحال بين ماكان وبين مرداويج جميلا منذ اتفقا على قصد اسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم . وكانا يتهاديان و يتلاطفان الى ان قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدم وملك نواحي الري والجبل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال . وقصد ما كان نواحي آمل وطبرستان فملكها وامتدّ الى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله باخويه الخارجين عليه فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد الى نيسابور وراسل ما كان يسأله ان يعود الى مكانه وان يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقى الحالَ بينهما ففعل ما كان ذلك وعاد الى جرجان وطبرستان

وابتدأت الحال[1] تنقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغي فاستدعى (٤٣٤) مرداويج خلفاءه بالجبل وأصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار الى ما كان فثبت له ما كان واستظهر عليه مرداويج وهزمهُ وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بالحسن [2] وكان اسفهسلاره ومدبر جيشه وكان رجلا نجدا جيد الرأى فى الحرب . ثم مضى الى جرجان وكان فيها من قبل ما كان شيرزيل بن سلاّر وباعلى بن تركى فهربا جميعا وملكها مرداويج ورتب فيها سرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بالحسن لان سرخاب خال ولد بلقسم لجمع لبلقسم جرجان وطبرستان وعاد الى أصبهان ظافراً غانماً . ثم قصد ما كان أبا الفضل الثائر [3] مستنجداً له فاكرمهُ وعظمه ثم سار معه بنفسه الى طبرستان وبها بلقسم بن بالحسن وكان مستعداً لهما فبرز اليهما وتحاربوا فانهزم الثائر وما كان جميعاً . فأما الثائر فعاد الى بلده بالديلم وأما ما كان فامتدّ على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتى ورد جرجان ثم منها الى نيسابور قاصداً بها أبا على أحمد بن محمد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل فى طاعته واستنجده . وأقام بلقسم بن بالحسن بجرجان الى ان بلغهُ مسير أبى على أحمد بن محمد بن محتاج اليه مع ما كان فكتب الى مرداويج يستمدهُ (٤٣٥) فامدّهُ بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالغ فى تقويته

(١) لعله الثار (٢) كذا بالاصل وفي كتاب العيون : أبو القاسم بن أبي الحسن

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر بن أبى عبد الله الحسين الشاعر المحدث بن أبى الحسن على العسكرى بن الحسن بن على الاصغر بن عمر الاشرف العلوى الحسينى والحسين المحدث هو أخ لابي محمد الحسن الناصر الكبير الاطروش امام الزيدية وملك الديلم المتوفي سنة ٣٠٤ وكان وفاة جعفر بن محمد الثائر في سنة ٣٤٥ كذا فى كتاب عمدة الطالب لاحمد بن على بن عتبة : لكنؤ ص ٣٠١

ووافى ابن محتاج وما كان فبرز اليهما وواقعهُما فظهر عليهما وهزمهُما فانصرفا الى نيسابور . ثم كرّ ما كان كرةً أخرى على نواحى الدامغان طامعاً فى ان يستولى عليها وكان فيها من قبل مرداويج الجيش بن اوميذوار فسار اليه بلقسم بن بالحسن حتى اجتمعا على دفع ما كان فانهزم ثانياً ويئس من هذه الأعمال فانفذه صاحب خراسان الى كرمان وقلّده اياها وكان بها أبو على محمد بن اليساس بن اليسع وواقعهُ وهزم أبا على وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان .

فأما أبو الحسن على بن بويه وأخوه أبو على الحسن فانهُما عند هزيمة ما كان الا ولى وضعفه انحازا الى مرداويج بعد ان استأذناه وقالا : ان الاصلح لك مفارقتنا اياك لتخفّ عنك مؤونتنا ويقع كلّنا على غيرك فاذا تمكنتَ عاودناك . فأذن لهُما واقتدى بعلى بن بويه جماعة من القوّاد لما صار على بن بويه وأخوه أبو على الى مرداويج فقبلهُما وأكرمهُما وخلع عليهما وقلّد كل واحد من قوّاد ما كان ناحية من نواحى الجبل أما على بن بويه فانه قلّده الكرج وأما اللشكرى بن مردى فانه ردّهُ الى عمله وكان متقلّدا دیناوند وأما [٤٣٦] سليمان بن سركلة فانه قلّدهُ همذان وكذلك سائر القوّاد

﴿ ذكر سبب تمّ به لعلي بن بويه ولايتهُ وصُرف الباقون ﴾
﴿ بأجمعهم قبل وُصولهم الى أعمالهم ﴾

كان السبب فى ارتفاع على بن بويه وبلوغه مابلغ سماحة كثيرة كانت فى طبعه وسعة صدره . واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر اشرف منه وهى شجاعة تامّة كانت له واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد . فمن ذلك انه لما قلّد الكرج وقلّد الجماعة المستأمنة معه النواحى التى ذكرناها

وكتبت لهم العهود ووردوا الريّ وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد (وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة) وكان ناظراً في الامور بالريّ فعُرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلى بن بويه أراد بيعها والاستعانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتي دينار فاشتراها وحمل المال اليه فظهر لعلى بن بويه أنها تشترى لابي عبد الله العميد فقادها اليه وحلف الاّ يأخذ ثمنها ثم تابع ذلك بملاطفات كثيرة الى ان غمرَهُ بالبرّ. ثم أوجب الرأى عند مرداويج ان يتعقب ما أمر به من تولية (٤٣٧) أولئك القوّاد وكتب الى أخيه وشمكير والى أبي عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الريّ وان كان بعضهم خرج مُنع من بقى . وكانت الكتب تصدر أولا الى العميد فيقف عليها ثم تعرض على وشمكير جملها فحين وقف على الكتاب تقدّم الى على بن بويه سرّاً أن يبادر الى عمله فسار من وقته وساعته وطوى المنازل وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلما عرضها على وشمكير كان قد صار على بن بويه على مسافة بعيدة فمُنع من لم يكن خرج من أولئك القوّاد . وفاز على بن بويه بالولاية التى كانت سبب ملكه وتمكنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عزّ وجلّ سببٌ الاّ سخاءهُ وسعة صدره.

فلما وصل الى الكرج ابتدأ بالاحسان الى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وضبطه الناحية وحمايته . واتفق ان افتتح قلاعاً كانت فى أيدى الخُرّمية فى تلك الاطراف ووقع بين أربابها خلافٌ فانحاز بعضهم اليه واظهرَهُ على ذخائر جليلة صرفها كلها الى استمالة الرجال واستعطاف القلوب . فلما عاد مرداويج الى الريّ سبّبَ أموال جماعة من

قوّاده [٤٣٨] على ناحية الكرج وفيهم ابراهيم بن سيارَهى [١] المعروف بكاسك وجماعة أكبرمنهم فاستمالهم على بن بويه وأفضلَ عليهم حتى أوجبت الجماعةُ طاعتهُ . فاتصل ذلك بمرداويج فأوحشهُ ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الا كابر اليه وكاتبهُ بالمصير اليه وكاتب القوّاد بمثل ذلك . فدافعهُ وتعلل عليه ورفق به الى ان أخذ العهود والمواثيق عليهم وعلم استيحاش الجماعة وخوّفهم من غدر مرداويج وسطوته فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدرعليه من المال . واستأمن اليه من جرباذقان شيرزاد أحد قوّاد الديلم فى أربعين رجلا فقويت نفسه وعرَضَ رجالهُ فكانوا ثلاثمائة رجل وكسرا لكنهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والمدَد وتوجّه الى أصبهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت فى نحو عشرة آلاف وأبو علي ابن رُستم على الخراج فقدّم اليهما كتباً جميلةً وعرّفهما انه ينحاز اليهما داخلا فى طاعة السلطان فدافعاهُ عن ذلك . وكان أبو على بن رستم أشدّ الناس كرهاً له وانكاراً لقدومهِ واتفق موت أبي علي ابن رستم وبرز أبو الفتح ابن ياقوت [٤٣٩] حتى صار من أصبهان علي ثلاثة فراسخ . وكان فى أصحاب ابن ياقوت ديلمٌ وجيل كثير مقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضلَ على بن بويه وعطاءهُ وسعة صدره فاستأمنوا اليه وواقعهُ الوقعة وانهزم ابن ياقوت لما ضعف باستئمان هؤلاء ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس . وملك على بن بويه أصبهان فقوى شأنه وكبر في عيون الناس لانه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً والوفاً من أصحاب السلطان وبلغ ذلك مرداويج فأقلقهُ ودبّر فى أمرهم تدبيراً لم يتم له

(١) وفي كتاب العيون : ابن بشار المعروف بكاسك

﴿ ذكر حيلة مرداويج التى لم تتم له ﴾

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه الى على بن بويه لما يسمعون من اقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه ولان سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن اليها أحدٌ ولا يصبر عليها من له نفس أبية فرأى أن يراسل على بن بويه بعتابٍ وتأنيسٍ ويرفق به ويستدعى جوابهُ وضمن ضمانات له يرغب فى مثلها ووجه فى أثره أخاه وشمكير فى عسكر عظيم كثيف قوى فعلم على بن بويه ان الرسالة لا تشبه التأهب له (٤٤٠) فنذر به فرحل عن اصبهان بعد ان جباها شهرا وتوجه الى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه الى رامهرمز من غير حرب ودخلها على بن بويه واستخرج منها أموالا قوى بها .

ووردت عليه كتب أبى طالب زيد بن على النوبندجانى يستدعيه ويشير عليه بالمسير الى شيراز ويهوّن عنده أمرَ ياقوت وأصحابه تهوره فى جباية الاموال وكثرة مؤنته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم . فاشفق على بن بويه ان يلقى ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبى بكر بن ياقوت من ورائه فابى على أبى طالب وتمنع عليه ولم يقبل مشورته . فشجّعه أبو طالب وأعلمه انه ان توقف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمرٌ يجتمعان له عليه وان أعداءه كثير ومتى اجتمعوا عليه لم يقم لهم وتمكنوا بطول الزمان من التدبير عليه وربما لحق مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه والصواب لمن كان فى مثل صورته ان يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاحتشاد وانشاء التدابير عليه ولم يزل يراسل على بن بويه ويهوّن عليه الخطب ان بادر ويعظّمه

ان توانى[٤٤١] وتأخر الى ان سار نحو النوبندجان. وسبقه مقدّمة ياقوت وهي فى نحو الفي رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكورمرد الخراسانى وابن خركوش وكانا شديدين مذكورين بالباس ومعها أشباههما من أهل النجدة فوافاهم على بن بويه الى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا الى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه الى هذا الموضع. فنصب أبو طالب النوبندجانى وكلاءه وثقاته لخدمة على بن بويه وتنحى بنفسه الى ضيعة له مغالطةً لياقوت وراسل ياقوتاً ان الخوف الذى شمله والناس ألجاه الى الهرب والتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد فى نصيحة على بن بويه وارشاده الى صواب الرأى واهداء الاخبار اليه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤنته وازاله من زيح علته فى الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوما ولزمته مؤونة عظيمة يذكر ان مبلغها مائتا الف دينار. وأنفذ على بن بويه أخاه أبا على الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالا عظيمة وأثار ذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك فزاد[٤٤٢] استخراجه على استخراج أخيه. وأنفذ ياقوت عسكرا ضخما الى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موفوراً الى أخيه على بن بويه. ثم اتفق أن تم عليه مواطأة ياقوت ووشمكير ومرداويج وبلغه من ذلك ما أوجب ان يسير الى كرمان فتوجه من النوبندجان الى اصطخر ومنها الى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفو أثره وانتهى بعلى بن بويه المسير الى قنطرة كان الطريق عليها الى كرمان فسبقه ياقوت الى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطرّه الى الحرب

﴿ دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٢٢ وأصبحوا يوم الاربعاء على أشد ما تكون الحرب . فاستدعى على ابن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم انه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومنّاهم واستوثق منهم الايمان فى الثبات والجهاد والجد

﴿ ذكر اتفاق جيد اتفق لعلى بن بويه وردى جداً ﴾
﴿ على ياقوت مع تدبير سيئ وتسرع ﴾
(من ياقوت غير صواب)

أما التدبير السيء الذى استعمله ياقوت وتسرع فيه فانه استأمن اليه من أصحاب على بن بويه [(٤٤٣)] رجلان من وجوه الديلم فحين وقعت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم انه لا أمان لهم عنده فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين . وأما الاتفاق الذى اتفق عليه فانه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجالة كثيرة من أصحابه يحاربون بزاريق النفط والنيران فانقلبت الريح واشتدت للوقت فاحترق شيء من مصافّ ياقوت وأكبّ الديلم على أولئك الرجالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم .

﴿ ذكر تدبير دبره ياقوت فى حال الهزيمة فلم ينفذ له ﴾
﴿ واحترز منها علي بن بويه فظفر ﴾

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب نشزاً من الارض عالياً فى طريقه فصعد اليها وركز عليها رايته فاجتمع اليه نحو من أربعة آلاف رجل . وظن أن الديلم يتسرعون الى خزائنه ويشتغلون

بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم (وهذه لعمرى مكيدة طال ماصارت سببا لظفر قوم بعد هزيمتهم) فقال لاصحابه : لا تفرقوا وتأهبوا للكرّة فانها الظفر لا محالة . وأحسّ علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافه ونادى أصحابه وقال لهم : لا تبعدوا ولا تنقضوا تعبيتكم فان الخصم (٤٤٤) واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غيرهذه المكيدة. وأعلمهم أن الغنيمة لا تفوت فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزما وملك على بن بويه جميع ذلك السواد. ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك كان أعدها للاسارى فاشار جماعة من قوّاد على بن بويه بان يجعل ذلك لاسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤسهم والقيود فى أرجلهم ويشهر بهم فى المعسكر ثم فى البلد فابى ذلك على بن بويه وقال : بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فانه ادعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان .

ثم امتد الى الزرقان يوم الجمعة والى الدينكان يوم السبت وتولت المستأمنة والشحنة وأ كابر الناس اليه وتتابعوا فتقبل الجميع وأحسن اليهم قولا وفعلا وصفح عن كل من بلغه عنه فحش فى الخطاب أو اساءة فى عمل وأحسن فى سيرته حتى اطمأن اليه الناس وأمنه أعداؤه . وعسكر بظاهر شيراز ونادي فيها ببثّ العدل (٤٤٥) وأمان للناس من جميع ما يكرهون وأمر العامة بالانتشار فى معائشهم والخروج الى مصالحهم آمنين ففعل الناس ذلك

ثم اضطرّ بعد ذلك الى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم

وبلغ من أمره ما سنكتبه فى موضعه بمشيئة الله وعونه

وفيها ورد كتاب أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخى وكان يتقلد أعمال الخراج والضياع بالبصرة والاهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لاربع خلون من المحرم بأن الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج اصبهان وانه خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلد ماه البصرة وفاز بمال جليل وهرب الى أرجان يقال له على بن بويه وانه كتب اليه انه فى طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير فى ورود الحضرة أو النفوذ الى شيراز لينضم الى ياقوت مولى أمير المؤمنين

وفى هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطى الى نواحى توّج وسينيز فى مراكب وخرجوا منها الى البلد فلما بعدوا من المراكب أحرقها صاحب لياقوت كان يتقلد البلد ثم اجتمع مع أهل البلد واوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلا فيهم رجل يعرف بابن الغمر . (٤٤٦) فقدم رسول محمد بن ياقوت بهؤلاء الاسارى فادخلهم مشهرين فوضع على رأس ابن الغمر منهم قرونا وكانوا على جمال بدراريع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها

وفيها قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل وأبا السرايا نصر ابن حمدان

(ذكر السبب فى ذلك)

كان السبب فى قتله اسحاق انه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايده اسحق بن اسماعيل فيها واشتراها . وسبب قتله أبا السرايا انه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا . فحكى ثابت عن خادم حضر قتلهما قال : جاء

القاهر فوقف على رأس بئر كانت فى موضع ذكره ثم استحضر اسحاق فأحضر وهو مقيد فأمر بطرحه فى تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حي. ثم أمر باحضار أبى السرايا فأحضرناه وهو مقيد فأمر بطرحه فى تلك البئر فمازال أبو السرايا يتضرع اليه ويسئله العفو وهو لا يلتفت اليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلى عن السعفة ودفعناه [٤٤٧] فى البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما التراب حتى امتلأت وهو واقف . فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير ! أراد مونس لما قتل المقتدر أن ينصب فى الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال اسحاق بن اسماعيل مجتهدا قائما قاعداً الى أن عدل بها الى القاهر بالله وهو لا يعلم انه انما يسعى فى حتف نفسه ليتم الامر المقدور

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل انه ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن . وأحضر ابن مجاهد[١] والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه .

وفيها خرج رجل من الصغد يعرف بابى على محمد بن الياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت انه يريد أن يستأمن اليه ثم عرف ياقوت ان ذلك حيلة منه فخرج اليه ياقوت فلم يثبت له ابن الياس وانكفأ راجعا الى كرمان وصار اليه من قبل صاحب خراسان ماكان بن كاكى الديلمى فواقعه وانهزم ابن الياس وصار الى أعمال فارس فواقعه

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادى شيخ العراق في عصره توفى سنة ٣٢٤ كذا في تاريخ الاسلام . وأما ابن مقسم فهو محمد بن الحسن بن يعقوب توفي سنة ٣٥٤ وترجمته موجودة في ارشاد الاريب ٦ :٤٩٨

ياقوت وانهزم ابن الياس .

وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر فدبروا عليه وتم لهم القبض عليه (٤٤٨)

﴿ ذكر السبب فى القبض على القاهر ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا على ابن مقلة كان يراسل الساجية والحجرية فى استتاره ويضربّهم على القاهر ويوحشهم منه والحسن بن هرون يفعل مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزيا بزىّ السؤال وفى يده زبيل وفى وقت بزىّ النساء الى ان شحذ نياتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والفتك به وحذّرهم منه وعرّفهم انه قد بنى لهم المطامير واحتال من جهة منجم كان لسيما [1] حتى لقّنه ان يقول لسيما من جهة النجوم انه يخاف عليه من القاهر ويحذّرهُ منه . وأعطى الحسن بن هرون هذا المنجم مائتى دينار فملأ عينه حتى مكّن فى نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصاباته ثم دسّ اليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتى اشتدّ خوف سيما من القاهر . فلما كان يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر وقع بين الغلمان الحجرية وبين الغلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أن القاهر يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً الى داره واجتمع اليه الساجية بأسرهم والقوّاد فى السلاح (٤٤٩) وأقاموا عنده الى آخر النهار ثم انصرفوا وباكروه فاجتمع قوّاد الساجية مع قوّاد الحجرية وتحالفوا ان تكون كلمتهم واحدةً ثم استحلفوا باقي الحجرية والساجية . واتصل ذلك بالقاهر وبالوزير وبالحاجب فوجهوا من يسئلهم

(١) وفي الاوراق للصولى : هو سيما المناخلى ولم يعش بعد هذا الا أقل من مائة يوم

عما أوحشهم فقالوا : قد صحّ عندنا ان القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا فى مطامير قد بناها لنا . وكان الفضل بن جعفر يتولى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرّف القاهر ما يقولونه فتقدّم الى سلامة بالخروج اليهم . وحلف القاهر له على انه لم يفعل ذلك ولا همّ به وانما بنى حمامات رومية للحرم وخرج سلامة لذلك .

وخلا الخصيبي وعيسى المتطبب بالقاهر فذكرا له ان الآفة فى هذا كله الفضل بن جعفر وانه هو الذى قال للساجية والحجرية ذلك لانه شيء لم يعرفه غيره . وكان سلامة أشار بالفضل حتى أعفى من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير فتقدّم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبي بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل: لو كنتُ ذا مالٍ لكانت لى ضياع ودُور (٤٥٠) وخدم ومروّة بحسبها . فاغتاظ الخصيبي وظن انه قد عرّض به وخاطبه بمخاطبة فيها جفاء فاستوفى الفضل عليه الجواب . فهمّ الوزير الخصيبي ان يوقع به فقال سابور الخادم : أُمرتُ بصيانته والا يلحقهُ مكروهٌ . وردّهُ الى دار السلطان وحبس في الموضع الذى كان اسحق بن اسمعيل محبوساً فيه

وورد يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الاخرى كتاب أبي جعفر الكرخي وكتاب أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد الذى كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الاهواز وانهم استولوا على سائر عمل الاهواز وصار كلّ من يتقلد المعاون في أعمال الاهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فانه كان يتقلد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لانه نظيرُهُ فكتب الخصيبى رُقعة بما ورد عليه من ذلك الى القاهر .

وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة واقرأه الكتاب وقال له : امض الى الخصيبي واجتمع معه على التدبير فى ذلك . وعاود شربه فمضى سلامة وعيسى معه الى الخصيبي وأطالا عنده الى نصف الليل ولم يتقرر لهم رأى على شيء فانصرف [٤٥١] سلامة الى منزله لعلمه بأن القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقي ليلته . وصدر نهار الغد وبكر سلامة الى الخصيبي فوجد عنده عيسى المتطبب وبلغهم خبر الساجية والحجرية واجتماعهم لقصد دار السلطان فتقدم الخصيبي الى عيسى بأن يبادر الى دار السلطان ويعرف القاهر الخبر ليتحرز وان وجده نائما أنبهه فمضى عيسى واجتهد فى أنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له كان يشرب الى ان طلعت الشمس وانه لو أنبه لما فهم عنه ما يقوله لشدة سكره .

وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع الكلمة فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما : ان كان قد صح عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتى نمضيه . فقالوا : بل نؤخره الى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه . فقال لهم سيما : ان تفرقتم الساعة وأخرتموه الى ساعة أخرى اتصل الخبر به فتحرز ودبر علينا فأهلكنا كلنا . فقبلوا رأيه وركبوا معه الى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كل باب من أبوابها غلاما من الساجية وغلاما من الحجرية ومعهما قطعة وافرة [٤٥٢] منهما فلما أحكم أمر الابواب كلها وقف على باب العامة وأمر بالهجوم فهجموا كلهم من جميع الابواب فى وقت واحد . وبلغ سلامة والخصيبي الخبر وهما مجتمعان فى دار الخصيبي فخرج الخصيبي في زى امرأة واستتر وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر

ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة الى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل .

ولما علم القاهر بحصول الغلمان في الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب الى سطح حمام في دُور الحرم فاستتر فيه ولما دخل الغلمان الى المجلس الذى كان فيه لم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة فوكلوا بهم. ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتى دلهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه منديل ديبقى وفى يده سيف مجرد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل اليهم وقالوا: نحن عبيدك وما نريد بك سوءا وانما نتوثق لانفسنا فأقام على الامتناع من النزول الى ان فوّق اليه واحد منهم بسهم [٤٥٣] وقال: ان لم تنزل وضعته فى نحرك . فنزل حينئذ وقبضوا عليه وكان ذلك ضحوة نهار يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاخرة سنة ٣٢٢ وصاروا به الى موضع المحبوس وقصدوا البيت الذي فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر الى موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله

خلافة الراضى بالله أبي العباس

﴿ محمد بن المقتدر فى سنة ٣٢٢ ﴾

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى

فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلهم عليه خليفة لؤلؤ الخادم ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وبايع له قوّاد الساجيّة والحجرية وطريف السبكرى وبدر الخرشنى ولقب الراضى بالله . وتقدّم باحضار على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا فوصلا اليه وشاورهُما واعتمد عليهما فيما يعمل . فعرّفهُ على بن عيسى ان سبيلهُ ان يعقد لواء لنفسه على الرسم فى ذلك (٤٥٤) فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به . وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة فسلمها من كان فى يده وهو خاتم فضّة فصُّهُ من حديد صينى وعليه كتابة ثلاثة أسطر : محمد رسول الله . وأشار عليه بتسلُّم خاتم الخلافة من القاهر بالله فوجّه اليه الراضى ثم فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلّمَهُ وكان فصُّهُ ياقوتاً أحمر وعليه منقوشٌ : بالله محمد الامام القاهر بالله أمير المؤمنين يثقُ . وصار به الى الراضى فأمر ان يسلّم الى حاذق من حُذّاق الخزانة ليمحو ذلك النقش منه ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه : الراضى بالله .

وتقدّم على بن عيسى بأن يُحضر القاضى أبو الحسين عمر بن محمد والقاضى أبو محمد ابن أبى الشوارب [١] والقاضى أبو طالب البهلول [٢] وجماعة من الشهود وممن يقرب من دار السلطان فحضروا . فحكى القاضى أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمى ابن أمّ شيبان [٣] انه لما استُدعى القاضى أبو الحسين

(١) وفى ترجمة هذه السنة في تاريخ الاسلام هو الحسن بن عبد الله وكذا فى التكملة

(٢) هو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول أبو طالب الانبارى وفي تاريخ الاسلام انه كان ينوب عن أبيه في قضاء مدينة المنصور توفى سنة ٣٤٨

(٣) وردت ترجمته في ملحق لاستيفاء أخبار القضاة لابي عمر الكندى ص ٥٧٣

عند القبض على القاهر بالله وجم وجمع اطرافه وأخذ معه خمسين ديناراً فى حجزة سراويله استظهاراً واستخلفه فى داره ومضى وانصرف بعد ان مضى أكثر الليل الى (٤٥٥) منزله قال: فقال لى: أنا أعرف ضيق صدرك وتطلّعك الى معرفة حديثنا فاسمعه اعلمْ انى مضيتُ فادخلتُ الى حجرة فيها القاهر بالله ومعى ثلاثة من الشهود وطريف السبكرى فقال له طريف: تقول يا سيّدى. وكرّر ذلك دفعات فقال له: اصبر. ثم التفت اليّ فقال: ألستَ تعرفنى؟ فقلتُ: بلى. فقال: أنا أبو منصور محمد بن المتضد بالله رحمة الله عليه ثم القاهر بالله بيعتى فى عنقك وأعناق أهلى وسائر الاولياء ولستُ ابرّئكم منها ولا أحلّكم بوجه ولا سبب فانهضوا: فقمنا فلما بعدنا عذلتُ طريفاً ولمتُه ملاماً كثيراً وقلتُ: أيّ رأى كان احضارنا الى رجل لم يوطّأ ولم يؤخذ خطّهُ ويشهد عليه الكتّاب والجند؟ كان ينبغى ان تقدّم ذلك ثم تحضرنا له. وعدل بنا الى على بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثناه به فقطّب وجههُ ثم قال: يخلع ولا يفكّر فيه فان افعاله مشهورة وأعماله معروفة. وما يستحقه غير خاف. فقلتُ له: بنا لا تعقد الدوَل وانما يتمّ بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعتُ من الرجل ما حدّثتك به ولم يكن الرأى ان يجمع بيننا وبينه الاّ بعد احكام (٤٥٦) أمره فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا. فقال القاضى أبو الحسن محمد بن صالح: فسمعتُ ذلك منه وبكرنا الى دار السلطان فقيل له ان القاهر سمل البارحة (١)

---

(١) قال أبو بكر الصولى في الاوراق: ولما قبض على القاهر جلس في بيت وطولب بأموال فلم يقر بشيءٍ وكانه عرف ما له عند الراضى لسوء ما كان يعامله به فعذب عذابا

فلما حضر أبو على ابن مقلة استدعينا وكنتُ مع القاضى أبي الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضى بالله فاومأ الى مفلح الاسود فاحضر ثلاثة من اخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو على ابن مقلة قرطاساً من كُمِّه ونشره فاستحلفهم على البيعة . ثم أومأ الراضى الى مفلح إيماء ثانياً فاحضر اثنان آخران من اخوته فاجلسهما عن شماله واخذت البيعة عليهما . ثم أعطى أبو على القرطاسَ القاضى أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا في ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا .

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضى ذلك عن على بن عيسى واستحضر بختيشوع بن يحيي المتطبب وسأله عمن يحسن ان يسمل فذكر له رجلاً فاحضره وسمل القاهر

وما زال على بن عيسى يوم الاربعاء الى الليل يأخذ البيعةَ للراضى بالله على القضاة والقوّاد وكتّاب الدواوين والغلمان وطالبه الراضى ان يتقلّد الوزارة [٤٥٧] فامتنع وذكر انه لا يفى بالامر فأشار سيما بأبى على ابن مقلة قال : هو يضمن ان يقوم بسائر الامور . فقال على بن عيسى : قد اشرتُ به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره [١] وكان على بن عيسى يسأل

شديداً فما أنعم بشئ فأمر بعض الناس فكحله فاعماه وتزيد المكروه عليه فما أقر بشئ ووجد له مال يسير وآلة فأخذت . وفي تاريخ الاسلام : قال القاضى أبو الحسين : فدخلت على الراضى وأعدت ماجرى سراً وأعلمته أني أرى أمانته فرضى فقال : انصرف ودعنى واياه .

(١) وفي الاوراق : فاستحضر (الراضى) أبا الحسن على بن عيسى ومعه أخوه أبو على عبد الرحمن بن عيسى بالنظر فى الامور وأراده للوزارة فاحتج بكبر وضعف فاومأ

فى الفضل بن جعفر فاطلق بمسئلته ووقّع الراضى الى أبى على ابن مقلة [1] فبكر يوم الخميس لسبع خلون من جمادي الأولى سنة ٣٢٢ وحضر على بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخّر الفضل بن جعفر والحسن بن هرون . وخلع على أبى على ابن مقلة خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكرى وسائر القوّاد والغلمان والخدم الخاصّة . وظهر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا الى أبى على ابن مقلة ثم انصرفوا الى منازلهم .

واستأنف أبو على ابن مقلة سيرة حسنة وقال : قد عاهدتُ الله فى

الى أخيه بذلك وان يكون الاسم والخدمة له ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك . وتقلب لما رأى من تعذر مال البيعة الا انه كتب بالبيعة الى النواحي ونظر فى المبهم الذى يوجبه الوقت ومعه أخوه مغرما له ما يعمل ومستأذنا له فيه الى ان وافت رقعة أبي على ابن مقلة الى سيما المناخلى يتضمن له ان يحتال في وقته خمسمائة الف دينار يصرفها فى الرجال للبيعة ويتضمن له ان أتم ذلك خمسمائة الف دينار لنفسه . وكان المتولى لايصال الرقعة الى المناخلى كاتب له حدث يعرف بعلى بن جعفر وضمن له الفى دينار معجلة واضعافها مؤجلة فصار المناخلى وادى ما بالرقعة بضمان الخمسمائة الالف الدينار الى الراضى بالله فلما وقف عليها أحضر على بن عيسي واقرأه اياها فقال له : أمير المؤمنين في هذا الوقت محتاج الى زكاة هذا المال وما عندى وجه لبعضه والصواب ان صح هذا المال ان يمضي أمر هذا الرجل ويستكتبه . وانصرف فجلس في منزله فكان الراضي بعد ذلك يقول : لم يتحصل لنا من الخمسمائة الالف الدينار درهم واحد من أموالنا وأموال الناس مثلها .

(١) وفي التكملة : وهو في دار ابن عبدوس الجهشيارى

استتاری الا اسيء الى أحـد ونذرت نذوراً (١) فوفى وأطلق كلّ من كان في حبس القاهر من كاتب وجنديّ واطلق عيسى المتطبب واسحق بن على القنائى وكان الراضي أنفذهم اليه . ثم تعقب الرأى فى عيسى المتطبب فصادره

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وقال ابن مقلة لما أتاه الناس : كنت مستتراً في دار أبي الفضل بن مارى النصراني فسعي بي القاهر قبل زوال أمره بشهرين وعرف موضعي وانى لجالس وقد مضى نصف الليل أتحدث مع ابن مارى فاخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلا بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلنى ابن مارى بيت تبن وكبست الدار وفتشوها ودخلوا بيت التبن وفتشوه بأيديهم فلم أشك انني مأخوذ وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله أن أنزع عن ذنوب كثيرة وانني ان تقلدت الوزارة أمنت المستترين واطلقت ضياع المنكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتمت نذرى حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان آخر . وما نزع من الخلع حتى وفي بالنذر

وكتب ابن ثوابة في خلع القاهر كتابا قرئ على المنابر . وكان زيرك القاهرى قد أجلى عشرة الراضي وقت اعتقاله فكافأه بأن قلده أمر حرمه وأكرمه .

وقلد ابن مقلة أبا الفتح الفضل بن جعفر خلافته على سائر الاعمال وقلد أبا عبد الله البريدى خوزستان وقلد اخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والانبار ونهر سير وقطربل ومسكن وكتب الى على بن خلف بن طناب باقراره على فارس وكرمان وقلد الحسن بن هرون ما قلده على بن عيسى من أعمال واسط بمائتى الف كرّ شعير وعشرة آلاف كرّ ارز وأربعمائة كر سمسم والف الف وأربعمائة الف درهم وقلد القراريطى كتابة ابن ياقوت والزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجبة وحمل الى سيما خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وأنفق هذا الوجه بحجة على القواد مائة الف وعشرين الف دينار. فغاظ ابن مقلة لانه استدعي ابن رائق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغيره فلما صار ابن رائق بالمدائن أمره الراضى بالانحدار الى واسط وأضافها الى اعماله من البصرة وغيرها . وكان ابن رائق برامهرمز عازماً على التوجه الى أصبهان فكوتب بالاصعاد فالتقي ابن ياقوت فى طياره وابن رائق في حديدية فسلم كل واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام . وتلقى ابن ياقوت الحجرية والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجبة وصار اليه الناس الى داره بالزاهر ولم يقم لاحد الا لابن مقلة ولعلي بن عيسى

(٤٥٨) وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها اياه من العين والورق والطيب فاستخرج كله منه . وسأل فى أمر أبى العباس الخصيبى فكتب له أمان وقّع الراضي فيه بخطه وتسلّمه الوزير أبو على وأنفذه فى درج رقعة منه بخطه الى الخصيبي وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصيبي فقلّده دواوين الضياع الخاصّة والمستحدثة والعباسيّة والفراتيّة والمقبوضة عن أم موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجدّة والدة المقتدر وديوانى زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتّابه فى هذه الدواوين ألف دينار فى كلّ شهر وقلّد الراضى بدراً الخرشنى الشرطة بمدينة السلام .

ولما تقلّد الراضى الخلافة وردت كتب أبى جعفر الكرخى وأبى يوسف كاتب السيّدة بتخلصهما من الاهواز الى نواحى دور الراسبي هاربين من محمد بن رائق . وكان بنو البريدى يستترون فى أنهار الاهواز نهر بعد نهر ووصل الخبر الى ابن رائق وهو بالباسيان ان القاهر خلع من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله وانه قد ندب للحجبة فرجع منكفئا الى واسط ولم يدخل (٤٥٩) البصرة ورجع الكرخى الى البصرة ثم عاد الى غيلة بالاهواز فنظر وعمل الى ان ضمن ابن مقلة بنى البريدى أعمال الاهواز

﴿ ذكر ابتداء أمر أبى الحسن على بن بويه الديلمى ﴾

كنا كتبنا فيما تقدّم ان أبا الحسن على بن بويه لحق بمرداويج وهو فى حدود طبرستان فقوّده وضمّ رجالا اليه فلما أنفذه الى الرىّ (وكان أخوه وشمكير بها) اتفق أن عامل الكرج طمع فى مالها فانفذ على بن بويه ليتلافى أمر الكرج ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها .

وتلفق اليه من الاطراف ديلم فصار فى نحو ثلاثمائة رجل فانكر مرداويج أمرَهُ وكاتبهُ بالانصراف فتأخر ورُوسل فتمالل وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها فى مدّة يسيرة واستوحش مرداويج وهدّدهُ ففزع وأخذ مرداويج ووشمكير فى تدبير القبض عليه

وكان على بن بويه قد استخاف بحضرة وشمكير وهو بالرىّ عند خروجهِ أحمد حاجبه (وهو والد أبى اسحق الطبرى الشاهد [1]) فى هذا الوقت فكتب اليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض فى سيئه وكان مرداويج قد صار الى عند أخيه بالرى بهذا السبب ولتسريب الجيوش اليه فخرج من الكرج الى اصبهان خائفاً (٤٦٠) ليستأمن الى المظفر بن ياقوت وكان عند المظفر بن ياقوت فى الوقت سبعمائة رجل من الديلم ووجهم فناخسره والد الحسن الديلمى الذى كان ببغداد ونظر فى الشرطة بها. فلما قرُب من اصبهان خرج اليه المظفر ليمنعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف لان فناخسره كان له عدُوّ من الديلم يضارّهُ فتقاعد المولدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهزم المظفر بن ياقوت الى فارس وبها أبوه ياقوت . واستأمن الى على بن بويه نحو من أربعمائة رجل من الديلم فصارت عدّتهُ سبعمائة رجل وملك اصبهان وهو فى ثلثمائة رجل . وبلغ الخبر مرداويج فسير أخاه وشمكير لطلبه فى الوقت لما قرُب من اصبهان رحل عنها على بن بويه وصار الى أرجان وكان قد تهيّبها لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمد وهو برامهرمز فصوّر عنده بالمهانة واضطراب الرأى والرجال فدخل أرجان واستوطنها وكاتب

---

(١) هو ابراهيم بن احمد بن محمد كذا فى كتاب الوزراء ص ٦٣

ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو الفي ألف درهم ووصل مع ذلك الى ودائع ونظم أمرَه للمسير الى كرمان وبها ما كان بن كاكى الديلمى ليستأمن اليه . فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله (٤٦١) فكاتبه على بن بويه وخاطبَهُ بالامارة والتعبد وعرّفه أنه يسئله احد أمرين اما أن يقبله أو يأذن له فى المصير الى باب السلطان فلما لم يقبله ياقوت وسار اليه مع ابنه المظفر ليحاربه سار على بن بويه الى النوبندجان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه اليه وطلب منه الامان واستعفاه من الحرب فحذره ياقوت وخشى أن يغتاله وكان قيل له ان على بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخدعه عنها . وكان على بن بويه قد حصل أيام مقامه بكازرون وبلد سابور وذلك عند خروجه من أرجان نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله فلما صار الى النوبندجان قام بأمره أبو طالب زيد بن على وتكفل بنفقاته فلزمه عليه فى كل يوم خمسمائة دينار وأقام عنده مدة فلما خرج اليه ياقوت تهيبه هيبة شديدة . وذلك أن جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجية وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعلى بن بويه فى ثمانمائة رجل فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز الى حيث يجتاز فمنعه (٤٦٢) ياقوت وطمع فيه لقلة عدده ولوفور ما وصل اليه من المال . فلم يثبت له على بن بويه وسار الى البيضاء فتبعه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت . فاشتد طمع ياقوت فيه وزاد تهيب على بن بويه وحنق عليه المسئلة فى الافراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلما كان يوم الخميس لاثنى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ واقعه مستقتلا

فحدثني من شهد الوقعة من الديلم أنه ترجل ستة نفر من الديلم وصفوا تراسهم وتقدموا زحفاً واستأخر من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتلموا وتقدموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نحو ثلاثين رجلا فانهزم ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف الى شيراز . فقدر علي بن بويه ان انصرافه مكيدة منه لاهزيمة فتوقف في موضعه ولم يتبعه الى وقت العصر فلما صح عنده انها هزيمة سار الى شيراز فنزل أول منزل قرية يقال لها الزرقان على ستة فراسخ من شيراز وبكر منها يوم السبت فنزل قرية يقال لها الدينكان وعنده أنه سيحارب عن البلد ويدفع عنه لان الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا [٤٦٣] عنه موفورين لم يحاربوه ولا وقفوا بين يديه . فنزل على فرسخ من شيراز في مضاربه وبلغه ان ياقوتاً وعلي بن خلف بن طناب قد خرجا عن شيراز والبلد شاغر خال فوجه بجماعة من الديلم واخلاط من الجند الى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر اليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للثناء . وكان الديلم قد تفرقوا في الاسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلا فبلغ علي بن بويه ذلك ووجه بأخيه أبي الحسين أحمد وكان سنه اذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلا من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى في البلد الا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الجند وان من وجد بعد النداء فقد اباح دمه وماله فلم يبق في البلد أحد منهم.

ودخل علي بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروبٌ من الاتفاقات عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه . فمنها ان أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فاذا القدرُ الذي معه لا يرضيهم وأشرف أمرُهُ على الانحلال فاشتغل قلبه واغتمّ

غما شديداً . فبينما [٤٦٤] هو مفكرٌ قد استلقى على ظهره فى مجلس ياقوت من داره وقد خلا فيه للفكرة والتدبير اذ رأى حيةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف ان تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفرّاشين وأمرهم باحضار سُلم واخراج تلك الحية ففعلوا . ولما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى الى غرفة بين سقفين فعرّفوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت ووجد فيها عدّة صناديق فيها من المال والصياغات خمسمائة ألف دينار فاستوى جالساً وحمل الى بين يديه ذلك المال فسرّ به وأنفقهُ فى رجاله وثبت أمرُهُ بعد ان أشفى على الاضمحلال

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى ان على بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خياط حاذق فوُصف له خياط لياقوت فأمر باحضاره وكان أطروشاً ووقع له انه قد سعى به اليه فى وديعة كانت لياقوت وانه طلبه بهذا السبب فلما خاطبهُ حلف انه ليس عنده الاّ اثنا عشر صندوقا لا يدرى مافيها . فعجب على بن بويه من جوابه ووجّه معه من حملها فوجد فيها أمراً عظيما من المال والثياب.

والذى كان يكتب لعلى بن بويه فى ذلك الوقت رجلٌ نصرانى [٤٦٥] من أهل الرىّ يعرف بأبى سعد اسرائيل بن موسى ثم قتله بعد مدّة بسبب سنفرد له خبراً واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القُمّى المعروف بالحنّاط . وسفر الامير أبو الحسن على بن بويه بعد تمكّنه من البلد فى ان يقاطع السلطان عنه ويتقلّدهُ من قبل الراضى فأجيب الى ذلك وقُنع منه بما بذل وهو فى كلّ سنة بعد جميع المؤن والنفقات الراتبة والحادثة ثمانية آلاف الف درهم خالصة للحمل . وكتب الى الوزير أبى على ابن مقلة يحلف له

باغلظ الايمان على موالاة الوزير أبي على ابن مقلة وابنه أبي الحسين ومعاضدتهما وما يقال فى هذا المعنى وأكّده . فأنفذ اليه الوزير أبو على بالخلع واللواء فى شوّال سنة ٣٢٢ ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى الكاتب الاّ يسلّم اللواء والخلع الاّ بعد ان يتسلّم المال ووقف عليه . فلما قرب المالكي من البلد تلقّاه على بن بويه على بعد وسار معه الى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم اليه اللواء والخلع فعرّفه ما رُسم له وانه لا يمكنه من ذلك الاّ بعد تسلّم المال الذى وُقف عليه نخاشنهُ على بن بويه وازعجهُ حتى سلّم اليه الخلع ولبسها ودخل بها الى شيراز وبين يديه اللواء وأقام المالكي مدّة يطالب [٤٦٦] بالمال فلم يدفع اليه شيئا بتّة وحصل على المواعيد والمطل والتوقّف ثم اعتلّ المالكى ومات بشيراز وحمل تابوته الى بغداد فى سنة ٢٣

وانفتح لعلى بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [ه] أبو سعد النصرانى فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العباس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن على وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف الف درهم واستخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث [1] وياقوت وابنه وعلى بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال على بن بويه وعمرت خزائنهُ واستأمن اليه رجال ما كان بن كاكي من كرمان وكثر جمعهُ واستفحل أمرهُ . وانتهى خبره الى مرداويج فقامت قيامته ووافى أصبهان وبها وشمكير أخوهُ لانه لما خلع القاهر من الخلافة وتأخّر محمد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوما خالية أعاد مرداويج

(١) هما من آل الصفارمات يعقوب سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمرو وأسره اسمعيل بن أحمد الساماني سنة ٢٨٧ وحبس ببغداد ومات بالحبس سنة ٢٨٩ (طبرى ٣ : ١٩٣١ و٢٢٠٨)

أخاهُ اليها فلما استقرّ بها وورد مرداويج لتدبير على بن بويه عند استدعائه عليه ردّ أخاهُ وشمكير الى الريّ لخلافته عليها. وأنفذ شيرج [1] بن ليلى اسفهسلاره مع حاجبه الشابشتى ومعهما الفان وأربعمائة رجل من الجيل والديلم ووجوه القوّاد مثل بكران واسمعيل الجيلى (٤٦٧) الى الاهواز وكان غرضه ان يملكها فيأخذ الطريق على عليّ بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتى اذا قصده بعد ملكه الاهواز لم يكن له منفذ الا الى تخوم كرمان والتيز ومكران وأرض خراسان

ولما نزلت عساكر الجيل ايذج خاف ياقوت ان يحصل بينهم وبين على ابن بويه فوافى الاهواز ومعه ابنهُ وقلّده السلطان أعمال الحرب والمعاون بها. وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى بكتابة ياقوت مضافة الى ماإليه من أعمال الخراج والضياع بالاهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتا بالحضرة. وحصل رجال مرداويج برامهرمز فى غرّة شوال من سنة ٣٢٢ وصلّوا العيد بها وخطبوا لمرداويج وساروا الى الاهواز فعسكر ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذى تحت هذه القنطرة حاد الجرية. فأقام رجال مرداويج بازاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور اليه وسار ياقوت الى بغداد على طريق دُور الراسبى وسار على بن خلف بن طناب فى البحر من ساحل مهروبان الى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العيّارين ان يعبروا بهم نحو المسرُقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الاهواز جدداً فعدلوا اليها. واجتمع البريدى (٤٦٨) وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأى على إنفاذ مونس غلام ياقوت

(١) وفي التكملة: شيرز

فى أربعة آلاف رجل الى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا ان القوم بعد منزلة أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وأنهم لا يلبثون بعسكر مكرم الا يومين أو ثلاثة فلما حصلوا بها عملوا أطوافاً من خشب وشاشا من قصب وعبر منهم خمسون رجلا عليها فانهزم مونس لوجهه وعاد الى مولاه فاخبره الخبر . وكان قد ورد اليه مددٌ من بغداد وخيلٌ عظيمة فرحل لوقته من قنطرة أربق بعد اجتماع الجيل اليه بيومين وصاروا بأجمعهم الى قرية الريح وهم بالحقيقة قد حصلوا من أمرهم على الريح . وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدة وافرة كثيرة الى باذاورد ومنها الى واسط فافرج له محمد بن رائق عن غربيها فنزله بعسكره . وعرف على بن بويه حصول عسكر مرداويج بالاهواز وشرح ماجري وتعلق الكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة ووافقه على مال وأنفذ اليه رهينة فسكن مرداويج وقلّد علىّ بن بويه ارجان بعد انصراف ياقوت وعلى بن خلف عنها ابراهيم بن كاسك .

واستقرت كتابة ياقوت لابى عبد الله البريدى (٤٦٩) فورد عليه الخبر وهو بالبصرة فى بستان المؤمنا يريد المسير فى طياره الى واسط بقتل مرداويج فى الحمام باصبهان فانفذ للوقت أبا عبد الله بن جنى الجرجرائى الى الاهواز بخلافته عليها وقال له : اقصد ظاهر البلد بل اقم على فرسخ منه فاذا صح عندك خروج الجيل والديلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجالة فانى أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانى فى الف رجل لضبط البلد وكور الاهواز . ثم وافى أبو على غلام جوذاب كاتب البريدى فى طريق الماء وترتب ابن أبي طاهر بالاهواز وأبو أحمد الجستانى بعسكر مكرم . ووافى ابراهيم بن كاسك من أرجان الى رامهرمز طمعا فى الاهواز

لما خاف فكاتبه على بن بويه بالتوقف والا يبرحها حتى يمده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه من فارس ما وافى ياقوت الى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ ابرهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز الى أرجان . وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والاتراك والخراسانية فظن أنهم يثبتون وانه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدى والتقيا بعسكر مكرم واتفق فيه وفى رجاله ثمانمائة الف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج المنفقين وسيرهم الى أرجان (٤٧٠) ووافاهُ على بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شد منها حزاما ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله. وتبعه على بن بويه الى رامهرمز وخيف على الاهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدى فى الصلح فاستجاب وكاتب الوزير أبا على ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فامضاه . فانصرف على بن بويه الى شيراز وعقدت فارس على عليّ بن بويه بما ذكرناه ونفذ اليه أبو عيسى المالكى باللواء والعهد وكان من أمره ما قدّمتُ ذكره

﴿ وقتل أبو الحسن على بن بويه أبا سعد اسرائيل كاتبه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا سعد كان مكينا عند على بن بويه يتبرك به ويكرمه جدا وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب في وقت ياقوتا فهزمه. فكان أبو العباس الحنّاط القمى يضرّب عليه دائما ويجتهد فى افساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهى الى ان قال يوما وقد أكثر عليه فى الاغراء به : يا هذا ان هذا الرجل صحبنى وحالى صغيرة وقد بلغتُ ما ترى ولستُ

أدري هل [٤٧١] ما وصلت اليه بدولته أم بدولتي وليس الى تغيير أمره طريق فاياك أن تعاودني فيه . فما أغني ذلك منه ولا انتهى عن الوقيعة فيه وثلبه .

وكان بين أبي سعد هذا وبين حاجب لعلي بن بويه يقال له خطلخ (واليه مع الحجبة رياسة الجيش) عداوة فاتفق ان دعى أبو سعد دعوة عظيمة دعا فيها علي بن بويه والقواد وأنفق فيها في الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خطلخ فلم يستجب الى المصير اليه واجتهد به فلم يكن له فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يانس به . وانتبه خطلخ من نومه وهو مغتاظ يزعم أنه لا بد له من أن يركب الى أبي سعد فيقتله لانه رأى في نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصُّه في أن يؤخِّر ذلك فامتنع وحمل في خفهِ دشنيا وركب . وقيل لابي سعد ان خطلخ قد ركب على ان يجيئه فانكر ذلك لانه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه اليه بغير استدعاء وجهاً فاستعد ليستظهر وقال لغلمانه : تأهبوا بالطبرزينات وكونوا مستترين في المجالس حوله فان أنكر من خطلخ أمراً صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه . وحضر خطلخ فتلقاه أبو سعد وجاء حتى جلس [٤٧٢] وأخذ يتجنى ويُعربد الى ان ضرب يده الى خفهِ وأخرج الدشنيّ فصاح أبو سعد بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزينات ووضعوا على خطلخ ووقع في رأسه دبوس فدوّخه وسقط وقدّر انه مات وحمل الى منزله فعاش يومين ومات .

فبادر أبو العباس الحنّاط الى الامير في الوقت فوجده نائما فقال للغلمان : انبهوه . فلم يجسروا فصاح وجلب الى ان أنبهُ ودخل اليه وقال له : ان أبا سعد قتل حاجبك خطلخ . فلم يصدّقه وانتهره فقال : وجه وانظر . فورد عليه الخبر بصدقهِ فاستعظم ذلك ووجم ساعة . ودخل أبو سعد فلم يظهر له

انه أنكر شيأ ولا انه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرّفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب مافعله . وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الحناط فرصته وأقبل يقول : هو ذا ياخذ البيعة على القواد وهو خارج عليك لا محالة . فوجه الامير الى أبي سعد فأنسهُ غاية التأنيس وحلف له ايمانا مؤكّدة على ثقته به وانه لايلحقه سوء من جهته. واتفق ان أخرج أبو سعد صناديقه من البيوت الى صحن داره ليسترها استظهارا وخلا بموسى فياذة يشاوره فمضى الحناط الى الامير على بن بويه [٤٧٣] فقال له : قد استحلف أبو سعد قوادك وآخر من استحلفهُ موسى فياذة وها هو قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة. فوجه الامير بمن عرف خبرَهُ فرأى الرسولُ الصناديق وموسى فياذة خارجاً من عنده فعاد اليه بالخبر فلم يشكّ الامير حينئذ فى صحة قول الحنّاط فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الاصناف واعتقله. وكان في الاعتقال الى ان ورد بعض قُوّاد الاتراك من بعض أعمال فارس فواطأهُ الحناط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلا مخرقي الثياب مسودّى الوجوه يضجّون بما جرى على خطلخ من أبي سعد ويتهددون ان لم يقتل أبو سعد ففعل القائد ذلك ودخل والامير على شرب فامر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو و بعد فوت الامر. واستكتب الامير بعده أبا العباس الحناط وبقى معه الى ان مات الامير على بن بويه .

ونعود الى ذكر الاحوال الجارية بمدينة السلام . لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجبة ورياسة الجيش أدخل يده فى تدبير أعمال الخراج والضياع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه والاّ يقبلوا توقيعاً بولاية [٤٧٤] ولا صرف ولا غير ذلك من

سائر الاحوال الا بعد ان يوقّع فيه بخطهِ . وتجلّد أبو علي واحتمل ذلك والزم نفسه المصيرَ اليه فاذا صار اليه دفعتين صار هواليه دفعةً واحدة . فكان أبو علي كالمتعطّل لا يعمل شيأ ملازما لمنزلهِ ويجيئه أبو اسحق القراريطي كاتب محمد ابن ياقوت فيطالعه بما يجري ومايعمل (١)

﴿ وفى هذه السنة قتل هرون بن غريب الخال ﴾

(ذكر السبب في قتله)

كان سبب ذلك انه لما بلغ هرون بن غريب تقليد الراضي الخلافة وكان مقيما بالدينور وهي قصبة أعمال ماه الكوفة وهو متقلّد أعمال المعاون بها وبما سبذان ومهرجانقذق وحلوان وتدبرُ أعمال الخراج والضياع بها وهي النواحي التي كانت بقيت في يد السلطان من نواحي المشرق بعد الذى غلب عليه مرداويج) رأى انه أحقُّ بالدولة من كل أحد فكاتب جميع القوّاد بالحضرة وانه ان صار الى الحضرة وتقلد رياسة الجيش وتدبير الامور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخر عنهم شيأ منها . وسار الى بغداد حتى وافى خانقين فغلظ ذلك على الوزير أبى على ابن مقلة وعلى محمد ابن ياقوت وعلى الحجريّة والساجيّة والمونسية وخاطبوا (٤٧٥) باجمعهم وقال الراضي : أنا كارهٌ له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه ان أحوج

(١) وقال فيه ابو بكر الصولي في كتابه الاوراق : وعزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يمض امرا الا بتوقيعه ونظر في الاموال ورمى با كثر أمره الى كاتبه محمد بن أحمد القراريطى الى أن أظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر فى شيء البتة . واذا اضطر ان يوقع في أعمال أو ينظر فى أمر مال عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما أراد امضاءه ورضيه وقع فيه بامضائه ومالم يرده لم يوقع فيه فبطل ولم يلتفت الى توقيع غيره . فما زال الوزير يعمل فى أمره حتى قبض عليه وأنا أذكر ذلك في حوادث السنين ان شاء الله

الى ذلك [1]

فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أباجعفر بن شيرزاد وأوصله الى الراضى بالله حتى حمّله رسالة الى هرون بن غريب بأن يرجع الى الدينور وكتب معه كتابا فنفذ من وقته ووجد هرون قد صار الى جسر النهروان وأدّى الرسالة وأوصل الكتاب فاجاب هرون بأنه قد انضم اليه من الرجال من لا يكفيهم مالُ عمله وعاد أبو جعفر بالجواب وأدّاه الى الراضى بالله بحضرة الوزير أبى على والحاجب أبى بكر محمد بن ياقوت . فبذلوا له ان تقلدوه أعمال طريق خراسان كلها ويكون مالها مصروفا اليه زائدا على ما يأخذه وقال الراضى بالله : سبيلهُ ان

(١) وفي الاوراق لابي بكر الصولى : وما كان يصافي النية له لان الراضي بالله كان فى حجر مونس المظفر وكان العباس بن المقتدر فى حجر الخال ثم في حجر ابنه هرون بعده فكان يتهمه بايثاره عليه ولأنه أيضا كان منحرفا عن جدته شغب أيام حياة أبيه. ثم رأيت من ذكره لها فى خلافته وتحننه عليها ما كنت أسمع ضده منه في أيام امارته وكذلك ناد منه كل تشعيث كان ربما نفث به فى أبيه مدحا وتقريظا ووصف محاسن . وأني لاذكر يوما في امارته وهو يقرأ على شيأ من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار اذ جاء خدم من خدم جدته السيدة فاخذوا جميع مابين أيدينا من الكتب فجعلوه في منديل أبيض كان معهم وما كلمونا بشيء ومضوا . فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ فسكنت منه وقلت له « ليس ينبغى ان ينظر في مثلها فاحبوا ان يمتحنوا ذلك » وقد سرني ذلك ليروا كل جميل منه . ومضت ساعتين أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها فقال لهم الراضي : قولوا لمن أمركم بهذا « قد رأيت هذه الكتب وانما هى حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ومن كمله الله بالنظر في مثلها وينفعه بها وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر. وخفت ان يؤدى الخادم قوله فيقال «من كان عنده »فيذكروني فيلحقني من ذلك ماأكره (الى مالى عندهم مما سأذكره والسبب فيه في موضعه من أخباره ان شاء الله) فقمت الى الخدم فسألتهم أن لا يعيدوا قوله فقالوا : والله مانحفظه فكيف نعيده !

يقتصر على بعض من معه من الرجال . فنفذ أبو جعفر ومعه أبو اسحق القراريطي بهذا الجواب فلما اديا اليه الرسالة امتنع وقال : ان الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة. ثم قال: ومن جعل ابن ياقوت أحق بالحجبة والرياسة مني ؟ الناس يعلمون انه كان في آخر أيام المقتدر يجلس بين يديّ ويمتثل أمري ومن جعله أخصّ بالخليفة مني وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه ؟ (٤٧٦) فقال القراريطي : لو كنت تُراعي ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته . فقال : لولا انك رسول لأوقعت بك قم فانصرف . ووضع هرون يده في الاستخراج فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وجبي المالَ بعسفٍ وخبطٍ وظلم وتهور وكان الوقت قريبا من الافتتاح . فلما اشتدت شوكتُهُ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل في المضارب بنهربين واستظهر بانفاذ أبي جعفر محمد بن شيرزاد دفعةً ثانيةً برسالة جميلة ووعدهُ ان يوافقه على عدّة الرجال الذين يتقرر الامر معه على كونهم في جماعته وينظر في جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية فان وفى مالُ أعماله بماله وما لهم رجع الى الدينور والاّ سبّب له بالباقي على أعمال طساسيج النهروانات ونفذ اليه بهذه الرسالة يوم الاثنين . وقد وقعت طلائع عسكر هرون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هرون هم المستظهرون وكثر مضيُّ الجند من عسكر محمد ابن ياقوت الى هرون بن غريب مستأمنة اليه فتبين أبو جعفر من هرون انه اتّهمهُ بالميل الى محمد بن ياقوت وابن مقلة فلما رأى منه ذلك استأذنه في الانصراف بالجواب فقال : اني أخاف عليك (٤٧٧) منه ان يقتلك وانما بيننا وبين الوقعة وانكشاف الامر بيننا ليلةٌ واحدةٌ

فلما كان في يوم الثلثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران وكان المبدأ من أصحاب هرون واشتدّ القتال واستظهر أصحاب هرون لان عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وقطعة من الغلمان الحجرية ونهب أصحاب هرون أكثر سواد ابن ياقوت ونكسوهم عن دوابهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدّة فركب حينئذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهربين . ولم تزل الحرب غليظة الى ان قارب انتصاف النهار وركب هرون بن غريب مبادرا وسار منفردا عن أصحابه على شاطئ نهربين يريد قنطرته لما بلغه ان ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر انه يقتله أو يأسره فتقطر به فرسه فسقط منه في ساقيه فلحقه غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ثم سلّ سيفه ليذبحه فقال له هرون: ياعبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلي ! أى شئ أذنبت به اليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعل بك هذا . وحزّ رأسه ورفعه وكبر فتبدّد رجال هرون ودخل بعضهم من طرق أخر الى بغداد ونهب سواد هرون وأصحابه وأسر قوم (٤٧٨) وسار محمد بن ياقوت الى موضع جثة هرون فامر بحملها الى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ من يحفظ دار هرون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدّة من قوّاده فأمر الراضي بنصب الرؤس على باب العامة (١) وخلع على ابن ياقوت وطوّق وسوّر

﴿ ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها قلد الراضي ابنيه الامير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب

(١) وفي الاوراق : فجيء برأسه الى الراضي فاظهر سرورا بذلك وسلمه الى أهله فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي

واستكتب لهما أبا الحسين على بن أبي على بن مقلة وخلع على أبي الحسين لذلك يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكتبت به الكتب [1]

وفيها ورد الخبرُ بغداد بان غلمان مرداويج بن زيار الجيلى قتلوه فى الحمام باصبهان . فتبجح محمد بن ياقوت وزعم أن التدبير فى ذلك كان له وانه كاتبَ غلاماً كان له واستأمن الى مرداويج بضعة عشر كتابا مع فيوج ذكرهم وسماهم من حيث لايعلمُ أحد وأظهر كتبا من الغلام انيه فى هذا المعنى وأنشأ كتبا قرىء بعضها فى المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب الى أصحاب الاطراف وأعلمهم (٤٧٦) أن التدبير كان له وكل ذلك كذبٌ فانا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الامر من أوّله الى آخره ما نعلم انه لم يكن من تدبير بشرىّ

﴿ ذكر السبب فى قتل مرداويج ﴾

﴿ قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه أدام الله نعمته ﴾

حدثني الاستاذ الرئيس حقا أبو الفضل ابن العميد رحمه الله انه لما حضرت ليلة الوقود التى تعرف بالسذق [2] كان يقدم مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الاحطاب من الجبال والنواحى البعيدة وان ينقل له فى الوادى المعروف بزرّين رُوذ وماقرب من الغياض والمحتطب فكان يجمع ذلك من كل وجهٍ . وأمر بجمع النفط والنفاطين والزرّاقات ومن يحسن معالجتها واللعب بها وتقدم باعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرّين

---

(١) وقال فيه أيضا أبو بكر الصولى: ما رأيت أحدا قط ملك من حسن رأي صاحبه ما ملك ابن سنجلا من الراضى (٢) معرب وهو بالفارسية (سده)

اصبهان ولا تلّ ظاهر الا عبّيت عليه الاحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة تصور عظيمة من الأجذاع وضُبّبت بالحديد الكثير حتى تماسكت . وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلق [٤٨٠] عناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقةً ونفطا . وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود في ساعة واحدة على الجبال ورؤس اليفاعات وفي الصحراء وفي المجلس على الطيور التي تطلق . ثم عمل له سماطٌ عظيم في الصحراء التي تبرز اليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزيّن واحتُشد له بما لم تجر العادة بمثله . فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربهُ قريبا من السماط وحضر الوقت الذي ينبغي أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثم للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التي ذكرتها للوقود فاستحقرها كلها واستصغر شأنها (قال) وذلك لاجل سعة الصحراء ولان البصر اذا امتد في فضاء واسع ثم انقلب عنه الى هذه الاشياء المصنوعة استحقرها وان كانت عظيمة. فاغتاظ وتداخله من النخوة والجبرية ما سكت معه ولم يتكلم بحرف ودخل الى خركاه في خيمةٍ عظيمة واضطجع ثم حوّل وجهه الى خلاف الباب والتفّ بكسائه لئلا يكلمه أحد. واجتمع الامراء والكبار والقوّاد وسائر الجند والنظّارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا على [٤٨١] تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت . وأخذ الناس في الارجاف به فتحدثوا سراً وهمساً وخيفت الفتنة فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يدارى في الكلام ويدعوا له الى ان اضطره الى الجلوس ثم دخل اليه فقال:

أيها الامير ماهذا الكسل فى وقت النشاط وحضور الاولياء وفرح الصديق وانخزال العدوّ ؟ فقال : يا أبا عبد الله وأى نشاط يحضرنى مع الاستخفاف والاستهانة وقصور الامر ! والله لقد افتضحتُ فضيحة لايغسلها عنى شىء أبدا . قال العميد : ودهشت ساعةً ثم قلت : أيهاالامير وما ذلك؟ فقال : أما ترى نزارة ما أمرت به من الاستكثار منه وقلّتهُ وتاحتهُ من الطعام والسماط ثم من جميع آلات الوقود والاشياء المتصلة بها . فقلت : والله أيها الامير لقد عمل من هذه الاشياء مالم يسمع بمثله فضلا عن أن يُرى فقم الى مجلس أنسك وعاود النظر . فأبى ولجّ الى ان قلتُ : فان الاعداء يرجفون بكيت وكيت فاتق الله اركب وطف طوفةً لتزول الاراجيف ثم اعمل ما بدا لك فانّا سنعتذر عنك . فزادهُ ما حكيتهُ له من (١٨٢) أراجيف الناس به غيظا وحنقاً ثم قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغتاظاً بقدرما رآه الناس وانصرف الى موضعه ولزم حالته الاولى . وجمع الناس الذين دُعوا على خبط فانى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا : لا نأمن الا يأنس الامير .

وبقى فى معسكره ثلاثاً لا يظهر ولا يرى الا انه يعلمُ انه حاصلٌ فى قصر أبى على ابن رستم . فلما كان اليوم الثالث تقدّم باسراج الدواب ليعود من جرين الى داره وهى التى كانت لابى على ابن رستم بالمدينة ولها باب الى الصحراء وباب الى المدينة فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فنعس نعسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق ان شغبت دوابّ الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرق بينها لازدحامها بالباب ولأن أكثرها بأيدى غلمان الغلمان ينتظرون ركوب الامير

فركب الغلمان بركوبه. فانتبه مرداويج مذعورا لما كان فى نفسه من اقدام الناس عليه بالاراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الامر فقام بنفسه واطلع على الدواب والشاكرية واذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدوابّ والدواب قد سقط بعضها على بعض ولها[٤٨٣] أصوات هائلة منكرة فارتاع ساعة حتى عرف حقيقة الامر ثم سكن فسأل عن أصحاب الدواب فقيل « هم الغلمان الاتراك » فأمر أن تحط السروج عن ظهور الدواب وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدواب بأرسانها اليهم ليقودوها بانفسهم الى الاصطبلات ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يتطيّر من مثلها ويتشأم بها. ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الغلمان حتى صار الى منزله قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلته فلما دخل دارهُ كانت كالخالية ليس فيها الا الصبيان الاصاغر وخادم اسود كان أستاذ أولئك الغلمان فدخل الحمام يغير ثيابه. وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أتراك كبار فحقدوه ولكن لم يكونوا يجدون أعوانا فلما فعل بالجماعة ما فعل اغتنموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض: ما وجهُ صبرنا على هذا الشيطان. فاتفقوا على الفتك به[١] ولما دخل الحمام سألوا الغلام الذي يلي

(١) وفى الاوراق: وكان السبب في قتل مرداويج أنه جعل عسكره صنفين صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الري ونواحيها ومنهم صنف الاتراك وأهل خراسان. ثم استخص نفراً من الاتراك فوجد الديلم من ذلك وعاتبوه عليه فقال: انما اتخذت الاتراك لاقيكم بهم وأقدمهم محاربون بين أيديكم وأني آخذكم خاصتي وانا بكم ولكم: فبلغ ذلك الاتراك فاجتمع رأيهم على قتله فنصبوا الغلمان الصغار الذين فى خدمته ووكدوا عليهم بالتركية أن يفتكوا به فقتلوه في حمام.

خدمته فى الحمام الا يحمل معه سلاحه (وكان رسمه ان يدخل معه الى الحمام دشنيا ملفوفا فى منديل) فقال الغلام: لا أجسر ان أتقدم بين يديه وليس معى الدشنىّ. فاتفقوا على ان يكسروا حديدته [٤٨٤] ويتركوا النصاب فى الجفن ثم يلف فى المنديل حتى لا ينكر الصورة ويتركه فى زاوية الحمام على الرسم. ثم هجم عليه جماعة والخادم الاسود جالس على كرسىّ بباب الحمام فلما رآهم ثار فى وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاهُ بيده فطاحت من الذراع وسقط وهجم القوم وارتفعت الضجة. فاحس مرداويج بالشر فبادر فسند الباب من داخل بسرير وكان يجلس عليه بعد ان طلب الدشنىّ فلم يجده ودفع الغلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نفر منهم الى قبة الحمام فكسروا الجامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحارّ وأخذ فى مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكانهم تهيبوه ساعة ثم علموا ان الغاية التى بلغوها منه ليس تجوز ان يكون بعدها سلح فحمل بعضهم على ناحية الباب الذى وراءه السرير حتى كسروه ودخلوا عليه فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة فى يده فأثر فيه أثرا قبيحا وخرجوا من عنده وعندهم انه قد فرغوا منه فقال لهم رُفقاؤهم الذين كانوا خارج الحمام : ما صنعتم ؟ قالوا : شققنا جوفهُ . فقال أحدهم : عودوا اليه [٤٨٥] فحزوا رأسهُ . وانما فعلوا ذلك لانه كان اتفق فى تلك الايام ان بعض الفرّاشين فى الدار شق بطنه بجراحة فخيط الجرح وعولج فسلم فخافوا ان يجرى ذلك المجرى فحزوا رأسهُ .

وقيل انه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرنيبه ساعة حتى فُرغ منه . فلما طرحوا رأسه فى الدار بادروا الى الاصطبلات فاسرجوا الدواب وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن

ماأمكنهم من المال والسلاح ورحلوا .

وفى خلال ذلك تهيأ لبعض من فى الدار تسوّر الحيطان فدخلوا المدينة وقد (جنّهم) الليل فخبّروا الجند والقوّاد بما جرى وهم سكارى متفرقون واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا الى الصحراء لينقلبوا الى الباب الذى منه المدخل فالى ان يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غيرغلمة أصاغر لاذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كفّوا عنهم . وخشى أهل الرأى من حشمه ان تنهب الخزائن فاشار العميد باحراقها وهدم البنيان عليها فسلم [٤٨٦] المال وأكثر الذخائر لان المتّهمين حضروا والنار والدخان ثائرة فى الموضع فلم يصلوا الى شئ .

وكان ركن الدولة أبوعلى الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه على بن بويه عماد الدولة فلما أحسّ بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتى هرب بعد ليلة من قتل مرداويج

اتفاق عجيب اتفق له فى هربه

لما خرج بقيوده الى الصحراء وجاس ليكسرها أقبلت بغال عليها (تبن) وعليها أصحابهُ فنكسهم وركب هو ومَن معهُ البغال وحثها حتى سلم وفات الطلب

فأما الاتراك فافترقوا فرقتين أما فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين الى على بن بويه (وفيهم خجخج الذى سمله توزون لما ملك العراق) وأما فرقة فسلكت الجبل وهي الاكثر عددا وفيهم بجكم الذى ملك الامر بالعراق وتقلد أمارة الامراء بها فى أيام الراضي وسنذكر من أخباره ما يليق

بهذا الكتاب [١] فاما ما جري عليه أمر أصحاب مرداويج فان أبا مخلد كان يتحدث وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته ان تابوت مرداويج حمل الى الرى قال : (٤٨٧) فما رأيت يوما أعظم من اليوم الذى دخل فيه تابوته الريّ وذاك ان الجيل والديلم باجمهم ساروا مشاةً حفاةً معه أربعة فراسخ. وذ كر انه كان أخوه وشمكير ماشيا معهم ثم مضوا من اصبهان على مكبرة أبيهم معه الى الريّ وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون الى على بن بويه . فبطل هذا الظن وقال : لم أر قط عسكرا هلك صاحبهُ فوفى له رجالهُ وجندهُ بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فانهم صاروا الى أخيه وشمكير على هذه الحال . وعرف شيرج ان اصبهان خالية وكان بالاهواز من قبله فسار للوقت الى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيلى فأسرّ اليه بالخبر وأخذه معه ثم سار الى تستر وبها جيليّ وكان وجها كبيرا فحدثهُ وأخذهُ معه وقصد جند يسابور وبها اسمعيل الجيلى وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج فاطلعه على الامر وسار بمسيره فصارت الجماعة الى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصبانى البصرى عامل كور الاهواز من قبل مرداويج والشابشتى الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على ان يتوجه (٤٨٨) شيرج الى واسط ثم الى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء فى سنة ٢٣ فيقصد أرجان أولا ثم يناجز على بن بويه فاذا فرغ منه عدل الى الاهواز ثم منها الى السوس وينفذ معظم خيله الى شيرج ليتقدمه الى واسط وكان فى نفسه ان يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل

(١) وفي الاوراق ان الاتراك الذين قتلوا مرداويج اضطربوا وقالوا نجعل علينا رئيساً فرضوا ببجكم . وانه صار والغلمان الذين معه الي ابن رائق فقبله أحسن قبول

بالقتل . فسار عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتي وابن وهبان من السوس الى الري على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاهُ ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والافساد عليهم ولما حصلوا بها بايعوه . واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لاخيه بالاهواز

وكان مرداويج يوم قلّدهُ الاهواز أرزقه الفي دينار في الشهر وقال له : ان نصحتَ وأديت الامانةَ استوزرتكَ بالحضرة ونصبت الرايات بين يديك الى باب نصيبين وان خنتني وشرهت نفسك فان كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالاهواز كثيرةٌ فهذا دشني ترى انبساطه وحدَّهُ والله لاشقنَّ به بطنك هذه (٤٨٩) الكبيرة . فقال له : ستعلم أيها الامير كيف انصح وأؤدي الامانة واني مستحق لاصطناعك . وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أبٌ قصباني وانما تقلّد في أيام ابن الخال همذان فلما انهزم ابن الخال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرياسة من محمد بن ياقوت وجرى عليه ماجرى حصل مرداويج بهمذان ووقع في يده ابن وهبان فعفا عنه واستعملهُ فنفق عليه . وكانت كتُب مرداويج تَرِد على ابن وهبان ان يَعِدّ له ايوان كسري منزلا اذا تقدمه الى الحضرة ويعمرهُ ويعيده كهيئته قبل الاسلام وانه معتقد للمقام بواسط الى أن يُستتمّ ذلك وأنه يراه وشيرج مع من معهما اكفاء لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مُستغنٍ عن ان يلقاهم بنفسه . وكان قد صاغ تاجاً عظيما ورصّعهُ بالجوهر (١) وذكر أبو مخلد انه

(١) وزاد الصولي في الاوراق أنه قال : أنا أردّ دولة العجم وأبطل دولة العرب .

رآهُ قبل الحادثة بأيام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصةً عظيمة وتفرّد بالجلوس عليه وجعل دونه سريرَ فضةٍ وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبارٌ مذهبة (٤٩٠) وغير ذلك ليرتّب أصحاب الاوزار مراتبَهم في الاجلاس قال : وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون اليه ما ينطقون الا همساً اعظاماً له واكباراً لقدره .

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شر فاقتتلوا وقتل بينهم خلق

﴿ وفيها قبض على المظفّر ومحمد ابني ياقوت بتدبير ابي علي بن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان أبا علي كان قلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على تدبير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرده بما يعمله الوزراء وعطلته هو الى أن تمّ تدبيره عليه . فلما كان يوم الاثنين لستّ خلون من جمادى الاولى ركب القواد الى دار السلطان على رسمهم في أيام المواكب وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة وأظهر الراضي أنه يريد أن يقلد جماعة من القواد عدّة نواح من المملكة. ويخلع عليهم وحضر محمد بن ياقوت للخدمة وأبو اسحق القراريطي كاتبه معه وجلسوا على رسمهم في الصحن التسعيني ثم خرج الخدم الى محمد بن ياقوت فعرفوه ان الخليفة يطلبه فقام مبادراً (٤٩١) فلما دخل عدل به الى حجرة قد أعدّت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكل به ثم خرج الخدم الى أبي اسحق القراريطي فعرفوه ان صاحبه يطلبه فلما دخل عدل به الى حجرة أخرى وحبس ووجه بقوم الى دار المظفّر بن ياقوت فقبض عليه وحمل الى دار السلطان وحبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لانه كان يشرب. ونفذت حيلة الوزير

أبي علي عليهم وتقدم الى الغلمان الحجرية والساجية أن يصيروا الى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم في بابي الخاصة والعامة ليحفظوا الدار. وأمر مُفلح الاسود[1] أن يصير الى دار محمد بن ياقوت ...[2] وخلع عليه. وسلم القراريطي الى الوزير أبي علي فأخذ خطه بخمسمائة الف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف الف درهم[3]

وانحدر ياقوت من واسط الى السوس بجميع أصحابه وكتب الى الراضي بالله كتاباً في أمر ابنيه يستعطفه فيه لهما ويرقق قلبه عليهما ويسئله الاحسان اليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعنده فيهما وان يلحقهما ليعاوناه على أمره ويكونان معه في حروبه

ولما زال أمر محمد بن ياقوت وتفرد أبو علي بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين[٤٩٣] على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفاذهم الاعمال اليه فصار يعزل ويولي ويحل ويعقد. وصار اليه أبو عبد الله احمد بن علي الكوفي وطرح نفسه عليه وارتسم بكتابته وكان يكتب

(١) قال صاحب التكملة في ترجمة سنة ٣٥٦ : في ذي الحجة توفي مفلح الاسود خادم المقتدر بالله بمصر (٢) سقط بعض الألفاظ من الأصل (٣) قال أبو بكر الصولي في الأوراق : وقبض على نجاح كاتب ابن ياقوت على الجيش . فقبض من ابن ياقوت على رجل كامل في العقل وعلم وشجاعة وصيانة وعفاف واجتمع الحجرية والساجية وقالوا : لانرى أن يكون بدر الخرشني والياً شرطة بغداد . فسفر بينهم وبين بدر ورفق بهما حتى رضوا به . وبلغ السلطان ان أبا الفتح (المظفر) بن ياقوت يضرب الحجرية والساجية على الراضي ليفتكوا به وتوقع البيعة لبعض اخوته فقبض عليه وهو بين يديه يخاطبه ووكل بدوره فلم تنهب وحمل ما فيها ليلا الى دار السلطان . وخلع الراضي على غلامه ذكي للحجبة يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الاولى . وغضب صغار الحجرية لابن ياقوت وقالوا : يناظر بحضرتنا فان وجد عليه شيء والا أطلق . فداروهم حتى سكنوا

لأبي اسحق القراريطى وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبابنه.

وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا الى دار الوزير أبى على ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان فى مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فاطلق لهم أرزاقهم وسكنوا

وفيها قوى أمر أبى عبد الله البريدى واستفحل أمره

﴿ ذكر أسباب ذلك ﴾

كان أبو عبد الله البريدى ضامناً أعمال الخراج والضياع بالاهواز فلما وافاها شيرج بن ليلى الديلمى من قبل مرداويج خرج الى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه فيما قبل واقام يدبر أسافل الاهواز الى ان قرر له محمد كتابة ابنه نخرج معه الى واسط. فبينما هو معه يدبر أمره اذ ورد بالقبض (٤٩٣) على محمد والمظفر ابنى ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتياعاً شديداً. وكتب أبو علي ابن مقلة الى أبى عبد الله البريدى أن يسكّنه ويعرّفه ان الجند اضطربوا وتطيروا لهما وشغبوا مراراً « كما بلغك » ثم أرسلوا للخليفة بأنه ان لم يقبض عليهما أحدثوا فى الملك حادثة عظيمة واضطر الى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنه يتلافى أمرهما عن قرب وينفذهما اليه وان الرأى أن يبادر هو لفتح فارس. نخرج ياقوت من واسط على طريق السوس الى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدى معه أبا الحسن ابن حميد البصرى ليخلفه على كتابته وكان صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيي بن سعيد السوسى لخدمته فى بلده فدخل ياقوت عسكر مكرم وهما معه ثم وافى أبو عبد الله البريدى من طريق الماء الى الاهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان اليه السوس وجنديسابور شركة بينه وبين

أخيه أبى الحسين . وادّعيا ان مال سنة ٣٢٢ احتمله شيرج بن ليلى وان النواحى معطّلة الارتفاع فى السنة التى بعدها فانفذ أبو على ابن مقلة ابن عينويه لكشف ذلك (٤٩٤) وطابقهما وكتب يصدقهما

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبى عبد الله وأبى يوسف البريديين فانه تحصّل لهما بها ومما بعدها الى وقت انهزامهما من الاهواز على ماحدّث به أبو الفرج ابن أبى هشام أربعة آلاف الف دينار خرجا بها على السلطان . ثم قصدا عسكر مكرم للاجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاهما فى الموضع المعروف بفوهة النهرين وسيّراهُ الى ارجان لِفتح فارس

وفيها خرج توقيع الراضى بالله بان تكون المخاطبة والمكاتبة من جميع الناس لابى الحسين على بن محمد بن مقلة بالوزارة وكان سنّه اذ ذاك ثمانى عشرة سنة وان يكون الناظر فى الامور صغيرها وكبيرها وتقدم الى جميع أصحاب الدواوين بذلك وخلع على أبى الحسين خِلع الوزارة وخوطب بها وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القوّاد والجيش والخدم وأصحاب الدواوين . وانصرف أبو على فى طيارهِ الى منزله وصار اليه ابنه بالخلع وطُرح له مصلّى فى مجلس أبيه ودخل الناس معه وهنئوا أبا على وأنشده الشعراء وأمر ابو الحسين ونهى ووقع (٤٩٥) وصار طرحُ المصلى فى مجلس أبيه رسما له . وخرج رسم أبيه الى جميع أصحاب الدواوين الاّ ينفذوا توقيعا له الا بعد عرضهم اياه على ابنه أبى الحسين واستئماره فيه وأخذ توقيعهُ بخطّه فيه بامتثاله .

وشغب الفرسان شغبا بعد شغب وكانوا يأخذون دواب الناس من باب الوزير

وفيها ركب بدر الخرشني فنادى فى جانبي بغداد فى أصحاب أبى محمد البربهارى الحنبلية الايجتمع منهم نفسان فى موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهارى وكان سبب ذلك كثرة تشرُّطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة . وخرج توقيع الراضى بالله الى الحنبليين بما نسختهُ :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من نافق باظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال الماهدين كان قريبا من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين : وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم[1] زُيّن لحزبه المحظور ويُدلّي لهم حبل الغرور. فمن ذلك تشاغلكم بالكلام فى ربّ العزّة تباركت أسماؤه وفى نبيه والعرش[(٤٩٦)] والكرسيّ وطعنكم على خيار الامّة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر والضلال وارصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحال. ثم استدعاؤكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التى لا يشهد بها القرآن ولا يقتضيها فرائض الرحمن وانكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع . وانتم مع انكاركم ذلك تلتفون وتجتمعون لقصد رجل من العوامّ ليس بذى شرف ولانسب ولاسبب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرّع عند حفرته فلعن الله ربّاً حملكم على هذه المنكرات ما أرداهُ وشيطانا زيّنها لكم ما أغراهُ . وأمير المؤمنين يقسم الله قسما جهد اليّة يلزمه الوفاء به لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبديدا ويستعملنّ السيف فى

(١) بياض في الاصل

(٤٩٧) رقابكم والنار فى محالكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فقد أعذر من أنذر وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب .

وفيها شغب الجند وصاروا الى دار الوزير فوقع النهب فى خزانة له فيها زجاج مخروط وبلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج الوزيران عن دورهما وصارا الى الجانب الغربى . وكان الوزير أبو على نفى الخصيبي وسليمان بن الحسن الى عمان وكاتب صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فاطلقهما ووردا بغداد مستترين فورد على الوزير من ذلك ما أقلقه وكبس عليهما عدة مواضع فلم يظفر بهما (١)

﴿ وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمه أبا العلاء سعيد ﴾
﴿ ابن حمدان وخرج لذلك أبو على ابن مقلة الى الموصل ﴾
﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو العلاء شرع فى تضمن الموصل وديار ربيعة فضمن ذلك سراً

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان ابن مقلة قد أحدر الخصيبي وسليمان بن الحسن الى البصرة وأمر البريدى بنفيهما في البحر فجن بهما الليل فكادا يغرقان وأيسا من الحياة فقال الخصيبي : اللهم انى أستغفرك من كل ذنب وخطيئة وأتوب اليك من معاودة معاصيك الا من مكروه أبي على ابي مقلة ان قدرت عليه جازيته عن ليلتى هذه وما حل بى منه فيها وتناهيت في الاساءة اليه . فقال سليمان : فى هذا الموضع وأنت معاين للهلاك تقول هذا ! فقال : ما كنت لاخدع ربي . ولما صارا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف سليمان بن الحسن ابن وجيه خبره فامر برده الى عمان

ولما عزل الراضى ابن مقلة وولى عبد الرحمن بن عيسي ضمن الخصيبي ابن مقلة فلما رآه تلفت نفسه فاسمعه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستوائى (وكان لابن مقلة اليه اساءة لانه سلمه الى بنى البريدى حتى أزالوا نعمته) فعمل الدستوائي بابن مقلة صنوف المكاره وجاء أبو بكر ابن قرابة فضمن عنه مائة الف دينار والفى دينار ودفعت الضرورة الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده

وخلع عليه وأظهر انه ينفذ الى الموصل لموافقة ابن أخيه أبي محمد [١] على ماعليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص في نحو خمسين غلاما من غلمانه فدخل الموصل . وعرف ابن أخيه خبر موافاته (٤٩٨) فخرج نحوه مظهرا لتلقيه واعتمد ان يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبوا العلاء الى دار أبي محمد فنزلها وسأل عن خبره فعرّف انه خرج ليتلقاهُ فجلس ينتظره . فلما علم أبو محمد ان عمهُ قد حصل في داره وجه بغلمانه فدخلوا الى ابي العلاء الى البيت الذي كان فيه فقبضوا عليه وقيدوهُ ثم وجّه بقوم علوهُ باسيافهم وقتلوهُ ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاءٌ وورد الخبر بذلك الى الراضي فانكره وتقدم الى الوزير أبي علي بالتأهب للخروج الى الموصل والايقاع بالحسن بن عبدالله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة .

فذكر ان علي بن عيسى كتب الى الحسين بن عبد الله بن حمدان بخطه عن أمير المؤمنين الراضي بالله بالانفراج عن ضمانه وألا يحمل شيئا الى الحضرة من ماله وان يمنع من حمل الميرة الى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقلة خطهُ بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه . وسلم الوزير الكتاب الى ابن سنجلا ليعرضه على الراضي بالله فلما كان من غد وهو يوم الاربعاء انحدر الوزير أبو علي الى دار السلطان وانصرف الى منزله . فوجه الراضي براغب وبشرى خادميه الى علي بن عيسى فحملاه الى الوزير (٤٩٩) أبي علي فلم يوصله اليه واعتقله في حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي النوبختي وعرّفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وان الخليفة أنكر فعله وما زالت المراسلات تتردد بينهما الى ان ألزمه أبو علي مصادرة خمسين الف دينار على أن يحمل في

---

(١) يعني ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان

باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للاتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك

فيقال ان طليباً الهاشمي كان قال لعلي [١] بن عيسى عن الراضي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل اليه سرا سبعين الف دينار في نجوم وشرط عليه الحسين أن يحميه وعنع منه ومن تشعيث أمره ويقرّره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخر باقيها . وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر انه لم يصل اليه شيء [٢]

وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته نقيط الصغير وابن بدر الشرابي وجماعة من الحجرية وغيرهم وخلّف ابنه الوزير أبا الحسين بالحضرة في خدمة السلطان وتدبير الامور . وقبل شخوصه أطلق [٥٠٠] أبا الحسن علي بن عيسى وأخرجه الى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس فحلف وخرج من وقته الى الصافية [٣]

---

(١) وفي الاصل : لعيسى . (٢) وقال أبو بكر الصولي في الاوراق : وكان الاصل في هذا ان الراضي زعم ان ابن حمدان الحسن وجه اليه بخمسة آلاف دينار على يد ابن طليب الهاشمي ليوصلها الى الراضي فلم يفعل ذلك . وكان الراضي بعد نكبة علي ابن عيسي يحلف ان علياً احتال لخمسة آلاف فكنت أقول له : لو تأمل سيدنا هذا من أين وقع وان علياً لا يعدّ عينه الى خمسة آلاف دينار وهو أبعد الناس من هذا . وكنت أحدثه عنه بما أقدر ازالة ما وقع بقلبه فلا يقبل الى ان ضرني ذلك عنده . وسعي بي قوم من الجلساء الى الوزير فانحرف عني بعد ميل وحرمني بعد عطاء

(٣) زاد فيه الصولي في الاوراق : فانتقل والله إلى الصافية جمال بغداد ومن لا يرى الناس مثله .

ولما قرب الوزير أبو على من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير الى ان صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو على الى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمائة الف دينار . ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي على عشرة آلاف دينار حتى كتب الى أبيه بأن الامور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث حادثة يبطل بها أمرهم فانزعج الوزير من ذلك وقلد على بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال المعاون بها ماكرد الديلمي من الساجية . وتقدم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال وانحدر (٥٠١) الى الحضرة (١) وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقى الخليفة وانصرف الى منزله وخلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع منادمة وحمل اليهما ألطاف وشراب وطيب وبلور .

وكان الوزير أبو علي كتب الى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بازالة التوكيل عن أبي الحسن علي بن عيسى وان يكتب اليه أجمل خطاب ويخيره بين الانصراف الى مدينة السلام وبين المقام بالصافية فكتب اليه الوزير أبو الحسين بذلك . وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو علي من ذلك أنه كان كتب الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتابا يدعوه فيه

(١) وفيه أيضاً أنه أقام بالبردان لثلاث بقين من شوال لينقضى كسوف الشمس وكان لليلتين بقيتا من شوال ثم دخل في أول ذي الحجة

الى الطاعة و يبذل له الامان فقبل الكتاب وقال للرسول : ليس بيني وبين هذا الرجل عمل (يعنى ابن مقلة) ولا أقبل ضمانه لانه لاعهد له ولا وفاء ولا ذِمة ولا أسمع منه شيئاً اللهم الا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لى عنه فاسكن الى ذلك وأقبلهُ .

وكان أبو عبد الله احمد بن على الكوفي مقيما بالحضرة فى وقت خروج أبى على ابن مقلة الى الموصل ويلزم مجلس الوزير أبى الحسين يظهر له النصيحة والموالاة ويجتهد (٥٠٢) فى التخلص منه والبعد عنه الى أن ورد كتاب أبى عبد الله البريدى يوئس فيه من حمل مال الى الحضرة فى ذلك الوقت فغاظ على الوزير أبى الحسين ذلك لانه كان أعدّ ما يحمله لوجوه فاقرأ أبا عبدالله الكوفى كتاب البريدي فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو الى الاهواز ليواقف البريدى على أمر الرجال الذين أحال بصرف المال اليهم ويعرضهم ويطلق مايجب لهم ثم يحمل الى الحضرة مالا عظيما ويحمل ساعة وصوله مائة الف دينار . فكتب الوزير أبو الحسين الى أبي عبد الله البريدى بأنه لا يقبل فى تأخر المال عنه عُذرَهُ وقد أحوجهُ الى انفاذ أبى عبد الله أحمد بن على الكوفى لمواقفته على أمر المال ومطالبته بحمله ونُفذ الكتاب و تبعه أحمد بن على الى الاهواز . فلما حصل عند أبي عبد الله البريدى لم يمكنه مخالفته على مايُريد وكتب أنهلم يتمكن من عرض الرجال ولا المواقفة على أمرالمال وأقام عنده الى أن نظر أبو بكر ابن رائق فى الامور بالحضرة.

واستوحش أبو عبد الله الكوفى من البريدى وخافهُ وأراد البعد منه وخاف بَوَادِرهُ فأطمعهُ فى إفساد أمر الحسين بن على النوبختى (٥٠٣) مع ابن رايق . وكان الحسين بن على من أعدى الناس للبريديين فقبل منه

وأطلقهُ ووافقهُ على مايعمل به ويبذله من المال لازالة أمر الحسين بن على النوبختى. وكان أبو عبد الله الكوفي عند مقامه عند أبى عبد الله البريدى يُصغِّر فى نفسه أمر الحضرة ويَصف له ادبارها بسوء تدبير ابن مقلة وابطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه بنى يافوت وما دبر فى أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثاثه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال فى ذلك وأكثر وقال في عرض ذلك: هو الذى جرّأ الغلمان الحجرية على ابن ياقوت فهم بعد أشدّ جرأة عليه وان هلاكهُ ليس يبعد. فوقع ذلك من البريدى أحسن موقع واختصّ الكوفى ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبى هشام ان أبا عبد الله الكوفى قال له بواسط فى أيام سيف الدولة: مامرّ لى عيش أطيب من عيشى مع البريدى فانى أقمتُ عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت تبعه ولا تعب بنظر فى عمل ولقد عاشرنى أجمل عشرة ووصل الىّ منه عيناً وورقاً ومن (٥٠٤) قيمة العروض التى أنفذها الىّ خمسة وثلاثون الف دينار ولم أخرج من الاهواز الا وأنا متقلد كتابة ابن رائق. وقد كفيت أمر ابن مقلة بالقبض عليه وكان غير مأمون والحمد لله الذى لم يخرجه من الدنيا حتى دمر عليه كتدميره على الدنيا ألحق الله ابنه به فانه شرّ منه لان ما كان فى أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الاب على عيوبه ربما رحم وأكرمَ على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكن هذا ناصر الدولة مجتهد في أن ينزّه ويحصّله وان حصل رجوتُ أن يسلمه فان فى نفسه عليه وعلى ابنه العظائم. وأطلق الكوفى لسانهُ بهذا كلّه في مجلسه وليس بين يديه غيرى وغير أبى على ابن صفية كاتبه النصرانى.

وأظهر أبو عبد الله البريدى بالاهواز كتاباً من أبي على ابن مقلة بخطه اليه يقول فيه : الويل للكوفى الناضّ مني أنفذته ليصلحك لى فافسدك علىّ وأطمعك وأصغيتَ بالشرَ ه اليه والله لاقطعنّ يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألا تُصِرّ على كفر نعمتى واحسانى اليك وان تُنيب (٥٠٥) بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضيني من نفسك وتعيننى فى مثل هذه الحالة الصعبة التى لم يدفع من جلس مجلسى فى دولة من الدُول الى مثلها وان تجيرنى مما قد أظلّنى بمال تحمله فتحفظ به نعمتيك التى أحداهما فى يدى والأخرى فى يدك ان شاء الله

ولما انحدر أبو على ابن مقلة من الموصل عاد أبو محمد عن الزوزان اليها وحارب ما كرد الديلمى [1] وانهزم الحسن بن عبدالله ثم عاود محاربته وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ما كرد الى الرقة وانحدر منها فى الفرات الى بغداد . وانحدر على بن خلف بن طناب وتمكن الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب الى السلطان يسئل الصفح عنه وان يضمن نواحيه فأجيب الى ذلك وضمنها .

ووافى التجار الذين استسلف أبو على مالهم ولم يُوفوا الغلات التى ابتاعوها فطالبوا أبا على برد أموالهم عليهم فدفعتهُ الضرورة الى ان يسبب لهم على عمّال السواد بعضَ مالِهم ودافعهم ثم باع عليهم بالباقي ضياعا سلطانيةً . فلم يُحصل لخرَجتهِ كبير فائدة بعد الذى رد على التجار (٥٠٦) وبعد الذى أنفق على سفره والجيش الخارج معه .

---

(١) وفي التكملة . الكردى

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسيّة اعترضهم أبو طاهر القرمطي وكان مع الحاج من قبل السلطان لؤلؤ غلام المهشّم فظنّ لؤلؤ انهم أعراب فحاربهم أهل القوافل . . . . شيأ كثيرا [١] وسأل عمر بن يحيي العلوى فيمن دخل القادسية فآمنهم ثم تسللوا من القادسية وبطل الحجُّ في هذه السنة وصار أبو طاهر الى الكوفة وأقام بها

وفى تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب من أول الليل الى آخره ببغداد والكوفة وما والاهما انقضاضاً مسرفا جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربهما

وشغب الجند وصاروا الى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لان غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشاب من فوق السور

وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت فى الحبس فى دار السلطان بنفث الدم فاحضر القاضى أبو الحسين عمر بن محمد ومعه جماعة وأخرج اليهم محمد بن

---

(١) الاصل ناقص وفى الاوراق : فلقيهم القرامطة يوم الاربعاء لاحدي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة بطيزناباد فقاتلهم أشد قتال الى ان خذله (يعني لؤلؤ) أصحابه وأصابته ضربات فطرح نفسه مع القتلى ثم دب ليلة الخميس الى ان صار الى الكوفة . وكان من انقضاض الكواكب فى ليلة الاربعاء التي قطع على الحاج في صبيحتها (فلم يفلت منهم أحد) مالم يعهد مثله بالكوفة وطيزناباذ موضع الوقعة وكان عندنا ببغداد من ذاك مالم ير مثله ولاسمعنا به قط . . . . . وكثر الضجيج ببغداد لما نال الحجاج ووثب العامة باصحاب المعاون في الطرق والمساجد ونال الراضي من ذلك أمر عظيم فصام أياما وكان يقول : لو كان لى مال كمال المكتفي حين فعل زكرويه بالحاج مافعل فطلبه بالجيش والاموال حتى قتله (طبرى ٣ : ٢٢٦٩ — ٢٢٧٥) لما رضيت والله الى ان أخرج بنفسي الى البحرين ولكن ماحيلتي فى جند مستخبثين قد ملكوا الامر دوني وعوز مال وانخراق هيبة ؟ الى الله أشتكي وبه أستنصر . والحجرية والساجية يعينونه كل يوم حتى يجلس لهم مرات بالليل والنهار لا يريد أحد منهم يحتجب عنه

ياقوت حتى فتشوه ومدوا لحيته وعلموا انه مات حتف أنفه ثم تسلم الى أهله [(١)] وباع الوزير ضياعهُ وأملاكهُ وقبض على أسباب محمد بن ياقوت كلهم [(٥٠٧)]

وفى هذه السنة قلد الوزير أعمال الجبل أبا على الحسن بن هرون وخرج اليها فلما حصل بها استأمن اليه غلمان مرداويج الاتراك الذين قتلوه فى الحمام فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام فلما كان بعد مدة شغبوا عليه وطالبوه بالارزاق وقبضوا عليه وقيدوه ثم أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وبلغ ذلك الحسن بن هرون نخافه للمداوة بينهما واستتر وصار الى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدة ثم راسل الوزير أبا على وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر الف دينار فلما تقرر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف فى الجبل مُديدة [(٢)]

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بجكم الى جسر النهروان وراسلوا السلطان فامرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى . واضطربت الحجريّة وظنوا انها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا على بان يرضيهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم ووافقهم على ان ينضموا الى محمد بن على غلام الراشدى (وتقلده الجبل) ويُطلق لهم أربعة عشر الف دينار نفقات لهم ثم يسبب مالهم [(٥٠٨)] على أعمال الجبل فقالوا : نتصرف ونعلم باقي أصحابنا ذلك. فلما انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتصل بأبي بكر ابن رائق بواسط وهو

---

(١) وفي الاوراق انه دفن فى مقبرة لهم في الشارع الاعظم فوق سوق السلاح

(٢) وفي التكملة انه مات في هذه السنة بالاعمال التى استولى عليها مرداويج وكان قد أنفذ اليها

متقلد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الاحسان فمالوا اليه واختاروه وساروا اليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق ورأس عليهم بجكم وسماه بجكم الرائقي ورفع منه وموّله وأحسن اليه وأفرط في ذلك وضمّ جميع الغلمان اليه وتقدّم اليه بان يكاتب كل من بالجبل من الاتراك والديلم بالمصير اليه ليثبتهم فصار اليه عدة وافرة منهم فأثبتهم وضمهم الى بجكم

﴿ ودخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه فى دار السلطان الى منزله بمسئلة الوزير أبى على عنه وحلف الوزير بالايمان الغليظة على انه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له فى مكروه .

وفيها قلد الوزير محمد بن طُغج أعمال المعاون بمصر مضافةً الى ما يتقلد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضي القضاة والعدول حتى عرّفهم تقليده محمد بن طغج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخلطائهم بذلك (٥١٠) لئلا ينازعه احمد ابن كيغلغ فانه كان يتولى مصر [1]

وفيها قطع محمد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة الى الحضرة واحتج باجتماع الجيش عنده وحاجته الى صرف المال اليهم

وفيها تمت حيلة المظفر بن ياقوت حتى قبض على الوزير أبى على ابن مقلة لانه صح عنده انه هو قتل أخاه وكان السبب فى حبسهما وازالة أمرهما

﴿ ذكر هذه الحيلة على أبى على ابن مقلة ﴾

لم يزل يحب التشفي والاخذ بالثار منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتم ذلك

(١) ليراجع فيه كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨٥

الى أن واقف الحجرية وضرّبهم عليه وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر ووافقه على أن يستولى على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجرية منها لانه بلغه أنهم قد عملوا على المصير الى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح فى الدار ومنع الغلمان الحجرية من دخولها ولم يظهر الوزير أن الذى فعله بدر كان عن رأيه ثم جمع بين الساجية وبين بدر حتي تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً . فلما وقف المظفر بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار (٥١٠) الحجرية بالخضوع للوزير والتذلل له ولم يزالوا يلطفون للوزير ويتحققون بخدمته الى أن أنس بهم . وسألوه صرف بدر وبذلوا له كل ما أراد من الطاعة والموالاة له الى أن انخدع وصرف بدراً وأصحابه فلما خلت دار السلطان منهم ومن الساجية تحالف الحجرية على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم الى دار السلطان وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وصار الراضى فى أيديهم وحزبهم . فندم الوزير وعلم أن الحيلة تمت عليه فتقدم الى بدر بأن يخرج الى المصلى فى أصحابه من غير أن يعلم أحدٌ انه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجّالة . وبلغ ذلك الحجرية فطالبوا الراضى بالله أن يخرج معهم الى المسجد الجامع فى داره فيصلى بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون انه فى حيّزهم فخرج الراضى يوم الجمعة الى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى الغلمان باسرهم بين يديه وحولهُ بالسلاح رجالة وصلى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته : اللهمّ ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتي

فمن أرادهم بسوء فارده به ومن كادهم فكده [1]

وقلد بدر الخرشني دمشق وأمره بالخروج اليها من المصلى والا (٥١١) يدخل البلد . وكان المظفر بن ياقوت فى هذا كله يظهر للوزير انه مجتهد فى الصلح ويظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حتفه وقد قوى

(١) روى أبو بكر الصولى فى الاوراق : وقال الساجية والحجرية للراضي: قد أشاع الناس انا حاصروك فاخرج فصل الجمعة بالناس ليروك ذلك . فخرج فصلى بالناس في مسجد الدار وما علم به الناس وقال للحجرية والساجية : أنتم خاصتي وثقاتي . وسفر جعفر بن ورقاء بين الناس وأصلح الامر ووعد الناس بان الخليفة يصلي بهم في الجمعة الثانية فما تخلف أحد . وما كنت أنا علمت بصلاته أول جمعة فحضرت في الثانية ووجدت سحق بن المعتمد حاضراً فدخلنا المقصورة وخرج الراضي فعلا المنبر ووقف علينا فخطب فأوجز ونزل وصلى بالناس فقرأ سورة الجمعة فى أول ركعة وفي الثانية « سبح اسم ربك الاعلى » ثم قرأه فأحسنها ودخل وانصرفنا . فابتدأت أعمل شعراً أصف فيه خطبته فوافتني رقعته بخطه وفيها : أبقاك الله يا محمد قد لحظك طرفي وأنا أخاطب وأنت الى جانب اسحق قريب مني غير بعيد فعرفني على تحري الصدق واتباع الحق كيف ما سمعت وهل أهجن الكلام بزيادة فيه أو اختل بتقصير منه أو وقع ذلك في لفظة أو احالة في معناه جاريا فيه على عادتك في حال الامرة غير مقصر عنها للخلافة ان شاء الله .

فكتبت اليه جواب الرقعة بعد أن أتممت القصيدة : أمير المؤمنين أدام الله دولته وأطال في الملك مدته أجل خطراً وقدراً وأسنى مجداً وفخراً وأوسع خاطراً وفكراً من أن يلغ خاطب خطابته أو يبلغ بلاغته أو يدرك فيها واصف صفته الا بما تناله طاقته وتبلغه غايته الخ

وليراجع أيضاً رواية ارسال الراضي بالله الى اسماعيل بن على الخطبي ليشاوره فيما يقول في الدعاء الى نفسه في الصلاة بالناس فى المصلى وردت في كتاب ارشاد الاريب ٢ : ٣٤٩

أمره بما فعله الراضي . ثم أن الصلح تمّ بين بدر الخرشني وبين الحجرية فدخل من المصلى الى منزله وأقرّ بدرٌ على الشرطة .

فلما انقضت هذه القصة أشار الوزير على الراضي بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له : قد انغلقت عليك هذه البلدان وهي بلدان المال بما فعله محمد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أن ذلك قد تمّ له واحتمل عليه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة . فعمل الراضي على ذلك وتقدم اليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الامرّ مع ابن رائق بان ينفذ اليه ينال الكبير من الحجرية وما كرد الديلمي من الساجية برسالة من الراضي بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن على النوبختي ليواقف على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة . فلم يستجب ابن رائق الى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن اليهما وسألهما أن يتحملا له الى الخليفة رسالة (٥١٣) في السرّ وهي انه : ان استدعى الى الحضرة وفوّض اليه التدبير قام بكل ما يحتاج اليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشى الامورَ أحسن مشيةٍ وكفى أمير المؤمنين الفكر في شيء من أمره . فلما قدم الرسولان خلوا بالراضي بالله بعد تأدية الرسالة الظاهرة فأدّيا الرسالة السرّية فلم ينشط الراضي لتسليم وزيره وأمسك

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن على عمل على ان يكون ظاهر خروجه الى الاهواز لا اليه ولا لقصده ودبر أن ينفذ اليه القاضي أبا الحسين برسالة من الراضي ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له ان

الخروج انما هو اليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه وثوثق له بما يسكن اليه . فلما كان يوم الاثنين لاربع عشر ليلة بقيت من جمادى الاولى وانحدر الوزير الى دار الراضي بالله ومعه القاضي أبو الحسين ليوصله فيسمع من الراضي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسعيني قبل ان يصل الى الخليفة وثب الغلمان الحجرية ومعهم المظفر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجهوا الى الراضي بالله يعرفونه قبضهم (٥١٣) عليه اذ كان هو المفسد المضرب ويسئلونه أن يستوزر غيره فوجّه اليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم أنهم لو لم يفعلوا ذلك لفعلَهُ هو وردّ الخيار اليهم فيمن يستوزره فذكروا علي بن عيسى ووصفوه بالامانة والكفاية وأنه ليس في الزمان مثله فاستحضره الراضي بالله وخاطبه في تقلد الوزارة فامتنع وتكرّر ذلك فراجعهُ الراضي بالله وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطبُ معه فأقام على الامتناع فقالوا: فتُشير بمن تراه. فأومأ الى أخيه عبد الرحمن

فأنفذ الراضي بالله المظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فأحضره وأوصله الى الراضي وعرّفه أنه قلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب في الخلع ومعه الجيش الى داره. واحرقت دار ابي علي

﴿ وزاره عبد الرحمن بن عيسى ﴾

لما تقلد عبد الرحمن غاب علي بن عيسى على التدبير فعلِمَ أبو العباس الخصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنا ذكرنا أمرهما وما كان من نفي علي بن مقلة اياهما الى عمان وتقدمه الى يوسف بن وجيه صاحب عمان

بحبسهما وأن يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا الى بغداد واستترا بها الى أن

(٥١٤) قُبض على ابن مقلة [١]

فلما كان فى هـذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه الى الراضى بالله مع أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى وأبى علي الحسن بن هرون وعلي بن عيسى لا يتأخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو علي ابن مقلة الى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ خطهُ بالف الف دينار ثم سلمه الى ابى العباس الخصيبي فجرت عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم [٢] وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدة فتوسط أمرهُ وضمن ما عليه وتسلمه وكان أدى الى الخصيبي نيفا وخمسين الف دينار

(١) قال أبو بكر الصولي فى الاوراق : تنكر الساجية والحجرية للوزير فطالبوا فى دار السلطان بارزاقهم فعرّفهم انه لا مال عنده فوثبوا به وقبضوا عليه والسلطان يراهم فوثب ودخل وأمر راغبا أن يتسلم الوزير ويكون فى يده والا تجرى جناية عليه . ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره وطرحوا فيها النار ونهب جماعة من كتابه . وكان من العجائب المشهورة أن دار ابن مقلة أحرقت في مثل اليوم الذى أمر فيه باحراق دار سليمان بن الحسن بباب محوّل وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل . وحول بن مقلة الى دار الوزير عبد الرحمن فأحسن اليه وسلمه الى هنكر وماكور ليكون فى أيديهما ويناظره سلمان في الاموال بحضرتهما . فجعل في دار النوبشرى بقرب الجسر .

(٢) وفي التكملة : قال ثابت بن سنان : دخلت اليه لاجل مرضة أصابته فرأيته مطروحا على حصير خلق على بارية وهو عريان بسراويل ومن رأسه الى أطراف أصابعه كاون الباذنجان فقلت : انه محتاج الى الفصد فقال الخصيبي . يحتاج أن يلحقه كرة المطالبة . فقلت : ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف . وكاتبه الخصيبي : ان كنت تظن ان الفصد يرفهك فبئس ماتظن . ثم قال : افصدوه ورفهوه اليوم . ففصد وهو يتوقع للمكروه واتفق للخصيبي ما أحوجه للاستتار وكفى ابن مقلة أمره وحضر ابن قرابة الخ

وصرف بدر الخرشني عن الشرطة لانحراف الحجرية عنه [1] وولي أعمال المعاون باصبهان وفارس لان الحجرية كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه وأخرج مضاربه الى ميدان الاشنان وأنفذ اليه اللواء وضم اليه الحسن بن هرون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحي ثم توقف عن امضاء هذا الرأي فبطل خروجه [2]

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الامور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الامور للراضي بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار اذ كانت وجوه المال قد تعذرت عليه فقبض عليه الراضي في هذه السنة وقلد وزارته الكرخي

﴿ (٥١٥) ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي ﴾

لما قلد أبو جعفر الكرخي الوزارة وخلع عليه وانصرف الى منزله ومعه الجيش كلف مناظرة علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحملا الى داره [3] فصادر علي بن عيسى على مائة الف دينار وصادر اخاه على سبعين الف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة الى ان أدى علي بن عيسى سبعين الف دينار وأدى أخوه ثلاثين الف دينار ثم صرفا الى منازلهما

وكان الوزير أبو جعفر الكرخي قصيرا فاحتيج بسبب قصره الى أن ينقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربع أصابع مفتوحة

---

(١) وفي تاريخ الاسلام: وولي الشرطة كاجو (٢) وفي الاوراق: واستوحش الخرشني لما فعله الساجية والحجرية وتحول فنزل دار الحسن بن هرون وشغل عن العامة فغالوا ثم صار اليه جماعة من الحجرية فحلفوا له انه واحد منهم فرضي ورجع الى داره

(٣) وهذا بشفاعة أبي محمد الصالحي الى الراضي بالله كذا في كتاب الوزراء لهلال الصابي ص ٣٣٣

وفيها قتل ياقوت بعسكر مكرم

﴿ ذكر مقتل ياقوت ﴾

قد ذكرنا أمر ياقوت فى خروجه الى أرّجان لحرب على بن بويه فى قضه وقضيضه وديلمه وأتراكه وسائر خيله . وكان معه من الرجالة السودان ثلاثة آلاف رجل وانهزم من بين يدى على بن بويه بباب أرّجان بعسكره كله وكان على الساقة فى الهزيمة لانه ثبت وسار على بن بويه خلفه الى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم فى غربيها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام على بن بويه برامهرمز الى ان وقع الصلح بينه (٥١٦) وبين السلطان

وكتب أبو عبد الله البريدى الى ياقوت ان يقيم بعسكر مكرم الى أن يستريح ويقع التدبير لامره من بعد وكان غرضه الا بجمعه واياه بلد فقبل ياقوت . واتاه ابو يوسف البريدى متوجعا بما جرى عليه من الهزيمة ومهنئا له بالسلامة وتوسط بينه وبين اخيه ابى عبد الله على ان يطلق له خمسين الف دينار يعطى بها عسكره الى أن يكتب الى السلطان ويستأمره فيما يطلقهُ له ولرجاله . وعرفهُ ان الرجال المقيمين بالاهواز فيهم كثرة ويطالبون بمالهم وهم البربر والشفيعية والنازوكية واليلبقية والهارونيـة وكان أبو على ابن مقلة ميز هؤلاء وأنفذهم الى الاهواز لتخف مؤنتهـم عن الحضرة وتتوفر أموال الساجية والحجرية فذكر أبو يوسف ان هؤلاء لا يطلقون مالا يخرج من الاهواز الى سواهم وانهم ان أحسوا شغبوا فاحتاج أبو عبد الله الى مفارقة الاهواز اشفاقا على نفسه منهـم . ثم تؤول الحال الى حرب تقع بعد الهزيمة الارّجانية ولا يدرى كيف تـكون الحال فيها وان السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال اليه (٥١٧) وقال له : ان رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلائهم وهزيمتهم

دفعة بعد دفعةٍ اذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه . فقبل ياقوت ذلك وسبَّب له بهذا المال على عسكر مكرم وتستر فارضى بعضه الحجرية وبعضه وجوه القواد وأنفق في سودانه في المسجد الجامع بعسكر مكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الامر على ذلك شهورا . وافتتح مال سنة ٣٢٤ فضجّ رجاله وطالبوهُ وقالوا : انه لا صبر لهم على الضرّ وان المنافسة على خيرات الدنيا في الطبع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وانهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالاهواز على الادرار ويحرموا هم وان يتجرعوا الاسف والحسرات وانهم قد سئموا الفقر ومعاناة المجاعة .

وقد كان استأمن من أصحاب علي بن بويه الى ياقوت طاهر الجيلي وكان ممن يرشح نفسه للامور الكبار ويرى انه نظير لشيرج وطبقته واجتمع اليه نحو ثمانمائة رجل من العجم فشغب على ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر انه يملك ماه البصرة وماه الكوفة . فكبسه علي بن بويه ثم سجنه فنجا بنفسه مع بعض غلمانه (٥١٨) وأبو جعفر الصيمري كاتبُهُ في الاسر وخلّصه الحناط فخرج الى كرمان فكان سببا لاقباله واتصاله بالامير أبي الحسين أحمد بن بويه . فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلي وأصحابه واستطال باقي رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قواده الرياسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدي بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدبر أمره وانه قد فوّض اليه الرأى والتدبير في رجاله ليمضي عليه وعليهم ما يستصوبهُ

﴿ ذكر الخديعة التي نفذت على ياقوت ﴾

كان ياقوت واثقا برجل ساقط يعرف بأبي بكر النيلي يجريه مجرى الأب

وينحطّ الى رأيه وقوله مع ضمّة فى النيلى وخساسة فى همته وقدره فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسع عليه فكان النيلى رسول ياقوت الى أبى عبدالله عما قد ذكرته. فكتب أبو عبد الله البريدى ان عسكره قد فسدوا وفيهم من ينبغى أن يُميّز ويخرج لان علي بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالا باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وان الصواب أن ينفذوا اليه ليعرفهم انهذه الزيادات تفوّتهم الاصول السلطانية ويشافههم بان الصواب ان يسقطوها ليتوفّر عليهم الاصول (٥١٩) وقال: انما يتمّ هذا بالاهواز لانهم يردونها أفواجاً وزمراً فان أساءوا آدابهم وامتنعوا قوّموا بالجيش المقيمين بالاهواز وانهم انخوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتمّ عليهم ردّهم من الكثير الى القليل. وأكثر فى هذا المعنى حتى قال: يا أبا بكر سبيلُ العرض ان يقع بحيث الهيبة والخوفُ لا بحيث الحكم والاستطالة. فما قال له النيلى: الهيبة حيث يكون الامير لا انتَ. ولا كانت له منّة لان يردّ عليه شيئا.

وسأل أبو عبد الله البريدى ان ينفذ اليه أبا الفتح ابن أبى طاهر وأبا أحمد الجستانى ليشاورهما فى التقرير ويتعرّف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذى كان مع أبى طاهر محمد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم وأنفذ اليه ياقوت مَن التمس وتقدّم الى رجاله بالخروج للعرض. فلما حصلوا عند البريدى استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم ان يجريهم مجري من معه بالاهواز فأجابوه وصاروا الى عسكره وردّوا الارذال الى ياقوت بعد ان أسقط زياداتهم. فلما استتمّ العرض وجد نصف الياقوتيّة قد انحازوا (٥٢٠) عنه فقيل لياقوت ذلك ووبّخ وعذل فقال: قد

اجتمع لى بمقام من أقام بالاهواز خفّة المطالبة عنى وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابنُ البريدى لما أصلحُ له فاخافهُ وان احتجتُ او احتيج الى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون الىّ وهم عدّة لى عنده . وعاد رجال ياقوت اليه فقالوا له : ما حصلنا من الغرض الا على ان خرج شطرُنا وهيضَ جناحنا وضعفت شوكتنا فاكتب الى البريدى ان يحمل ما قررهُ لنا . فكتب ياقوت بذلك فاجابهُ أبو عبد الله بانه يحتال ويحمل

ثم زاد الالحاح على ياقوت فخرج بنفسه الى الاهواز فى ثلاثمائة رجل وقلل العدّة لئلا يستوحش البريدى وقدّر انه الى كاتبه يمضى فتلقاهُ أبو عبد الله البريدى بالسواد الاعظم واخرج معه كلّ من بالاهواز من الجيش فلما رأى ياقوتاً ترجل له وانكبّ ياقوت عليه حتى كاد ينزل عن دابته ثم سار وانزله داره وخدمهُ بنفسه وقام بين يديه الى ان طعم وغسل يده فناولهُ الماء ورد والمنديل وبخّرهُ بيده فهو فى ذلك قبل ان يفاوضه اذ ارتفعت ضجةٌ عظيمة وشغب الجند وقالوا : انما وافى ياقوت اليه ! فقال البريدى : (٥٢١) أيها الامير الله الله اخرج وبادر والاّ قتلنا جميعاً . فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشفيين وعاد الى عسكر مكرم كما بدا منها . ثم ورد عليه كتاب البريدى بان الرجال بالاهواز قد استوحشوا منه وان الوجه ان يخرج الى تستر فان بينها وبين الاهواز ستّة عشر فرسخاً وعسكر مكرم فهى على ثمانية فراسخ واذا نأت الدار زال الاستيحاش وسبّب له على عامل تستر بخمسين الف دينار فخرج اليها .

فقال له مونس (وكان مونس هذا تربية ياقوت وثقته) : أيها الامير ان البريدى يحزّ مفاصلنا مفصلا مفصلا ويسخر منا وأنتَ مغترٌ به وقد حاز

شطر رجالنا ووجوه قوادنا الى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطاق ذلك أيضاً ليستأمن اليه الباقون ثم يأتى على أنفسنا وقد اتصلت كتب الحجريّة اليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك فاما دخلت بغداد وجميع من بها يسلّم لك الرياسة وأوّلهم محمد بن رائق بالضرورة لسنّك وانك نظير أبيه واما خرجتَ الى الاهواز حتى تطرد البريدى عنها وتقيم أنتَ بها فانا وان كانت عدّتنا يسيرة دون عدّته فهو كاتبٌ ونحن فى خمسمائة [٥٢٢] رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسةَ آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنتَ. وقد قال عدوُّك على ابن بويه «لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثلهُ ما قاومتهُ» فالله الله يامولاى لم تضيّع نفسك وتضيّعنا. فقال: سأنظر وأفكر. فخرج مونس مغضباً من عنده وركب فى ثلاثة آلاف رجل شاذاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الاهواز وقال لنا: لا أعصي مولاى فانه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنى أفتح الاهواز واسلّمها اليه. فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتى ورد كتاب ياقوت على دَرك (وكان والى الشرطة بعسكر مكرم) يعرّفه ان مونساً غلامهُ خرج بغير اذنه وشرح له صورتهُ وسأله ان يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذّره كفر نعمته ويستوقفه الى ان يلحق به. فعبر دَرك من شرق عسكر مكرم الى غربها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطابا بليغاً وكان دَرك شيخاً مقدّماً الا أن السنّ قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابهُ فقال لمونس خادمٌ كان معه مكيناً منه وكان معقّلاً [1] : يا مونس ان مولاك [٥٢٣] قبض على ابنيه

(١) زاد صاحب التكملة: يقال له أبو النمر. وقال أيضاً ان ياقوت كان استفتى

وهما تاجان ودُرّتان فلم يستحلّ ان يعصى مولاهُ ولا يكفر نعمته وسلّمهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانتَ تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعتهِ اما تخاف العقوبة ؟ وان تخذل في هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل ان يوافيك ويساعدك على ما تريده انتظر رَيث نفوذ كتابنا وورود جوابهِ . فأقام مونس لما أخذهُ المذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت فى اليوم الثانى واجتمع مع غلمانهِ .

ووافى عسكر البريدى باسره فنزلوا فى صحراء خان طوق ومعهم غلام البريدى رؤسهم ومعه القوّاد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبى طاهر . ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبى جعفر الجمّال وتثبت ياقوت بعسكرمكرم عن المسير الى الاهواز وتهيب الصورة وقال لمونس : السلطان لنا على النيّة التى عرفناها وكان منه الى ابنى مالا يجوز ان يصلح لى أبداً وفارس فقد عرفتَ صورتنا بها ولا مذهب لنا فى الدنيا ولا لنا موضع نأويه الا هذا البلد والحرب سجالٌ وقد كثر عسكر الرجل فان نحن حاربناهُ وانهزمنا كُنّا بين الاسر والحمل الى الحضرة وشهرتُ بها واركبتُ الفيل. ثم يظنُّ بى انى كفرت (٥٢٤) نعمة مولاى فيلعننى الناس وبين ان أقتل والوجه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وان نعود الى تستر ونصير منها الى الجبل فان استقام لنا بها أمرٌ والاّ لحقنا بخراسان . وشاع هذا الكلام فضعفت نفوس أصحابه وطالت الايام فى منازلة عسكر البريدى فكان كلّ يوم يستأمن عدة من أصحابه الى البريدى . فكان مونس يبكّر اليه في كلّ يوم ويقول له : يامولاى مضى البارحه من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقلّ . فلا يزيده

الفقهاء فافتوه انه لايحل له ان يحارب الامام

على ان يقول: الى كاتبنا يعضون واذا كانت هذه نيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟ ولأن يبقى معنا الف رجل يحصلون فنمضى بهم الى حيث نقصد اصلحُ من جميع هـذا اللفيف الذى هم كَلٌّ فى الرخاء واعداء يوم اللقاء وقـد جرّبناهم بباب فارس وباب ارّجان. فلم يزل كذلك حتى بقى فى ثمانمائة رجل فلما علم البريدى انه قـد استظهر الاستظهار التامّ راسـلهُ فى الموادعـة بأبى القاسم التنوخى القاضى وقال: انى لك على العهد والميثاق. وانه كاتبـهُ وان الامارة لا تصلح له وان البلوى والشقاء قد حلاّ به وصارت مطالبة الرجال عليه وانه يلاقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وانه لا رغبة له فى ارتباطهم وانما جرّ سببٌ سبباً حتى اجتمعوا عنده وانه يصاهره حتى يزداد ثقة به[٥٢٥] ووكل القاضى فى تزويج ابنته من أبى العباس أحمد بن ياقوت. فوافاه القاضى أبو القاسم التنوخي وادّى اليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل للوقت الى تستر

ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجريّة ومعه المظفر ابنه بكتاب اليـه يذكر فيه انه قد وهب ابنهُ هذا له ومنّ به عليه فالتقيا بتستر فاشار عليه ابنـه المظفر بالخروج الى حضرة السـلطان ليشكرهُ على انفاذه ويقيم بدَيْر العاقول ويستأذنه في الدخول فان أذن له فقد تمّ له ما يحب ووجد الحجريّة مسرعين اليه وان لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج اليها وان منع من ذلك جعل مقصدَهُ الشام. فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال: أنا أتأمل ما ذكرته فاقم عندى لنتشاور. فاستعفاه من ذلك وسأله ان يأذن له فى المقام بعسكر مكرم فأذن له. فاطمع البريدى المظفر فى ان يجعله اسفهسلارَ عسكره وان يتدبر بتدبيره حتى فارق أباه واستأمن اليه فحصل في بستانه المشهور[٥٢٦]

بالاهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم

ولما استوثق البريدى لنفسه واستظهر تخوف من الياقوتية الذين عنده وان يراسلوه بلون من الالوان المنكرة من التدبير عليه أو ان يتداخلهم التعصب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت . وكتب الى ياقوت بان السلطان قد أمره بالخروج عن تستر الى الحضرة فى خمسة عشر غلاما أو النفوذ الى الجبل متقلداً لها وبان يقصده الى تستر ويخرجه منها قهراً فتحيّر ودعا مونساً غلامه فقال له : أى شئ ترى ؟ فقال له : الآن وقدمضى مامضى والله لا صحبك الى الحضرة ولا الى الجبل أحد ممن معك ولا لهم نفقات تنهضهم فان أردت ان تمضي فى عشرين غلاما الى السلطان فذاك اليك . فاجاب البريدى عن كتابه بانه يروّى ويذكر له ماعنده بعد ان استمهله شهرا ليتأهب للسفر الذى يقصده فعاد اليه من جواسيسه واحدٌ كذبهُ فاخبرهُ بان الجيش وافى عسكر مكرمٌ ونزلوا الدور وانبسطوا فى المدينة فاحضر غلامهُ مونساً وقال له : ظفرنا والحمدلله بعدوّنا وكافر نعمتنا فنسير من تستر وقت عتمة ونصبّح عسكر [٥٢٧] مكرم والقوم غارّون فى الدور فنكبسهم ونشردهم ونمتد الى الاهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همه الهرب لوجهه . فقال مونس : ارجو ان يكون هذا صوابا .

وسار ياقوت ووصل الى عسكر مُكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتدّ مشتقًا المبار الى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى أثرا فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه الى آخره وهو متعجب من الغرور الذى غرّهُ جاسوسه فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أقبل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين

العسكرين . وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومبارزة واستعدوا للحرب فى اليوم الذى يليه لان عسكر البريدي كان منتظرا عسكرا قد سيره البريدى على طريق دجيل ليدخل من ضفته كمينا على ياقوت حتى يصير وراءه .
ثم أصبحوا فى اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس الى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه ممن نصره مثل مونس وآذريون ومشرق وغيرهم فى دون ألف رجل فأعيا من بازائه من أبى جعفر الجمال وغيره على كثرة عددهم حتى (٥٢٨) كادت البريدية تنهزم .
وجاءت الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة آلاف رجل جامين فأبلس ياقوت وقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .
وأومأ الى مونس ان يقصدهم ويكفيه اياهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل اليهم وبقي ياقوت فى خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتى وافى منهزما فرمى ياقوت نفسه من دابته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتى بقى بسراويل وقميص سينيزى ثم أوى الى رباط يعرف برباط الحسين بن دبار [1] فاستند اليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لانستر أمرهُ ولجنَّهُ الليل ولجاز ان يسلم .
فجلس بحيث ذكرت وهو بقرب ناعورة السبيل وغطّى وجهه ومدّ يدّه يسئل ليقدّر فيه أنه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هدية فركب اليه قوم من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأومأ اليه أحدهم بزراق فقال : أنا ياقوت احملونى الى البريدى . فاجتمعوا عليه وحزوا رأسه وانهزم مونس ومشرق وآذريون الى تستر واتبعهم الاعراب والبربر فاسروهم وردوهم . وأطلق أبو جعفر الجمال طائرا بالخبر الى البريدى

(١) وفي التكلمة : زياد

يستأذن [٥٢٩] في رأس ياقوت فردّ اليه في الجواب مع غلام يركض بان يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع في الموضع الذي قتل فيه [١] وقبض البريدي على المظفر ابنه مدة ثم أنفذه الى الحضرة

وطغى البريدي بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقواها أخوه أبو يوسف حتى جهز اليه العساكر وقتله [٢] فحكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي انه سمع أبا يوسف البريدي يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله : يا أخي أخاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلونا ان دخلنا الحضرة يوماً وفي العاجل لستُ

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ولما ورد قتل ياقوت على الحجرية اضطربوا اضطراباً شديداً واجتمعوا الى الراضي بالله وقالوا : قبضت على ابنه أبي بكر بغير ذنب خبسته ثم قبضت على أخيه أبي الفتح ثم كتبت الى ابن البريدي في قتله . فجلس لهم واحضر القاضي وأحضر معه من العدول أبا الحسن الهاشمي ابن أم شيبان وابن عمه عبد الوهاب وجلس الراضي لهم ليلا فدخلوا اليه وهو على كرسي فلغطوا وكان الصغار أشد كلاما وابسط ألسنا من كبارهم وقوادهم فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه واخرجوا ما في أنفسهم ثم أقبل عليهم رابط الجاش ذرب اللسان فكلمهم أحسن كلام وقال : ان كان هذا الامر قد صح عندكم فعرفوني من أي وجه صح لاعرفه كمعرفتكم وان كان ظنا فالظن يخطئ ويصيب وانما ظننتم هذا بمجيء أخي البريدي أبي الحسين الي الدار هذه الايام وانما كان يجيء بكتب أخيه فيشكو معاملة ياقوت . ثم أخرج فصولا من كتب فدفعها الي القاضي فقرأها عليهم وفيها جوابات من ياقوت الي ابن البريدي وقد أنفذها ابن البريدي اليه ثم قال لهم : ماقبلت في ابن البريدي الا رأى محمد بن ياقوت والآن فقد وقفتم على الخبر وانا أعزلهم وأنفذ الجيوش اليهم وأخرج معكم اذا أردتم . ثم كلمهم القاضي وفرقهم

(٢) زاد فيه صاحب التكملة. وكانت نفقة مائدته في كل يوم ألف درهم وكان غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جواري ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه أبي القاسم وكانت صلاته للجند خاصة ولم يعط شاعراً ولا طارقاً شيئاً .

آمن على أخي أبي الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بثاره . فقال أبو يوسف:
أما أبو الحسين فنحن نكتب اليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر وأما
الحجرية ودخولنا الحضرة بعد أن وسمنا بمصادرة اثنى عشر ألف ألف درهم
فهيهات من ذلك أبعد تخلصنا من القاهر ومن الخصيبي الملعون وسلامة
أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحضرة بلى ستهدم منازلنا والى لعنة الله ما
نعود الى الحضرة فنحتاج اليها وقد دبرت ودع يا أباعبدالله ما اعتدت فانك
لا ترى مثله مع خلوقة الزمان [٥٣٠] وإدبار الملك وفقر الخلافة وقد كنا
نتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا
ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونخرج ياقوتا منها سقطنا
ثم يطول علينا أن نجد من أيامنا يوماً ووالله ما أشرت عليك بما تسمع الا
بعد ان استمددت له ما يعينني عليه وقد وافقتك على هذا سراً وجهراً وأبو
زكريا ممن لا نحتشمه. (قال أبو زكريا) وانما أومأ أبو يوسف بهذا القول
الى مال السوس وجنديسابور فان أبا عبد الله كان أجمَّه عنده استظهاراً
واناخ فى النفقات وأرزاق الاولياء وما كان يطلق به السلطان على أموال
كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم
يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ . وماوهب قط لطارق ولا شاعر ولا ولد
نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الاموال وخرجها وجميعها تجرى على يده فان
شذّ منها شيء عنه الى اسرائيل بن صلح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه
مبلغه (قال) واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الاهواز
بعد تقليد الراضى اياهما لسنى اثنتين وثلاث [٥٣١] وأربع وعشرين وثلثمائة والى
شعبان من سنة خمس (فان بجكم هزمهم وأخرجهم عنها فى هذا الشهر)

ثمانيـة الاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها فى جميع وجوه النفقات دون أربعة الاف ألف دينار حاصلة وسمعت يعقوب الصيرفى اليهودى يقول : سمعت أبا عبدالله يقول: نمضى الى البصرة فان تم لنا بها أمر فقد كفينا وان حزبنا أمر لا نطيقـه قصدنا عمان واستجرنا بصاحبها (يعنى يوسف بن وجيه) فانه حُرّ ودبرنا أمرنا فأما ان عـبرنا الى فارس واستجرنا بعلى بن بويه فان دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة واما ان عـبرنا الى التيز ومكران وقصدنا صاحب خراسان فالطريق اليها جدد .

وعـدنا الى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها . كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما زالت الاضاقة تزيد ومن فى يده مال من المعاملين يطمع وقطع ابن رائق الحمل من واسـط والبصرة والبريديون من الاهواز وعلى ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان . فتحـيّر أبو جعفر الـكرخى واعتدت المطالبات عليـه وانقطعت الموادّ عنه ونقصت هيبتـه فاستتر بعد ثلاثة أشهر (٥٣٢) ونصف من وقت تقلده . ووجد فى خزانته سفاتيج لم تقض وما يجرى هـذا المجرى من العجز وقلة النفاذ فى العـمل

(وزارة سليمان بن يحيى) (١)

ولما استتر الـكرخى استحضر الراضى سليمن بن الحسن أبا القاسم فقلده الوزارة والدواوين فـكان فى التحيّر وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخى فدفعت الضرورة الراضى بالله الى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وازاحة علة الجيش والحشم ومسئلته عما عنده من المقام على ذلك أو الانصراف عنه . فتلقى أبو بكر محمـد بن رائق

(١) هذه الترجمة زدناها

الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بانه مقيم على ماضمنه

(ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة وسائر الممالك)

فانفذ اليه الراضى ماكرد الديلمى من الساجية وعرفه انه قلده الامارة ورياسة الجيش وجعله أمير الامراء وردّ اليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحي وفوض اليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وبأن يكنّي وأنفذ اليه الخلع واللواء مع ماكرد الديلمى وخادم من خدم السلطان وانحدر (٥٣٣) اليه أصحاب الدواوين كلهم وجميع قواد الساجية [1] والحسن بن هرون. فلما حصلوا بواسط قبض على الساجية وعلى الحسن بن هرون قبل أن يصلوا اليه وحبس الساجية ونهبت رحالاتهم وقيل للحجرية : انما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم. وورد الخبر بذلك الى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا الى الموصل والى الشام. واستوحش الحجريّة ببغداد لما جرى على الساجيّة بواسط فقصدوا دار السلطان وأحدقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجّه ابن رائق بيونس الافلحى وبارس الحاجب الى بغداد فضربوا خيمهم فى باب الشماسيّة وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد. ثم أصعد محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجّة ومعه بجكم فرُتب محمد بن رائق فوق الوزير وخلع عليه وركب الى مضربه فى الحلبة وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه فى ذلك خدم السلطان. واجتمع

---

[1] وفى الاوراق . وكان كاجو وينال انحدرا الى ابن رائق فوصلهما ورجعا ثم انحدر كاجو وماكرد وتكيجور وصافى من قواد الساجية وانحدر معهم أبو جعفر بن شيرازاد والحسن بن هرون وأبو بكر بن الصيرفي

اليه الغلمان الحجرية وسلموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والانصراف الى منازلهم ففعلوا[1]

وبطل منذ (٥٣٤) يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شيء من أمر النواحى ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وان يحضر فى أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتاً وصار ابن رائق وكاتبهُ ينظران فى الامر كلّه[2] وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية وصارت أموال النواحى تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقونها كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الاموال .

وفى هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان .

وفى هذه السنة جرت الحادثة على أبى الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين القتلى ثم تخلص وأفضى أمره الى ملك العراق

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما تمكن على بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بأصبهان نظر فى أمر أخيه الاصغر أبى الحسين أحمد بن بويه فتقرّر الامر بينهما مكاتبةً ومراسلةً على ان يتوجه الى كرمان فضمّ اليه على بن بويه عسكراً

---

(١) وفي الاوراق : ورد خبر الطير من فاتك بان صغار الساجية قصدوا داره لكبسها واستخراج قوادهم منها وانه رمى اليهم برؤسهم واستبقى الحسن بن هرون وصافياً .

(٢) وفي التكملة : وكان مدبر أمر (ابن) رائق أبا عبد الله النوبختى فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة أشهر فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفى .

(٥٣٥) فيه من كبار الديلم ومـذ كورهيا ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الأتراك ومن يجرى مجراهم . وكان يكتب لابى الحسين فى ذلك الوقت رجل يعرف بأبى الحسين أحمد بن محمد الرازى وكان ممتعاً باحـدى عينيه ويعرف بكوردفير ولم تكن له صناعة ولـكنه كان واسع الصدر شجاعا فورد السـيرجان واستخرج منها مالا وأنفقه في عسكره . وكان ابراهيم بن سمجور [١] الدواتى من قبـل صاحب خراسان محاصراً لمحمد بن الياس بن اليسع الصغدى فلما بلغ ابن سمجور خـبر الديلم رجع الى خراسان ونفّس عن خناق محمد بن الياس فتخلص وانتهز الفرصة وخرج عن القلعة التي كان فيها الى مدينة بمّ وهى على مفازة تتصل بسجستان . فسار أحمد بن بويه اليه فرحل الى سجـستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجّه الى جيرفت وهى قصبة كرمان واستخلف على بمّ بعض قوّاده . فلما أشرف على جيرفت تلقاهُ رسول على بن الزنجى وكان رئيس القفص والبلوص وهو المعـروف بعلى بن كاويه وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الاعمال الاّ انهم يجاملون كلّ سـلطان يَرِد عليهم ويذعنون له ويحملون اليـه مالاً (٥٣٦) معلوما ولا يطؤون بساطهُ . فبذل لاحمد بن بويه ذلك المال على الرسم فأجابه بأن الامر فى هـذا الى أخيه على بن بويه وانه لابدّ له من دخول جيرفت فاذا دخلها كاتبهُ وراسلهُ فى ذلك وأمره ان يبعـد عن البلد فاستجاب ورحل الى نحو

(١) هو الامير ابراهيم بن أبي عمران وأبو عمران هو سيمجور توفى في شوال سـنة ٣٣٦. كذا في كتاب الانساب لابى سعد السمعاني : ٣٢٣ : وليراجـع ما قال في حقه من وصف آل سيمجور

عشرة فراسخ من البلد فى موضع وعرصعب المسلك . وترددت المراسلات بينهما الى ان تقرّر الامر بينهما على ان ينفذ اليه رهينته فقعل وقاطعهُ عن البلد على الف الف درهم يحملها فى كل سنة وحمل فى الوقت مائة الف درهم منسوبة الى الهدية وغير محسوبة من مال المقاطعة وأقام له الخطبة ثم حمل شيئًا من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه . فاشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بان يسرى اليه ناقضاً ما بينهما من العهود فانه سيجدهُ غير متحرّز وأصحابه غارّين لسكونهم الى وقوع الاتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتمّ له ما لا يتمّ لاحد قبله

﴿ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث ﴾

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه الى كاتبه ووقع بوفاقه لحداثة سنّه واغتراره (٥٣٧) فحمل نفسهُ على مفارقة ما يجب عليه فى الدين والمروءة. وجمع صناديد عسكره وخلّف سوادهُ وما يجرى مجراهُ واسرى للوقت الى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصبّحهم بياتا . وكان على بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه فسبق اليه الخبر فجمع أصحابه ورتبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه فلما توسط أبو الحسين فى الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم الاّ اليسيرُ . ووقعت بأبى الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى واثخن بالضرب فى رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى وورد الخبر بذلك الى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخّر من أصحابه : ولما أصبح على بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حيًّا الاّ انه قد أشفى على التلف فحمل الى جيرفت واقبل على

بن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ فى ذلك كلّ مَبلغ واعتذر اليه وأظهر الغمّ مما أصابه . واتصل الخبر بعلى بن بويه فاشتدّ غمّه وقبض على كوردفير وأنفذ مكانه (٥٣٨) أبا العباس (١) وخطلخ حاجبه فى الفى رجل ليجمعا ما بقى من سواد معزّ الدولة (أعنى أحمد بن بويه) بالسيرجان ويضمّا من بقي من فلّ العسكر . وانفذ على بن كلويه رُسله وكتبه الى على بن بويه بالاعتذار مما جرى ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر انه ما فارقها ولا خرج عنها فأنفذ اليه على بن بويه قاضى شيراز وأبا العباس الحنّاط وأبا الفضل العباس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابه بالجميل وبسط عذره وأمضي ما كان قرّره وردّ رهينته وجدّد له عهداً وعقداً . فحينئذ أطلق علي ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان أسيراً فى يده بعد ان أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل اليهم آلات والطافاً . فلما وصل أحمد بن بويه الى السيرجان وجد كاتبه مقبوضاً عليه وقد جرى عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذه ونصره وبرّأه من الذنب وشفع الى أخيه فيه فشفّعه وأطلقه .

وتأدّى الى أبي على ابن الياس ماجرى على أبي الحسين وطمع فيه وسار من سجستان حتى نزل البلد المعروف بخُناب فتوجه اليه أبو الحسين (٥٣٩) واشتدّت الحرب بينهما أياما الاّ ان عاقبة الامر كانت لابى الحسين فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً . وتتبعت نفسه التشفى من علي بن كلويه وطلب الثار عنده فتوجه اليه واستمدّ على بن كلويه واحتشد ثم سار اليه فلما صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فاسرى

---

(١) هو الحناط القمي

على بن كلويه فى جماعة من أصحابه وهم قوم رجّالة قادرون على العدو والمصابرة فيه فوقع على عسكر أبى الحسين ليلا . واتفق ان تغيّمت السماء بمطر جود واختلط الناس فلم يتعارفوا الا باللغات فأثروا فى عسكر أبى الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبى الحسين بقية ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا ساروا الى القوم فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهزم على بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد نقع بعض غلّته الا انّ فى صدره بعدُ جراحات . وكتب الى أخيه على بن بويه بالبشارة والظفر بابن الياس وانهزامه وبعلى ابن كلويه وهربه فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوزه وانفذ اليه المرزبان بن خسرة الجيلى أحد قوّاده الكبار ليبادر به الى حضرته ويعنفه (٥٤٠) التلوّم والمراجعة وكاتب سائر القوّاد بمثل ذلك فرجع الى حضرته كارهاً لانه ما كان بلغ ما فى نفسه من على بن كلويه وأصحابه فلما وصل الى اصطخر أقام .

﴿ ذكر ما اتفق له من الخروج الى بلدان العراق حتى ملكها ﴾

واتفق ان أبا عبد الله البريدى وافى فارس فى البحر لاجئاً الى على بن بويه وذلك ان محمد بن رائق وبجكم استظهرا عليه فى عدّة حروب وانتزعا الاهواز من يده واشرفا على انتزاع البصرة منه . فخلّف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين على بن محمد (١) بها . فلما ورد حضرة على بن بويه مستصرخا به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله اذا ضم اليه الرجال ان يمكّنه من أعمال العراق ويصحح له أموالا عظيمة من الاهواز ويسلّم اليه ولدين له رهينة . واستقدم على بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلما قرب منه

(١) وفى الاصل : وعلى بن محمد

تلقّاه فى جميع عسكره وقربهُ ورتبهُ فوق ما كان فى نفسه تسليةً له عن مصيبته ثم أنهضهُ مع أبى عبد الله البريدى فى عسكر قوى وعدة تامة وسار. واتصل خبره بمحمد بن رائق وبجكم فاما بجكم فانه عاد الى الاهواز وكان مع ابن رائق بعسكر أبى جعفر [٥٤١] محاصرين البصرة وأراد ان يمنع الديلم من تورّد الاهواز وأما ابن رائق فعاد الى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر أبى الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم الى عسكر مكرم بعد حروب سنذكرها ان شاء الله فى سنة ست وعشرين

﴿ ودخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أشار أبو بكر محمد بن رائق على الراضى بالله ان ينحدر معه الى واسط ليقرب من الاهواز ويراسل البريدى فان انقاد الى ما يراد منه وان مرق[1] عليه قصده. فاستجاب الراضى الى ذلك وانحدر يوم السبت غرة المحرم واضطربت الحجرية وقالوا: هذه تعمل علينا ليعمل بنا ما عمل بالساجية ونحن نقيم ببغداد. فلم يلتفت ابن رائق اليهم وانحدر بعضهم وتأخر أكثرهم ثم انحدر الجميع فلما صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجاب وكانوا نحو خمسمائة حاجب فاقتصر منهم على ستين واسقط الباقين ونقص ابن رائق من أقرّ منهم. وأخذ يعرض الحجرية ويسقط منهم الدخلاء والبدلاء والنساء والتجار ومن لجأ اليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا اليه ثم استجابوا وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثم اضطربوا [٥٤٢] وحملوا السلاح فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمة فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وانهزم الباقون الى بغداد

(١) مشطوب فى الاصل وقبله «الا»

فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد (١) وأوقع بالمنهزمين واستتروا فنهبت دورهم وأحرق بعضها وقُبضت أملاكهم . فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم تقدم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقتلوا سوى صافى الخازن والحسن بن هرون (٢)

فلما فرغ من الساجيّة والحجريّة عمل الراضى بالله وأبو بكر بن رائق على الشخوص الى الاهواز ودفع البريدى عنها واخرجت المضارب الى باذبين وبلغ البريدى ذلك فقلق قلقاً شديداً وأُنفذ اليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن اسمعيل الاسكافي برسالة من الراضى بالله ومن ابن رائق يعرّفان انه قد أخّر الاموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وانه ليس بطالبيّ يسارع على الملك ولا بجنديّ فيتمنى الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد خمول وعاملاً من أوسط العمال فاصطنع وأهّل لجليل (٥٤٣) الاعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الاحسان بالسوء وخلع الطاعة وانه ان سلّم الجند وحمل المال أُقرّ على العمالة والاّ قُصد وعومل بما يستحقّ .

فوافياهُ واخبراهُ بما تحملاه ونصحا له فعقد على نفسه كور الاهواز

---

(١) وفى الاوراق . كثر الضجيج من تعدّت أصحاب لؤلؤ الناس ووضع الجبايات عليهم واغرامهم فعزل عن شرطة بغداد ووليها محمد بن بدر الشرابى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٢٦

(٢) وفي تاريخ الاسلام : وكان الحسن بن عبد الله بن حمدان قد غلب على الموصل فسار اليه خلق من الساجية والحجرية وهم خاصّكية الخليفة هربوا من محمد بن رائق فاحسن الحسن اليهم —

بثلثمائة وستين الف دينار يحمل منها فى كلّ شهر من شهور الاهلة ثلاثين الف دينار وان يسلّم الجيش من يومر بتسليمه اليه ممن يومر عليهم ليخرج بهم الى فارس للحرب اذ كانوا كارهين للعود الى الحضرة لضيق الاموال بها ولاختلاف كلمة الاولياء فيها ولانهم لا يأمنون الاتراك والقرامطة . وكاتبا ابن رائق بذلك فعرضهُ على الراضى بالله وشاور فيه الحسين بن على النوبختى فأشار بالاّ يقبل منه ذلك وان يتم ما شرع فيه من قصده مادام قلبه قد نخب وان يخرج الاهواز من يده ولا يقارّ بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذلهُ وإقراره فى ولايته فمال ابن رائق الى الهوَينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان الرأى الصحيح مع النوبختى وكتب الى ابن شيرزاد وابن اسمعيل وأذن لهما فى العقد والاشهار ففعلا وانصرفا . فاما المال فما حمل منه دينار (٥٤٤) واحدٌ وأما الجيش فانه انفذ جعفر بن ورقاء لتسلّمه والنهوض الى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الاهواز وتلقّاهُ أبو عبد الله البريدى فى الجيش كلّه كوكبةً بعد كوكبة حتى ملأ الارض بهم واسودّت منهم حافين بأبى عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيرَهُ . ثم انفذت الخلع السلطانيّة الى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعُمالة الاهواز فلبسها فى جامع الاهواز وانصرف الى داره فشى العسكر قوّادهم وفُرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالتهم بخفاقهم وراياتهم وأسلحتهم بين يديه فيئس جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه فلما بلغ داره احتبسهُ واحتبس القوّاد معه والناس وكان يوماً عظيما . ثم أقام جعفر بن ورقاء أياما فدسّ عليه البريدى الرجالّ فشغبوا وطالبوه بمال يفرق فيهم ورزقة تامّة للنهوض فاستتر

واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد الى الجفنرة. وعُنى ابن رائق بأبى الحسين البريدى (١) قبل هذه الحال حتى انحدر من بغداد ولحق بأخويه ولما تقرّر أمر البريدى أصعد الراضى بالله وابن رائق الى بغداد.

ودخل أبو عبد الله الحسين بن على كاتب الامير ابن رائق بغداد (٥٤٥)

﴿ذكر حيلة أبى بكر ابن مقاتل على الحسين بن على النوبختى﴾
﴿حتى عزله عن كتابة ابن رائق﴾

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكّن المشهور منحرفاً عن الحسين بن على النوبختى بعد المودّة الوكيدة وكان هو أوصلهُ الى ابن رائق وأدخله فى كتابته فلهذا ولان الحسين بن على فوقه ومتفرّد بابن رائق (وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق اليه تلك النعمة وجمع له تلك الاموال التى كان مستظهراً بها من ضمان واسط والبصرة) أشار على ابن رائق ان يعتضد بأبى عبد الله البريدى وان يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الاهواز الى جيشه وقال له: أيُّها الامير لك فى ذلك جمالٌ عظيم لانه اليوم كالنظير لك فاذا تواضع وصار تابعاً جاز حكمك عليه. وسيقال لك ان البريدى غدر بالسلطان وياقوت فكيف تثق به؟ فالجواب عن هذا انه ليس يجمعكما أرضٌ فتتمّ حيلته عليك كما تمت على ياقوت وأنت غير قادرٍ عليه الاّ بحرب وقد يجوز ان تظفر به لو يظهر.

(١) وفي الاوراق: كان أبو الحسين على بن محمد البريدى قد وافى واسط فأوصله ابن رائق الى الراضي حتى خاطبهُ .... وخلع عليه ابن رائق الخلع التى كان الراضى خلعها عليه عندظفره بالحجرية وركب معه

هو فاذا كنا قد انتهينا الى هـذه الحال معـه خطّةُ من الامارة الى الـكتابة وتصييره تابعاً ثم جـذبُ رجاله [٥٤٦] وجيشه بالخدعة أو انفـاذهُ مع بجكم ليفتح لنا فارس وأصبهان اولى من دفعـه عمّا سأل وإيحاشـه فيحتاط لنفسه ويخبب الرجال وقد حمل الى الامير مع هذا ثلاثين الف دينار هدية هي فى منزلى . وقال له ابن رائق : ما كنتُ لأصرف الحسين بن على مع نصحه لى وتبركي به ولو فتح لى فارس وأصبهان وساقهما الىّ خصوصاً واهداهُما لى دون غيرى. قال : أيها الامير فان كرهتَ هذا فضمّنهُ واسطاً والبصرة. فقال : هـذا لفعلتهُ ان أشار به أبو عبد الله الحسين بن على . قال : فتكتمهُ أيّها الامير خوضنا فى الـكتابة ولا تذكرها .

وحضر أبو عبد الله الحسين بن على بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأى فضجّ منه وعدد مساوى البريدىّ وغدرَهُ وكفرَهُ الصنائع منذ ابتـداء أمرهم والى ان كاشفوا بالعصيان وأعاد حـديث ياقوت ثم التفت الى ابن مقاتل فقال : ما قضيتَ حقّ هـذا الامير ولا نصحته . ثم قال : أنا عليلٌ أيها الامير فان عشتُ وأنا معك فهيهات ان يتمّ عليك وان مضى فى حكمُ الله فنشدتك الله ان تأنس بالبريدي أو تسكن اليه بشئ من أصناف حيله . فدمعت عين ابن رائق وقال : بل يحييك الله [٥٤٧] ويهلكهُ (وكان الحسين ابن على عليلا من حُمى وسعال) ثم انصرف الحسين بن على وابن مقاتل مغضبٌ فقال لابن رائق : قد حمل الرجل اليك ثلاثين الف دينار ولا بدّ من ان تعمل به جميلا فاقبل أحمد بن على الـكوفى خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه الى ان ترى رأيك . فقال : أما هذا فنعم

وكتب ابن مقاتل الى البريدى بما جرى وانفذ أحمد بن على الكوفى ووافى حضرة أبى بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبى عبد الله البريدى وثقل الحسين بن على النوبختى فتأخر عن الخدمة أياماً. وكان له ابنُ اخ قد صاهرهُ فهو يخلفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه فقال أبو بكر ابن مقاتل للامير ابن رائق : حُسن العهد من الايمان وهو من الامير احسَنُ لانه عائدٌ بالسلامة علىّ ولكن اضاعة الامور ليس من الحزم والحسين بن على ميّتٌ فانظرْ لنفسك فان الامور قد اختلت. فقال : ياهذا الساعة والله سألتُ سنان بن ثابت عنه فقال « قد صلح وخفّ النفث وانه أكل الدُرّاج » فقال : سنان رجل عاقل ولا يحبّ ان يلقاك فيمن تعزّ بما تكرهُ ولاسيّما هو وزير الزمان اليوم ولكن صهرهُ (٥٤٨) وابن أخيه خليفته احضرْهُ وحلّفهُ ان يصدقك. قال: افعلْ. وانصرف ابن مقاتل ودعا على بن أحمد ابن أخى الحسين بن على وقال له : قد مهّدتُ لك كتبة الامير ووافقتهُ على تقلّدك اياها وهى وزارة الحضرة وعمك ذاهبٌ فان سألك فعرّفه انه ميتٌ لامحالة فانى أعود اليه وأُناجزهُ فيخلع عليك قبل ان يطمع فيها غيرك. فاغترّ على بن أحمد وسأله محمد بن رائق من غد بعد ان أخلى نفسه عن خبر عمّه فكان جوابه ان بكى وقال : أعظم الله أجرك أيها الامير فى أبى عبد الله عُدّهُ من الاموات. ثم لطم وجهه فقال ابن رائق : لاحول ولا قوة الاّ بالله أعزز علىّ به لو فدى حىٌّ ميتاً لفديته بملكى كله. واستدعى ابن مقاتل فقال له : كان الحقّ معك قد يئسنا من الحسين بن على فانّا لله وانّا اليه راجعون فأى شىء نعملْ ؟ فقال : هذا أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي نظير الحسين بن على وكانا صنيعتى اسحق بن اسميل

النوبختي هو في نهاية الثقة والعفاف وهو خصيص بأبي عبد الله البريدي وان أنت استكتبته اجتمعت لك كفاية الى عفافه واستقصائه وانضاف الى ذلك كله حصول أولئك في جملتهم وانقطاعهم (٥٤٩) اليك ونعتد على أبي عبد الله انا قد أجبناه الى ما سأل من كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفي فقال: استخر الله وافعل ولكن عهدة أبي عبد الله الكوفي عليك الا يغشني ويوثر البريدي في حال من الاحوال. فقال: أنا الضامن عن أبي عبد الله الكوفي كل ما شرطه الامير. فاستكتبه فدبر الامور كلها كما كان يدبرها الحسين بن علي واسقط من الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب «فلان بن فلان» وكان الحسين بن علي يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدة تدبير الحسين بن علي النوبختي لامور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيام. وكتب أبو بكر ابن رائق الى أبي عبد الله البريدي يعتد عليه بما احتال له حتى زحزح الحسين بن علي وساق الامر اليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل اليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار التي قدمنا ذكرها واستقل الحسين بن علي النوبختي وصح جسمه وعوفي فكتم ذلك عن ابن رائق وتمكن البريديون حتى غلبوا على البصرة.

﴿ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم﴾

لم يمض شهر من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لابي يوسف البريدي في ضمان (٥٥٠) البصرة وواسط فأشار على ابن رائق بذلك فقال: لا أفعل ولا أثق بهما. قال له: ولم أيها الامير؟ أما واسط فأنا مدبرها وليس يرد لهم اليها ولا راجل وعلي توفية مالها وأما البصرة فقد قررت أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها

ضمناء ثقات . وأشار أبو بكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق فى العقد عليه فقلد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة (وكان والى الحرب بها محمد بن يزداد) فخرج أهل البصرة باجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة البريدى بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً . وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمى وجيه البصرة قد شذ عن ابن رائق لانه قصر به وحط منه بالبصرة فقصد أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أخاه فطرح نفسه كلّ مطرح عندهما وأشار اليهما بالغلبة على البصرة وانفاذ العساكر اليها وذكر طاعة الحَوَل وأهل الانهار له فأخذ أبو عبد الله فى بناء الشذاآت والزبازب والطيّارات والاستكثار منها حتى اجتمعت له مائة قطعة فى نهاية الوثاقة والجودة . فحين وافاهُ أهل البصرة [٥٥١] للتهنئة قربّهم وأكرمهم ورفع منهم وقال : قد اطّلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيّتى الجميلة فيكم ومحبتى لصلاحكم واعداد آلة الماء للجيوش الذين أحصّن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة اذلا فائدة لى فيها وانما امتعضتُ لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم وتحملت فى مالى أربعة آلاف دينار فى كلّ شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمآصير والشوك تخفيفاً عنكم [١] وقد ازلت جميعها وهذا خطى برفعها عنكم. ووقع بذلك توقيعاً وسلمه اليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره ثم قال لهم : انه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه مني ويصير سببا للعداوة بيني وبينه ووالله ما أبالى ان يعادينى اخواى أبو يوسف وأبو الحسين وابنى أبو القاسم فى صلاحكم لانى أعلم أن فيكم بنى هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والانصار ومن حرمة

(١) وفي التكملة : الرسوم الجائزة عنكم

الاسـلام صيانتـكم وانى لاقدر ان الله عز وجـل يغفر لى كل ذنب بازالة الاذيّة عنـكم وسيروم ابن رائق ردّ ما قد ازلته عنكم من هذا الحُطام الذى كان يأخذه فأين السواعد القويّة والنفوس (٥٥٢) الابيّة التى حاربت على ابن أبى طالب صلوات الله عليـه ! فمتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من ورائكم . ثم ذكر أهل البصرة بايامهم مع عبد الرحمن بن الاشعث ومحمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن [1] وقال: لتكن قلوبكم قوية وآمالكم فسحة ونفوسكم شديدة فى مجاهدة عدوكم . ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار وقال : بلغني أنه خراب . وعرضت عليـه الرقاع بالحاجات فوقع بحطائط ونظر وصلات وتخفيف فى المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه . وسـير اقبالا غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبي جعفر الجمّال وضم اليه ألفى رجل وقال : اقيموا بحصن مهدى الى أن نكاتب اقبالا الحاجب بالمسير بهم الى البصرة . واتصل ذلك بابن يزداد فقامت قيامته .

وفي هذه السنة قلد محمد بن رائق أبا الحسين بحكم الشرطة بمدينة السلام [2] وقلد الحسين عمر بن محمد قضاء القضاة مع الاعمال التى اليه .

وأمر الغلمان الحجرية المستترين ببغداد فظهروا وصاروا اليه بالسلاح فعرضهم وامضى من جملتهم نحو ألفى رجل وانبتهم برزق مستأنف (٥٥٣) على ما رآه واسقط الباقين وأخرج من امضاه وقرر رزقهُ الى الجبل فلما صاروا بطريق

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة: متى أخذكم ضيم فصبر. وبايع أهل البصرة ابن الاشعث فى سنة ٨١ طبرى ٢ : ١٠٦٢ وأما ابرهيم قدم البصرة سنة ١٤٥ : طبرى ٣ : ٢٩٨ وليراجع قول أبي حنيفة فى خروجه على المنصور في ارشاد الاريب ١ : ٢٨٦ س ١٠

(٢) وزاد فيه : صاحب التكملة وأنزله في دار محمد بن خلف النيرماني على دجلة

خراسان أجمع رأيهم على المضي الى الاهواز فمضوا الى أبي عبد الله البريدي فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترثي لهم مما جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منـه ووعدهم الاحسان التامّ وأظهر للسلطان وابن رائق انه لم يكن به طاقة لما صاروا اليه أن يدفعهم وانه اضطرّ الى قبولهم وجعلهم حجة فى قطع ما كان ووُقف على حمـله واحتج بأنهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البـلد وغلب على الاهواز والبصرة . فصارت الدنيا فى أيدى المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكلّ من حصل فى يده بلد ملـكه ومنع ماله

فصارت واسـط والبصـرة والاهواز فى أيدى البريديين وفارس فى يد على بن بويه وكرمان فى يد أبى على ابن الياس واصبهان والرى والجبل فى يد أبى على الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى أيدى بنى حمدان ومصر والشام فى يد محمد بن طغج[1] والمغرب وافريقية فى يد أبى تميم والاندلس فى يد الاموى[2] وخراسان فى يد نصر بن

---

(١) قال أبو بكر الصولى في الاوراق: ما رأيت الراضي يقرظ أحداً تقريظه للامير أبي بكر محمـد بن طغج فانه كان يصفه ويرضى جميع ما هو عليه واذا جاء هدية من قبله استحسن جميعها وفرق علينا منها وكان يقول اذا ذكره : رجل كبير العقل حسن الطاعة يشبه اجلاء الموالي الماضين ما أدري بما أكافئـه . ثم أمر فكتبت عنه كتب بأنه قد سماه الاخشاذ (كذا) وأمر أن يسميه به جميع الناس . ولما جاءته هديته فى اخر أيامه التى كان فيها الخدم الذين يغنون ويرقصون قال . لقد خصني بما لم يملك مثله خليفة قط. وكان ربما قال بغير حضرة من لا يثق به : لو كان مثله عندي وكان جيشه لـكان هـذا الجيش فانه أشبه بجيش ابائي وأشد تمسكا بطاعتي (٢) هو الناصر لدين الله أبو المطرف عبـد الرحمن بن محمـد . وقال صاحب تاريخ الاسلام : ولا يتسم أحد بأمير المؤمنين من أجداده انما يخطب لهم بالامارة فقط فلما كان سنة ٣١٧ وبلغه ضعف الخلافة بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمي بأمير المؤمنين

أحمد واليمامة والبحرين وهجر فى يد أبى طاهر ابن أبى سعيد (٥٥٤) الجنّابى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم . ولم يبق فى يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق . ولما حصلت ديار مضر خاليةً قد خربت وضاق مالها عن كفاية السلطان خرج عنها بدر الخرشنى وكان يتولى الحرب بها وعاد الى الحضرة فلما خلت من صاحب معونةٍ قصدها على بن حمدان فغلب عليها . وزاد فى مرض أبى عبد الله الحسين بن على النوبختى ماراه من انتقاض كلّ ما كان نظمهُ وما تمّ عليه من الحيلة فآل أمرهُ الى السلّ . [١]

وفى هذه السنة انكشفت الوحشة بين محمد بن رائق وبين البريديين .

ذكر السبب فى ذلك

اتفق ان وافى أبو طاهر القرمطى الكوفة فدخلها فى شهر ربيع الآخر من سنة ٢٥ فخرج ابن رائق من بغداد ونزل فى بستان ابن أبى الشوارب بقنطرة الياسرية وانفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة الى أبى طاهر الهجرى وكان أبو طاهر يطالب بان يحمل اليه السلطان فى كل سنة مالا وطعاما بنحو مائة وعشرين الف دينار ليقيم فى بلده وبذل له ابن رائق بان يحمل ما التمسهُ رزقا لاصحابه على ان يكسر لهم السلطان جريدة [٣] وينفق فيهم ويدخلوا فى الطاعة ويستخدموا . وجرت خطوبٌ (٥٥٥) بينهما ومخاطباتٌ انصرف معها أبو طاهر الى بلده من حيث لم يتقرّر له أمرٌ مع ابن رائق . وبلغ ابن رائق الى قصر ابن هبيرة ثم عاد منها الى واسط وكاشف البريدى واستوزر أبا الفتح

---

(١) زاد هاهنا صاحب التكملة : وقبض أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفى على محمد بن يحيى بن شيرزاد وصادره على مائة وعشرين الف دينار (٣) وفى كتاب العيون : ويجعل لهم بذلك جريدة فى الديوان ويدخلوا الخ

الفضل بن جعفر بن الفرات .

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ظنّ ابن رائق انه اذا استوزر أبا الفتح جذب له الاموال من مصر والشام فقدم أبو الفتح من الشام [1] ولزم سليمن بن الحسن منزله . وكان حمل اليه الخلع قبل وصوله الى بغداد فوصلت اليه وهو بهيت فلبسها ثم دخل بغداد واقرّ أبا القاسم الكلواذى [2] على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن على النفّري وهو زوج أخته وكتب السلطان فى استيزاره أبا الفتح كتابا نفذ الى أصحاب الاطراف .

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدى به أهلَ البصرة قلق وتغير للكوفى واتّهمهُ وهمّ بالقبض عليه فحامى عنه أبو بكر ابن مقاتل ثم رأى انه يغالط ابن البريدى بكتاب اليه فقال للكوفى . انه بلغني ان صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فانه ربما وقع التزيد في مثله ولكن أكتب اليه . ان الذى أنكرته قبولك الحجرية فأما اذا رددتهم واما ان تطردهم (٥٥٦) وان استأذنوكَ فى ناحية يقصدونها فاضممْ اليهم من رأيتَ من قوّادك وانفذهم الى الجبل وهذا العسكر الذى أنفذتهُ الى حصن مهدى فانا أعلمُ انه لما اتصل ورود الهجرى الى الكوفة استظهرت بانفاذهِ ليعين من فيها عليه ان احتيج الى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفى مقامهم بالحصن مع الاستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وايجاد اعدائك سبيلا الى التضريب بيني وبينك . وبلغني انك قد كنتَ أنفذتَ أبا جعفر محمداً غلامك الى السوس

(١) كان قدم مصر في هذه السنة : كذا في كتاب الولاة للكندى ص ٢٨٧

(٢) قال صاحب التكملة : وفي سنة ٣٤٠ مات أبو القاسم الكلوذاني بعد الفقر

{ وكان قد أنفذه على الحقيقة) وأمرته ان يقصد الطيب ويقيم بها اشفاقا من أن يلحقني وهنٌ من القرامطة فان احتيج اليه لحماية واسط كان قريباً وانى لما وافيتُ كاتبتهُ بالانصراف فعاد الى الاهواز وهذا مشكورٌ فاعملْ فى أمر اقبال ومن أنفذته الى حصن مهدى كهذا العمل ثم أنا لك على الوفاء .

فكتب الكوفى بهذا كله فكان الجواب : ان جيشه القديم متشبثون بالحجرية لانهم أقاربهم وبين القوم وصلٌ ورحمٌ وبلديةٌ ولا يمكن إخراجهم جملةً واحدةً ولكنه على الايام يفرّق شملهم وان الاخبار تواترت بان القرمطى لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فانفذ(٥٥٧) هذا العسكر اشفاقا عليها وانهم قد حصلوا بها .

وكان البريدى ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط انفذ الى من بحصن مهدى بدخول البصرة فدخلوها بعد ان انفذ من الحجرية قطعةً وافرة لمعاضدتهم على دخولها . واخرج محمد بن يزداد مكان الصغدى وتكين وكانا تُركيين من شحنة البصرة لحربهم فوقعت بينهم وقعة فى نهر الامير انهزم بها الراقية ثم زاد محمد بن يزداد فى عدتهم بالاثبات وبغلمان نفسه فكانت الوقعة الثانية بكسرايان وبينها وبين الابلة فرسخٌ فانهزم الراقيةُ هزيمة ثانية ودخل اقبال وجيش البريدى البصرة . وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فانه فتح باب البصرة وهرب على طريق البرّ الى الكوفة وأما مكان وتكين ورجال الماء الراقية فانهم اهتدوا فى زبازبهم الى واسط .

وورد الخبر على ابن رائق بحصول اقبال غلام البريدى وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفي فى أيام متقاربة فانفذ رسولا الى البريدى برسالة

قسمها بين ارغاب وارهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه : انه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة لان أهلها قد أنسوا بهم واستوحشوا من قبيح [٥٥٨] ما عاملهم به ابن يزداد في أيامه لان القرمطي طامعٌ في البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالانصراف ان يدخل القرامطة الى البصرة ضرورة لئلا تعود المعاملة بين أهلها وبين ابن يزداد بعد ان كاشفوه.

وقد كان لعمري أهلُ البصرة في نهاية الاستيحاش من ابن رائق ومحمد بن يزداد فان محمد بن يزداد سار بهم سيرة سدُوم وظلمهم في معاملاتهم ظلماً مفرطاً وسامهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدي خيراً ثم رأوا منه ومن أخويه ماودّوا انهم أكلوا الحرشف والخرنوب وصبروا على محمد بن رائق ومحمد بن يزداد ومعاملته . ولما عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدرا الخرشني وأكرمهُ وخلع عليه خلعاً سلطانيّة وحملهُ . وترجح الرأى في تسيير الجيوش الى الاهواز والبصرة ثم استقرّ الرأى على ان يقلّد بجكم الاهواز بعد حديث لبجكم في ذلك مع ابن مقاتل سنذكرهُ فيما بعد ان شاء الله . وخلع عليه ابن رائق لذلك وسيرهُ وبدراً الخرشني الى الاهواز وضمّ اليه ابن أبي عدنان الراسبي [١] دليلا ومعيناً وانفذ حاجبه فاتكا وعبد العزيز الرائقي وأحمد بن نصر القشوري وبرغوثا وأمرهم ان يقيموا [٥٥٩] بالجامدة ويحصل جيش البريدي بين حلقتي البطائح فبادر بجكم ولم يتوقف على بدر الخرشني وتقدّ امامهُ فوصل الى السوس واخرج البريدي محمداً غلامهُ المعروف بأبي جعفر الجمّال في عشرة آلاف

---

(١) وليراجع ماقال في حق أبي عدنان ياقوت الحموى في معجم البلدان ٢ : ٦١٧ في مادة « دور الراسبى »

رجل بأتمّ آلة وأكمل سلاح للحرب فوقعت الحرب بظاهر السوس ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الاتراك فانهزم البريدية يوم نزول بدر بالطيب وقال بجكم : انما بادرتُ وحملتُ علي نفسي ما حملتُ ولاقيتُ هذه العدة العظيمة بهذه العدّة اليسيرة لئلا يشركني بدلٌ في الفتح .

وعاد ابو جعفر الجمّال الى أبي عبد الله البريدي فصفعهُ بخفّه وقال : انهزمتَ مع عشرة آلاف من بين يدى ثمانمائة غلام . فقال له : أنتَ ظننتَ انك تحارب ياقوتا المدبر وجيشهُ المدابير قد والله جاءك من لتّ بجكم والاتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولّدين . فقام اليه فلكمهُ بيده ثم قال له : قد انفذتُ أبا الخليل الديلمي ومن معى من العجم ومن كان تخلّف بالاهواز فى ثلاثة آلاف رجل الى تستر فانفذ الساعة مع من صحبك اليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب . فقال : افعلُ وسنعود اليك هذه الكرّة بأخزى من الكرّة الاولى لان (٥٦٠) هيبة بجكم قد تمكنت فى نفوس أهل العسكر . ونفذ للوقت فى ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم الى نهر تستر فطرح نفسهُ وغلمانهُ أنفسهم فى الماء للعبور سباحة وكان الماء قليلا فانهزم القوم بغير حرب وعادوا الى ابى عبد الله . فخرج فى الوقت مع أخويه وجلسوا فى طيّار ومعهم حديديّ فيه ثلاثمائة الف دينار كانت لهم فى خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرق الطيّار وأخرجهم الغوّاصون واخرج لبجكم بعضُ المال . فقال أبو عبد الله : ما نجونا والله من الغرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريدها الله بهذه الدنيا . فقال له أبو يوسف : ويحك ما تدعُ التنادُر فى هذه الحال ! ثم وافوا البصرة ودخل بجكم الاهواز وكتب الى ابن رائق بالفتح .

ولما وصل أبو عبدالله الى الابلة ومعه أخواه أنفذ اقبالا غلامه الى مطارا وأقام هو وأخواه فى طياراتهم وأعدوا ثلاثة مراكب للهرب منها الى عمان ان اتفق على اقبال بعطارا من الهزيمة مثل ما تم على أبي جعفر بالسوس. واخرج أبو عبد الله البريدى أبا الحسين ابن عبد السلام لمعاضدة اقبال فانهزم الرائقية وأسر برغوث وحمل به الى البريدى فأطلقه وكتب الى ابن رائق كتاباً يستعطفه (٥٦١) فيه وأنفذه اليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة الى الدور فنزلوها وسكنوا واطمأنوا ولم يمكن بجكم أن يسير من الاهواز لخلو الاهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فانصرف الى واسط وملك بجكم الاهواز.

ولما عرف ابن رائق ماجرى على رجاله فى الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد الرائقى الى المذار على الظهر لمحاربة البريدى واخراج أصحابه وسير بدرا الخرشني الى البصرة فى الماء فى شذاآت مقيرة بناها بواسط فانهزم الرائقية من المذار وأسر أبو العباس ابن خاقان ورجع جوامرد الى واسط وأحسن البريدى الى ابن خاقان واستحلفه الا يعود لمحاربته ولا يشايع عليه وأطلقه. واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط الى البصرة على الظهر وكتب الى بجكم أن يلحق به الى عسكر أبي جعفر فاتفق ان سار بدر الخرشني فى الماء الى نهر عمر ووافى الى البصرة وملك شاطىء الكلا وحصل اقبال غلام البريدي فى حدود واسط لما عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فرد فاتكا حاجبه الى واسط ليحفظها

ولما ملك بدر الخرشني الكلا هرب أبو عبد الله البريدى للوقت الى جزيرة أوال وخرج من كان بالبصرة من الجند لمنعهم (٥٦٢) بدر وانضاف

اليهم عالم عظيم من العامة فاضطر بدر الى الافراج عن شاطيء الكلاّ وحصل بالجزيرة التي بازائه واستتر أبو يوسف البريدى وركب أخوه أبو الحسين بمحضَ الجند والعامة ووافى بجكم الى ابن رائق وهو فى عسكر أبي جعفر يوم ورود بدر الكلا ولما كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر ديبس وتبعهما احمد بن نصر القشوري فرمي بالحجارة وغرق زبزبه واجتمع بدر وابن رائق وبجكم فى الجزيرة [1] فشاهدوا أمراً عظيما وخطبا جليلا من العامة وتكاثرهم عليهم فقال بجكم لابن رائق: ما الذى عملت بهؤلاء القوم حتى قد احوجتهم الى ما خرجوا اليه؟ فقال: لا والله ما أدرى وانصرف بجكم وابن رائق الى عسكر أبي جعفر ولما جنّ الليل وجاء المد انصرف بدر اليهما. وبلغ اقبالا خبر بدر فى نفوذه فى الماء الى البصرة من الجامدةّ ومخالفته اياه الطريق فكرّ راجعا ووافى فى اليوم الثانى وقت العصر الى شاطيء الكلاّ ونفذ الى شاطيء الابلة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الابلّة وصارت الحرب فى دجلة وطالت المنازلة

ونفذ أبو عبد الله البريدى من جزيرة أوال الى فارس واستجار بعلى ابن بويه فأنفذ معه (٦٦٣) أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الاهواز وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فتقدم ابن رائق الى بجكم بالمبادرة

(١) قال أبو بكر الصولى فى الاوراق: ورد الخبر بوقعة كانت لابن رائق على دجلة البصرة ودخل نهر معقل ووافى البصرة فعجل ببعض أصحابه فطرح حريقاً فى جزيرة جبال البصرة وكان يبلغ أهل البصرة أنه يريد قتلهم واحراق بلدهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده. فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رائق وافلت هو وبجكم من أن يؤخذا ورجع الى دجلة البصرة فعسكر بموضع يعرف بعسكر أبي جعفر فهو معقل. فلما طال الامر عليه صاعد أبي واسط

الى الاهواز لحمايتها فقال بجكم : لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الاهوار الا بعـد ان تحصل لى أمارتها حربا وخراجا وأنت تعلم انى ما صبرت لابى العباس الخصيبي لما قلدته الاهواز حتى صرفته اصبر لعلى بن خلف بن طناب أن يتحكم في بلد أحارب عنه ؟ (وكان على بن خلف بالاهواز من قبل الوزير أبى الفتح) فضمن ابن رائق بجكم الاهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة في السنة على أن يوفي رجاله مالهم ويستوفى مايخصه وغلمانه وأقطعه اقطاعا بخمسين ألف دينار . ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم الى الاهواز انصرف ابن رائق أيضا من عسكر أبى جعفر ومضى الى الاهواز وأحرق مابقى من سواده لاتفاق سيىء اتفق عليه

﴿ ذكر اتفاق سيىء اتفق على ابن رائق حتى انهزم ﴾
﴿الى الاهواز وأحرق سواده ﴾

كان طاهر الجيلي وافى الى واسط مستأمناً الى ابن رائق فلم يجده بها وقصدَهُ الى عسكر أبى جعفر فتلقاهُ في طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما في يد ابن البريدى لان أبا عبد الله كان(٥٦٤) بفارس فقبل ابنه وجمع بينه وبين الجارية فعبر بالليل فى مائتى رجل . وزعق بابن رائق وبدر الخرشنى ووازرَهُ جميع أصحاب البريدي من عسكر الماء فاما بدر فانه انهزم الى واسط وأما ابن رائق فانه مضى الى الاهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل وأقام أياما حتى وافاه من واسط فاتك غلامه ثم سار اليها وخلف بجكم بالاهواز

وأما حديث بجكم مع ابن رائق الذى وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن سنان عن والده سنان

﴿ ذكر حكاية عن بجكم تدل على حصافة وبعد غور وكبر همة ﴾

قال ثابت : حدثني والدي ان بجكم قال له بعد ان ملك الحضرة وازال أمر ابن رائق في عرض حديث جرى بينهما : سبيل الملك اذا حزبهُ أمرٌ من الامور ان يكون جميع ما يملك من مال وغيره أقل في عينه من التراب وان يحذف جميعه كما حذفتُ هذه الحصاة فيما يقدر به زوالُ ماقد أظلهُ فان دولته اذا ثبتت أمكنهُ ان يستخلف اضعاف ماخرج عن يده وان هو بخلَ وشحّت نفسُهُ وتهيّب إخراج مافي يده ذهبَ مابخل به وذهبت معه نفسه. اذكُر وقد قلّدني ابن رائق الاهواز ولم يكن ما فعلهُ من ذلك برأي أبي بكر ابن (٥٦٥) مقاتل ولا شاوره فيه فلما بلغ ابن مقاتل الخبر شق عليه ذلك جداً وبادر الى ابن رائق وقال له : أيَّ شيءٍ عملتَ قـد عزمت على ان تقلِّد بجكم الاهواز ؟ قال ابن رائق : نعم . قال : قـد أخطأتَ على نفسك نهـاية الخطأ أنتَ لاتقوى ببني البريدي وهم كتّابٌ أصحاب دراريع ولا يمكنك صرفهم ولاانتزاع المال(١) من أيديهم تقلّد رجلا تركيا صاحب سيف ! انما يصحبك قريباً مثـل الاهواز ماهو الاّ ان تحصل الاهواز في يده ويرى جلالتها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدّثه نفسه بالتغلّب عليها ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع في غيرها وتنازعهُ نفسه الى ان ينازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازعٌ عليه وأنتَ الساعة على طمع في ان تنتزع البلد من يد البريدي فان قلّدتهُ بجكم فاحسمْ طمعكَ عنها وأخرجها من قلبكَ واصرف همتـك الى حفظ غيرها وليته ينحفظ ! واحفظ مهجتك فقد عرّضتها للتلف. فقدأ رأى

(١) لعله « الملك »

ابن رائق وصرفهُ عما عزم عليه فى أمرى ولعمرى لقد صدقهُ ونصحهُ وأشار بالرأى الصحيح (٥٦٦)

وبلغنى ماجرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيتُ انه يفوتنى ماحدّثتُ نفسى به من الملك فقلقتُ وشاورتُ محمد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى فأخذ يسلّيني ويقول لى : أنت فى نعمة وراحة ومحلك من هذا الملك محلّ الاخ. فقلتُ له : أنتَ أحمقُ امض حتى تمدّ سميريّةً فى هذه الليلة المقبلة . وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمتُ انه تاجر عامّى صغير النفس وان الدرهم ليعظم في نفوس أمثاله فلما كان الليل ونام الناس حملتُ معي عشرة آلاف دينار ونزلت الى السميريّة وأخذت معى محمد بن ينال وحدهُ ولم آخذ[1] غلاماً وصرتُ الى بابه فوجدتهُ مغلقاً ودققتُ فخاطبنى بوّابهُ من وراء الباب واعلمنى ان الرجل نائمٌ وان الابواب بيني وبينه مغلقة فقلت له : دُقّ الباب وانبههُ فانى حضرت فى مهمّ . ففعل ودخلتُ اليه وقد انزعج عن فراشه لحضورى فى مثل ذلك الوقت فقال : ما الخبر ؟ فقلتُ : خيرٌ وأمرٌ أردتُ ان القيه اليك على خلوة فانتظرتُ نوم الناس وخلوّ الطريق ولم آخذ معى غير الترجمان ولولا أنى أردتهُ ليترجم بينى وبينك لما أحضرته ولا أطلعتُه على ما أخاطبك به . (قال) فقال : قل ماتحبّ . قلتُ : قد علمت ما كان عزم عليه الامير (٥٦٧) فى بابى من تقليدى الاهواز وبلغنى انه توقف عن ذلك ولستُ أعرفُ سبب توقّفه وفى إبطاله ماعزم عليه بطلان جاهى بعد اشتهاره وغضّ منى ولايشك أحدٌ انه لسوء رأى. وأنا صنيعتك وصنيعته وغرسكما وان لم أحظ فى أيّامكما فتى أحظى وأىّ مقدلو يكون لى

---

[1] فى الاصل «أجد»

عند الناس ؟ وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها الى خزانتك وأنا أعلم انه
يقبل منك وأريد ان تشير عليه بامضاء ما كان عزم عليه . فلما رأى الدنانير
تخربق وقال : دعنى وانصرف فى حفظ الله . فتركت الدنانير بحضرته
وانصرفت وأنا واثق بحصول الاهواز لى فلما كان بعد ثلاثة أيام صار ابن
مقاتل الى ابن رائق فقال له : اشرتُ بذلك الرأى على الماجس وظاهر النظر
فلما تأملت الحال وجدتُ الصواب معك لانك ان تركتَ الاهواز فى يد
ابن البريدى واخوته بعد ما حصل لهم من الاموال ازداد كلّ يوم قوّة
وطمعاً ومدّوا أيديهم الى غيرها من أعمالك وبلدانك ودبّ فسادهم الى
عسكرك بكثرة ما يبذل ويعطى ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك
هذا وان خرجت اليهم بنفسك فهى حرب ولا تدرى كيف تكون فان
كانت عليك لم تشدّ منها حزاما أبداً . وان وجهت (٥٦٨) بغير بجكم استضعف
وغلب وكسر ذلك قلوب أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطمعون
فى مقاومته أصلحُ فان حصل له البلد استأصل شافتهم ثم أنت مالك أمرك
ان شئتَ أقررته وان شئتَ صرفته قبل ان يتمكن وقبل ان يجتمع أمره
ويحدث نفسه بشئ تكرهه فاستخر الله وامض أمرَهُ . فقبل رأيه وامضى
أمرى وقلدنى ولم استقل ولاية الاهواز بذلك المال . وباع ابن مقاتل
روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت انا مكانَ الدنانير
اضعافها وحصل لى ملك ابن رائق .

﴿ شرح حال أبى الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدى ﴾
﴿ فى تصدمهم الاهواز لمحاربة بجكم وذلك فى سنة ٣٢٦ ﴾

(ودخلت سنة ست وعشرين وثلثمائة)

قد ذكرنا حال أبي عبد الله البريدى وقصده على بن بويه وانه تقدم الى أخيه أحمد بن بويه بالمسير الى الاهواز معه. وخلف أبو عبدالله البريدى عند على بن بويه ابنيه أبا الحسن محمد وأبا جعفر الفياض رهينة وسار مع الامير أبي الحسين أحمد بن بويه الى الاهواز. وورد الخبر على بجكم بنزول أحمد بن بويه ارجان فخرج بجكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد (٥٦٩) الاسباب فى هزيمته ان المطر اتصل أياما كثيرة فعطلت القسى ومنع ذلك الاتراك ان يرموهم بالنشاب فعاد بجكم وأقام بالاهواز. وقطع قنطرة اربق وانفذ محمد بن ينال الترجمان الى عسكر مكرم ووقعت المنازلة بينه [1] وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً. ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة فى سميرية الى مشرعة يعرف بمشرعة الحاس (كذا) فهزموا من كان رتب فيها وما زال يعبر قوم بعد قوم حتى حصل ثلثمائة رجل فى الجانب الغربى ثم ضربوا بالبوق واشتلموا فانهزم الترجمان وأخذ الى تستر. وبلغ الخبر بجكم فعبر دجلة الاهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا السوسى وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره الى واسط

ولما حصل بالطيب كتب الى ابن رائق بالخبر وانه قد حرب هو ورجاله فلم يبق لهم حال وان الرجال سيطاولونه وان كان عنده مائتا الف دينار ينفقها فيهم فانهم فقراء فالوجه ان يقيم وان كانت متعذرة فالصواب ان يصمد الى بغداد فانه لا يأمن ان يقع شغب ولا يدرى عن أى شيء ينكشف.

---

(١) فالواضح انه « بين معز الدولة أحمد بن بويه » كما فى التكملة

فرهب ابن رائق هذه الحال وبادر وخرج الى (٥٧٠) بغداد بعسكره ودخل بجكم وأصحابه واسطا وأقاموا بها . واعتقل الاهوازيين وطالبهم بخمسين الف دينار فقال أبو زكريا يحيي بن سعيد : أردت ان أسبر ما فى نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له : أيها الامير أنتَ مطالب بملك ومرشح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوما منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال فى بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حتى جعل فى امسناطشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهبذ أولا تعلم ان هذا اذا سمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من لا يعرفك ولا سمع بخبرك فضلا عمن تحقق فعلك هذا أوَ ما تذكر انكارك على الامير ابن رائق بالامس إيحاشه أهل البصرة وعوامَّ بغداد اضعافهم؟ وقد حملت نفسك فى أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل وهذه بغداد ودار الخلافة لا الريّ واصبهان ولا تحتمل هذه الاخلاق . فلما سمع ذلك انحلّ وأمر بحلّ (١) القيود وازال المطالبة ثم شفع ابن رائق وابن مقاتل والكوفى فى يحيي بن سعيد السوسى فاطلقه واختصَّهُ لعقله ولما تبينه من نفاقه على كل أحدٍ وشفّع يحيي بن سعيد فى الباقين وكفّل بهم فاطلقهم .

ولما عرف على بن بويه حصول (٥٧١) طاهر الجيلى بالبصرة وفى نفسه عليه ما كان عامله به بارّجان كتب الى أخيه أبي الحسين ان يطالب أبا عبد الله البريدى به ويقبض عليه ففعل ذلك وانفذ الى فارس . ولما انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه الى غربى عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدى حتى عقد الجسر الاعلى بها وعبر بباقى رجالهِ من غد . وعاد اليه جواسيسه من سوق الاهواز وعرّفوه انه لم يبق بها أحدٌ ونزل

(١) الكلمتان « وأمر بحل » زدناهما من التكملة

البريدى داراً على شاطىء نهر المسرقان ووافاهُ أهل الاهواز باجمهم مهنئين وداعين . وكان يحمّ الربع وفيمن حضرهُ يوحنا الطبيب وكان متقدّماً فى صناعته فقال له أبو عبد الله البريدى : اما ترى يا أبا زكريا حالى ؟ فقال له : خلّط (يعنى فى المأكول) لترى بالأخلاط . فقال له : أكثر مما خلطتُ يا أبا زكريا قد أرجحتُ مابين فارس والحضره فان اقنعك ذلك والاّ ملت الى الجانب الآخر وارجحتُ الى خراسان .

ولما كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه الى الاهواز وخلف بعسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه فى الماء الى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعتب كثير وتصرف(٥٧٢) فى ضروب من القول اقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فانه كان سلم الى أبى على العارض ضمانات وخطوطاً فصح فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصح منها الى يوم هربه صدر كثير

ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طولب باحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم الى اصبهان لمضامة الامير أبى على الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة آلاف رجل وقال للامير أبى الحسن أحمد بن بويه : ان أقاموا بالاهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم والرأى أن يخرجوا الى السوس مع محمد المعروف بالجمال حاجبى وأسبب بعالهم عليها وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان الى اصبهان . فأجابه الى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء الى حصن مهدى حتى يشاهدهم فاذا عاينهم سيرهم فى الماء الى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس اليها . فاستوحش

البريدى من ذلك استيحاشاً شديداً وظن أنه انما يريد أن يفرق بينه وبين عسكره وقال : هكذا عملت بياقوت فانى أخذت رجاله ثم أهلكته فلولم أتملم الا من قسى لكفانى استبصاري والله المستعان [٥٧٣]. وكان الديلم أيضاً يستخفون به ويشتمونه اذا ركب ويزعجونه من فراشه وهو محموم وتلقى منهم ما لم تجر عادته بمثله . وكانت الكرامة متوفرة عليه من الامير أبى الحسين ومن أبي على العارض [١] فاما الباقون فكانوا يهينونه اهانة عظيمة.

ولما أراد الهرب قدم كتابه فى صبيحة الليلة التى خرج فيها وعرف أبا جعفر الجمال غلامه ما عزم عليه وأمره أن يسير الى الباسيان ومنها الى نهر تيرى ثم الى الباذاورد والبصرة وتم ذلك على ما نظمه وحصل جيشه بالبصرة موفورين . واتصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه فى الافراج عن قصبة الاهواز حتى يردها ويقوم بما عقده للامير على بن بويه على نفسه من ضمان الاهواز والبصرة وهى ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة خراجية ولا شفاق الامير أحمد بن بويه من أنكار أخيه على بن بويه هرب البريدي استجاب الي حكمه . وانتقل الى عسكر مكرم وأقام بها فى ظاهر داراباز وكتب الى البريدي كتاباً انه قد أخلى الاهواز فانتقل البريدي من الباسيان الي بناباذر وأنفذ الى سوق الاهواز من يخلفه بها . وكتب الى الامير ان نفسه لا تسكن الى ان تقيم فى بلد على ثمانية فراسخ منه لانه لا يأمن [٥٧٤] كبسه ليلا وسامه أن ينتقل الى السوس فتبعد الدار بينهما فترسل فى ذلك القاضى أبو القاسم التنوخي وأبو على العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين ألف دينار اليه لينهضه فرد غلامى هذين الرسولين مع

(١) زاد صاحب التكملة : وكان يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا .

غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأ ه يوفيه تتمة الثلاثين الالف الدينار بالسوس. فاجتمع دلان وكان كاتب جيش الامير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمري وكان تابعاً لدلان وأبو الحسن المافروخي وكان يتولي عسكر مكرم للامير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له فقالوا للامير أبي الحسين: قد سلك معك البريدى طرقه مع ياقوت وأخذ يبعدك الى السوس ويضايقك حتي يفل الرجال عنك ثم يأخذ المابر الى نفسه وبين الاهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة ويحتال فى تحصيلك ان استوى له .فاقشعر الامير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال : هى على سمت الطريق الى فارس ولستُ أبعدُ عن الامير الكبير هذا البعد حتى يقطع بيني وبينه دجلة أولا ثم المسرقان . وعرف البريدى ذلك فنع العارض والتنوخي من الرجوع (٥٧٥) واستحكمت الوحشة .

واتصل ذلك ببجكم فأنفذ قائدا من قوّاده يقال له بالبا فى ألفى رجل من الاكراد والاعراب والحشر والاثبات والمولّدين الى السوس وجنديسابور للغلبة عليها وكاتبا يعرف بالفيّاضي . وأقام البريدى بيناتاذر غالباً على أسافل الاهواز وتغلب المخلدية على تستر وبقى الامير أحمد بن بويه لايملك من كور الاهواز الا عسكر مكرم قصبها دون ما سواها فان أبا محمد المهلبي[1] (وكان فى هذا الوقت وكيل أبي زكريا السوسي) قطع المابر وغلب على الحيدية والسكول وقتل عاملا كان هناك بيد الاعراب والرّجالة الذين أثبتهم . فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جدا واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع الى فارس فعاضده أسفهدوست وموسى

---

(١) هو الوزير وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

فياذة حتى تلافوهم وردوهم وضمنوا لهم أن يرضوهم بعد شهر. وكتب أحمد ابن بويه الى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان حماله عظيم المحل من أهل البأس والنجدة ثقة عنده يعرف ببُلّ فى ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة الف [درهم] ووافى معه كوردفير لان الامير أبا الحسين استدعاه لانه كان وزيره بكرمان (٥٧٦) فلما حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه. وأبو على العارض معتقل ببناتاذر فى يد البريدى وأتهمه بمطابقة البريدى على جميع ماعمله أولا وآخرا وكان الامير مبغضا له وانما ضمه اليه أخوه الامير على بن بويه لانه كان شاهده وزيرا لما كان الديلمى وكان كبيراً فى نفسه وكان بجكم مملوكا له فطلبه منه ما كان فأهداه اليه

وتقرر الرأى أن ينفذ بُلّ الى السوس فى خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمرى عاملا عليها وينفذ موسى فياذة الى بناتاذر فى ثلثمائة رجل فهرب باليا لما سمع خبر بُل وهرب البريدى الى البصرة. وسار موسى فياذة الى حصن مهدى فلكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الاسافل وراءه ودخل الامير سوق الاهواز فنزل دار أبى عبد الله البريدى وانتظمت له الامور. وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقر بجكم بواسط ينازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها (١)

ولما رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الامور بالحضرة وما تؤذن به أحوالها أطمعَ ابنَ رائق فى ان يحمل اليه الاموال من مصر والشام وعدّهُ بها (٥٧٧) وعرّفهُ ان ذلك لايتمّ له مع بعده عنها ووافقهُ على الشخوص

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وهو الذى وضع الماصير (المآصر) ببغداد وما كانت سمعت بالضرائب من قبله. وأما المآصر فليراجع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٨٥

وعقد بينه وبينه صهراً بان زوّج ابنهُ أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طغج صهراً [1] وخرج مبادراً الى الشام على طريق الفرات .

وقلّد أبو بكر ابن رائق عليّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بكور الاهواز وواقفهُ على النفوذ الى عمله وان يبتدىء بابى الحسين بجكم ويلطف له حتى ينفذ معه لمحاربة الامير أبى الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الاهواز وان يوافقه على ان يكون عدّتهُ خمسة آلاف رجل على ان يكون ماله ومال رجاله ان أقام بواسط ولم ينفذ الى الاهواز ثمانمائة الف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وان نفذ الى الاهواز وفتحها الف الف وثلثمائة الف دينار فى السنة يأخذها من مال الاهواز .

ولما وصل على بن خلف الى واسط ولقى بجكم رأى بجكم ان يستكتبه ورأى على بن خلف ان يكتب له نخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع مالها

وسفر أبو جعفر محمد بن يحيي بن شيرزاد فى الصلح بين ابن رائق وبنى البريدى فتمّ ذلك وأخذ ابن رائق خطّ الراضى بالله للبريديين بالرضا عنهم (٥٧٨) وقطعت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجتهدوا فى فتح الاهواز وضمنوا حمل ثلاثين الف دينار وأطلقت ضياعهم وكتب عن الراضى فى هذا المعنى كتابٌ . وورد الخبر بمسير جيش البريدى الى واسط فخرج اليه بجكم وأوقع بناحية الدرمكان به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداذ في داره للتهنئة بذلك وأقام بجكم بموضعه مدّةً ثم بالمدار مدّة ثم عاد

(١) وفي تاريخ الاسلام ان زوج مزاحم بن محمد بن رائق بنت محمد بن طغج وأما خروج أبي الفضل الى مصر فليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨٧

الى واسط . وكانت نيّة بجكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالحضرة [1] فانفذ ثانى يوم الهزيمة على بن يعقوب كاتب الترجمان المتولى كان للعرض عليه الى البريدى يعتذر اليه مما جرى ويقول : أنتَ بدأتَ بمراسلة ابن رائق وتعرّضتَ لى وهذه كرّتك الثانية فانك حملتَ الديلم الى الاهواز واعقبتَ ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلتَ له مضافرته علىّ وقد عفوتُ وأنا أعاقدك وأعاهدك على ان أقلدك واسطاً اذا ملكتُ الحضرة . وجرى فى أثناء ذلك قول فى المصاهرة قال على بن يعقوب : فرأيتُ أباعبد الله البريدى وقد سجد شكراً لله تعالى لبجكم على ما ابتدأه به ثم استجاب لكل ماأرادهُ منه ولما سمتهُ اياه (٥٧٩) واحضر القاضيين أبا القاسم التنوخى وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتهما واشهدعلى نفسه فى خطّ كتبه بالوفاء بجميع ماعقدته معه وبرّنى بثلاثة آلاف دينار وقال لى «سأحمل اليه والاطفهُ حتى يعلم انى أصلح لخدمته» وعدتُ الى بجكم وخبرته بماجرى فقال لى : يا أبا القاسم كلُوتهُ [2] على رأسه ؟ فقلتُ : أيها الامير ما معنى هذا وكيف سألتنى عنها ؟ فقال لى . إنى كنت رأيتها فعرّفنى . قلتُ : نعم قد رأيتها . فقال : ياأبا القاسم هي على رأس شيطان لا على رأس بشر . فقلت : أيها الامير أنتَ مارأيتهُ فكيف قلتَ هذا ؟ قال : بلى رأيتهُ يوم وقعتنا بارّجان وقد تعمّم على كلُوته وعزمت على ان افوّت اليه سهماً فقطن

---

(١) قال صاحب التكملة : فجزع بجكم لهذا الصلح (يعنى بين ابن رائق وبين البريدى) وأشار عليه يحيى بن سعيد السوسى بحرب البريدى . فانفذ اليه البريدى أبا جعفر الجمال فالتقيا بشابرزان فانهزم الجمال . وانفذ يعاتب البريدى ويقول له الخ

(٢) وهو نوع من الازرة

لما أردته وانما لمح طرفى من بعيد فنزع تلك العمامة والكلوتة وجعلها على رأس غيره وتنحى هو وأقامه مقامه فقلت « ذلك المسكين بلا ذنب » وافات هو لعنه الله فانه كاذب فى جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا الى قبوله. وانصرف بجكم الى واسط وأخذ فى التدبير على ابن رائق

﴿ وفى هذه السنة قطعت يد أبى على ابن مقلة ثم لسانه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك (٥٨٠) ﴾

كان ابن رائق لما صار اليه تدبير المملكة قبض ضياع أبى على ابن مقلة وابنه. فلما صار الى الحضرة لقيه أبو على ابن مقلة ولقى أبا عبد الله الحسين ابن على النوبختى [1] ثم بعده أبا عبد الله الكوفى وأبا بكر ابن مقاتل فاستحيوا منه وتذلل للجماعة وسأل رد الضيعة المقبوضة عليه فوعد بذلك ومطل مطلا متصلا. فلما رأى أبو على المطل متصلا والوفاء لا يصح أخذ فى السعى على ابن رائق من كل جهة فكتب الى بجكم يطمعه فى الحضرة وفى موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك الى وشمكير بالرى. وكتب الى الراضى بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن انه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف الف دينار ويصححها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن رائق فانه أكثر طاعة وكانت مكاتبته للراضى على يد على بن هرون ابن المنجم النديم [2]. فاطمعه الراضى فى ذلك فكتب ابن مقلة الى بجكم يعرفه ان الراضى قد استجاب الى أمره وان الامر تام ويستحثه على التعجل. فلما توثق ابن مقلة عند نفسه من الراضى وافقه على ان ينحدر اليه سرا ويقيم

---

(١) قال صاحب التكملة انه توفى فى سنة ٣٢٦ بعلة السل

(٢) وردت ترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٤٤٠

عنده الى ان يتمّ التدبير على ابن رائق . فركب من داره فى سوق العطش فى (٥٨١) سميرية وعليه طيلسان وخفّ وصار الى الازج بباب البستان وركب السميرية ليلة الاثنين لليلة تبقى من شهر رمضان وانّما تعمّد تلك الليلة لانّ القمر تحت الشعاع وهو يختار للامور المستورة . فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضى اليه واعتقله فى حجرة ووجّه من غد بابن سنجلا الى ابن رائق واخبرهُ بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله عنده وما زال المراسلات تتردّد بين الراضى وبين أبى بكر ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لاربع عشرة خلت من شوال أظهر الراضى بالله أمر ابن مقلة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القوّاد فقطعت يده اليمنى ورُدّ الى محبسه وانصرف فاتك الى ابن رائق فاخبره بمشاهد من قطع يد ابن مقلة

قال ثابت : فلما كان فى آخر هذا اليوم استدعانى الراضى وأمرنى بالدخول اليه وعلاجه فصرتُ اليه فوجدتهُ فى حجرة مقفّلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلتُ فرأيته بحال صعبة فدمعت عينه حين رآنى ووجدت ساعده قد ورمَ ورماً عظيما وعلى موضع القطع خرقة غليظة كردوانى كحلية مشدودة بخيط قنب فحللتُ (٥٨٢) الشدّ ونحيتُ الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدوابّ فنفضته عنه واذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص فى ذراعه لشدّة الورم وابتدأ ساعده يسود . فعرّفته ان سبيل الخيط ان يحلّ ويجعل موضع السرجين كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور قال : فافعل . فقال الخادم الذى دخل معى : حتى استأذن مولانا . ومضى يستأذن ثم خرج ومعه مخزنة كافور وقال لى : قد أذن مولانا ان

تعمل ما ترى وان ترفق به وتقدم العناية به وتلزمه الى ان يهب الله عافيته. فحللتُ الخيط وفرّغت المخزنة فى موضع القطع وطليتُ ساعدَهُ فعاش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشيء يسير من فروّج ثم حلف انه ليس يسوغ له شيء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت اليه نفسه وانصرفتُ . ثم تردّدتُ اليه أياما كثيرة الى ان عوفى وكنتُ اذا دخلتُ اليه يسئلنى عن خبر ابنه أبي الحسين فاعرّفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح ويبكي على يده ويقول : قد خدمتُ بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبتُ بها القرآن [٥٨٣] دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ! أتذكرُ وأنت تقول لى « أنت فى اخر نكبة وان الفرج قريب » فقلت : بلى والآن ينبغى ان تتوقع الفرج فانه قد عمل بك ما لم يعمل بنظير لك وهذا انتهاء المكروه وما بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال: لا تفعل فان المحنة قد تشبثت بي كما تشبثت حُمّى الدق بالاعضاء فلا تفارقنى حتى تؤدّينى الى الموت : ثم تمثّل بهذا البيت :

اذا ما مات بعضك فابكِ بعضاً * فبعض الشيء من بعض قريب

فكان الامر على ما قال . [١]

---

(١) وروي غير هذا الحافظ الذهبي فى ترجمة ابن مقلة في تاريخ الاسلام قال : وعن الحسن بن على بن مقلة قال : كان أمر أخيه قد استقام مع الراضى وابن رائق وأمرا برد ضياعه وكان الكوفى يكتب لابن رائق وكان خادم لابى على قديما وكان ابن مقاتل مستوليا على أمر ابن رائق وأبو على يراه بصورته الاولى . وكانا يكرهان ان يردّ ضياع أبي على ويدافعانه وكان الكوفي يريد من أبي على ان يخضع له وأبو على يحامق فكنا نشير عليه بالمداراة وهو يقول : والله لافعلت ومن هذا الكلب أوضعنى الزمان هكذا بمرّه . فاتفق انهما أتياه يوما فما قام لهما ولا احترمهما وشرع يخاطبهما بادلال زائد ثم أخذ يتهدد ويتوعد كانه فى وزارته . فكان ذلك سبباً في قطع يده وسجنه

ومن عجائبه انه كان يُراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده ويطمعه في المال ويشير بأن يستوزره ويقول ان قطع يده ليس مما يمنع من استيزاره

وقال محمد بن جنى صاحب أبي على قال : كنت معه في الليلة التي عزم فيها على الاجتماع بالراضي بالله وعنده انه يريد ان يستوزره (قال) فلبس ثيابه وجاؤه بعمامة وقد كان اختاروا له طالعاً ليمضي فيه الى الدار فلما تعمم استطولها خوفا من فوات وقت اختيار المنجمين له فقطعها بيده وغرزها فتطيرت من ذلك عليه . ثم انحدرنا الى ذكي الحاجب ليلا فصعدت اليه واستأذنت له فقال : قل له « أنت تعلم أني صنيعتك وانك استحجبتني لمولاى ومن حقوقك ان أنصحك قل له انصرف ولا تدخل » فصدت فاخبرته فاضطرب وقال لابن غيث النصراني وكان معه في السميرية : ماترى ؟ فقال له : ياسيدي ذكي عاقل وهو لك صنيعة وما قال هذا الاَّ وقد أحس بشئ فارجع . فسكت ثم قال : هذا محال وهذه عصبية منه لابن رائق وهذه رقاع الخليفة عندى بخطه يحلف لى فيها بالايمان الغليظة كيف يخفرني؟ ارجع فقل له « يستأذن » فرجعت فاعلمته فحرك رأسه وقال : ويحك يتهمني قل له « والله لااستأذنت لك أبدا ولا كان هذا الامر بمعاونتي عليك » فجئت فحدثته فقام في نفسه ان هذا عصبية من ذكي لابن رائق فقال : لو عدلنا الى باب المطبخ . فعدلنا اليه فقال : اصعد فاستدع لى فلانا الخادم . فاتيته فصدا مسرعا يستأذن له فجئته فاخبرته فقال: ارجع وقف في موضعك لئلا يخرج فلا يجدك . فرجعت فخرج الى وجاء معي الى السميرية وسلم عليه ولم يقبل يده فقال : قم يا سيدى . فانكر ذلك ابن مقلة وقال لى سرًّا : ويحك ما هذا ؟ قلت: ماقال لك ذكي . قال : فما نعمل ؟ قلت : فات الرأي . فاخذ يقرِّر الدعاء والاستخارة وقال : ان طلعت الشمس ولم تروا لي خبرا فانجوا بأنفسكم . (قال) فمضي وغلق الخادم الباب علينا استربت به ووقفنا الى ان كادت الشمس أن تطلع فقلنا : في أى شئ وقوفنا ؟ والله لاخرج الرجل أبداً . فانصرفنا وكان آخر العهد به . فلما بلغنا منازلنا قيل « قد قبض على ابن مقلة فقطعت يده من يومه بحضرة الملا من الناس .

وقال ابراهيم بن الحسن الديناري : سمعت الحسين بن الوزير ابن مقلة يحدث ان الراضي بالله قطع لسان أبيه قبل موته فقتله بالجوع قال : وكان سبب ذلك ان الراضي قدَّم على قطع يده واستدعاه من حبسه واعتذر اليه وكان بعد ذلك يشاوره في الامر

لانه يمكنه ان يحتال ويكتب . وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضييق عليه فيقال انه كان يشد القلم على ساعده الايمن ويكتب به .

بعد الامر ويصل برأيه ويخلو به ورفهه في محبسه ونادمه سراً على النبيذ وأنس به ونبل في نفسه وزاد ندمه على قطع يده . فبلغ ابن رائق فقامت قيامته فدس الى الخليفة من أشار عليه بان لا يدنيه وقال له : ان الحلفاء كانت اذا غضبت لم ترض وهذا قد أوحشته فلا تأمنه على نفسك . فقال : هذا محال هو قد بطل عن أن يصلح لشيء وانما تريدون أن تحرموني الانس به . فقيل له : ليس الامر كما يقع لك وهو لوطمع في انك تستوزره لكالمك فان شئت فاطمعه في الامر حتى ترى . وقد كان أبي يتعاطى أن يكتب باليسرى فجاء خطه أحسن من كل خط لا يكاد أن يفرق بينه وبين خطه باليمين وجاءتني رقاعه مرات من الحبس باليسرى فما أنكرته . (قال) وتوصل ابن رائق الى قوم من الخدم بأن يقولوا لابن مقلة : أن الخليفة قد صح رأيه على استيزارك بهذا لتستحق البشارة عليك . فلم يشك في الامر وقالوا هم للراضي : جربه وخاطبه بالوزارة لترى ما يجيبك به . فخاطبه بذلك فاراه أبي نفوراً شديداً من هذا وقصوراً عنه فأخذ الراضي يحلف له على صحة ما في نفسه من تقليده لو علم أن فيه بقية لذلك وقياما به فقال : يا أمير المؤمنين لا يراد منه الا لسانه ورأيه وهما باقيان وأما الكتابة فلو كنت باطلا منها لما ضرني ذلك وكان كاتب ينوب عني ولست أخلو من القدرة على تعليم العلامات باليسرى ولو أنها ذهبت اليسرى أيضاً حتى احتاج أن أشد قلماً على اليمنى لكنت أحسن خطاً . فلما سمع ذلك تعجب واستدعي دواة فكتب باليسري خطه لا يشك انه خطه القديم ثم شد على يمينه فكتب به في غاية الحسن . فقامت قيامة الراضي واشتد خوفه منه فلما قام الى محبسه أمر ان تنزع ثيابه عنه وان يقطع لسانه ويلبس جبة صوف ولا يترك معه في الحبس الا دورق يشرب منه ووكل به خادماً صبياً عجمياً فكان لا يفهم عنه ولا يخدمه ثم فرق بينه وبين الخادم وبقي وحده . فكان الخدم يقولون لي بعد ذلك أنهم كانوا يرونه من شقوق الباب يستقي بفيه ويده الصحيح من البئر للوضوء والشرب ثم أمر الراضي ان يقطع عنه الخبز فقطع عنه أياما ومات وكان مولده في ٢٧٢ .

وقال أبو بكر الصولي في الاوراق في حبس الراضي ابن مقلة ان في نفسه عليه أمر ابن المتهجر وانه الذى يرضيه للخلافة . وقد تقدم قصته في كتاب الاوراق وهي أن في شهر ربيع الاول من السنة ركب الراضي الى أجمة بالثرياء يطلب فيها خنازير وركبنا معه

ولما قرُب بجكم من بغداد نقل من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه فلم يُوقف له على خبر ومنعت من الدخول اليه

ثم قطع لسانه وبقي مدة طويلة في الحبس ثم لحقه (٥٨٤) ذِرب ولم يكن

فرأينا في الموكب فرساناً لا يعرفهم فطاف ساعة ثم عدنا معه فتغدّى وكان النهار قصيراً فصلينا الظهر وركب . فرأينا الفرسان قد زادوا وانكرهم الحاجب ووافى محمد بن بدر الشرابي في مائة فارس فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم يرَ منهم أحداً فصاد خنزيرين وانصرفنا.

فقال لنا بعد : من أي شيء أفلتنا يوم الخنازير . وأنا بين يديه في الحجرة التي كان يجلس فيها ونحوه أربعة وكذا كانت فوقنا اذا دخل رجل مشدود العينين بدراعة وخفّ فلما أُقيم بين يديه قال : ما لنا نحن قرامطة . فقال له الراضي : يا ابن الفاعلة لو كنت محتاجا لعذرتك ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل اليك نقابة وموّلك فكّ الكلب التابع . فضربوا فكه وهو يقول : بتربة المقتدر ارحمني . واذا هو أبو عبد الله بن المنتصر والمنتصر جدّه . ثم قال له الراضي : والله ما طلبت هذا الامر فاما اذا دفعت اليه فوالله لا اطلبه أحدٌ في أيامي ساعياً عليّ فعاش . ثم أمر به فنحي وأدخل بيتاً حيال بركة السباع فعرفنا من الغد انه قتل في ليلته وأخذ جماعة بسببه فحبسوا منهم المعروف بالزهري وابن أبي الحناء وغيرهم

ثم حدثنا الراضي بعد ذلك قال : كان الفرسان التي رأيتموهم بالثريا قد عزموا على الفتك بنا فلما جاء ابن بدر يئسوا فمضوا . . . ثم قرأ علينا رقعة جاءته من أبي علي ابن مقلة : العجب من اتهام الناس اياي بسبب هذا الامر . واقرأنا جوابه اليه بصدقه في قوله وبانه ما سمع ما ذكره ولا وقف عليه الا من رقعته ويسكن منه

وأمر بطلب أولئك الفرسان فظفر ببعضهم فأمنهم ووصلهم وفرّق بينهم وسمع كلام كل واحد منهم مفرداً فحدثنا انهم عرفوه كيف جرى الامر من أوله الى آخره حتى وقف على صحته . وجعل الراضي يوري عن ذكر الفاعل لهذا اذا حضرت جماعتنا ويصرّح به اذا حضر من يثق به منا .

واتصل هذا الخبر بابن رائق فقدم بآخر شهر ربيع الاول وتلقاه ابنا الراضي وأظهر انه قلق لما جرى وخاف أن يسعى في مثله لبعده عن مولاه . وانما جاء لضيق المال واستحقاق الجند وان بجكم أقبل الى واسط فلم يحب الاجتماع معه ولم يزل يطالب الوزير

له من يعالجه ولا من يخدمهُ حتى بلغني أنه كان يستقي الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفمه ولحقه شقاء شديد الى أن مات ودُفن في دار السلطان ثم

بالمال وهو يجمعه له. وأخذت في هذا الوقت من الراضي آنية ذهب وفضة فضربت وأنفذ ابن رائق الى بجكم من المال ما قدر عليه.

وقال الصولي أيضاً : وكان انحراف الراضي عن ابن رائق في هذا الوقت يتبين في طرفه وقوالب لفظه . ثم صرَّح بذلك لي وللعروضي من بين الناس

وأما قصة ابن مقلة فقال صاحب كتاب العيون : كان في بجكم فضل ودهاء ورجلة وكان قد نصب لنفسه امرأة تدخل الى الخليفة فتستأذنه في الاشياء التي يعملها وكانت امرأة محمد بن ينال الترجمان فكان كلما ورد على بجكم كتب ابن مقلة عن الخليفة يأمره بالمسير الى الحضرة كتب الى الامراة يقول لها : استأذني مولاي في هذا الامر فان كان عن رأيه سرت الى بغداد ولم أتوقف . فكانت الامراة اذا سألت الخليفة قال لها : ليس لها أصلٌ ولا كاتبته في هذا المعنى شيءٌ ولا أرضاه والذي أحبه ان يتألف قلبه وقلب ابن رائق .

فلما نظر ابن مقلة أنه ما يمشي له مع بجكم ما يريده ولا ينجح الى قوله جنح الى ذكا مولى الراضي وسأله أن يكون السفير فيما بينه وبين الراضي فيما يعرض من حوائجه وإيصال رقاعه فأجابه الى ما سأل . فابتدأ يكاتب الراضي برقاع ولا يطلع ذكا على ما فيها فاذا أوصلها قرأها الراضي ولا يجيب عنها بمكاتبة ولا براسلة فيعرف ذكا أبا علي ابن مقلة ان كتبه تصل ولا يخرج عنها جواب فيسر ابن مقلة بهذه الحال ويقول : أنا أعرف الناس بطابع مولاي اذا وافقه شيء كتمه ولا يظهره :

فلما كان شهر رمضان كتب ابن مقلة الى الراضي رقعة يقول فيها (ان بجكم قد طمع في ابن رائق وانه ان لم يؤذن له في الدخول دخل بلا اذن ولو أنعم مولانا له بالدخول كان أحرى وأولي) فحرد الراضي لما قرأ رقعته وقال : ياقوم ابن مقلة يحملني على السعي في سفك الدماء في شهر رمضان . فوجه ذكا كاتبه الى ابن مقلة يعرفه ما جرى فضي وعاد اليه برسالة يسأله الاستيذان له في الوصول الى الراضي ليشافهه في أمر بجكم وقال له الكاتب : يقول ابن مقلة (ان أوصلتني الى الخليفة فقد قضيت كل حق بيني وبينك) فعلم ذكا ودخل الى الراضي واستأذنه في وصول ابن مقلة اليه فأذن له بمجيء أي وقت أحب فوجه اليه ذكا يعرفه ذلك ويقول له : أنت قد خدمت مولاي وعرفت

سأل بعد مدة أهله فنبش وسلم اليهم .
وفي هـذه السنة دخل بجكم العراق أعني بغداد ولقي الخليفة وقلده أمرة الامراء مكان محمد ابن رائق

أخلاقه فان كنت الرجل الذي تأمنه على نفسك وتعلم أن خدمتك يرضيها ولا تخوف في نفسك ما قد تحفظه عليك فأعزم على الوقت الذي يحتاج فيه الوصول اليه والذي أراه لك أن تصل الى باب النوبي من جهة بشرى الاسود الخادم اذ كنت أعلم ثقتك به وسكونك الى ناحيته لانه كان غلامك وذلك من باب النوبي إخفاء لان باب الخاصة وهو الباب الذي أنا فيه ما تفارقه الحجاب وسائر الناس ولست آمن ان يقف أحد منهم على خبرك فيقف عليه محمد بن رائق وأنت تعلم ما في هذا . فمضى الكاتب اليه بالرسالة فقال له ابن مقلة : عد اليه وقل له : لاتكلني الى أحد غيرك فما أحبّ ان يقف على أمري سواك واذا سهل الله وأوصلتني الى مولاي فقد بلغتني كلما أحبه . وكان يقول بالنجوم فقال له ذكا : تختار الوقت الذي تحب فيه الوصول . فقال : الله الله اجتهد لي في الوصول الى مولانا في هذه الليلة فليس لاحد الى ثلاثين سنة وقتاً اسعد من هذه الليلة . فاستأذن له ثانية فأذن له في تلك الليلة قال ذكا : كل ذلك ولا أعلم ما في نفس مولاي له لانه كان رجلا لايفشي سرّه الى أحد بعيد الغور ولو كنت أعلم ما في نفسه ما أحببت ان يجري عليه مكروه لي فيه سبب فوجهت اليه : ان أحببت الانحدار فافعل واجتهد ان لايقف أحد على خبرك . فانحدر من داره بعد عتمة حتى وصل الينا فوجهت وعرّفت مولاي بوصوله فأمر بفتح الباب المعروف بباب الشاذروان فتقدّمت بفتحه ففتحه الخدم الذين على الحرم من داخل . وخرج فائق خليفة راغب على الحرم فتسلمه من صاحبي ولم أزل جالساً في دار الحجبة والباب مفتوح انتظر خروج ابن مقلة الى ان مضى من الليل نصفه وكاتبي جالس عندي وابن غيث كاتبه عندي فاستربوا بجلوسه وأنكروه وأنكرته انا فلما طال الامر وجهت الى مولاي أقول له : الباب مفتوح الى هذه الغاية فان كان ينصرف والاّ مرني باغلاقه . فوجه اليَّ ان أغلق الباب فاغلقته وورد عليَّ من هذا ما أشغل قلبي وانصرف كاتبي وكاتبه على أقبح صورة غير أني طيبت نفس كاتبه وقلت : لعل الخطاب طال ولم يتقرَّر بينهما حال وفي غد يتقرَّر الامر ويأذن له بالانصراف . وبتنا تلك الليلة وأصبحت من غدها وقد وجه فاحضر ابن سنكلا كاتبه ووصل اليه ابن النوى وكان خصيصاً له شديد الانس به يصل اليه في كل وقت بلا حاجب

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط الى الحضرة مُراغماً لابن رائق فازال اسمه ومحى أعلامه وتراسه وترك الانتساب اليه وذلك انه كان يكتب عليها « بجكم الرائقى » وأخذ ابن رائق يستعدّ لِلقائه وقتاله وعمل على أن يتحصن فى دار السلطان ثم رأى ان يبرز الى ديالى وفتح من النهروان اليه بثقاً ليكثر

فعرّفه حال ابن مقلة وحصوله في الدار قبله وقال له : اخرج الى الحاجب فقل له : يمضي الى محمد بن رائق ويعرفه خبره عني ويقول له « قد كنت أحذرك من عدوّك مرة بعد اخرى واقرئك رقاعه اليّ في أمرك وأقول لك لا تغفل عنه واطلبه أشدّ طلب وأشفقت ان يتمّ عليك تدبيره وحيلته فالزمت الحاجب الاحتيال عليه حتى حصل وهو الآن قبلى وقد سكنت نفسي عليك بسلامتك مما كنت أتخوفه عليك من جهته » قال ذكا الخادم : كان ابن مقلة كثير التخليط شديد الاقدام على الامور الكبار فخرج ابن سنكلا وادّى الرسالة .

فمضيت الى ابن رائق وابن سنكلا معي فوصلت اليه وهو جالس وابن مقاتل فلما استقرّ في المجلس قلت : أريد ان تخلي مجلسك فان بيني وبينك خطابا لا يجوز ان يقف عليه أحد . فقام الناس كلهم وأراد ان يقوم ابن مقاتل فقلت له : أنت الثقة والصاحب اجلس . فجلس فاعدت عليه ماقال مولاى فشكر وسرّ بذلك وفرح ودعي لمولاى وقال: من أولى بالفضل على عبده منه . ثم قال لى : قد عرفت خبر انحداره في الوقت الاّ أني لم أعلم أين مقصده وقدرت أنه يعبر الى ابن مقاتل ليتوسط حاله معي . فقلت : من أين لك خبره ؟ فقال : أني كنت قد جعلت عليه رصداً يتحصى عليه اخباره فكتب اليّ يذكر انه خرج من داره بعد عتمة وركب بغلة أبى القاسم الشهبا ونزل الى المشرعة ولا أ رى أين قصد . ثم قال لى : قل لمولاك : مولانا اعدل شاهد على هذا الرجل وعلى أفعاله القبيحة وما أراد من الحيلة عليّ وهو أولى وما يفعله في أمره . فانصرفت . ووقع في قلب ابن رائق مثل النار وخاف ان يكون مقامه في الدار يتم الحيلة عليه

قال ذكا : وقلق ابن رائق والتمس قتل ابن مقلة اذ كان لايثق ولا يأمن شرّه. فقال له مولاى : ما كنت بالذى استحل سفك دم . قال : ان غاب أمره على مولانا فليستفتِ فيه الفقهاء والقضاة في ذلك فان كان مستحقاً لما قاله أو بعضه امضى فيه حكم الله . واحضر أبو الحسين القاضي واستفتى في أمره وذكر له ما صنع ابن مقلة وقتاً بعد

ماؤه فلا يخيض وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً . وطالب ابن رائق الراضى أن يكتب الى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع الى واسط فكتب وسلم الى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب اليه أحد خلفاء الحجاب فقرأه ولم يلتفت اليه وسار الى بغداد . ووافى بجكم وجيشه الى نهر ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة فانهزم ابن رائق وصار الى عكبرا وتقطع أصحابه واستتر أبو عبد الله احمد بن على الكوفى وأبو بكر بن مقاتل (٥٨٥) ودخل بجكم يوم الاثنين لاثنى

وقت (ولم يذكر اسمه القاضي) وقيل له : ما تقول فيمن فعل الافاعيل ؟ فافتاهم بقول الله عز وجل : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) فتقرّر الامر على قطع يد ابن مقلة بعد مجالس كثيرة جرت بينهم

قال ذكاه : وواطئ محمد بن رائق الجيش لما امتنع مولاى من قتل ابن مقلة على الشغب وكان الجيش يمضون الى سائر أبواب ويتكلمون بكل كلام ويقولون « يسلم الينا ابن مقلة المدبر على أمرنا » وكل ذلك يبلغ مولاى . فلما طالت القصة وأجابه مولاى الى قطع يد ابن مقلة تقدّم مولاى الى ابن رائق ان يحضر جميع قوّاده الى الدار فى غد ذلك اليوم ليحضروا قطع يده وتقدّم الىّ ان أحضر ابن بدر الشرابى صاحب الشرطة ومعه من يقطع ففعلت ذلك وحضر الناس في غد ذلك اليوم وأوصلتهم الى دار السلام وهى المعروفة بدار الاشفاق على الشط واخرج ابن مقلة من محبسه وعليه ثيابه التي كان دخل بها الى الدار وهى درّاعة وعمامة وخف فلما بصر بي قال : يا أبا الفهم أى شئ يراد بى . فاستحييت منه وقلت له : خيراً ان شاء الله تعالى . فقال لى : هذا القول منك وأنت الحاجب وأمان من الخليفة ! ثم قال : ان رأيت ان تستأمر وتراجع في حقي فافعل . ففعلت فخرج الامر الىّ ان أمتثل فى أمر الرجل ما أمرت به . وكان فاتك غلام ابن رائق حاضراً فالتفت اليه ابن مقلة فقال له : توجه الي أبي بكر وتعرفه أن بينى وبينه ايمانا ومواثيق ان يذكرها لم ينقضها . ولم يك لفاتك من الامر شئ . فأدخل الى بيت البوّابين وحضر ابن بدر الشرابي ودخل مع القاطع ومعه جماعة من أعمال الشرطة فقطعت يده وردّ الى داخل الى محبسه وأدخل من يعالجه .

عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ووصل الى الراضى بالله فا كرمه ورفع منه
وخلع عليه وسار بالخلع الى مضربه بديالى فاقام فيه يوم الاثنين والثلاثاء
والاربعاء . وأنفذ سرّية فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن
الراضى بالتخلية عنه والوصول الى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع
ابن رائق الى بغداد سراً واستتر بها . فلما كان يوم الخميس للنصف من ذى
القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثانية وانصرف الى دار مونس بسوق الثلاثاء
وهى التى كان ينزلها ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى
القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الامراء
فكان مدة امارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر .

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى الى بجكم خلع
منادمة وكناه وأنفذ اليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتمت له الرئاسة

تمت المجلدة الخامسة من كتاب تجارب الامم ويتلوها
فى المجلدة السادسة حكاية عن بجكم تدل على
دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله
على محمد النبى وآله الطيبين
الطاهرين أجمعين

فرغ من انتساخه محمد بن على أبو طاهر البلخى فى المحرم سنة ٦٠٥

الجزء السادس

﴿ من كتاب تجارب الامم (٢) ﴾



﴿ الحمد لله العدل ﴾

﴿ حكاية عن بجكم تدل على دهاء ونكر ﴾

حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى قال : لما ترسلت بين بجكم وبين ابن رائق أشرت على بجكم بان لا يكاشف ابن رائق . فسألنى عن السبب الذى من أجله أشرت عليه بذلك فقلت : لان بغداد فى يده والخليفة معه والرياسة ولان الجيش معه كثير والاعمال والاموال فى يده والمال فى يدك قليل وعدّة من معك يسير . فقال لى : اما كثرة رجاله فهم جوز فارغ قد خرقتهم وسرقتهم وما أبالى كثروا أم قلوا وكون الخليفة معه لا يضرّنى عند أصحابى فاما ما توهمتهُ من قلة المال معى فليس الامر فيه كما ظننته وقد وفيت أصحابى استحقاقاتهم وما لاحد علىّ منهم مطالبة وفى صناديقى معى مال يستظهر به فكم تظنّ مبلغه ؟ قلت : لا أدرى . فقال :

على كلّ حال . فقلت : مائة الف درهم . [1] فقال . غفر الله لك معي خمسون الف دينار لااحتاج اليها . (قال) فقلت له : أنتَ أعلم وما تختار . (قال) فلما هرب ابن رائق وملك بجكم قال لى يوما : أتذكر وقد قلت لك ان المال معي كثير وظننتَ أنه [2] مائة الف درهم فعرّفتك انه خمسون الف دينار ؟ فقلت : نعم . قال : افتدرى كم كان بالحقيقة معي ؟ قلت : لا . قال : خمسين الف درهم . قلت : هذا يدلّ عليّ انك لم تثق بي ولم تصدقنى . قال : لا ولكنك صاحبي ورسولى فكرهت ان تعلم محته فى القلة فيضعف قلبك واذا ضعف قلبك ضعف كلامك فيطمع ذلك فى خصمي وأردت ان تمضى اليه بقلب قوىّ فتخاطبه بما ينخب قلبه ويضعف نفسه .

وفي هذه السنة تغلّب اللشكرى بن مردى على آذربيجان . وهذا غير اللشكري الذى تقدّم خبره وكان أوجه من ذاك وأكبر مرتبة وكان من أصحاب وشمكير وخليفته على أعمال الجبل . فجمع مالا كثيراً ورجالا وخلف صاحبه وسار الى آذربيجان ليستولى عليها . وكان بها يومئذ ديسم بن ابراهيم فجمع ديسم عسكراً كثيراً من الاكراد وأصناف أخر واحرز سواده فى بعض الجهات واقبل الى اللشكرى فواقعه دفعتين فى مدّة شهرين وانهزم ديسم فيهما جميعاً . واستولى اللشكرى على بلاده الا اردبيل فان أهلها أجلاد ولهم بأس شديد وهم حملة سلاح ومدينتهم محصنة بسور وهي قصبة آذربيجان ودار المملكة . فراسلهم [4] اللشكرى ورفق بهم ووعدهم الاحسان فابوا عليه لما كان عندهم من أخبار الجيل ومعاملتهم أهل همذان وغيرها بانواع الالم فحاصرهم اللشكرى وطالت الحرب بينه وبينهم الى ان

(١) الاصل ناقص وكذا في الكامل لابن الاثير

تمكن طائفة من أصحابه يوما من السور فصعدوه ونقبوا أيضاً عدّة نقوب فيه وفتحوا الباب وتمكنوا من الدخول وأدركهم الليل

﴿ ذكر اضاعة حزم من اللشكرى بعد هذه الحال حتى ﴾
﴿ هرب وقتل أكثر أصحابه ﴾

ان اللشكرى لما تمكن من أردبيل سكنت نفسه الى الظفر وأشفق ان ينتهب البلد وتذهب الاموال عن يده وعن أيدى أصحابها . فرأى ان ينصرف الى معسكره وكان علي ميل من البلدفيبيت ثم يصبح فيدخل المدينة نهارا فلما فعل ذلك بادر أهل المدينة الى سدّ تلك الثلم واحكامها وأغلقوا الابواب وعاودوا الحرب . فتحيّر اللشكرى وعلم انه فرط حين لم يدخل المدينة ليلا أو يوكل بالثلم من يحفظها واقبل قوّاده عليه يلومونه ويستعجزونه فلم يكن عنده الاّ الاعتراف بالخطأ . وبادر أهل المدينة برسلهم الى ديسم يعرفونه الصورة ويشيرون عليه بالمبادرة فى يوم يعينه حتي يخرجوا لمحاربته ويكبـ(٥) ديسم من ورائه فتمّت لهم الحيلة واقبل ديسم فى ذلك اليوم بجموع كثيرة من الصعاليك والاكراد وخرج أهل المدينة بزى الديلم معهم التراس والزوبينات وهم نحو عشرة آلاف رجل فصافهم الحرب وخرج ديسم من ورائه فحمل عليهم فانهزم أقبح هزيمة وقتل اصحابه مقتلة عظيمة وذهب نحو موقان محروبا مسلوبا ليس معه كراع ولا سلاح. فخرج اليه اصفهبذ موقان ويعرف بابن دلوله متلقياً فأضافه مع قوّاده فشكره اللشكرى وسأله ان يقيم بضيافة أصحابه الى ان يمضى هو الى بلده وكانت بينه وبينها مسيرة أربعة أيام فيستخرج ذخائره ويخرج معه ابنه وأخاه ويجمع الرجال فأجابه ابن دلوله . ومضى اللشكرى مخفاً وعاد سريعاً ومعه ابنه

وابن أخيه وألف رجل من احداث الجيل مستظهرين بالسلاح والآلات وعطف على آذربيجان طالباً ديسم وساعده ابن دلوله الاصفهبذ فى أصحابه فهرب ديسم وعبر نهراً يقال له الرسُ وماؤه شديد الجرية وأخذ المعابر الى الجانب الذى حصل فيه ونازله الشكرى مقيما بازائه مدّة لايصل اليه. فاجتمع اليه ابنه وابن أخيه واحداث (٦) الجيل وجميعهم سباح لان بلادهم على شاطىء البحر وأعلموه أنهم تتبعوا هذا النهر من أعلاهُ الى أسفله فوجدوه على ثلاثة فراسخ من معسكرهم موضعاً منه ساكن الجرية واستأذنوه فى المخاطرة والعبور فأذن لهم. فصاروا الى الموضع ليلا ومعهم جماعة من البوقيين فسبحوا ومدوا حبالا متينا بين أوتاد محكمة فى الجانبين وامسكوها وعبر الباقون بتراسهم وأسلحتهم وزحفوا الى عسكر ديسم وضربوا بالبوقات وقتلوا نفراً فانهزم ديسم واستولى الجيل على أموالهم وسوادهم واستغنوا بما حصل لهم وتم الظفر للشكرى.

وقصد ديسم وشمكير وهو بالرىّ فأعلَمهُ ما جرى عليه من الشكرى وانه قد تمكن من آذربيجان وطابقه ابن دلوله اصفهبذ موقان وان بلاد الجيل قريبة منه والاستمداد سهل عليه وانه لا يلبث أن يقصد الرىّ وينازعه اياها ويلتمس منه عسكراً من الجيل والديلم ليكون بازاء الشكري وأصحابه وواقفه أن يجمع اليه من الاكراد وغيرهم عشرة آلاف رجل فرساناً وان يقوم بنفقة العسكر يوم دخوله الخونج وهو أول حدود آذربيجان من ناحية الري وان يقيم الخطبة على منابر آذربيجان (٧) كلها ويحمل اليه فى كل سنة مائة ألف دينار خالصة ويرد اليه العسكر الذى يجرد معه بعد فراغه من أمر الشكرى. فلما سمع وشمكير ذلك أهمه هذا الخطب واستجاب ديسم الى

كل ما يلتمسه وأخذ كل واحد منهما على صاحبه العهد والميثاق بالوفاء وابتدأ بتجريد العسكر . فالى أن يتكامل ذلك ورد الخبر بوفاة ابن دلوله الاصفهبذ وخلق كثير من أصحابه بعلة الجدرى وأقام بقية أصحابه مع اللشكرى فأنفذ اللشكرى بقائد كبير من أصحابه يقال له بلسوار بن ملك بن مسافر وهو ابن أخي محمد بن مسافر اللشكري الى نواحي الميانج[1] وهي تجرى مجري الثغر بينه وبين وشمكير وأمره أن يحفظ الطرق ويتتبع المجتازين ويفتشهم ويقرأ كتبهم تحرزا واستظهاراً فلم يلبث بلسوار ان ظفر بفيج معه كتب من قواد عسكر اللشكري الي وشمكير بالاعتذار اليه من دخولهم في طاعة اللشكري وانهم انما دخلوا معه وعندهم انه على طاعتهم وانهم ان رأوا راية من راياته قد أقبلت اليهم انحازوا اليها وصاروا بأجمعهم عليه فلما وقف اللشكري على هذه الكتب طواها وستر خبرها . وورد عليه انفصال[٨] ديسم عن الرى فى عسكر وشمكير مع حاجبه الشابشتي فركب الى الصحراء وجمع قواده وعرفهم اقبال العسكر اليه وانه يتخوف أن يشتغل بحرب الجيل والديلم فيأتيه ديسم من ورائه ويجري الامر كما جري فى وقعة أردبيل وانه قد عزم أن يرحل بهم الى بلاد الارمن فيغزوهم ويستبيح أموالهم ويعد عنهم الي الموصل وديار ربيعة فانها بلاد كثيرة الغلات والاموال واسعة والرجال بها قليل . فساعدوه على ذلك ورحل بهم الي أرمينية وأهلها غارون فنهبهم واستباح أموالهم ومواشيهم وسبي خلقا كثيراً وانتهي الى زوزان وفى يده وأيدى قواده من المواشى التى غنموها شيء كثير لا ينضبط ولا يعرفون مبلغها وقد وكلوا بها الرعاة فكانوا يخرجونها الي مسارحها بكرة ويردونها

(١) وفي الاصل : الماهج

عشية الى معسكرهم . وكان بالقرب من زوزان قلعة للارمن فيها عظيم من عظمائهم يقال له أطوم بن جرجين وهو قريب لابن الديرانى ملك الارمن فسأل اللشكري بمراسلة لطيفة ان يكف عن الارمن فانهم معاهدون يؤدون الاتاوة وأطمعه فى مال يحمل اليه صلحا فأجابه الى ما طلبه .

﴿ ذكر حيلة تمت لهذا الارمنى على اللشكري حتى قتله ومعظم أصحابه [٩] ﴾

كان هذا الارمنى عرف سرعة ركاب اللشكرى وخفته وانه يقدم بلا روية ويتسرع بلا تدبير فكمن كمينا على جبلين بالقرب من موضعه الذى كان معسكراً فيه بينهما مسلك مضيق ثم دس الى المواشى التى معه جماعة من الارمن حتى قتلوا رعاءها واستاقوها فى ذلك المضيق . وهرب بعض الرعاء الى اللشكرى مجروحا فصادفه خارجا من الحمام فى سوق زوزان فأخبره الخبر فسار لوقته وأخذ ذلك الراعى بين يديه ليدله على الطريق وليس معه الا ستة نفر من غلمانه أخذهم فتح اللشكرى (وهو أحد قواد السلطان بمدينة السلم وقد شاهدته) وكان موصوفا بالبسالة والشجاعة وراسل باقى أصحابه فى العسكر أن يلحقوه .

﴿ ذكر اتفاق حسن اتفق لفتح هذا الغلام ﴾
(حتى سلم وحده من القتل)

اتفق ان غمزت دابة كاتبه لما قضاه الله من سلامته فنزل لينظر ويصلح حافرها فسبقه اللشكري ولم يعرج عليه ومضى مع الخمسة النفر الذين بقوا معه فوصل الى المضيق قبل أن يلحقه أصحابه الذين استدعاهم من المعسكر وولج الموضع . فلما توسطه ثار اليه الكمناء فقتلوه والغلمان الذين معه وأخذوا رؤسهم وأشلاءهم وتركوا جثثهم ومضوا . ثم وصل العسكر [١٠]

الى الفتح بهذا الغلام وتبعوا اللشكري فلما رأوا جماعتهم عرفوهم فانصرفوا منهزلين . واجتمع أهل عسكره فعقدوا الرياسة لابنه لشكرستان وتقرر الرأي بينهم على أن يسيروا بأجمعهم في طريق عقبة صعبة شاقة تعرف بعقبة التين ليحرزوا سوادهم واثقالهم وغنائمهم من ورائها ويرجعوا الى بلد أطوم ابن جرجين فيدركوا ثارهم منه ويأتوا عليه قتلا ونهباً

﴿ ذكر حيلة تمت عليهم ثانية حتى قتلوا بأجمعهم الا نفر يسير جداً ﴾

﴿ وذلك لقلة احتراسهم من المضائق وجهلهم المسالك واغترارهم بالشدة ﴾

كان أطوم بن جرجين بث جواسيسه ليعرف أخبارهم واطلع على هذه العزيمة منهم فسبقهم بان رتب على رؤس الجبال فى طريقهم جموعاً من الارمن يرمونهم بالحجارة وكان طريقهم من هذه الجبال على موضع عرضهُ نحو خمسة أذرع وعلى يسرته الجبل وعن يمينه نهرٌ عظيم جار والمهوى اليه أكثر من مائة ذراع ووقف الارمن مُتمكنين على هذا الموضع وسار أطوم بنفسه من قلته فى نفر فكمن على طريق المضيق حتى ان أفلت انسان منهم أوقع به . فلما انتهى الجيل والديلم الى ذلك المضيق أرسلوا عليهم الحجارة فكانت الصخرة تأتى فتصدم الراكب والمركوب والرجالة والبهائم والجمال فلا يمتنع منها شيء ويسقطون الى النهر ويتلفون . فترجل قوم [11] من الفرسان ودخلوا من قوائم الدواب فربما سلم الواحد بعد الواحد فهلك فى ذلك الموضع أكثر من خمسة آلاف رجل . وعلم جماعة وسلم لشكرستان فيمن سلم ومضى بمن معه الى ناصر الدولة وهو بالموصل لائذين به فنزلهم بشيء من الارزاق يسير . فاختار بعضهم أن يقبض نفقة وينصرف عنه واختار بعضهم أن يقيم مع لشكرستان فأما الذين قبضوا النفقات فأخذوا جوازات

وانحدروا الى واسط لاحقين ببجكم وأما الباقون فانهم كانوا خمسمائة رجل بجردهم ناصرا لدولة مع ابن عمه أبي عبدالله الحسين بن حمدان من آذربيجان لما أقبل اليها ديسم الكردى وكان ديسم هذا من قواد ابن أبي الساج وكان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان مقلداً من قبل بن عمه ابى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أعمال المعاون بآذربيجان

وفيها اختص قاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بالراضى بالله حتى حل محل الوزراء وصار الراضى يشاوره فى الامور ويدخله فى التدبير ويصل اليه مع عبد الله بن على النفرى خليفة الوزير الفضل بن جعفر ولا ينفذ أمراً الا بعد مشورته [(١)]

﴿ وفيها قصد الراضى بالله وبجكم معه ديار ربيعة والموصل ﴾

ذكر السبب فى ذلك [(١٣)]

كان السبب فى ذلك ان ناصر الدولة أخر ما اجتمع عليه من مال

---

(١) وفيه أيضاً فى ترجمة هذه السنة : وفيها ورد كتاب من ملك الروم والكتابة بالذهب وترجمتها بالعربية بالفضة وهو من رومانس وقسطنطين واسطانوس عظماء ملوك الروم الى الشريف البهي ضابط سلطان المسلمين : بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد الحمد لله ذى الفضل العظيم الرؤف بعباده الذى جعل الصلح أفضل الفضائل اذ هو محمود العاقبة في السماء والارض . ولما بلغنا ما رزقته أيها الاخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الادب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله . وذكر كلاماً يتضمن طلب الهدنة والفداء وقدموا تقدمة سنية فكتب اليهم الراضي بانشاء أحمد بن محمد بن ثوابة (وهو صاحب ديوان الرسائل : ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) بعد البسملة : من عبدالله أبي العباس الامام الراضي بالله أمير المؤمنين الى رومانوس وقسطنطين واسطانوس رؤساء الروم سلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبيل النجاة والزلفى . وأجابهم الى ما طلبوا .

الحمل الذي كان في ضمانه للموصل وأخّر مال الضياع التي في عمله بخدمة الراضي بالله فكان الراضي مغيظا عليه فاجتمع رأيه مع بجكم على قصده.

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلثمائة

فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرّم خرجا وأقام الراضي بتكريت ونفذ بجكم الى الموصل في الجانب الشرقي من دجلة. فلقته زواريق أنفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية الى الراضي فأخذها بجكم وفرق مافيها على حاشيته وأصحابه وفرغها وعبر فيها الى الجانب الغربي وسار حتى لقي ناصر الدولة بالكحيل. وجرت بينهما وقعة وانهزم فيها أصحاب بجكم[1] ثم حمل بجكم بنفسه على ناصر الدولة حملة حقق فيها فانهزم وتبعه بجكم ولم يزل الموصل الى أن بلغ نصيبين. ومضى ابن حمدان على وجهه الى آمد وأقام بجكم بنصيبين وكتب الى الراضي بالله بالفتح فلما ورد كتابه بالفتح على الراضي بالله سار من تكريت يريد الموصل وكان مسيره في الماء

وكان قبل ورود كتاب بجكم بالفتح قد لحق القرامطة الذين مع الراضي بتكريت مضائقة في أرزاقهم فانصرفوا مغضبين الى بغداد فلما وصلوا اليها ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضموا اليه ويقال ان انصرافهم من تكريت كان بمراسلة[13] منه اليهم ومكاتبة في اجتذابهم وورد الخبر بذلك مع طائر الى تكريت فخاف الراضي أن يسرى اليه ابن رائق والقرامطة فيأخذونه فخرج من الماء مبادراً وركب الظهر وسار الى الموصل ودخلها[2]

---

(١) زاد صاحب التكملة : وأستؤسر أبو حامد الطالقاني (٢) وزاد أيضاً : وكتب الراضي الى بجكم فاستخلف على أصحابه وجاء اليه الى الموصل . فجرى بين أصحابه وبين أهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف وأحرق مواضعاً في البلد

ومعه على بن خلف بن طناب كاتبه وهو قلق من ابن رائق. ولما بلغ الحسن ابن عبدالله بن حمدان انصراف بجكم من نصيبين سار من آمد اليها فانصرف عنها وعن أعمال ديار ربيعة من كان خلفه بجكم فيها من قواده وصاروا الى الموصل وحصلت ديار ربيعة في يد ابن حمدان. فزاد ذلك في قلق بجكم وأخذ أصحاب بجكم يتسللون ويخرجون من الموصل الى بغداد حتى احتاج بجكم الى أن يسد أبواب دروب الموصل ويحفظ أصحابه وزاد ذلك في اضطراب بجكم الى أن قال: حصلنا على أن يكون في يد الخليفة وأمير الامراء قصبة الموصل فقط.

وأنفذ ابن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق وظهوره ببغداد أبا أحمد الطالقاني الذي كان أسره الى بجكم يلتمس الصلح ويبذل أن يقدم خمسمائة ألف درهم معجلة. فلما ورد الرسول وأدى الرسالة فُرِّج عن بجكم وفرح بأن ابتدأه بنو حمدان بمسئلة الصلح وكان فكر في تسليم الموصل[١٤] اليه والانحدار لدفع ابن رائق. فبادر وركب من وقته الى الراضي وعرفه ما ورد به الطالقاني واستأذنه في امضاء الصلح. فامتنع الراضي لشدة غيظه على ابن حمدان فعرفه ان الصواب في اجابته اليه والمبادرة الى بغداد التي خرجت عن يده وهي دار الملك فأذن له في المصالحة فرد من يومه الطالقاني بالصلح وأنفذ معه الخلع واللواء والقاضي أبا الحسين ابن أبي الشوارب ليستحلف ابن حمدان ورجع مع مال التعجيل[١]

(١) وفي قصد الراضي بالله وبجكم الموصل قال أبو بكر الصولي في الاوراق: كان الراضي قبل خروجه يذكر أمره ونهوضه ويقول: لابدّ لي منه. فنشير عليه أن لا يفعل ذلك. وكان ممن يوافقني على الرأي في تركه الخروج عمر بن محمد القاضي فلم يلتفت الى قول أحد ولا أظهر ما أراده وما عزم عليه ..... وكرهت العامة خروج السلطان الى

وبعد نفوذ الطالقاني جاء جعفر بن ورقاء وتـكينك من عند بجكم الى الموصل ثم تبعهما محمد بن ينال الترجمان فى مُرقعة منهزمين من يد ابن رائق

الموصل لحبّهم للحسن بن عبد الله (بن حمدان) وعنايته بانفاذ الدقيق اليها وابده بالاشراف وما تصدّق على الضعفاء بسرّ من رأى وبغداد ولـكفاية أخيه (يعني سيف الدولة) على الناس أمر الثغور والغزو وعنايتـه بغزو الصائفة وغيرها . . . . فوصل الراضى الى سرّ من رأي واتفق في أصحاب بجكم ذخائر منيفة كان أعدها لنفسه . وظن الناس انه سيقيم بسر من رأي وينفذ بجكم الى الموصل فان احتاج اليه لحق به والاّ أقام بمكانه وجعل كلّ من يصل اليه يشير عليـه بذلك . وورد عليـه الخبر بتحرّك أمر ابن رائق وانه يكاتب الناس للوثوب ببغـداد فظننا مع ذلك انه لايبرح فانطلقت الالسن لاجل ذلك بالمشورة عليه ان لايبرح من سرّ من رأي . وكان أشد الناس كراهة لخروجه ووصله القاضي عمر ابن محمد وذكي الحاجب فـكنا نجتمع على ما نقوله

وورد كتب الحسن بن عبـد الله الى الراضي والى بجكم يتضمن لهما أكثر مما ظن انه يبذله له وكتبه بذلك متصلة الى القاضي وهو يتولى إيصالها عنه وينفذ الجواب وكان يقرأني كل شئ يرد . فأقام الراضي أياما بسر من رأي وطمعنا فى رجوعـه واتفقت مع القاضي على ان يكلم الراضي كل واحد منا اذا خلا به ورأي وجهاً للـكلام فوصلت اليه بسر من رأي يوما وحدي فقلت : يا أمير المؤمنين ان العبد المتفق لايملك كتمان ما بقلبه لمولاه ولا يذخره النصح وما عليّ شئ من ان يسمع قول عبـده فان كان صوابا أمضاه وان كان خطأ جعله بمنزلة مالم يسـمعوا . فضحك وقال : هات ما عنـدك . فقلت: ان الناس يتحدثون بان العسكر الذى قد رحلتَ لتزيله أشـبه بعساكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لايرون طاعتك وأشبه بعساكر آبائك وقد تحدثوا بان الحسن قد بذل أكثر ممـا أريد منـه . فان رأي سيدنا ان لا يقبل هـذا ويرجع الى رأى ملـكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رائق فانه غير مأمون (وكان الراضي قد أمر بان ينادى على ابن رائق ويطالب فـكبست مواضع كثيرة) ومع هذا فان الحسن بن عبـد الله قد نظر الى أقرب الناس من قلبك وهو قاضيك فجعله السـفير له والضامن عنـه وانه يلقاه فيتصرف بجميع مايريده وهاهنا أيضاً أمر آخر . قال : وما هو ؟ قلت : اذا يئس الحسن من قبول سيدنا ما بذل لم تأمن ان يصرف أمرَه الى غيره ويلقي نفسه عليه ويتقرب اليه ويخطبه ببعض ما بذله فيجعله صنيعة له ومادة لدهره وعـدة لجدته ويكلم من يلقي نفسه

ووصفوا انه لما ظهر من استتاره يبغداد انضمّ اليه ثلثمائة رجل من القرامطة فلقيه بديع غلام جعفر بن ورقاء وانهزم بديع وخرج الى ابن رائق وهو بالمصلّى جماعة من الجند والحجرية وخلق من العامه وقالوا : نحن نقاتل بين يديك . فاعطاهم خمسة دراهم وثلاثة دراهم . وكان جعفر بن ورقاء واحمد بن خاقان وابن بدر الشرابي فى دار السلطان وما يليها فراسلهم ابن رائق وسألهم الافراج له ليمضي الى داره التى هي دارمونس فانزلها بجكم فمنعوه من ذلك فقاتلهم وانهزموا وقتل ابن بدر واستأمن الى ابن رائق جماعة من الرجال فوعدهم (١٥) بالعطاء وأعطاهم خواتيم طين تذكرة بالمواعيد وصار الى دار السلطان وكتب الامانة لمن فيها وراسل والدة الراضي بالله وحُرمه برسالة جميلة وصار الى دار مونس التى كان ينزلها بجكم فقاتله تكينك عنها وانهزم تكينك وملك ابن رائق الدار . ثم أقبل محمد بن ينال الترجمان من واسط فى أربعة آلاف من الاتراك والديلم وغيرهم ليدفع ابن رائق عن بغداد فتلقاه ابن رائق بالنهروان وجرت بينهم حرب شديد وانهزم الترجمان وصار في مُرقّعة الى الموصل .

وأقبل ابن رائق يثير ودائع بجكم وأمواله وأنفذ أبا جعفر ابن شيرزاد الى بجكم بجواب الصلح منه فتقدم اليه بجكم المقام وأنفذ بجواب الرسالة قاضي القضاة أبا الحسين عمر على أن يُقلد طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وينفذ اليها . ورجع الطالقاني وابن أبي الشوارب القاضي من عند

عليه « سيدنا » في أمره ويسأله له ما يريده فيقبل منزلهُ ويهب له أمرهُ فنخطى بما أردنا أن نحظى به . (اعرض يبجكم) فما رأيته أطال الفكرَ عند شيءٌ سمعه أكثر مما أطاله بعقب قولى . . . . . وكان يقول : اني سأسكن بسر من رأى واترك بغداد .

ابن حمدان بتمام الصلح وبعض المال فانحدر الراضي وبجكم من الموصل . ولما صار قاضي القضاة الى ابن رائق لقيه وقرر أمره على تقلد الاعمال التي تقدم ذكرها فخرج ابن رائق من بغداد متوجهاً الى أعماله ووصل الراضي وبجكم الى بغداد يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الاول

وفيها مات الوزير [١٦] أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة وكان الراضي أنفذ خادماً يستدعيه فوصل الخادم وقد مات فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه سنة واحدة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً [١] وقلد مكانه أبا جعفر محمد بن يحيي بن شيرزاد وسلم اليه على بن خلف فصادره على خمسين ألف دينار وسفر أبو جعفر بن شيرزاد فى الصلح بين بجكم وبين البريدى فتم ما شرع فيه وضمن أبو عبد الله البريدى أعمال واسط بستمائة ألف دينار فى السنة .

ولما اتفق موت الوزير أبي الفتح وصولح البريدى شرع أبو جعفر ابن شيرزاد فى تقليد أبي عبد الله البريدى الوزارة وأشار بذلك [٢] فأنفذ الراضي بالله أبا الحسين [٣] الى أبي عبد الله البريدى فى تقلد الوزارة فامتنع منها ثم استجاب اليها وتقلد الوزارة وخلفه عبد الله بن علي النفرى بالحضرة كما كان يخلف الفضل بن جعفر .

وكان بجكم قلد بالبا التركى أعمال المعاون بالانبار فكاتبه يلتمس منه أن يقلده أعمال طريق الفرات باسرها ليكون فى وجه ابن رائق وهو بالشام فقلده ذلك فنفذ الى الرحبة وغلب عليها وكاتب ابن رائق وأقام له الدعوة

(١) يراجع فيه ما قال أبو عمر الكندى في كتاب الولاة ص ٢٨٧ (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام أنه قال : نكتفي شره (٣) يعنى القاضي عمر بن أبي عمر محمد

فى أعمال طريق الفرات وعظم أمره بها واتصل خبره ببجكم

(ذكر سرعة تلافي بجكم أمر بالبا قبل أن يستفحل [١٧])

أنفذ بجكم غلامه بوستكين وعدلا حاجبه وقطعة من جيشه نحو أربعماية رجل فوصلوا الى الانبار وقت العصر من يومهم وساروا من سحر ليلتهم الى هيت وأخذوا منها الادلاء فسلكوا طريق البرية ووصلوا الى الرحبة في خمسة أيام فدخلوها من بابين من أبواب الرحبة وجميع ذلك بوصية بجكم ورسمه فعملا بما رسم . فعرف بالبا الخبر وهو على طعامه فوثب الى سطح واستتر عند بعض الحاكة وأخذ من عنده وانحدروا به الى الانبار . ثم ادخلاه بغداد مشهراً علي جمل عليه تقنق وهو مصلوب ثم خفى امره فيقال ان بجكم سمه . [١]

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

وفيها تزوج بجكم سارة [٢] بنت الوزير أبى عبدالله أحمد بن محمد البريدى بحضرة الراضى على صداق مائتى ألف درهم

واشتد أبو جعفر ابن شيرزاد في معاملة التناء وزاد في المساحة واحتج عليهم بعلو الاسعار ووفورها وطالبهم بالتربيع والتسعير والسلف وأظهر ظلمه

وفيها سار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط وكان البريديون بها فأقام الامير أبو على فى الجانب الشرقي منها والبريديون في الجانب الغربى

(ذكر السبب فى ذلك)

كان أبو عبد الله أنفذ جيشاً الى السوس وقتل قائداً [١٨] من الديلم

(١) قال صاحب التكملة : وكان أحد قواد بجكم ابراهيم بن أحمد أخو نصر بن أحمد صاحب خراسان فقلده بجكم الشرطة ببغداد (٢) وفي تاريخ الاسلام : شارة

واضطرّ أبا جعفر الصيمري الى التحصن بقلعة السوس وكان متقلداً أعمال الخراج بها . وخاف أبو الحسين أحمد بن بويه ان يصير البريدي الى الاهواز من البصرة وكان أبو على الحسن بن بويه أخوه مقيما بباب اصطخر فكتب اليه أبو الحسين أخوه يستنجده فوافاهُ يطوى المنازل طيّاً فى عشرة أيام . وكانت الضرورة دعت أبا الحسين أحمد بن بويه الى ان خرج من السوس فلما وصل أخوه أبو على الي السوس دخل أبو الحسين أحمد بن بويه الاهواز . وكان أصحاب وشمكير قد تغلبوا على أصبهان فسار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط طمعاً فى ان يحصل له فاضطرب رجالهُ لانه ما كان أنفق فيهم منذ سنة واستأمن من أصحابه مائة رجل الي البريديين . وسار بجكم والراضى من بغداد لحربه فاشفق ان يقع التضافر عليه ويستأ من رجاله فانصرف الى الاهواز ومنها الى رامهرمز ثم سار الى اصبهان ففتحها واستأسر بضعة عشر قائداً من قوّاد وشمكير ورجع الراضى بالله وبجكم الى بغداد .

وفيها خرج بجكم الى الجبل فلما بلغ قرميسين عاد الى بغداد ومعه مستأمنة الديلم .

﴿ ذكر السبب فى خروج بجكم الى الجبال ورجوعه عنها وسبب فساد الحال بينه وبين البريدى بعد الوصلة والصلاح[١٩] ﴾

لما صاهر بجكم البريدي وخلُص ما بينهما كاتبه ان ينفذ الى الجبل لفتحها وان يخرج هو الى الاهواز لفتحها ودفع أبي الحسين أحمد بن بويه عنها وأنفذ اليه حاجبه عدلا فى خمسمائة رجل نجدة ليضمهم الى رجاله . قال أبو زكريا السوسي : وأخرجني معه لان أزعجهُ وأحثه على المسير مع الجيش كله اذ كان ابتداؤهم بالسوس . (قال) فحصلتُ بواسط وأظهر البريدى بما وددت

وعدل الحاجب له حتى اذا حصل بجكم بحلوان طمع البريدى فى السير الى بغداد وأخذ الدفائن التى لبجكم فى داره والعود بها الى واسط وكانت عظيمة فما زال يتربص ويدافع ويقدم رجلا ويؤخر أخرى تارة تشرهُ نفسه الى المال وتارة يرهب من مكاشفة بجكم ويتوقع مع ذلك دائرة على بجكم من قتل أو هزيمة فيتمكن مما يريد . وامتدت أيامنا حتى اقمنا زيادة على شهر وكتب بجكم ترد علينا بان نعرّفه ما عملناهُ فاذا أقرأناها البريديّ قال : أنا سائر غير متلوّم . ثم يتراخى فقطنًا لما فى نفسه وقلتُ لعدل سرّا : انفذ الى بجكم من يعرّفه الخبر . فبادر اليه بركابيّ يثق به فلما وصل الى بجكم لم يلبث ان ركب الجمازات ووافى مدينة السلام وخلف عسكره وراءه .

وسقطت الاطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد [٢٠] وانه لا يدرى أهو منهزم أم مجتازٌ فابلس ودهش وتحير وهمّ بالقبض عليّ وحبسنى الى البصرة وعلمتُ انا على الاستتار فخفتُ ان يثيرني ويخرجنى لان واسط بلدٌ صغيرٌ فسكنتُ على ذلك أرددُ اليه متجلداً . ثم دعانى وقت عصر بعدة غلمان فلم أشك فى انه للقبض عليّ فوصلتُ اليه وقت المغرب وقد قام فدخل الى كلة له هربا من البق فقال لى : عرفتَ الخبر ؟ قلتُ : ماذا . فقال: سقط طائر قبل العصر بان بجكم قد سار الى واسط . فقلتُ : هذا باطل متى ورد بغداد ومتى خرج ؟ فقال : دَع هذا عنك فانى لا أشك فيه فاخرجْ الساعة اليه وازل ما أوحشه منى وهات يدك . فناولتهُ اياها وجعلها على أذنه وقال : خذنى الى النخاسين وبعني فانى لا أخالفك واكفني هذا الباب ولا تسألنى عما تعمل . فقبلتُ يده ورجله والارض بين يديه وقلتُ له : امضي أتأهبُ . فقال : قد تأهبتُ لك وقدم لك طيارٌ وجردتُ

خمسين غلاماً لبذرقتك وانزل الى الطيار فقيه زاد يكفيك الى الحضرة وغلمانك يتلاحقون بك . فلم أعاللكُ سرورا ثم خشيتُ ان يكون قد اغتالني واني اخرج فيؤخذني الى البصرة ونهضتُ من عنده فما ثاب الىّ عقلي الاّ بفم الصلح (٢١) فلما وصلتُ الى نهرسابس لقيني خادم من داري ببغداد برسالة بجكم الىّ اني استتر وأسر بذلك الىّ . وسألني من معي من غلمان البريدي عما ورد به الخادم فعرفتهم انه أخبرني بحال عليلة لي وانها مشفية وسرتُ مبادرا . وأصبح البريدي نادماً على إنفاذه اياي ووجه خلفي من يطلبني لان طائرا سقط عليه بما آيسه من صلاح بجكم له وأغرى بي في الكتاب فكفاني الله . ووصلتُ الى دير العاقول وبها أحمد بن نصر القشوري فخرجت اليه وأراد ان يأخذ الطيّار ويوقع بالغلمان فلم أتركه ُ ندوتُ للغلمان ورددتهم في الطيار وجلستُ انا في طيار أحمد بن نصر ووافيت الزعفرانية ولقيت بها بجكم وصعدتُ اليه فخدمته بالحديث. واجتهدت في إصلاحه للبريدي ورده الى بغداد فابى فقال : لو لقيني وأنا على درجة من داري لما تهيأ لي أن أعود فانها تكون هزيمة فكيف وقد سرتُ ووصلتُ الى ههنا . وانحدرت معه

فقبض على أبي جعفر بن شيرزاد بواسط لانه كان سبب البريدي عنده وهو الذي أشار بوُصلته . وأظهر بجكم صرف أبي عبد الله البريدي عن الوزارة وأزال اسمها عنه وأوقعهُ على أبي القاسم سليمان بن الحسن فكان اسم الوزارة عليه وخلع عليه خلع الوزارة والامور (٢٢) يدبرها كاتب بجكم وهو ابن شيرزاد الى أن قبض عليه . فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة على أبي عبد الله البريدي سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما .

وكان بجكم عند اخراج مضربه الى الزعفرانيّة متوجّهاً الى البريدي

أحبّ أن يكتم خبر انحداره وكان انحداره في حديديّ فضبط الطرُق ومنع من نفوذ كتابٍ لاحدٍ لئلا يكتب بخبر انحداره .

﴿ ذكر اتفاق ظريف غريب ﴾

كان معه في الحديديّ كاتب له على أمر داره وجرايات حاشيته وكان له أخ في خدمة البريدى . فلما جلس بجكم في الحديدي سقط على صدر الحديدي طائر فصادَه غلمان بجكم وجاءوا به الى مولاهم فوجد على ذنبه كتاباً فقرئ فاذا هو كتاب من كاتبه هذا الى أخيه بخطه يعرفه فيه انحدار بجكم ومن أنفذ على الظهر من الجيش وسائر أسراره وعزائمه . فلما وقف عليه بجكم عجب واغتاظ وأحضر هذا الكاتب ورمي اليه بالكتاب فسقط في يده ولم يمكنه جحده لانه بخطه المعروف فاعترف به فامر به فرُمي بالزوبينات بحضرته الى أن قتله ورمى به في الماء وسار الى واسط فوجد البريدي قد انحدر منها ولم يقف .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر بان ابن رائق أوقع بابى نصر ابن طغج أخي الاخشيد فانهزم أصحاب أبى نصر ابن طغج واستؤسر وجوه قوّاده وقتل أبو نصر ابن طغج (٢٣) فاخذه ابن رائق وكفنه وحنطه وحمله في تابوت الى أخيه الاخشيد وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الاخشيد معه كتابا يعزّيه فيه بأخيه ويعتذر مما جري وانه ما أراد قتله وانه قد أنفذ اليه ابنه ليقيده به ان أحبّ ذلك . فتلقى الاخشيد فعله ذلك بالجميل وخلع على أبى الفتح مزاحم ورده الى أبيه واصطلحا على أن يفرج ابن رائق للاخشيد عن الرملة ويكون باقي الشام في يد ابن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة مائة وأربعين ألف دينار .

وفيها دخل أبو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الديلم واتصل خبر هزيمته ببجكم وهو بواسط فوجه بمن ضربه في منزله بالمقارع وقيده وحبسه مدة ثم رضي عنه [1]

﴿ ودخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها كان القبض من بجكم على كاتبه ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله الكوفي فكانت مدة كتابة ابن شيرزاد لبجكم وتدبيره الملك وقيامه مقام الوزراء تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوما . وحين أراد القبض عليه كاتب تكينك خليفته على يد مسرع بأن يحض أبا القاسم الكلواذي وأصحاب الدواوين والعمال والمهندسين ويتقدم اليهم بان يتوافقوا على أمر المصالح بالسواد وأن يعملوا عملا [24] بما يحتاج اليه ناحية ناحية فاذا فرغ منه تسلمه منهم وقبض على فلان وفلان (قوم أسماهم له من الكتاب) فاذا حصلوا كتب على عدة أطيار بخبر حصولهم . فاحضرهم تكينك وناظرهم في دار بجكم على أمر المصالح فلما فرغوا من ذلك وأرادوا الانصراف اعتقل من اسمى له منهم وفيهم أبو الحسن طازاذ بن عيسى ومحمد بن الحسن بن شيرزاد والمعروف برهرمه وجماعة من الكتاب والعمال وكتب بخبر القبض عليهم . فلما عرف خبرهم وحصولهم في القبض قبض حينئذ على أبي جعفر ابن شيرزاد وزيره [2]

---

(١) وزاد صاحب التكملة في ترجمة هذه السنة : وفي شعبان توفي قاضي القضاة أبو الحسين فتوسط أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي أمر ابنه أبي نصر على عشرين الف دينار حتى ولي مكانه وترجمة القاضي أبي الحسين عمر موجودة في ارشاد الاريب ٦ : ٥٦ * وفيها توفي أبو عبد الله القمي وزير لركن الدولة وقلد مكانه أبو الفضل ابن العميد

(٢) وأما قصة ابن شيرزاد في استتاره ليراجع كتاب الفرج بعد الشدة ٢ :١٣٧ — ١٣٩

ومما يستدلّ به على دهاء بجكم ما حكاهُ ثابت عن أبي عبد الله الكوفي قال : قال بجكم بعد قبضه على أبي جعفر ابن شيرزاد : كان يقال لي ان أبا جعفر موسر كثير المال وكنتُ أظن أن اعداءه يكثرون عليه فأردتُ ان أمتحن صحة ما يقال فيه فقلت له يوماً : قد أودعت الارض مالا كثيرا وعملت على ان أودع الناس شيئا آخر ولست أثق باحد ثقتي بك وأريد ان أودع عندك شيئا فهل تنشط لذلك ؟ فقال لي : وكم مبلغه ؟ فقلت : مائة الف دينار . فقال لي مسرعاً « نعم » ولم يستكثرها ولا رأيت في وجهه اعظاما لها . فلما رأيت قوة قلبه ونشاطه للامر وان المقدار لم يهلهُ ولا عظم في نفسه علمت ان الذي قيل في يساره[٢٥] وكثرة ماله حقٌّ . فسلمت اليه مائة الف دينار وتركته مدة طويلة ثم قلت له : قد احتجت الى تلك الدنانير فينبغي ان تردّها . فقال « نعم » وحمل بعد أيام جزءا منها ثم اقتضيته فحمل شيئا آخر ثم اقتضيته فحمل جزءا آخر فأظهرتُ غضباً وقلت له : دفعتها اليك جملة وتردها تفاريق ! فارتاع لغضبي وصياحي عليه ودهش فخجل وقال : انا أصدق الامير ليس لي من أثق به في هذه الاحوال الاّ أختي وليس تطيق حمل الجميع ولا لها حيلة الاّ أن تحمله شيئا بعد شيء . فسكت وقلت « يجوز » وحصلت من كلامه ان الذي يجري على يده أمر ودائعه هو أخته فلما قبضت عليه وطالبته أخذ يتمانّ فوجهت اليه : لا تتمانّ فان أختك قد وقعت في يدي . ولم تكن قد وقعت وانما أردتُ أن أرعبهُ (قال) فانحل وبلغ ما أردته

وفيها في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول مات الراضي بالله[١]

---

(١) قال صاحب كتاب العيون : وفي هذه السنة مات زيرك الخادم القاهري فاشتد حزن الراضي عليه وخرج من داره مستوحشاً منها لفقد زيرك الي الشماسية فأقام بدار

وكان قد انكسف القمر كله وكان موته بالاستسقاء الزقيّ واستتر كاتبه أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وانقضت أيامه . وكان رجلا أديبا شاعرا حسن البيان محب محادثة الادباء ومعاشرتهم ولا يفارق الجلساء وكان سمحاً سخياً واسع النفس . (٢٦) وطمع بجكم فى جماعة من ندمائه وظنّ انه ينتفع مع عجمته بآدابهم فلما نظر لم يجد من يُفهّمه ما ينتفع به الا سنان بن ثابت فان سنانا كان ينادمه الراضى بالله قال سنان : دعاني بجكم ووصلني وأكرمني ثم قال لى: أريد أن أعتمد عليك فى تدبيرى وأمور جسمى ومصالحي وفى أمر آخر هو أهم الى من أمر بدنى وهو أمر اخلاقي فقد وثقتُ بعقلك وفضلك وقد غمّنى غلبة الغضب والغيظ علىّ وافراطها فى حتى أخرج الى ما أندم عليه من ضرب وقتل فانا أسألك ان تتفقد ما أعمله ثم تعالجنى مما تنكرهه واذا عرفتَ لى عيباً لم تحتشم ان تذكره لى ثم ترشدنى الى علاجه ليزول عنى . (قال) فقلت له : السمع والطاعة ولكن فى العاجل اسمع منى جملةَ علاج ما أنكرته من نفسك الى ان يجيء التفصيل . اعلم أيها الامير بأنك قد أصبحتَ وليس فوق يدك يد لمخلوق وانه لا يتهيأ لاحد منعك مما تريد ولا ان يحول بينك وبين ما تهواه أيّ وقت اردته وانك متى أردتَ شيئا بلغته فى أي وقت شئتَ لا يفوتك منه شيء ثم اعلم ان الغيظ والغضب يحدث فى الانسان سكرا أشد من سكر الشراب المسكر بكثير فكما ان الانسان يعمل فى وقت السكر من النبيذ

ريق مولي ابراهيم بن المهدي (وكان قد ملك هذه الدار بعد ريق اصطفن النصراني) وسب الراضي من دنان المطبوخ من عهد المعتمد في دجلة أربعمائة دن حزنا على زيرك وكان يقول : ماتمائة قاضي وصاحب رأي وخادم كافي . وكان قدأقطعه البستان المعروف بالشفيعي وأعطاه من المال والجوهر ما يتجاوز قدره فأمر ببيع جميع ذلك وان يتصدق بثمنه عن زيرك .

ما يندم عليه وما لا يعقل به ولا يذكره اذا صحا كذلك [٢٧] يحدث في حال السكر من الغضب بل أشد فيجب كما يبتدىء بك الغضب وتحس بانه قد ابتدأ يغلبك ويسكرك وقبل ان يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج من يدك . فضع في نفسك ان تؤخر العقوبة على الذنوب وتتركها تغب ليلة واثقاً بان ما تريد ان تفعله في الوقت لا يفوتك عمله في غد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » فانك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فلا بد لفورة الغضب من ان تبوخ وتسكن وتصحو من السكر الذى أحدثه لك الغضب وقد قيل ان أصح ما يكون الرأى اذا استدبر الانسان ليلته واستقبل نهاره . فاذا صحوت من سكرك فتأمل الامر الذى أغضبك فان كان مما يجوز فيه العفو ويكفى فيه العتاب والتهديد أو التوبيخ أو العزل فلا تتجاوز ذلك فان العفو أحسن بك وأقرب لك الى الله عز وجل وليس يظن بك الذنب ولا غيره العجز ولا تعذر القدرة . وان كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوزه الى ما يقبح ذكرك ويزيغ دينك وعقت عليه نفسك . وانما يشتد هذا عليك عند تكلفه أول دفعة وثانية وثالثة ثم يصير عادة فيسهل لك ثم تستلذه اذا عملت فضيلة . فاستحسن ذلك بجكم [٢٨] ووعد انه يفعله وما زال ينبهه على شيء شيء حتى صلحت أخلاقه وكف عن القتل والعقوبات الغليظة واستحلى ما كان يشير به من استعمال العدل والانصاف ورفع الجور والظلم وعمل به حتى قال : قد تبينتُ ان العدل أربحُ للسلطان بكثير وانه يحصل له دنيا وآخرة وان مواد الظلم وان كثرت وتعجلت سريعة النفاذ والفناء والانقطاع وهو مع ذلك كانه لا يبارك فيها وتحدث حوادث يتحرمها ثم يعود بخراب الدنيا وفساد

الآخرة[1] فقلت له : وبالضد فان مواد العدل تنمي وتزيد وتدوم وتبارك فيها عند ابتداء العمل به . وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد

(١) وأما حال بجكم مع الراضي فقد قال أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق في ترجمة سنة ٣٢٢ : وقال لنا الراضي بالله . كاني بالناس يقولون «أرضي هذا الخليفة بان يدبر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال ويتفرد بالتدبير » ولا يدرون ان هذا الامر أفسد مثلي وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي فسلمت الي ساجية وحجرية يتسحبون علي ويجلسون في اليوم مرات ويقصدونني ليلا ويريد كل واحد منهم ان أخصه دون صاحبه وان يكون له بيت مال وكنت أتوقى الدماء في تركي الحبل عليهم الي ان كفاني الله أمرهم . ثم دبر الامر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم وانفرد بشربه ولهوه ولو بلغه وبلغ الذين قبله ان على فرسخ منهم فرسانا قد أخذوه وطالبوا بالاستحقاق وربما أخذوه ولم يبرحوا ويتعدي الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابي وآمر فيه بامر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل . وأكثر ما فيه ان يسلبني فيه كاتب من كلابهم فلا أملك رده وان رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا . فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي « منعتك » أو « أجلستك » كما كانوا يقولون بل اعتد انا عليه بالاصطناع ووجدته ان تعدى أحد من أصحابه لم يرض الا بقتله والمبالغة في عقوبته وان بلغه ان عدوا قد تحول في ناحية نهض اليه فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ولا تلبث لوفاء استحقاق . فرضيت ضرورة به وكان أوفق لي وأحب الي ممن قبله وكان الاجود ان يكون الامر كله لي كما كان لمن مضي قبلي ولكن لم يجر القضاء بهذا لي .

وكان دعي بجكم مرات منها مرة الا وهو ينفق عليه في خلعه وما يحمله معه عشرين الف دينار وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبلور . وعلم ان عادته في داره وحشمه الا يشرب الماء اذا جاءوه به يصب منه في اناء معه فيشربه ثم يناوله اياه . فكان يستعمل الراضي معه هذا اذا حمل اليه كوز وضع بين يدي الراضي أولا فأكل منه ثم وضع بين يدي بجكم وكذلك النبيذ وجميع ما يوضع بين يديه وكان يستعفيه من هذا فلا يعفيه . ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذه ويده فضمه الراضي اليه واخرج من أصبعه خاتمين فوضعهما في أصبعه أحدهما يشبه الجبل في حمرته وكبره . فنظر ابن حمدون الي ونظرت اليه واغتممنا ان يكون الجبل في يد غيره ففطن لنا فلما انصرف بجكم قال لنا : قد رأيت نظركما وقت الخاتم واحسبكما ظننتماه الجبل ليس به ولكنه أقرب فص في الدنيا شبها به .

بيمارستان وعدل فى أهـل واسط وأحسن الى أهلها الا أن مدّته لم تطل فقتل عن قرب . ولله تدبير فى أرضه وله أمر هو بالغه

ولقد قال لى بجكم بعد موت الراضي وأنا معه بواسط وعلى رأسه من خدم الراضي جماعة : ان هؤلاء حـدثونى ان الراضي أراد ان يقبض عليّ في بعض دعواته أفـكان كذا ؟ فقلت له : الامير يعلم ان الراضي لا يرجى في هذا الوقت ولا يخاف وبالله ما استبنا منه هذا فى حال صحوه ولا سكره ولا جـدّه ولا هزله وما كان الاّ محباً للامير مغتبطاً به . ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرّظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل ان يظهر لنا مافي نفسه عليه . فقال لي : صـدقت والله وكذب هؤلاء وما يدريهم كان الامر عندي كما قلت . ثم حدّثته بما قد ذكرته من قول الراضى « انا أعلم ان الناس يقولون » فضحك وقال : ما كان الاّ نهاية في عقله ودهائه وملقه (يريد بجكم هذا وان لم يلفظ بهذا اللفظ) ولـكني أعتب عليه بانه كان شديد الحين يؤثر لذّته وشهوته على رأيه. فعجبت والله من عقل بجكم جاء والله بعجيبه اللذين ما كان فيه غيرهما

ثم حدثته انا كنا نقف على مكاتبته الامير سراً ليأذن له المصير الى بغداد ويشكو اليه ما كان يجرى عليه من ابن رائق فيكتب اليه « عليك بالوفاء لمن اصطنعك وأحسن اليك » الى أن كتب اليه الامير « أعوذ بالله أن يكون مولاى يريد قتلي كما يريده ابن رائق لانه أعطاني جيشاً بمال معدوم ثم لم يوفني استحقاقهم وهذا سعي على دمي » وانه لما ورد عليه كتاب الامير بهذا كتب اليه « والله ما أحب أن يتأذى بشئ أقل جندك واتباعك لموضعك عندى ومايستحقه شـجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ماذكرته فيك فاذا صار الامر الى هـذا وجعلت وصيتى لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سبباً لزوال أمرك فما أحب هـذا افعل مايصلحك . فلما قرأ الامير هذا الـكتاب قلت : ثم وقفنا في وقت من الاوقات ان الامير اتهمه بأنه كاتب في أمره بعض من (لا) يصلح للمكاتبة فى مثله وان ذلك اتصل به فوجه الى الامير : قدعلمت الحال التى كنت عليها لابن رائق فى كراهتى له في آخر أيامه وما أجرى عليه مما يستوجب به ازالة أمره ومكاتبتك لى فيه بما كاتبت فان كنت مع تلك الحال أذنت لك في مكروهه أوتغير عليه مع تسخطى وغضبي فاني سأكاتب فيك علي بعد ما بيننا وأنا فى هذا الوقت مغتبط بك راض بجميع فعلك وأمرك . فضحك بجكم وقال : كذا كان وأزال هذا جميع مابقلبي مما تهمته وعلمت انه صادق فيه



TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS

MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER ATLAW,

Volume I

DEALING WITH THE EVENTS OF 35 YEARS:

295 - 329 A. H.

DISTRIBUTOR :

AL - MUTHANNA LIBRARY

BAGHDAD, IRAQ.



(يحتوى على حوادث اربعين سنة) (من ٣٢٩ الى ٣٦٩ هجرية)

بمطبعة شركة التمدن الصناعيه بمصر المحميه سنة ١٣٣٣ هـ و١٩١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ﴾

لما مات الراضي بالله بقي الامر في الخلافة موقوفاً انتظارا لقدوم أبي عبد الله الكوفي من واسط وأحتيط على دار السلطان وانتظر أمر بجكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفي يامر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزر للراضي بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلويين[٢٩] والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبهُ وتحمد طرائقه فمن وُجدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر فتفرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر فلما كان اليوم الثاني دُفع كتاب بجكم الى كاتب فقام وقرأه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي : هذا الرجل من ولد المقتدر فقُل لنا هذا الرجل المذكور في الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبدالله الكوفي : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب في الخلافة كائنا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرّا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فايّ شيء تقولون ؟ فاذا سمعا ذلك لم يشكّا في انه شيء قد تقرّر وورد فيه أمر بجكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدّم بحمله ليعقد له الامر في دار بجكم ثم يحمل الى دار السلطان. وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعُرضت الالقاب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس [٣٠] وأنفذ الخلعة واللواء الى بجكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلع عليه وأخذ البيعة عليه للمتّقى لله [١]

وأطلق بجكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق للكتّاب ولا للنقباء وأشباههم شيئاً . ووجّه بجكم قبل استخلاف المتقي لحمل من دار السلطان فرسا كان استحسنهُ وآلات كان اشتهاها . وخلع المتّقي لله على سلامة الطولوني وقلّده حجبته وأقرّ سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي

وفيها ورد الخبر بدخول أبي على ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ماكان الديلمي وهزيمته لوشمكير الي طبرستان

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ما كان مستقرّا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولى ان الحسين بن الفضل بن المأمون بعث الى الكوفى بعشرة آلاف دينار له وبأربعين ألف دينار ليفرقها في الجند ان ولاه الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التى له وكان كثير الصوم والتعبد لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديما غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته اياه وطمعه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان واستعفى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولّيها وسار اليها وفيها بُلقسم ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الى وشمكير يُداريه فيه ويستنزله عن أعماله التي كانت [٣١] في يده ويستعيده الى حال المودة والموادعة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا أنجد ولا أفرس من ما كان وأقرّ له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدّم مشهور فصادفت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب عهده بالمصيبة واشفاقهُ من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بلقسم بن بالحسن بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودّة واستوحش صاحب خراسان من تضافرهما وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعتهُ وأسقط خطبته .
فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقعته فى عسكر كثيف أمدّهُ به صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجدهُ فانجدهُ بعسكر قوىّ ثم اتبعهُ أيضا بعسكر ثان مع شيرج بن ليلى . وحاصر ابن محتاج ما كان واشتدّ به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فانتهز هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتنم شغل وشمكير عما كان فطمع فى الرىّ وكاتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان [٣٢] وأشار عليه بمُناجزة القوم ووعده بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه وأشار عليه بالمناجزة ووعدهُ بان يسير أخاهُ الى الرىّ في عسكر قوىّ

وعرف وشمكير الخبر وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الريّ وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكاتبة بينه وبين عماد الدولة وركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكراهما وصارا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سوى الاتراك والعرب وأظهرا من السلاح والجُنن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التدبير لان وشمكير كان منفرداً باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والعلوفات وتفقّد القُواد والرجال لان الرى وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرّد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرُب منها وأقام الديلم والجيل مصافّها وبات الفريقان على أهبة لِما كرة الحرب والمناجزة [٣٣] وكان وشمكير ضرب عدّة خركاهات للمصافّ ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكلُ ويُطعم ويُجلس من يرى ووشمكير قائم متردّدٌ على رسمهم فى ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر لِمَ لا تأكل معنا ثم تتوفر على النظر بعد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمرٍ قد قرُب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معاً ونطعم وان كان لغيرنا فسوف يأكل ويُطعم . (وكانا يتعاملان مُعاملة النظراء ويتخاطبان بالكُنى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استتموا طعامهُم حتى ورد عليهم الخبر بان ابن مُحتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سمتهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه المدد الذى

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا فى الوقت الى هذه القرية وأعاد المصافّ بها ووافى ابن مُحتاج وقد عبّى جيشه كراديس

﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرّق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾
﴿ بينهم الغدر فازال تعبئتهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن مُحتاج الى أصحابه أن يَطرقوا القلب ويلحّوا عليه وكان فيه ما كان وجُمرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجرّوهم . ثم وصّى الكراديس التى بازاء الميمنة[٣٤] والميسرة ان يناوشوهم مناوشةً خفيفة بمقدار مايشغلهم عن ان يصيروا مدداً لمن فى القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألحّوا على القلب ثم تطاردوا لهم كالمنهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتبعوهم وفارقوا مصافّهم وبعدوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثيرٌ . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في الفضاء الذى اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحقّقوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلوهم كماشاؤا . وكان ما كان قد ترجل وأبلى بلاءً حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلها فوافاهُ سهمٌ عائرٌ وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأفلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الريّ وأخذ رأس ما كان بخوذته والسهم فيه وحُمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جمّاً يقال انهم نحو ستة آلاف .[٣٥] ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه تربيته وقد كان أظهر حزنا وغماً شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين وُلاة خراسان وبين السلطان ومعه رأس ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك فى سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنامته الى جيش ﴾
﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانتهب ﴾
﴿ سوادُه ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعتهُ وكان قريبا منه في الشجاعة الاّ انه كان شرسا متهوّراً زعِر الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التثاقل عنه حتى أطلق لسانَهُ فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذلهُ ونجا بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقيعة فيه فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده على قصد وشمكير . فلقيه بظاهر سارية واتّصلت الحرب بينهما أياما الى أن ورد الخبر [٣٦] على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافقه على أمور تقررت بينهما وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس بما فعله وأراد منه أن يتمم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بعد ذلك الى خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا الحقد ودبّر أن يطلب غِرّته فى طريقه ويفتك به فلما صارا الى الحدّ بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بعسكره ليقتله فافلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلعة التى كان يعتصم بها . وكان وشمكير صار الي الريّ فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج مافعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة وردّ عليه ابنه الذى كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حربَهُ فتسلّم وشمكير ابنه وحاجزهُ فى الجواب ولم يصرّح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير [٣٧] فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان. فاغتنم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهريار . فلماحصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أبا على ركن الدولة وينحاز اليه فراسلهُ ورغب في مواصلته فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى فخر الدولة وهى بنت الحسن بن الفيرزان

وفي هذه السنة فرغ من مسجد براثا وجمّع فيه

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وبلغ الكرُّ من الدقيق مائة وثلاثين دينارا وأكل الناس الحشيش وكثر الموت حتى كان يدفن فى قبر واحد جماعة من غير غسل ولاصلوة وظهر من قوم ديانة وصَدقة وتكفين ومن آخرين فجورٌ وغضب وهم الاكثر [١]

(١) زادصاحب التكملة : وكان على بن عيسى والنفرى يكفيان الناس على أبواب دورهما

وفيها انبثق نهر الرُفَيل ونهر بوق [١] فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت بادُوريا بهذين البثقين بضعة عشر سنة

وفيها قتل بجكم

﴿ ذكر سبب قتله ﴾

كان ورد جيش البريدى الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين [٢] وتوزون في جيش للقائه فكانت بينهما وقعة [٣٨] عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبا الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما فخرج بجكم من داره بواسط يوم الاربعاء لاربع عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه. فورد كتاب توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن انزعاجه فانفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر

وهمّ بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت خزائنه قد سارت فاشار عليه أبوزكرياء السوسى بان لا يرجع وقال له: تمضى وتتصيّد. فعمل على ذلك [٣] فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء. ونكب الكوفي هرون اليهودى جهبذ ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادرته ستون ألف دينار فاخذت داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائى راكبة دجلة و الصراة وفيها بستان أبي الفضل الشيرازى ودار المرتضي وحمل هذا اليهودى الى بجكم بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس حتى مات

(١) وفي الاصل: نهربو. وفي التكملة: نهر بوا. (٢) وفي تاريخ الاسلام هو: كورتكين (٣) وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٢٨: فيها خرج بجكم الى الصيد بمرج البندنيجين فاوغل في طلب الصيد وانقطع عن أصحابه فلم يشعر الا وقد أحاط به من الاعراب جماعة فيهم رجل يقال له حجاج معروف بالصعالكة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أموالهم وقصدهم متهاونا بهم فى عدد يسير من غلمانه وعليه قباء طاق بلا جبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لايعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمهُ خاصةً

النفس) وكان تحت بجكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما نظر الى الخيل قد أحاطت به ترجل وخلى لهم فرسه وحمى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقنعوا بالفرس ولم يزل يمشي الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الاكاسرة فصعد الى أعلاه وأبرق بسيفه فلحقه عسكره وسألوه عن خبره فذكر ان فرسه قطر به وغاب عنه ولم يدر أين أخذ . ثم بقي يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الاكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له مجارى الموضع فسألهم فقالوا : مابقى من نسل هذا الذى بنى القصر وهوالهرمزان الاقوم بناحية نهر مرة من خدد البصرة . فوجه اليهم يحضرهم فاحضر اليه منهم بضعة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الا مولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبرالقصر ووجد رجلا آخر خيراً فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخلق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو نهراً مطمورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد التقم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كانه يومى الى موضع من المواضع وكانه رافع وجهه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما اقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه ويملك عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الأسد الذى قد التقم يده واما إيماؤه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومي الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بجكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستقصي الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا وآنية وجواهر في الموضع فصدق من المال عشره على آل أبي طالب وغيرهم وقال : سبب سياقة الله عزوجل الى بما كان من الاعراب واشرافي على القصر وما وقع في نفسي الاستقصاء والمسئلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى اليها الانهار وغرس بها غروسا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقبلهم وأضعف أرزاقهم في دفعة واحدة
وكان بنو البريدي [٣٩] عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة لمراسلة بجكم أهلها بما سكّن نفوسهم فكانوا مجتمعين عطارا فلما بلغ بنى البريدي قتل بجكم فرّج عنهم ونفّس خناقهم . وعاد أتراك بجكم الى واسط وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجمى وأظهروا طاعة المتّقي لله وصار أحمد بن ميمون كاتب المتّقي لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو عبد الله الكوفي من قبله فكانت مدّة تقلّد أبي عبد الله الكوفي كتابة بجكم وتدبيره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة امارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجّه المتقى بجماعة من حجابه فوكلهم بدار بجكم ولم يتعرض لشيء مما فيها حذرا من أن يرد خبر لبجكم يبطل الخبر الاول فلما صح عنده قتله أحضر يكاق صاحب تكينك فاثبت المواضع التي فيها المال مدفونا فسئل عن سبب معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدلّ على انه لدفين ثمّ يتتبع الاثر سرّاً فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طلب له ثقة وضمّ الى نجاح خادم المتقى فاستخرج شيء كثير فى قدور كبار منها عين ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم فامتنعوا [٤٠] فأطاق لهم ألفي درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن فى الصحارى ولم يقتصر على ما دفنهُ في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن فى الصحراء شيئا ومعه من يعاونه قتلهُ لئلا يدل على ما يدفنه فى وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله الناس فعجب منه

لحكي سنان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بحوادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال فدفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون عليّ باني أقتل من يكون معي ولا والله ماقتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدّثك كيف كنتُ أعملُ . كنت اذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالا عليها صناديق فرّغ الى داري فاجعل في بعضها المال وأقفل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأردّ من يخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال[٤١] فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لنفسي علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل[١]

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلع عليه واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكينك فاستتر .

وقدم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن اصعادهم وما آلت اليه أمورهم ﴾

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فعقدوا الرياسة لبلسوار

(١) زاد تاريخ الاسلام : فضاعت بموته الدفائن

ابن مالك بن مسافر السكنكري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فانحدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا الفا وخمسمائة رجل مختارين منتجبين ليس فيهم حشوٌ فقوى البريدى بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقى لله وأمرهم الاّ (٤٢) يصعدوا وان يقيموا بواسط فارسلوا : انّا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضيهم به ونحن نقيم . فوجّه المتقى لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان ردّ عليه ضيعتهُ مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانحدر في جملته تكينك سرّا من المتقي لله .

وقال الاتراك البجكمية والجنكاتي الذي كان استأمن من جهة البريدى للمتقي لله : نحن نقاتل بنى البريدي ان جاؤا فاطلق لنا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفى رجال الحضرة القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذى وُجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر ديالي . وعاد عبدالله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين يلتمسون المال لحمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حُملت اليّ والا فان الديلم لايمهلوني وعلى كل حال أنا سائر فان تلقّاني المال انصرفت والاّ دخلت الحضرة فقال المتقي لله لما أدّيت رسالته : أنا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملةً فمن أين أعطيه ماطلب؟ دعهُ يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أكفى أمره . وسار أبوعبد الله البريدى (٤٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البجكمية وقلعوا

خيمهم واستأمن بعضهم الى البريدى وسار بعضهم الى الجنكاني الى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفى وسلامة الحاجب ومحمد بن ينال الترجمان وتقلد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير أبو الحسين على أربعمائة الف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدى رهبة عظيمة لسفهه وتهوره وطمعه فهمّ أرباب النعم بالانتقال .

فتحدّث بعض المختصين بابي الحسن على بن عيسى قال : كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدّث بامر البريدى وموافاته الحضرة وتجارى جرأته وإقدامه وقلة اكتراثه وانه ينعل الناس بنعال الدواب وأشارت الجماعة عليه بالا يقيم ببغداد وان يخرج هو وعياله الى الموصل الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهوّلنا عليه وهو لا يُصغي الي رأينا فلما أكثرنا عليه ترجّح رأيه . ثم أطلق لى مائتي دينار على ان أبكرَ واكترى له بها زواريق ليصعد هو فيها وعياله الى الموصل فباكرنى رسوله مع السحر يأمرنى بالمصير اليه[٤٤] وجئت وسألنى فعرّفته انى ما مكّنتُ من امتثال أمره بمباكرة رسوله واستدعائه اياي فقال : ويحك لفكرتُ البارحة فيما أشرتم به فوجدته خارجا عن الصواب مفسداً للدين أيهرب مخلوقٌ الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مُقيم . فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرُب البريدى انحدر اليه وتلقاهُ فاكرمه أبو عبد الله غاية الاكرام ووفاهُ حقَّهُ وأعظمهُ ومنعه من أن يخرُج من طيّاره وانتقل هو اليه وشكر برّهُ وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم[١]

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

---

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الوزراء ص ٣٥٨ وفي ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٠

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيعي وتلقّاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتّاب والعمّال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذاآت والطيارات والحديديّات والزبازب ما لا يُحصى كثرةً . فوجّه المتقي اليه يعرّفه أنسهُ بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدّة ليال وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن ينال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويصير [٤٥] أبو الحسين اليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كلّ واحد منهما صاحبهُ بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدرّاعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك لست خلون من شهر رمضان فكانت مدّتهُ فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتفرّد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القوّاد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموهُ ويتوثبوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرّب علينا الخليفة ويُفسد علينا رأيهُ » ففعل الديلم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكّنهم ويعرّفهم كذب ما بلغهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قوما ادخلا الرواق . يوهمهما أنه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكّل بهما وانصرف القوّاد وحصلا في قبضه . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلدتُك الإشراف على واسط وأجريتُ لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عملك مع ابنك . فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصبهاني واعتل أبو الحسين بعد مدة[٤٦] بالبصرة ومات بها.

ولم يلقَ الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو فى النَجمى ليسلّم عليه فلبس أبو عبد الله البريدى قباء أسود وعمامة سوداء وتلقّاه فى أحسن زيّ وأوفر عُدة ونثر عليه دنانير ودراهم. وراسل الوزير أبو عبد الله البريدى المتقى لله على يد القاضى أحمد بن عبد الله بن اسحق الخِرَقى[١] وأبى العباس الاصبهانى يطالبهُ بحمل مال فحمل اليه مائة وخمسين الف دينار فاخذها وراسله بانه لابد من خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي: انصحه وقل له «أما سمعت خبر المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله؟ والله لئن خلّيتك والاولياء لتطلبنّ نفسك فلا تجدها وأنت أبصرُ انما الديلم وافوا لاجل المال الذي أخذتهُ لاالى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا منن لك في رقابهم» وكان الجواب عن هذه الرسالة الانمام وحمل اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاها عن آخرها فى سلخ رمضان ووهب للقاضى الخِرَقى منها خمسة آلاف دينار. ولما حصلت الاموال عند البريديين انصرفت أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدى[٤٧] يبعث الجند على طلب

---

(١) وفى تاريخ الاسلام هو أبو الحسن تقلد القضاء بواسط ثم بمصر والمغرب ثم ولى قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وأبوه وعمومته من التجار يشهدون علي القضاة وكان المتقى لله يرعى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه ويبلغه الى حال لم يبلغها أحد من أهله فقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعلم ولامجالسة لاهله فتعجب الناس لكن ظهرت منه رجلة وكفاءة وعفة ونزاهة. وانقطع خبره فى هذا العام (يعنى سنة ٣٣٤) لانه ترحل الى الشام ومات هناك. وفي التكملة ان في هذه السنة قلد القاضي القضاء بمصر والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفى مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه. وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفارضى الديلمى فرأس الاتراك على أنفسهم تكينك غلام بجكم وانحاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها.

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكينك الى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكينك لم يكن كبيرا في نفوس الاتراك فارسل اليه كورنكيج وخدعهُ وقال له: ان تفرّد كل واحد منّا عن صاحبه ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة. فانخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجمى وعاونهم العامة. فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى باسباب أبي عبد الله البريدى وقُتل نعجة القرمطى فهرب الوزير أبو عبد الله البريدي وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في [٤٨] الماء ونهبت داره فى النجمى ودُور قوّاده ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه المتقي فى ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقيّة المال فى ذلك اليوم. واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونُهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدر الخرشنى. فكانت مدّة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوما. ولما هرب البريدى حصلت الامارة لكورنكيج يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شوال

﴿ ذكر امارة كورنكيج ﴾

فلما كان يوم الخميس لثلاث خلون منه لقي كورنكيج المتقي لله فقلده امارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من أهل أصبهان يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله أبا الحسن على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة . وقبض الامير أبو شجاع كورنكيج على تكينك يوم السبت لخمس خلون من شوال وغرّقه ليلا . وفى يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجّوا وتظلموا من الديلم ونزولهم في دُورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم فى معاملاتهم فلم يقع انكارٌ لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر . وشغب الجند فنعهم الديلم من ذلك [٤٩] فقتل بين الفريقين جماعة

واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي لله فكانت مدّة نظر على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي قال : كنتُ بحضرة كورنكيج مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه على بن عيسى وعبد الرحمن أخوه والقراريطي فطالب كورنكيج أبا الحسن على بن عيسى بالمال وعرّفه حاجته اليه لإعطاء الرجال فبلّح هو وأخوه وذكرا ان المال قد استنظف من النواحي وانه لاوجه له (قال) فقال القراريطي ونحن فى المجلس فيما بيني وبينه : ان رُدّ الامر اليّ أقمت [١] به واستخرجت ما يدفع الى الرجال وفضل بعده جملةٌ وافرة . فاجتمعتُ مع أبي الفرج كاتب كورنكيج

---

(١) يريد « قمت »

وعرّفته ماخاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غد فاعاد عليه ما قاله لى وأراه وجوها لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيج فعرفه ان على بن عيسى وأخاه قد بلّحا وان القراريطى قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويزيح علل الرجال حتى لا يقع إخلال بشئ يحتاج اليه فاستروح كورنكيج الى ذلك وأمره باحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام (٥٠) بكل مايحتاج اليه ولم يبرح حتى انعقد له الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصبهان الديلمى الى واسط من قبل الامير أبى شجاع كورنكيج لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصعد من البصرة الى واسط فلما سمعوا بانحدار اصبهان الديلمى انحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وتابعه على بن يعقوب من استتارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطى ليسلّما عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ﴾
﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البجكمية مثل توزون وخجخج ونوشتكين وصيغون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فحاد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطلق لهم ربع رزقة فتقدّموا الى ابن رائق بالشام . فصح عنده قتل بجكم

بمصير الاتراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بجكم ويخاطبه[٥١] بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق فلما قرب من الموصل كتب كورنكيج الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حادعنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما مراسلة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل

ولما كان يوم الاحد لخمس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيج على القراريطي فكانت مدّة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه

وورد الخبر بدخول بنى البريدى واسطا لما انصرف عنها اصبهان الديلمى وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم

وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيج واستتر

﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيج واستتاره باتفاق وحرب ﴾

لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيج منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيج وابتدأت الحرب واتصلت أياما متتابعة كانت[٥٢] على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة دخل ابن مقاتل بغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل فى النجمى وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبهُ فركب معه

في دجلة الى زقّة الشمّاسية وانحدرا من وقتهما الى دار السلطان فصعد المتقي لله اليها وعبر ابن رائق الى النجمي . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى كورنكيج في جيشه من عكبرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم في نهاية التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا يهزون ويقولون « أين نزلت هذه القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيج الى دار السلطان دُفع عنها وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيج ونزل في الجزيرة التي بين يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيج بغداد وانه حمّل ثقله وابتدأ بالمسير قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلّم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت لفاتك حاجبي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من بغال النقل فعرقبه (٢:٣) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرقى وعبرت أنا في سُميرية ومعي سباشي الخادم التركى ونحو من عشرين سميرية فيها غلمان واتفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم بالنشّاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا ونخبت قلوبهم وقدّروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرجمة من العامة وطُرحت السُتر عليهم [1] وهرب كورنكيج واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا

﴿ ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق ﴾

---

(١) وفى التكملة : ورماهم العامة بالستر والآجر

لما استتر كورنكيج وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله احمد بن علي الكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته. وأمر ابن رائق بقية الديلم المستأمنة بطرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب من جسر النهروان فرجعوا ودخلوا الدار المعروفة بدار الفيل فكانوا نحو أربعمائة رجل لم يجسروا ان يتفرقوا. فلما كان يوم الاثنين لخمس بقين من ذى الحجة وجه ابن رائق برجّالته السودان الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن اجتمع هناك من الديلم فقطعوهم فلم يسلم منهم (؟؟) الا رجل يقال له خذا كرد وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجوالقات الى دجلة ورمي به مع غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك. وكان ابن رائق استأمن من قواد الديلم بضعة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم فضربت أعناقهم صبراً في داره. وكان من المنهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن رائق وطوقه وسوره بطوق وسوار مرصعين بالجوهر وعقد له لواء وقلده أمرة الامراء وألزم أبو جعفر الكرخي بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوما. ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب الامير أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق القراريطي الى منزله ووجد كورنكيج فأخذ وحمل الى دار السلطان

﴿ ودخلت سنة ثلاثين وثلثمائة ﴾

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لأنهم ما حملوا شيئاً من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرّم انحدر ابن رائق وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم (٥٥) الكوفي الى أن ضمن البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستمائة الف دينار في كل سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الي بغداد .

وفيها دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي وشُهر رأس ما كان في شذاآة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة والرأس ؟ ومرّ من الجانب الآخر من الخوذة

وفيها شغب الاتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلّى ومعهم توزون ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنّي عليه ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوي بهم جانبهُ واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر وأنفذ اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد بالحضرة وأوصلهُ الى المتقي لله الآن المدبر للامور كلها أبو عبدالله الكوفي ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الى بغداد فازال ابن رائق عنه اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر (٥٦) ابن شيرزاد منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشماسية . واجتمع خلق [(١)] من العيارين بالسكاكين المجردة في جميع محال الشرقي من بغداد وفي يوم الجمعة لُعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصعاده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراك والديلم فلما قرُب من بغداد استأمن كل من كان معه من القرامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدّ أكثر أبواب دار السلطان والثلم في سورها ونصب العرّادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطىء دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحسك والحديد واستنهض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سببا لتوزُّع العصبيات بينهم واتصال الحروب. وافتتن الجانب الغربي وأحرق نهر طابق مما يلي دار البطيخ واتصلت الكبسات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستنفر الناس نهاراً وليلا وقتل بعضهم [(٥٧)] بعضا قتلا ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة . وبرزت خيم السلطان الى نهر ديالى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقوّاد معه . فلما كان يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر ديالى وكان لؤلؤ مقيما على شاطىء النجمي وبدر الخرشني بالدُّملي وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر ومازالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظهر وفي الماء وأوقع الديلم بالعامة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدى

(١) وفي تاريخ الإسلام: واجتمع الخلق على كرسي الجسر فثقل بهم وانخسف فغرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملكوا الدار . فخرج المتقى وابنه منها هاربين فى نحو عشرين فارسا فخرجا الى باب الشمّاسيّة ولحق بهما ابن رائق وجيشه ولؤلؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا فى دار السلطان ونهبوها نهبا قبيحا ودخل الديلم دُور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين فى حديديّة أياما على باب الخاصة ووُجد فى دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطلقا وأما كورنكيج فقيده وحدره الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر العهد به ووُجد القاهر في محبسه فأقرّ فيه من دار السلطان [1]

فلما كان بعد أيام صعد أبو الحسين البريدى [58] ونزل فى دار مونس وهى التى كان ينزلها ابن رائق وقلّد أبا الوفاء توزون الشرطة فى الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة فى الجانب الغربى . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكُبست الدور وأخرج أهلها ونُزلت ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرم توزون وابنيه وعيالات أكثر القوّاد والاتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن فى يده

وغلت الاسعار ببغداد وظلم البريدى الظُلم المعروف لهم وافتتح الخراج فى اذار فخبط التُنّاء حتى تهاربوا وافتتح الجوالى [2] وخبط أهل الذمة وأخذ الاقوياء بالضعفاء ووظف على كرّ من الحنطة سبعين درهما وعلى

---

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون فخرج فرئى وهو يتصدق بسوق الثلاثاء فبلغ ذلك البريدى فانفذ بمن أقامه وأجرى له فى كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفى التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كرّ كان للتجار ورد من الكوفة وادّعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خجخج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدى فغدر نوشتكين بتوزون ونمى الخبر الى أبي الحسين البريدى فتحرّز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغُلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غدر نوشتكين (٥٩) فلعنهُ وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقاتلوا البريدى .

ولما صار توزون وخجخج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسيه وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرُب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هاربا وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلا فى يده يطالبهُ مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلى بن عثمان بن النفّاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسلح الناس في الطرقات ليلا ونهارا . وكانت مدّة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعدُ أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذاك ان ابن رائق لما قرُب البريدى من بغداد كتب الى أبى محمد ابن حمدان يسئله مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ أبو محمد أخاه فلم يلحقهم الاّ بتكريت (٦٠) وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتقي لله وابنه وابن رائق والقوّاد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والثياب والفرش والدراهم وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقى ومضى الى نواحى معلثايا فما زالت الرُسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثّق بعضهم من بعض بالايمان والعهود والمواثيق حتى أنس أبو محمد وعاد فنزل فى الشرقى بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فعبر اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله ومعه أبو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ليسلّموا عليه فلقيهم أجمل لقاء ونثر على الامير أبى منصور الدنانير والدراهم . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير أبو منصور ثم قُدِّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فامسك أبو محمد بن حمدان كمّهُ وقال له : تُقيم اليوم عندى لنتحدّث فان بيننا ماتتجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لايجوز لانى أريد ان أرجع مع الامير ولكن يكون يوماً آخر . فالحّ عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رائق فجذب كمّهُ من يده حتى تخرّق وكان رجله فى الركاب فشب به الفرس فوقع (٦١) وقام ليركب فصاح أبو محمد بغلمانه وأمرهم بالايقاع به وقال : ويلكم لايفوتكم .

فوضعوا عليه السيوف وقتلوه [1] وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يغتاله ويوقع به فجرى فى أمره ماجرى
فردّ المتقى عليه الجواب يعرّفه انه الموثوق به ومن لايشك فيه ويأمره
بالمصير اليه فصار ولقيه

﴿ ذكر امارة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ﴾

فخلع عليه المتقى وعقد له لواء ولقّبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء
وكنّاه وكان ذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه علىّ وعلى أبى عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطى بتقليده الوزارة وذلك
فى شوّال وجلس فى داره وقلّد وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان
وافى المتقى وناصر الدولة أبو محمد

﴿ خبر محاربة البريدى مع ابن حمدان ﴾

دخل المتقى بغداد مع ناصر الدولة أبى محمد وأخيه علىّ وجميع الجيوش
وعملت لهم العامة القباب [2] ونزل ناصر الدولة وأخوه فى البستان الشفيعى
ولقى الوزير القراريطي المتقى لله وناصر الدولة وتقلد أبو الوفاء توزون

---

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر فتفرقوا فدفن وعفى قبره . ونهبت داره التى بالموصل فنقل ابن المحسن التنوخي (وهو أبو القاسم على وترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٣٠١) عن عبد الواحد بن محمد الموصلى قال حدثنى رجل ان الناس : نهبوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت « ان خرجت به أخذه منى الجند » فطفت في الدار فمررت بالمطبخ فاخذت قدر سكباج ملاى فرميت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رآنى يظن أني جائع فذهبت بها الى منزلى (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقلد المتقى بدرا الخرشنى طريق الفرات فسار اليها ثم سار الى مصر فاكرمه الاخشيد واستعمله على دمشق فمات بها .

الشرطة فى جانبي بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق القراريطى (٦٢)
خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذى القعدة وفى يوم الخميس خلع
المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوّقا وسوّرا بطوقين طوقين وأربعة
أسورة ذهبا وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوّق بطوق
واحد وسوارين ذهبا

وورد الخبر بان أبا الحسين على بن محمد البريدى قد أصعد من واسط
يُريد الحضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقي الى الزُبيدية ليكون مع
ناصر الدولة وقدّم حُرمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل
بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى منها
وسار أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان فى الجيش . وكان مع أبى الحسين
البريدى لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة
والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبى الحسن على بن حمدان وبين
البريدى يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهلّ ذي الحجة
ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجة فى القرية
المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجخج
والاتراك فكانت أولا على علىّ بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه فردّهم
ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدى (٦٣)
فانهزم واستؤسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبى عبد الله وأبو الفتح ابن
أبى طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومذكر البريدي والفرج كاتب جيش
البريدى واستأمن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان وابراهيم بن أحمد
الخراسانى وحصل له جمعُ الديلم الذين كانوا فى عسكر البريدي . وقتل جماعة

من قوّاد البريدى وعاد البريدى الى واسط مهزوما مفلولا ولم يبق فى على ابن حمدان وأصحابه فضل لاتباعه لِعظم ما مرّ بهم ولكثرة الجراح فيهم

ولسبع خلون من ذي الحجه عاد المتقي لله من الرُبيدية الى دار الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحُرم من سر من رأى ومن كان هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدى وأبو الفتح بن أبي طاهر والمذكر البريدي مشهرين على جمالٍ وعلى رؤسهم برانس [١] وكُتب عن المتقى كتاب الفتح الى الدنيا ولقّب المتقى لله أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدوله وأنفذ اليه خِلعا وكتب فيه كتابا وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها الى البصرة وأقام بها ومعه الاتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة (٦٤) ﴾

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا السوسى فاخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان استقرّ بينه وبين ناصر الدوله مصادرة ينهض بها ويطيب نفسه لها أقام على ظهوره وان لم يستقر عاد الى استتاره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة : عد الى استتارك . فقال ابن مقاتل : لم أحدّ الي ذلك حدّا فاذا شئتُ فعلتُ . فضج ناصر الدولة من ذلك لانه مضطر الى الوفاء بعهده وعلِمَ ان الحيلة قد تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمرَهُ على مائة وثلاثين ألف دينار

---

(١) زاد فيه صاحب التكلة : وسار فى الجانب الغربى الى دار عمه أبي الوليد سليمان ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة فى أمر النقد والعيار فامر بتصفية العين والورق وضرب دنانير سماها الابريزية [١] من أجود عيار وكتب فى ذلك كتابا وفى هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

ان دَيسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما تقدّم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير اختاروا المقام معه حين ردّ عسكر وشمكير اليه فتبسّط عليه الاكراد وزاد أمرهم فى الادلال والتحكّم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر فى أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم (٦٥) منهم صعلوك بن محمد بن مُسافر وأسفار بن سياكولى ؟ وجماعة من أمثالهم وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قوّاد بجكم (فنفاه بجكم من عسكره لشيء أنكره منه) يقال له على بن الفضل الصولى فافضل عليه ديسم وموّله وعظّم محلّه فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من عِدّة الديلم واستظهر بهم . وكان متولّي وزارته أبو القاسم على بن جعفر وكان من كتّاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه حتى هرب منه الى الطارم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه الوقت الذى استوحش فيه ابناهُ منه وهسوذان والمرزبان وملكا عليه قلعته المعروفة بسميران . وكان السبب فى وحشتهما قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتقى بذلك كتابا

بيته وقبضهُ عليهم لغير ذنب كبير و ذلك لشرٍّ كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسوذان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع أبيه بالطرم فعلم محمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبينهم أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسوذان له : انى لا أقيم في القلعة بعدك . وأعلمهُ انه ان[66] فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج معى . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لابيهما كان أنفذه سراً الى المقيمين في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسوذان والاحتياط عليه وعلى القلعة فعجبا من ذلك وجمعهما الاستيحاش من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فعرّفا أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساعدتهما على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فاستوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحيّر في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيداً قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتصم بالمرزبان وأطمعه في آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جليلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فنفق عليه وقرُب من قلبه وقلدهُ وزارته . واتفقا مع ذلك على عصمة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دُعاة الباطنيّة وكان المرزبان معهوداً فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أرادهُ .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من دَيسم[67] ومن هو غير راض عنه ومن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هرون الشارى[1] اعنى أباه فلما قتل

(١) ظفر به الحسين بن حمدان في سنة ٢٨٣ (طبري ٣ : ٢١٤٩)

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه
ابن أبي الساج وارتقي معه الى ما ارتقى اليه .

ولم يزل على بن جعفر يصمصع أركانهُ ويفسد قلوب أصحابه وخاصة
الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار الينا المرزبان
فارقنا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار
الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافّه الحرب قلب الديلم تراسهم فى وجهه
وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو الفى رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد
وحمل عليه المرزبان فقرق عنه من بقى معه وانهزموا وهرب فى طائفة يسيرة
الى أرمينية واعتصم بحاجيق بن الديرانى لمودّة كانت بينهما فأحسن ضيافته
وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يألف الاكراد وعرف
خطأهُ فى الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء
ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بعصاهُ . وملك المرزبان
آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه على بن جعفر الى ان أفسد
ما بينه وبينه [٦٨]

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابى سعيد عيسى بن موسى ويعرف بيسكويه
فسعي عليه وأطمع المرزبان فى ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من
حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه فى تدبيره وأحسّ على بن جعفر
بذلك فاحتال على المرزبان بان أطمعهُ فى أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز
وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحوالها غياض وأشجار مثمرة
وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضمّ اليه المرزبان جستان بن

شرمزن ومحمد بن ابراهيم ودلّير بن أورسفناه والحاجب الحسن بن محمد المهلبي [١] في جماعة من ثقاته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاهُ ويستدعيه ويمدهُ من نفسه ان يقتل الديلم ويوازرهُ حتى يعود الى مملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطا أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم انه انما حضر لطمع المرزبان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأهُ أهل البلد على الوثوب بهم في يوم ذكره وأحضر القوّاد المذكورين في ذلك اليوم فقبض في داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم في العسكر الذي أجمع له .

وكان المرزبان أساء الى (٦٩) الاكراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه واتصل بالمرزبان ما جرى على الديلم فندم على ايحاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه ولقبه المختار . ثم استمد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فجرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهزم الاكراد فعاد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المرزبان . وابتدأ في استصلاح على بن جعفر ومراسلته واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التي بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بانه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسما حين فارقهُ الا هربا من المكروه ولا فارقه الآن وعاد اليه الا هربا من مثل ذلك وان الذي يلتمسه منه ان يعفيه من العمل ويصونه في نفسه وحاله ليلزم منزله

(١) هو الوزير وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

ويروح ويغدو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهما من الثقات الذين يجمعهم الدينُ من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه · واشتدّ الحصار على ديسم فثلم ثلمةً في سور المدينة ليلا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يجسر المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يعطف عليه في صعاليكه[٧٠] ويخرج من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه علي بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على مماثمته

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله باردبيل ﴾

لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبيل خلف على تبريز بعض جيشه وصار في معظم العسكر اليه واستدعي أخاهُ وهسوذان اليه في جماعةٍ من أطاعهُ وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر أبا عبد الله محمد بن أحمد النعيمي فراسله المرزبان وتلطف له ووعده ان يستوزره فاستجاب له وآثره على ديسم وواطأه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعيمي على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾

أخذ النُعيمي في المشورة على ديسم بان يُنفذ الى المرزبان وجوه أردبيل ليسألوهُ الصلح ويعاهدوه ويستوثقوا منه بالايمان المؤكدة على ان يؤمنه ليدخل في طاعته وخوّفه من طول الحصار واستيحاش أهل البلد وانهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بان يفتحوا له الباب وأعلمهُ انه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم في أمره فوجد الصورة قريبة مما خوّفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه[٧١] وعن جنده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون

وهم على يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه البلد وأعيانهم ومذكوريهم ليتوثقوا له بالايمان والعهود حتى يأنس بها ويخرج اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعيمي المرزبان بان يحتبس هؤلاء الوجوه ولا يردهم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه لئلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولان أهل البلد اذا حبس عنهم وجوههم ورؤساؤهم اجتمعوا عليه ولم يمهلوه وعرّفوه انه قد أمن على نفسه بالايمان التي سألها وسكن الى مابذل له وليس لتأخره عن الخروج وجه ويشيّد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه فى أسرع وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول رؤسائهم فى يد المرزبان فخرج اليه فلما أتاه خبره تلقاه وأكرمهُ وأعظمه ووفى له بكل ماوافقه عليه وقلد أبا عبد الله النُعيمى وزارته وقبض على ابن محمود وسلمه اليه فصادرهُ وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج أموالا عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخُطب له (٧٢) على جميع منابر آذربيجان .

فليعتبر الناظر فى هذا الكتاب هل أُتِي هؤلاء الملوك الا من سوء تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقّدها بلذاتهم وشهواتهم وإغفالهم أمر أصحاب الاخبار وتركهم تعرُّف نيات وزرائهم وقوّادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم على الاتفاقات والدول التى لا يوثق بها وقلة تصفّحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولا بالدين الذى يحفظ نظامهم وعلاك سرائرهم ثم باصحاب الاخبار الثقات والعيون المذكاة على مُدبرى أمورهم

والتفقّد لهم يوما يوما وحالا فحالا وترك ايحاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته والبطش بمن لا حيلة فى استصلاحه ولا دواء لسريرته . وقد كان حُصفاء الملوك يخرجون من خزائنهم الاموال العظيمة جدا الى أصحاب الاخبار ولا يستكثرونها فى جنب ماينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه أمر ديسم فانه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان ان يخرجه الى قلعته بالطرم ليقيم فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار فى السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكلفه من مؤونته (٧٠) فاجابه الى ذلك وحصل فى القلعة مصونا فى أهله ونفسه وضياعه

﴿ ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبى جعفر بازاء البصرة وأظهر ان السلطان كاتبهُ فى حرب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم استأمن جماعة من قوّاده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدى

وفيها زوّج ناصر الدولة ابنته[1] من الامير أبى منصور ابن المتقى ووقع الاملاك والخطبة بحضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العقد الى أبى عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى وكان الخاطب القاضي الخِرَقى فلحن فى مواضع وجعل الصداق والنحلة واحداً وجعلهما صداقا وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يُحسن ان يعقد التزويج فعقده ابن أبى موسى

وفى رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القراريطى الى ناصر

(١) واسمها عدوية كذا فى التكملة

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوما [١] وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المتقي لله خلع الوزارة [٧٤] في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يلبس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواكب والمدبر للامور أبو عبدالله الكوفي وصودر القراريطي والكُتّاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنايات من العامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته وتُعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتُعد بحضرته ويستوفى العدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه . [٢]

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتبا لمحمد ابن رائق الامير ثم وزر . . . . . . ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهلبي فاكرمه ووصله وكان ظالما عسوفا توفي في المحرم وله ست وسبعون سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بجكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر أتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيد محمد بن طغج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وأنفذ اليه القرب والجمال والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيد المعاون بها . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وعامله أبو علي النوبختي وحصل لعدل من المصادرات الفي الف درهم فاتسعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والاتراك يقصدونه من بغداد في الرقعات فخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس المونسي بالرقة فمنعه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتباعك ولا يفي بمؤنتك ما في يديك وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل اليه أمر سيف الدولة بواسط مع الاتراك ﴾
﴿ وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة ببغداد ﴾

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيما بواسط مفكراً في أن يسير بالجيش والاتراك الى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يدافعه بحمل المال ويضايق الاتراك خاصة وكان توزون وخجخج [1] يُسيئان الادب على سيف الدولة بواسط ويتحكمان عليه حتى ضاق ذرعاً بهما . وكان ناصر الدولة قد أنفذ أبا عبد الله الكوفي الى سيف الدولة أخيه ومعه ألفي ألف درهم وخمسين ألف دينار لينفق في الاتراك فوثب توزون وخجخج به بحضرة سيف الدولة وأسمعاه مكروها فضمه (٧٥) سيف الدولة الى نفسه ثم ستره في بيت وقال لهما : أما تستحيان مني فتجاملاني في كاتبي ! ثم وافق سيف الدولة كاتب خجخج ان يسير خجخج الى المذار ويُسوّغه ارتفاعها اذا حماها ووافق أبا علي المسيحي كاتب توزون على المسير بتوزون الى الجامدة ويوهب له ارتفاعها وعليه حمايتها وانتظم هذا التدبير وعاد الكوفي الى مجلسه بحضرة سيف الدولة ورهب ان يعود الى منزله وعبر خجخج الى غربي واسط للمسير واستعد توزون أيضا للمسير الى الجامدة . فوافى أبو عمرو المسيحي وقت الظهر لثلاث بقين من شوّال هاربا من ناصر الدولة الى أخيه ابن على المسيحي

الدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك . فتبعه على ذلك فبلغنا الخانوقة فقال له سهلون : الرأي أن أتقدمك اليه. فطلب منه رهينة فقال : ان رآك وقد أخذت رجلي فظن (كذا) فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتبا بني نمير . فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقيه الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأمن أصحاب عدل الى الحسين فاسره وابنه وسلمهما وأنفذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على جملين .

(١) وفي النسخة هو جوجوخ

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعُك فيّ وانبساطك عليّ وأنا محتمل وأنت مغترّ وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلّصها وتقصر عن فعلك المذموم لاقطعن يديك ورجليك . فزعم أبو عمرو المسيحي انه قرأه وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بأيام : يامسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحثو التراب ان بلغ ما تؤمّلهُ له لم يرضك كاتبا لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبهَهُ فاستكتبهُ وأنفَ منك فصادرك

فتلافى سيف الدوله أبا عمرو [٧٦] المسيحي وواراه وراسل توزون وسكّنه . وكان سيف الدولة كثيرا يُزهّد الاتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويُضرّب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقاتهم وينصّون على ان يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مالَ قائدٍ قائد ورجاله وتوفّينا ذلك بالقبّان وزنةً واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحُجّة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلا وضم اليه ابن عمّه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقا عليه ثم وصّى العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلاخ شعبان كبس الاتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً [١] بقرب معسكره فاداهُ الى قرية تعرف بيرقة ولزم البرية حتى وافى

(١) وفى النسخة يقال له الجازور

بغداد . وأضرم الاتراك النار فى عسكره وقد كان بقى من المال المحمول اليه مع الكوفى من عند أخيه شىء لم يفرّق فيهم فنهبوه ونُهب جميع سواده[٧٧] فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبد الله الكوفي وصل الى بغداد ولقى ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشمّاسية وركب اليه المتقى لله فى دجلة يسئله التوقُّف عن الخروج من بغداد فعبَّر ناصر الدولة غلمانهُ الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوهم الاتراك أنه يعبر ويسير فى الجانب الشرقى فلما حصل جيشه فى الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربى فنُهبت داره وأفلت يانس غلام البريدى وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبدالله الكوفى[١] وخرج من بقى من الديلم ببغداد الى المصلّى وعسكروا هنالك وضبط الاتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلّى ودبَّر الامور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانعقدت الرياسة بواسط لتوزون . فكانت مدة امارة ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الاتراك بعد﴾
﴿هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكلة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ أنه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهومتولى ديوان الخراج بها فوجدوا في داره ثلثمائة ألف دينار مدفونة . وليراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٩٤

وخجخج الى معسكرهما وقع الخلاف [٧٨] بينهما وتنازعا الرياسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجيء بالآس والريحان اليه على رسم العجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خجخج صاحب جيش وهو الاسفهسلار وأمضى القوّاد ذلك عليهما بغير رضى جماعة ثم صاهر القُوّاد بينهما وطمع البريدي بواسط فاصعد اليها وتقدّم توزون الى خجخج ان ينحدر الى نهر أبان ويُراعي من يرد من أصحاب البريدي ويُطالعهُ فنفذ . ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدي الى توزون يهنئهُ بالامارة ويسألهُ ان يضمنّه أعمال واسط ويُعرفه عنه ان الرأي تعجلُهُ الى الحضرة لاخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جميلا وامتنع من التضمين وقال : اذا استقرت الامور تخاطبنا في الضمان فاما وأنا بصورتي هذه وأنت تظن اني مطلوب خائفٌ من بني حمدان فلا وعسكري عسكر بحكم الذي قد جرّبت وخبرت وطائفة منهم تفي بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعهُ توزون جاسوسا

﴿ ذكر سبب قبض توزون على خجخج وسمله اياه ﴾

فعاد اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خجخج وتخاليا طويلا وان خجخج على الاستئمان الى البريدي . فسار اليه توزون للثاني عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك [٧٩] ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكبسه في فراشه فلما أحس بهِ ركب دابة النوبة بقميصه وفي يده لتّ ودفع عن نفسه سُوَيعة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمله توزون [١] وهدأت نار خجخج

وسعى أبو الحسين علي بن محمد بن مقلة في الوزارة وراسل المتقي لله

---

(١) زاد صاحب التكملة : في دار عبد الله بن يونس .

واستصلح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغبٌ فيك مائل اليك محبٌّ لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك مع جماعة فانى أختارك من بينهم . ففعل ذلك ولقى المتقى لله وقلده وزارته وانصرف الى منزله

وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

﴿ ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد ﴾

﴿ هزيمته وما انتهت اليه حالته ﴾

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخجخج بواسط طمع فى بغداد فوافى المروفة وظهر المستترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر أبو عمرو المسيحى كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر أيضا الترجمان . وأرجف الناس بانحدار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على خوف شديد فأمر المتقى لله بالنداء ببراءة الذمة ممن أرجف بانحداره [٨٠] وجاء سيف الدولة فى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان الى باب حرب فنزل فى المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرّ الشديد لما لحقهم في البرّية وخرج اليه أصحابه ومن يُريد الاثبات وجرت بينه وبين المتقى لله رسائل على يد أبي زكرياء السوسى وطالب بان يُحمل اليه مالٌ ووعد ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمائة ألف درهم فى دفعات وانضمّ اليه كل من بقى بالحضرة من القوّاد وما زال يقول فى مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا فى الليل ونحن نيامٌ والا فليحضر نهارا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبي الحسين بن مقلة يوم السبت لاثنى

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغلغ في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضمّ اليه من قوّاد الحضرة وفيهم أبو على الحسن بن هرون ومضى على وجهه. ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الغد ونزل دار مونس [1] (٨١) واغتنم البريدي بُعد توزون من واسط فوافاها لثلاث بقين من شهر رمضان فنهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها. وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقلّد كتابته أباجعفر الكرخي وسُلِّم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادَره

﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقي عليه وعقد له لواءً وقلده أمرة الامراء. وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها فاما الكوفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه. فكان مدّة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقلة في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخي نحو شهر

وقد كان كيغلغ لما استخلفه توزون بواسط أمرهُ بقتال أبي الحسين البريدى فعجز عنه فاصعد الى بغداد. ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع الى واسط الى ان تستقرّ الامور بالحضرة وتجهيز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوّال وأكثر ذي القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت.

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له ثِمل

(١) - زدنا « مونس » من التكملة

عزيزا على سيف الدولة فاطلقهُ ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه[٨٢]
في هذا الوقت لما حصل ببغداد لحسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى
قال بالموصل : توزون صنيعتي وقد قلدتهُ الحضرة واستخلفته بها . فسكنت
نفس توزون الى ذلك

وكان مغيظا على البريدى لقبح ماعاملهُ به فانحدر توزون الى واسط وخلف
الترجمان ببغداد [١] وتقدم الى أبي جعفر الكرخي ان يلحق به وضمن
ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار فى السنة .
ووافى فى هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون هاربا من البريدى
فتلقاه توزون فى دجلة وسُرَّ به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتى بك وتمت
النعمة عندى لاجلك أنتَ أبي وهذا خاتمى (فنزعه من يده وأعطاه اليه)
فدبرنى وصرفنى على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يُمهله فلم يجبه
وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله ياسيدي أجب
الامير وتصدق بصدقة وانظر فى أمره ! ففعل ونظر فى أمره وأنفذ طازاد
ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الحضرة لخلافته . فكان مدة كتابة أبي جعفر
الكرخي ونظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾
﴿ والاتفاق الغريب له فى ذلك ﴾

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه أبي عبد الله (يعني الحسن بن على بن مقلة وترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠) وأنفذ اليه هدية منها عشرون ثوبا دبيقيا وعشرون رداء قصب وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف النوبختى فلم يجب توزون الى ذلك وقال : لايحسن بي صرفه بعد ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافى (فى) ذى الحجة فى مراكب وشذاآت يُريد البصرة يحارب بنى البريدى (٨٣) وكان معه من يحارب بقوارير النار فأحرق شذاآتهم وزبازبهم فلك الابلة وضغطهم فهرب فى تلك الوهلة أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاذ وغيره. فاما سبب هزيمة يوسف بن وجيه بعد تمكّنه فسنذكره.

﴿ ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه ﴾

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع البريدي ملاحٌ يعرف بالزياديّ فلما ضغط يوسف بن وجيه البريديين وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدوّ وأحرقتُ مراكبه ماتصنع بى ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرّفه الملاح مايريد ان يعمل وكتم أمره ومضى فاخذ بالنهار زورقين وليس يعلم أحد لماذا يريدهما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدى ومضى فملأ الزورقين سعفا (ومثل هذا لايذكر بالبصرة) وحدرهما فى أول الليل (ومثل ذلك بالبصرة كثير لايستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشدّ بعضها الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان فى الليل ونام الناس وكنّ من فى المراكب أشعل ذلك الملاّح السعف وأرسل الزورقين والنار فيهما فوقعا على تلك المراكب والشذاآت فاشتعلت واحترقت قلوسها وتقطعت واحترق (٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما. وانقلع يوسف ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجه البريدى ووفى للملاح بما وعد له.

﴿ وفيها استوحش المتقى من توزون ﴾

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾
﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجمان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفا من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه؟ وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبة توزون . وما شك أحد ان أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقلة خوفا من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت الظنون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقلة وبين الترجمان على مكاتبة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه وقيل للمتقى : ثبتّ للبريدى بالامس فجرى ماندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعُدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركة بجكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بعد خلعك. فانزعج واعتبر بما مضي على[85] مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام .

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان وانتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد لخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذى وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجمان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطى من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب فى جيش كثير فخرج اليه المتقى لله وحُرمه والوزير أبو الحسين ابن مقلة والترجمان[1] واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتّابها . فلما بلغ المتقى تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخبطهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ماجرى بالحضرة من خروج المتقى والوزير من بغداد فجرّد موسى ابن سليمان فى الف رجل وبادر به الى بغداد . وامتدّ موسى الى باب الشمّاسية وعسكر (٨٦) هناك وأقام توزون حتى عقد واسطا على البريدى ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش[2] ووصل الى تكريت فتلقاه الخليفة وسار توزون الىعكبرا وعبر من الجانب الشرقى الى قصر الجص بسرّ من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبوالحسين الوزير وأبواسحق القراريطى وأبو زكريا السوسى

وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملك توزون وشغب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

---

(١) زاد صاحب التكملة : وسلامة الطولوني وأبو زكرياه السوسي وأبو محمد المادراني والقراريطي وأبو عبد الله الموسوى وغيرهم (٢) وفى التكملة : انه انحدر في بنى نمير وبنى كلاب وبنى أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فانحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى[1] وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج[٨٧] ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة الف دينار

ورحل المتقى وحُرَمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوّج ابنته من أبي عبد الله البريدى وعقد الاملاك بالشمّاسية وأنفذ المتقى لله أبا زكرياء السوسى الى توزون فى رسالة يقول فيها : انى استوحشت منك لاجل البريديين لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبلغتُ انكما اجتمعتُما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آثرت رضائى فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فانى اذا رأيتك مطيعا لى عدت واستقامت لك الامور بى وبرضائى وكان الله عونك . قال أبوزكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتّهمنى وهمّ بقتلى فخلصنى ابن شيرزاد وقال : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء الخروج مع الخليفة ليرده الينا وليكون خليفتنا بحضرته فان كان متّهما فانا متّهم . ثم أديتُ الرسالة فتقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاجابة وسفرتُ فى الصلح الى ان تمّ[2] وصح لابى جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « جربى » كذا في التكملة (٢) قال فيه صاحب التكملة : فقال لي ابن سعيد : يا أمير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كفيت . فقلت له : فان لم يتم الصلح أعود الي وطني . قال : قد أذنت لك . فقبلت يده . فلما جئت

وبعده زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد

وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطا وكان على وعد من البريديين بعسكر الماء فاخلفوه وانحدر اليه توزون محاربا له والتقيا في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوما على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم فى مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين الى ان عبر توزون نهر ديالى بحصل في الجانب الذى يلى بغداد وقطع جسورا كان عقدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب وخيل فى الماء فيها غلمان رماة فكانوا يستولون فى كل يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين العسكر وبين الماء فيعطشونهم ودوابهم فرأى معز الدولة ان يصعد على ديالى الى نحو جسر النهروان ليبعد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال للميرة فقد كانت ضاقت عليه وأحس توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد استظهار منه ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تكين الشيرزادى والف فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت : أيها الامير قد كنت أسفر بينك وبين ابن رائق وهل عرفتنى الامستقيما ؟ قال : صدقت . فقلت : انا رجل سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتسابا لا أطلب الدنيا وقد أنفذنى رسولا وأنتم أولادى وربيتكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء معز الدولة الى واسط فاجب توزون أتمام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم فحالوا بينه وبين السواد ووقعوا في العسكر على غير تعبية . وتعجل توزون فصبر بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معزّ الدولة مع الصيمري [١] ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه نفر من الفلّ بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدى وكان أعيى السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبته برسم الجند ووافقه على ان يصحح في كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان يُستوفيها منه ويأخذ البراآت وروزات الجهبذ عما يؤدّيه أولاً أولاً

وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

﴿ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى﴾
﴿بعد قتله اياه وعاقبة أمره﴾

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد عشر شهراً ثم توزون بعده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرضا بعد قرض فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلّفه [٩٠] وتضييعه وانه بالاقبال تمّ له ما تمّ لا لتدبير ثم تعدى ذلك فصار يذكر جنونهُ وعجلتهُ . وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي العلوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن على الحسيني من ولد عمر الاشرف) وأبو بكر ابن قرابة وكان قد وافى مع الديلم فصودر على عشر ين ألف دينار

عليه جراية على نقم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه

فحكى اسرائيل الجهبذ وكان خصيصا بابي عبدالله انه استدعاهُ وشكا اليه حاله فى الاضاقة ثم قال : تمَ الى أبي يوسف أخي (وأومأ الى درج بين يديه وفتحه فاذا فيه حبٌ لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يبهر الناظرين) وقال : احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافى الدرج قد وهبه بجكم لابنته سارة التى تزوج بها وكان بجكم أخذه من دار الخليفة فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فمضيت الى أبي يوسف وحدّثتهُ بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لى : يا أبا الطيب من سوء تحصيله يُرى ولو مدّت دجلة مالا لبدّده هذا رجل حصّل له من واسط فى كرّاته التى تولاها ثمانية آلاف الف دينار أماوجب ان يستظهر بالف ألف دينار . فقلتُ : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرّف كل حال ؟ فتفضل بما طلب . فقال : انى قد أعطيتهُ الى هذا الوقت ومنذ انصرف من واسط خمسين الف دينار ومآتملى عينه ! ابعث الى الجوهريين(٩١) واحضرهم حتى يقوّموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه اليهم فقالوا : لاقيمة له تُحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى فى السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : ياجهّال من قال لكم اني مروان الامويّ (فانه كان راغبا فى الجوهر وحضر للابتياع) أو خمارويه بن أحمد وابن الجصّاص ؟ قوموه بما اذا طالبتكم به بكرة صحّحتموه العصر . فقوّموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطونى خطوطكم بها . فتثبتوا ثم ردوها الى خمسين الف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك . فقلتُ : ياسيدي اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال: قم ودع فى القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاوده

ويطلب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى أبي عبد الله. وحدّثه الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا أبا يوسف جنونى الذى ذكرته وقلة تحصيلي أقعدك هذا المقعد وصيّرك كقارون : ثم عدّد ما عمله معه ودمعت عينهُ وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانس واقبال وربيب وملاّح يانس فى مخترق قد سُقّف بين باب داره (وكانت دار فضلان الساجي) بالابلّة وبين الشط. فتمكّن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « ياأخي قتلونى قتلونى » وأبو عبدالله[٩٢] يقول « الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل فى جواره الى روشن دجلة وقال : ياأخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربتَ اسكت والا ألحقتُك به . فجمع أبو الحسين نفسه وشغّب الجند وظنوه حياً فنبشهُ واظهره لهم فسكنوا ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار عمّاران فساعة ملكها طلب الجوهر فأحضره قال اسرائيل : دخلتُ اليه فقال لما رآني : يا غلام هات الدرج . فاحضره اياه فقال لى : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم أودع أبوعبد الله هذا الجوهر ابنهُ أباالقاسم سراً وأمره أن يستره فلما توفى أبوعبد الله وملك الامر بعده أخوه أبوالحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثرا وقيل «أودعهُ من لايُعرَف» ولما خرج ابنه الى هَجَر أخذه معه فسأله الهجريّون ان يُريهم اياهُ ففعل ذلك ووهب لهم منه حبةً واحدة فلما حضر مدينة السلام فى أيام أبي الحسين معزّ الدولة طلبه منه ليراه فاحضره عنده ووسّط أبا مخلد عبد الله بن يحيي ليبتاعه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في بيعه فاستجاب فقُوّم عاقوّمه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه عن الجبة التي أخذها المجريون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة [٩٣] وأربعين الف درهم وأحاله بذلك على كار التمر واستوفاه

وكان أبو عبدالله البريدى يتهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر الف الف درهم . فلما ملك الامير أخرج اليه دفتر فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ماعند ابن أسد فطالبه بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاه . فمضى الى منزله وحمل اليه الفي الف درهم وخمسمائة الف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لاوجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدة سنة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان في أسفل الثبت الذى وجد له عمل لكل سنة عملا بالضمان وما صح منه بالامانة وماتحصل من العجز الذي أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر الف الف وخمسمائة الف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخي في رقبة ابن أسد فاني قتلته طمعاً في المال . فمضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظهر وقام بحجته شفاها وذكر ان له بقايا هذه السنة في النواحي زيادة على أربعة آلاف الف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو على الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه [٩٤]

وصح لابي عبد الله من جميع الوجوه على أحوال قبيحة مع الالفي الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف الف درهم وتاه الباقي وذهبت نفس أبي يوسف

وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلمي وكان توزون قلده الشرطة

ببغداد على ابن حمدى اللص [1] وضرب وسطهُ فخفّ مكروه اللصوص عن الناس وانقطع شرّهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم النوم خوفا من كبساته .

وفيها ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر من كان بها من أصحاب البريدى الى البصرة

وفيها صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالرقّة فعاتبَهُ سيف الدولة على أشياء بلغته عنه وكان اتّهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على العجم وواطأ المتقى لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه .

وفيها ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطى وانه جدّر ومات وصار الامر لاخوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصبهانى الذى احتال لقتل ﴾
﴿ القرامطة بايديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سَنبر يعادى المعروف بابي حفص الشريك فاحتال فى حياة أبى طاهر بان أحضر رجلاً [(٩٥)] من أهل اصبهان فكشف له أسراراً كان أبو سعيد الجنّابى كشفها له فى حياته ولم يكشفها لغيره وعرّفه مواضع دفائن له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهانى : امض الى أبى طاهر وعرّفه انك الرجل الذي كان أبوهُ وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن العلامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدى هذا في كتاب الفرج بعد الشدة ٢ :١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هـذه الاسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الاصبهانى ان يكون اذا تمكن من الامر قتل أبا حفص الشريك . فضمن له الاصبهانى ذلك فمضى الى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالاسرار فلم يشك فى صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلّم الامر اليه وقال لاصحابه : هذا هو الذى كنت أدعوكم اليـه والامر له . فتمكن الرجـل من الامر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر واخوته بقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعنى أنه قد شك فى الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمرُهُ ممتثل مُطاع لايُخالف الى ان أتى على عـدد كثير منهم . وكان اذا أمر الرجـل أن يقتل أخاه أوأباه أو ابنهُ لم يتوقف وبادر الى امتثال أمره فخافه أبو طاهر [٦٦] وبلغه انه عمـل على قتـله فقال لاخوته : قد وقع عليّ غلط وشبهة فى أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الامر الذى يعرف ضمائر القلوب ولا تخفى عليه الاسرار ويمكنه ان يُبرىء المريض ويعمل كل مايريد . وجاؤا الى الرجـل فعرّفوه ان والدتهم عليـلة وسألوه ان يدخل اليها ونوّموا والدتهُم على فراش وغطوها بازار فدخل اليها فلما رآها قال لهم : هذه عِلة لا يبرأ صاحبها فطهّروها (معناه اقتلوها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لامّهم : اجلسى . فجلست وقالوا : انها لفي عافيـة وأنت كذّاب . فقتلوه

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لايدخل معهم فى أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على الشرب

والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لا يختلفون فكانوا اذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا واصحروا واتفقوا على مايعملون ولا يطلعون أحدا على أمرهم فاذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه [1]

---

(١) وأما أبو طاهر القرمطي فليراجع ما في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تتمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكره المصنف في غير موضعه وأمر ان تلحق هنا فالحقتها حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجحه للامر بعده وأوصي « ان حدث بي موت فالامر الى أبي سعيد الى ان يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد اليه الامر » وكان أبو سعيد قد عتا ومرد وأخاف العباد وهزم الجيوش . وكان قد أسر فيمن أسر خادما فحسنت منزلته عنده حتى صار على طعامه وشرابه وكان الخادم ينطوي على اسلام فلم ير أبا سعيد يصلي صلاة ولا صام شهر رمضان فابغضه وأضمر قتله . فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه فذبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كلم ابا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠١ وأخذ سعيد ذلك الخادم فقرض لحمه بالمقاريض الى ان مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر الى أخيه أبي طاهر فاستجاب لابي طاهر خلق وافتتنوا به بسبب أنه دلهم على كنوز كان والده أطلعه عليها وحده فوقع لهم أنه علم غيبا وتخير موضعا من الصحراء وقال : أريد ان أحفر ههنا عينا . فقيل له : هنا لاينبع ماء فخالفهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ الحجيج وفعل العظائم وأرعب الخلق وكثرت جموعه وتزلزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه انه إله ومنهم من زعم انه المسيح ومنهم من قال « هو نبي » وقيل « هو المهدى » وقيل « هو المنهد للمهدى » وقد هزم جيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم انه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم يتم مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الاسود . ثم لم يمهله الله بعد ذلك فلما أشفى على التلف سلم ملكه الى أبي الفضل ابن زكريا المجوسى العجمي .

قال محمد بن علي بن رزام الكوفي : قال لى ابن حمدان الطبيب : أقمت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمّى حادّة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاه أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين . (٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعالج مريضا فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فاذا بغلام حسن الوجه درى اللون خفيف العارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم العجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر باعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلموا انا كنا واياكم حمير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الغلام) هذا ربي وربكم والهي والهكم وكلنا عباده والامر اليه وهو يملكنا كلنا . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلموا يامعشر الناس ان الدين قدظهر وهو دين أبينا آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد انما الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلعنهم الناس وكان أبو الفضل المجوسى (يعني الغلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطبيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقا عليها رؤس جماعة فسجدت له كاداتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابى طاهر : ان الملوك لم تزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوه (وأشار الي) كيف الحيلة في بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم ويعلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ماأحسن ما قال . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلعنون ابراهيم وموسى ومحمدا وعليا وأولاده ورأيت المصحف يمسح به الغائط .

أبو الحسين مكانه . وكان لابي عبد الله عسكر مقيم بنهر الامير بازاء الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بعطارا وكان ديلم أبي عبد الله مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه وكان بين يانس وبين أبي الحسين مباينة فى الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكاتبه ابن سنبر : أكتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لابي طاهر أخت فافتضها أبو الفضل وذبح ابنا لها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيه ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على ان يمتحنوها ويقتلوه فاتياه فقال : يا الهنا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتهى ان تحضر لشق جوفها ونحشوه جمرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) فمضى معهما فوجد فرجة مسجاة فامر بشق بطنها فقال أبو طاهر: يا الهي أشتهى ان تحييها لى. قال : ماتستحق فانها كافرة . فعاوده مرارا فاستراب وأحس بتغيرهما عليه فقال : لا تعجلا على ودعاني أخدم دوابكما الى أن يأتي أبي فانني سرقت منه العلامة فيرى فى رأيه . فقال له ابن سنبر : ويلك هتكت استارنا وحريمنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة فى ستين سنة لا يعلم مانحن فيه فانت لو رآك أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال : أخشى أن يمسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأكلته أخت أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان هذا الغلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطعناه لذلك وانا وجدنا فوقه غلاما ينكحه فقتلناه . وقد كنا نسمع أنه لابد للمؤمنين من فتنة عظيمة يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجعوا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا اتخاذ الغلمان وعظموا الانبياء عليهم السلام. فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل فى أعيان الناس فسكنوا

قال ابن حمدان الطبيب : و بعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج الي يوما الحجر الاسود وقال : هذا الذى كان المسلمون يعبدونه . قلت : ما كانوا يعبدونه . فقال : بلى. فقلت : أنت أعلم . وأخرجه الي يوما وهو ملفوف بثياب ديبقى وقد طيبه بالمسك فعرفنا انه معظم له . ثم انه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستطالة على الديلم والاتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحس يانس بذلك فمضى الى أبي القاسم مولاه وابن مولاه أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مال أصلحت لك قلوب الرجال وعقدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصلح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابي القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان بنهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهو نائم فخرج من تحت الكلة ومضى ماشيا متنكرا الى الجعفرية وكاتب الهجري يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردّه الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم[٩٨] نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابي القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأمور وضعف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الوقعات خلق وقلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينارا ويخفرهم فطابت قلوب الناس وحجوا آمنين وحصل له أضعاف ما كان ينتهبه من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاء عظيما على الاسلام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقيب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضعف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمي بامير المؤمنين وكان خليقا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهيبة زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة .

انتهى ما ألحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحقته هنا . ولا قوة الا بالله فني كتابه مثل هذا ،ضض ونسأل الله العفو والسلامة

فلم تمكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون وكاتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه فى الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن له فى الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم فى أمره الى أن تأهب واختار الشخوص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام

ثم طمع يانس فى الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فواطأ روستاباش فلما انعقد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا فى دار روستاباش . وآثر روستاباش الايقاع بيانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده أتبعه بمن يُوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمى بزوبين ووقع في ظهره وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحدٌ خبراً وكان ليلا وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدبّر ليانس . وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهمّ بالجلوس في طيّاره (٦٦) والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع بيانس وعزم على التفرُّد بالرئاسة لم يطعه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى بعضهم فى الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس فحمله الى داره مكرما ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو القاسم متّهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى لشكرستان وصادر يانساً على مائة الف دينار ثم نفاهُ الى عُمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقُتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .

وفيها عرض لتوزون يوما وهو جالس للسلام والناس وقوفٌ بين يديه صرعٌ فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا فى وجهه رداءً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلا يروه على تلك الصورة وصُرف الناس وقيل لهم ان الامير قد ثار المرار به من خُمار لحقهُ .

وفى هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها (١٠٠)

﴿ شرح أخبار الروسيّة وما آل اليه أمرهم ﴾

هؤلاء أمة عظيمة لهم خِلَق عظام ولهم باس شديد لايعرفون الهزيمة ولايولّي الرجل منهم حتى يَقتُل أو يُقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار والمطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعلق عليه عمودا وآلة كالدشنيّ ويقاتلون رجالةً لاسيما هؤلاء الواردين . وذلك انهم ركبوا البحر الذى يلى بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرّ يحمل من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذى يشبّهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكُر توجه اليهم صاحب المرزبان (١) وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوّعة نحو خمسة آلاف رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترّين لايعرفون شدتهم وحسبوا انهم يجرون مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى حملت الروسية حملة منكرة فهزموا العسكر وولت المطوّعة باسرهم وسائر العسكر الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقُتلوا كلهم (١٠١) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا الفلّ الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملة من الجند والرعية

---

(١) وفى التكملة هو « المرزبان بن محمد » يعنى ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد فنزلته الروسية وملكوه.

فحدثنى أبو العباس ابن نُدار وجماعة من المحصّلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكّنوا الناس وقالوا لهم : لامنازعة بيننا وبينكم فى الدين وانما نطلب المُلكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعليكم حُسن الطاعة . ووافتهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبّروا ورجموهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين السلطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعاع فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما فى نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب السلطان . فلما طال ذلك عليهم نادي مناديهم بالا يُقيم فى البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم ندائهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حُرمَهُ وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيما لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام [١٠٢] مع حرمهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان فى حصن داخل المدينة وهي شهرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوابه وقالوا لهم « اشتروا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾
﴿ قتلوا باجمعهم واستبيحت أموالهم وذراريهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصرانى له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسعى فى السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بعشرين

درهما فتابعهُ على ذلك عقلاء المسلمين وخالفهُ الباقون وقالوا : انما يُريد ابن سمعون ان يلحق المسلمين بالنصارى فى أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا فى هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوهم عن آخرهم الا عددا يسيراً أخرجوا فى قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من افتدى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسيَّ على مال يفتدي به نفسه فحضر معه الى منزله أوحانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقته لا يمكن صاحبها منها وان كانت (١٠٣) أضعافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يجتاحه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مختوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يجل قدره ويعظم خطرهُ وكانوا قد حازوا النساء والصبيان ففجروا بهنّ وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون فى البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنفر الناس وأتاهُ المطوّعة من كل ناحية فسار فى ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع اجماع هذه المدّة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أثرا فكان يغاديهم القتال ويراوحه وينقلب عنهم مفلولا واتصلت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين . فلما أعي المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التجأ الى الحيلة والمكيدة واتفق له أن الروسية لما حصلوا بالمراغة تبسّطوا فى الفاكهة وهنالك أنواع كثيرة منها فرضوا ووقع فيهم الوبأ لان بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وانما تحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان فى الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلا وواطأ عسكره[١٠٤] ان يُبادروا الحرب فاذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطمعهم بذلك فى العسكر والمسلمين فاذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فاذا حصل الروسية فى الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدّم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب فجروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم .

فحكى المرزبان بعد ذلك انه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم ان يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن فى قلوبهم من هيبتهم علم انه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين فيكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدى مع من تبعنى من أخى وخاصتى وغلمانى ووطنت فى نفسى الشهادة فحينئذ استحيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناا « الكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون فى الحصن الذى كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلاتٍ كثيرة[١٠٥] وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان فى مُنازلتهم وهو لا يقدرُ لهم على حيلة سوى المصابرة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماس واجتماعه مع جعفر بن شكُويه الكردى فى جماهير الهذبانية[١] واضطرّ الى أن خلف على حرب الروسية

---

(١) وفى الاصل (الهدبانية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

أحمد قواده في خمسمائة من الديلم والف وخمسمائة فارس من الأكراد وألفين من المطوّعة وسار الى أوران ولقى أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبي عبد الله لان معظمهم اعراب وساروا عنه فسار بسيرهم الى بعض المدن الحصينة فلقيه في طريقه كتاب من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بغداد ومحاربة معزّ الدولة لانه كان دخلها فاستولى عليها بعد اصعاد توزون عنها ويأمره بالتخلية عن أعمال آذربيجان والانكفاء اليه ففعل .

فلم يزل أصحاب المرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا واتفق انزاد الوباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه (١٠٦) وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلامه ان كان يحبه على سنة لهم فاستثار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفا يتنافس فيها الى اليوم لمضائها وجودتها . فلما قلّ عددهم خرجوا ليلا من الحصن الذي كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيان والصبايا ما شاؤا ومضوا الى الكُرّ وكانت السفن التي خرجوا فيها من بلادهم معدّة فيها مع ملاّحيهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم باقساطهم من غنائمهم فجلسوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسيّة حكايات عجيبة من شدتهم وقلة مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع في الناحية وسمعته من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا في بستان ببرذعة وفيهم

غلام أمرد وضيء الوجه من أولاد رؤسائهم ومعهم نسوة من السبي وان السلامين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بالبستان واجتمع عدد كثير من الديلم وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد فلم يكن اليه سبيل لانه كان لايستسلم أحد منهم ولم يمكن [١٠٧] قتالهم حتى قتلوا من المسلمين أضعافا كثيرة لعدتهم وكان ذلك الامرد آخر من بقي فلما علم انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتقي من بني حمدان ضجرٌ به وبمقامه عندهم وشهوة لمفارقته فراسل توزون في الصلح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقي لله الي توزون مع الحسن بن هرون وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه ايمانا مؤكدة للمتقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتّاب حتى حلف بحضرتهم للمتقي لله وكتب بذلك كتابٌ وأحكم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون .

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ﴾

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم وصل الاخشيد الى حضرة المتقي لله وهو بالرقة ولقيه بها وأعظمه المتقي نهاية الاعظام ووقف الاخشيد بين يديه وقوف الغلمان وفي وسطه سلاح ثم ركب المتقي فمشى بين يديه الاخشيد فامره ان يركب فلم يفعل [١٠٨] ولم يزل

على تلك الحال مختلطا بالغلمان الى ان نزل من ركوبه [١] وحمل اليه هـدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجبا الا برّهُ . واجتهد بالمتقي لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يدبّره فخالفهُ . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندُّم ويقول « نصحني الاخشيد فلم أقبل » وكانت دنانير الاخشيد في صندوق أبي الحسين الى ان انتهبت لما قُبض على المتقي لله [٢]

---

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحلب : وكتب الاخشيد في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : ومما يجب ان تقف عليه أطال الله بقاك ان لقيت أمير المؤمنين بشاطىء الفرات فاكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله ؛ فرحاً بانه كناه والخليفة لا يكني أحداً (٢) وفي خلع المتقي لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغاني . فحدثني ذكا مولى الراضي قال : فلما بلغ المتقي الى الرحبة أقام بها أياما الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقي المتقي فسأله عن أخبار توزون والعجم ومافي نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالاة وسرورا بقدوم السلطان قال ذكا : وكان الحسين هذا أحد من اصطنعته فخلوت به وقلت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر انه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيأ يكرهه قال ذكا : وكان الامر كما ذكرته لم يظهر منهم ذاك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسعي في القضية من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابي أحمد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتي سوء مشهورتين بشرب النبيذ والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي وبعض الى جماعة من العجم بحال قبيحة وكانت تستخص رجلا منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقي لله من توزون انحدر من الرقة يريد بغداد في الفرات ومعه غلامان من غلمان الاخشيد ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

نظيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك الديلمي فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للديلمي : أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك لن تجد مساعدة مثلي . فقال الديلمي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكتفي يلتمس الخلافة و يضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي ستمائة ألف دينار على انه يسلم المتقي وحاشيته وانه يضمن ان يجعلني حاجبه وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة وابلغ من توزون كلما تحبه بعد أن تضمن لى ان تستكتبني ولا تزيلني أنت عن خدمتك . فضمن الديلمي لابن سليمان ماشرطه واجتمع الديلمي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشورته و يأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهما فاعتنق القضية وأوصلهما الى توزون وسألهما عليه أن يقبل قولهما فيما سعيا له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما وقف توزون على ذلك أكبره وقال: كيف يجوز ان أفعل هذا وقد عاقدنا وأشهدت على نفسي سائر الناس واشتهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم قلة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه قبل ان يحتال عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكتفي وتأخذ منه هذا المال الذي قد بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لاتأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا نيته ثم شرطوا عليه ان لايعرف كاتبه ابن شيرزاد ما وافقوه عليه وقالوا : ما نأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبثا منه وميله الى المتقي ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من ينذره فيفلت من يدك . فسمع هذا توزون وكتمه عن ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكتفي وكره ان يحدره اليه فيشيع خبره فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لايظهر أحد في دجلة ولا في المدينة بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زبزب ومعه دكلا وابن مالك وابن سليمان فيسيرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر و يخرج عبد الله بن المكتفي وينزل اليهم ويتحالفون ويعقدون الرأى والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقي وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان والعهود والمواثيق وأكرم المتقى لله توزون واقبه المظفر وعاد القاضي الى

المكتفي لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه

ولما وافى المتقي الى هيت أنفذ القاضي الخرقي وأبا القاسم سلامة أخا نجح الطولوني الى توزون ليشاهدا حاله ويكشفا عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولقيا توزون فاظهر لهما سرورا بقرب السلطان وانحدر معهما الى دار فدخلها وأمر بتبييض مواضع من القصر وأمر باصلاح ما تشعث من الدار وانصرف الى داره وردهما الى المتقي . وتقدم الى ابن شيرزاد بالخروج الى الانبار ليلقى المتقي وجرد قطعة من العجم وخرج توزون فاقام على البثق على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقي بهيت ستة أيام الى ان وافاه رسولاه فخلا بهما وسألهما عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه انه مجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقي ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما وقف على ذلك رحل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولقيه بها ابن شيرزاد فترجل وقبل الارض بين يديه وأمره بالركوب فركب . وأخذ يسأله عن اخبار توزون وهو يصف له حسن طاعته وخلوص موالاته وشدة سروره وابتهاجه بقدوم مولاه (قال) وبتنا بالانبار ثم رحلنا من الغد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك ولقينا من عرفنا ان توزون أخذ على طريق الفرات مقدرا ان السلطان يوافي على شط الفرات ولم يكن الامر كما حكاه وانما هو مضى ليخرج وراء المتقي فيتوكل به وبجميع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن شيرزاد وقد كان مع المتقي : تأذن مولانا أمضي اليه فاعرفه ان مولانا قد أخذ هذا الطريق ليلحق به ؟ فقال له : افعل . فمضى وعدل المتقي الى حائط رفيع في وسطه سدرة فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقي واقفا ونحن معه حتى لاحت لنا غبرة من ورائنا فعلمنا أنها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعك الغلمان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان ورجع معنا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبية بالسلاح والعدة فسلم على أبي منصور ابن الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقه كما يجب من الترجل فانكرنا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرّف المتقى انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من صفر الى البثق الذى كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشر بي فما رد عليّ السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه عليل فقدرنا أنه لضعف ناله من العلة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقفت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان هؤلاء على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لابن خاقان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أومأ ان ينزل خارج الحائط ودارت ديالمة توزون حول الموضع الذى كان المتقى فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من القواد وتقدم الى المتقي فقبل الأرض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقى اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذى جمع بيننا ياأبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفلوسية : الساعة تبصر مولاى أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقى : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقى وتأخر هو عنا وقام على تل ونحن لانعلم مايريد وما يراد منا وقد كان المتقي أخر حرمه والخدم خلفه لئلا تقع عليهم عيون العجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشرابي : قد ركبت عمارية وأنت عليل فيحياني الا ركبت أنت أيضا عمارية . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارية أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدبادب على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا بعنان البغل يقودونه ويسيرون سيرا حثيثا . وقد كان قبل التوكيل به وجه توزون بالحسين بن هرون يسئل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراسله : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يفلت منهم أحد . ثم وجه باسكورج الديلمى الى المتقى فوكله به فوافى اسكورج وفي يده حربة فدار قدام المتقي (قال ذكاء) ونحن نقدر انما يعملون هذا خدمة له واكراما لحقه ثم لم يملك المتقى من أمره شيئا وأقعدني الى ابن شيرزاد فنعه توزون من ذلك وانتهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يسئلون سجق الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شئم فقال : ياذكا استعجل محمد بن يحيى (يعنى ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة . فرجعت الى توزون فسألته ان يوجه بابي جعفر الى المتقي فصاح عليّ وعلى

شاطىء الفرات وبين توزون والمتقي [(١٠٩)] نحو فرسخ فلما همّ بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حُرَم المتقي لله وارتجت الدنيا فسمله وحكى ثابت ان توزون سمله بحضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقلة سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوما .

﴿ ذكر السبب في القبض على المتقي وخلافة المستكفي بالله ﴾

قال ثابت : حدثني أبو العباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شيرزاد ومنعه فخفت ان يوقع بي لعظيم ماشاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقي وهو لايملك أمره . وارتفعت غبرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وجزنا مضرب المتقي وانقطع عنا صوت الدبادب ووقعنا بين خيم العجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار مستجيرا به فنزلت في خيمته وأغار العجم على الناس فسلب كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقي موكلا به الى مضرب توزون وقبض على حرمه وأسبابه وسلب العجم بعضهم بعضا لعظم القصة

(قال ذكا) ووافوا بابي الحسين ابن مقلة الى الخيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالقاضي الخرقي فجزعت جزعاً شديدا وخشيت من القتل ثم جاؤا بابي الحسن تحرير غلام الاخشيد وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت انا انما وقعنا في الغلط وبقي تحرير متعجبا مما نزل بالمتقي وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء ! فقلت : لاتعجب من هؤلاء الملاعين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقي في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووزيره ابن مقلة والخرقي ومشر ورائق الخادمين اعتقلوا في جزيرة بازاء السندية

واجتمعوا على كحله فحضرت حسن الشيرازية ومعها غلام لها سندي فتولت كحله بيد غلامها السندي وذلك يوم السبت لثلاث ليال بقين من صفر من السنة المقدم ذكرها ولم يزل المتقي باقيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٧ وله ستون سنة

خصيصا بتوزون مستوليا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى وذلك ان ابراهيم بن الزبنـد الديلمي لقيني يوماً وسألني ان أصير الى دعوته فاستأذنت توزون فى ذلك فأذن لى فيه ومضيت اليه وهو ينزل فى دار القراريطى على دجلة فوجدت داره مفروشة مُنضَّدة فسألتُهُ عن السبب فى ذلك وقلت : أحسبك قد تزوّجت . فقال : اما احدّثك عن امرى اعلم انى خطبتُ الى قوم وتجمّلتُ عندهم بان ادعيت ان لى محلاً من الامير واختصاصاً به فقالت لى المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شيء يجمع صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا(١١٠) الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم وكاشفتموه وليس يجوز أن تصفو نيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد فى بواركم فلم يتم له فرّة بنى حمدان ومرّة بنى بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه فى الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير لكم أموالا جليلة لايعرفها غيره ولا يقدر عليها سواهُ وتكونون انتم قد استرحتم من عدوّ تريدون ان تحرسوه وتحترسون منه وتخافونه ويخافكم وتقيمون رجلا من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روحكم مقرونة بروحه . وأطالت الكلام فى هذا المعنى فهوّستنى ودار كلامها في نفسي وعلمت ان محلي لايبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب نفسي عندها لما ادعيتُهُ من المحلّ والمنزلة فاطمعتُها فى ذلك وعلمت ان هذا الامر لا يتم الا بك ولا يقدر عليه غيرك وقد اطلعتك عليه فاي شيء عزمك ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تتكلم بالعربية والفارسية من اهل شيراز جزلة شهمة

فهمة فخاطبتني بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها : لا بد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه . فقالت : تعود غداً الى ههنا حتى أجمع بينك وبينه. فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج [١١١] من دار ابن طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربنبذ فلقيتهُ وعرّفني انه عبد الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهمٌ ووجدتهُ مع هذا يتشيّع ورأيته عارفا بامر الدنيا وضمن لى ستمائة الف دينار يستخرجها ويُمشّي بها الامر ومائتي الف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير وانما أعرف وجوه أموال لايعرفها غيرى وأعرف من ذخائر الخلافة في يد قوم لايعرفهم غيري . وكرّ [١] ان وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا تقدر غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحتهُ صرت الى توزون . وفكّرت في ان الامر لايتم بي وحدي فلقيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا عمران موسى بن سليمان فى الحديدي الذى على باب توزون فاخذت بيده واعتزلنا . واستحلفته على كتمان ما أطلعهُ عليه فحلف ثم حدثتهُ به كله وسألتهُ معاونتي على تمامه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أيسني من نفسه سألتهُ أن يُمسك ولا يعارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون وأدخلتهُ الى حجرة وخلوت به واستحلفتهُ بالمصحف وبايمان مؤكدة ان يكتم ما أحدثه به فحلف فلما حلف حدثتهُ الحديث من أوله الى آخره فوقع بقلبه وقال : صواب ولكني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه . فقلت : عليّ ذلك ولكن ان أردت [١١٢] تمام هذا الامر فلا تطلع عليه أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفثأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وبلغ

(١) لعله «وذكر»

أبا جعفر خلوتي بالامير فاتهمني اني سعيتُ عليه ومضيت الى القوم ووعدتهم بحضور الامير ليرى الرجل ويكون الاجتماع في منزل موسى بن سليمان .
(قال) وتشددنا في الطوف بالليل في دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة خلت من صفر وافى عبد الله بن المكتفي بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له في تلك الليلة وكتمنا القصة .
فلما وافى المتقي لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلتُ لتوزون : عزمك على ما كنا اتفقنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : فأفعله الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التي سفرت في هذا الامر المعروفه بحسن الشيرازية حماة أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته «علم» وصارت قهرمانة المستكفي واستولت على أمره كله[1]

(١) وفي حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :
فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكفي واستولت على أمره كله وبحث عن ذخائر المتقي هي وابن سليمان الكاتب ففازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكفي من ذلك فوجه الى توزون سبحة جوهر في قد واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والخاتمة وقومت السبحة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ما ضمن المستكفي . وصارت حسن تكبس منازل التجار والمستورين فتحوزما تجده لنفسها وانبسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبست بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ماقيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسمع قولهم وقال : أنا أكفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرازد الى توزون فقال له توزون : تحدر الى مولانا فتشكره عني فانه قد اهدى اليّ البارحة ثيابا كثيرة في تخوت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون ويذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكفي صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

ديناو . فاوصلهم توزون الي حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لى فيها وعرّفه ان هذا قبيح واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون التنكير منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى التاجر ما أخذه منه . فانحدر ابن شيرزاد الى الدار وخاطب المستكفي في أمر الثياب وردها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد التف الى حسن نفر ممن كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكنى بابي طلحة وسُنيدي (كذا) وهو الذي كحل المتقي وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكفي أى وقت أرادوا على الانفراد والحاجب ابن خاقان يستتقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر توزون الى الدار وسائر الحجاب يتصرفون بين يدى حسن ولا يعنون بالحاجب فكانت تتولى عرض الغلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة فى مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فانخرقت الهيبة بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكفي أجلسه بين يديه

وقلد المستكفي وزارته أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدبر ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلع على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجوهر وطوّق وسوّر وجلس بين يدى المستكفي وانصرف بالخلع والتاج وحمل على فرس بموكب ذهب مرصع بجوهر وخلع على ابن شيرزاد والقاضي . . . . ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يشتد ويعظم على ابن سليمان ويسعى في افساد المستكفي فقال ابن شيرزاد لتوزون : أن هذا رجل سوء مزوّر محتال لا يصلح ان يكون كاتبا للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكفي وقبض عليه وعلى أخيه وابنه ونفذهم الى الشام واستكتب المستكفي الشيرازي زوج ابنة حُسن

الى واسـط وقت مصير توزون الى الموصـل فلما صالح توزون ابن حمدان [١١٣] وعاد الى الحضرة عمـل على الانحـدار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسيب بنى كوما ولقيـه جيش توزون وما زالت الحرب بينهـما تسعة أيام في قباب حُميد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقـدم الامير أبو الحسـين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابلا له وبينهما المـاء فلما كان يوم الاحـد لاربع خـلون من ذى الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبعد ما هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسـين سواد عظيم وكراع كثير وجمـال وافرة فكان اذا سار جعـل سوادَهُ بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتـال واقع ومتى قلِعت كان ذلك عـلامة الهزيمة . فلما كان يوم مسـيره الى ديالى أخذ السـواد يسير على طول ديالى واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعـد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجـة دخـل أصحاب توزون وأعرابه [١١٤] بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفعت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأمنوا الى توزون لانهم رجالة فاستأمن أكثرهم الى توزون وأخـذ الامير على طريق بادرايا وباكسايا الى الاهواز . وقد كانت الميرة أيضا

ضاقت على الامير أبي الحسين حتى اضطر فى الليلة التى انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جملا من جماله وفرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب فى وقت هزيمته نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العلوى [١] وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعاوده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فعاد الى داره .

ونعود الى تمام خبر المستكفى بالله . قلد وزارته أبا الفرج محمد بن على السامرى ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدبر للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدى المستكفى بالله على كرسى وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الي منزله . وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلباً شديدا فاستتر (١١٥) وأمر بهدم داره [٢] وكان الفضل طول أيام المستكفي بالله مستتراً .

﴿شرح قصة أبي الحسين البريدى ومصيره الى بغداد مستأمنا﴾
(الي توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كنا ذكرنا حاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقى توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره فى دار طازاذ التى في قصر

---

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزيدي الحسنى وقام بالامر فى سنة ٣٥٣ وبايعه الزيدية وتسمى المهدى لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ ووردت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمبيء ١٣١٨) ص ٦١ وفى نسبه الى عبد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التكملة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى : اليوم بايع له بولاية العهد

فرج على شاطىء دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسئلة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرته فكان يطمع فى المال ويعلل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكفى بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد فخلع المستكفي بالله عليه خلعة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمهُ يسعي فى أمر البصرة فوجّه من أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقرّ على عمله وأنفذت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويئس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطماعه فيه

﴿ذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي﴾

لما يئس أبو الحسين البريدى من معاونة تلحقه فى فتح البصرة سعى فى أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس فى منزله أياماً وما زال توزون يراسله ويترضاه حتى كتب اليه وأخذ فى التدبير عليه . فلما كان يوم السبت لستّ خلون من ذى الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافى حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دار صافى وضرب هنالك ليلة الاحد ضربا عنيفا وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر مما يه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمى أخذ فى أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة باحلال دمه فاظهرها فى هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدى المستكفى بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السيّاف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقرأ ما أفتي به واحد واحد من اباحة دمه على رؤس الاشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيعترف بها حتى اتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله و يراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزائه في يد السيّاف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي (١١٧) بالله بضرب عنقه فضُربت من غير أن يحتج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جانبي بغداد ورد الى دار السلطان وصلبت جثته (١) حيث كان حديديه مشدوداً فيه لما ظفر بدار السلطان فبقي مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأتُ صكاً على الجهبذ بثمن بواري ونفط اشتريت بتسعة دراهم لاحراق جثته فأحرقت للنصف من ذي الحجة (٢)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وصودر على ثلاثمائة الف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنين وأربعين يوماً

وفي هذه السنة طالب المستكفي بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان و يرجع الى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفي بالله على خاص أموره ورفق بالقاهر وضمن

---

(١) زاد صاحب التكملة : على باب الخاصة على دجلة . وقال أيضا : فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعفي ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله . وقال أيضا انه أطلق توزون أبا الحسين ابن مقلة بعد ان صادره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن حمدون في تذكرته في الباب السابع والاربعين في أنواع السير والاخبار وعجائبها : وجد في بعض الاوارجات السلطانية : وما حمل الى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزه الله لهدية السرور من العين الطرى مائة ألف دينار . وفي آخر الحساب : ومما أخرج لثمن النفط والبواري والحطب لاحراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد ان سألني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرقي ناحية سوق يحيي » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلت به الى طياري بعد ان غيرتُ زيّه فاني وجدته ملتفا في قطن محشوّ جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبّرت به[١١٨] من ازاء داري وأومأت الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صدر الطيار للعبور قطن وقال « هوذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرمى بنفسه الى الماء فتقدمت الى غلماني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فرآه ابو عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي فمنعه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم ودينهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر في ذلك أثر كبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

﴿ ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفي المحرم منها مات توزون في داره ببغداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابة ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت[١١٩] وكان خرج اليها

لموافقة ابي المُرجَّى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته بموت توزون (١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد . وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هنالك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم وانفذ اليه المستكفي بالله خِلَع ثياب بياض وحمل اليه طعاماً عِدّة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر اجمع الجيش باسره على عقد الرياسة له وحلفوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحيوه بالريحان على رسم العجم . ووجّه ابن شيرزاد الي المستكفي بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة القضاة والعدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكفي ذلك ثم سأله اعادة اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله . فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثلاثمائة الف وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فدخل اليه ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الى ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السوسي وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى : اني اريد ان القاه ولا أخاطبه في البقية . فمضيا وعادا اليه وقالا انه يستحيي من لقائك فانصرف علي بن عيسى كئيباً من العزلة اكثر من كآبته بالغرم

وقال ايضا : خرج تكين الشيرزادى صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الى جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الى واسط واجلس في بستان يشرب فأحاط به عسكر البريدى فأسروه وحملوه الى البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمرى واسط ودخلها معز الدولة ولما علم انحدار توزون اليه كنى بالله وانصرف عنها وراسل توزون البريدى فأطلق تكينا وضمنه واسطا واصعد المستكفي وتوزون (الى) بغداد

شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعبيّة الي دار السلطان ووصل الي الخليفة وانصرف مُكرّماً

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم فى ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت الاضاقة فأنفذ الي ناصر الدولة يطالبه بحمل المال ويطمعه في رد الامارة اليه فحمل اليه (١٢٠) دقيقاً وسفاتج بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع مع الاضاقة فنقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره وقلد أبا السائب القاضى مدينة المنصور وقلّد جماعة القضاة فى نواحي بغداد[1] وأخذ في المصادرات وقسط على الكُتّاب والعُمّال والتجار وسائر طبقات الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت من حنطة أو عدة لعياله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان الي ابن شيرزاد فى الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكفى بالله فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب[2] وفساد الامر وزيادة الاضاقة

---

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكفي علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الى سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرقية اباطاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الى ابى عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب الشرقي فدخل عليه اللصوص في شهر ربيع الاخر فاخذوا امواله وقتلوه فولى ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلبا وانطاكية فزوج ابنة اخيه عبيد الله بن طغج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوى . وورد الخبر بموت ابي عبدالله الكوفى بحلب وقد تقدمت اخباره .

فاحتيج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات اللصوص فكان اذا ظفر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسط والفتح اللشكري أعمال المعاون بتكريت فاما الفتح اللشكري فانه خرج الي عمله بتكريت فلما وصل اليها (١٢١) امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه وقلده تكريت من قبله ورده اليها . وأما ينال كوشه فكاتب الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي على ابن محتاج وانصرف الي بغداد

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابي الحسين احمد بن بويه الي بغداد ﴾

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الى المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت امارة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استتارهما عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الى دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي [1] صاحب الامير ابي الحسين

(١) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

احمد بن بويه ولقى ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار السلطان ولقى (١٢٢) المستكفي بالله فاظهر المستكفى بالله سروراً بموافاة الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الاتراك لينحل أمرهم فيحصل الامر للامير احمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة نزل الامير ابو الحسن في معسكره بباب الشماسية ووصل الى المستكفى بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الايمان وادخل في اليمين الصيانة لابي احمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرمانته ولابي عبد الله ابن ام موسى وللقاضى ابى السائب ولابي العباس احمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على المستكفى بالله وعلى الامير ابي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير ابو الحسين المستكفى بالله فى أمر ابن شيرزاد واستاذنه في ان يستكتبه فآمنه واذن له فى ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه أبو الحسن على بن بويه بعماد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وانصرف بالخلع الي دار مونس [١] ونزل الديلم والجيل والاتراك دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسما عليهم الي اليوم (١٢٣)

﴿ ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدوله أبي الحسين ﴾

ظهر أبوجعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقى معز الدولة ودبر أمر الخراج وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن على بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكلة : ومن جملة دار مونس للمدرسة النظامية :

﴿ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفى بالله ﴾

كان السبب الظاهر أن علماً قهرمانته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفى بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . ثم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفهدوست فلم يُشفّعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راسلني الخليفة فى ان القاه متنكراً فى خف وازار . فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الامير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبوجعفر الصيمرى وأبوجعفر ابن شيرزاد [١٢٤] فوقفا في مرتبتهما ودخل الامير معز الدولة فقبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفى بالله ووقف بين يديه يحدثه ثم جلس على كرسى وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدى فتقدّم نفسان من الديلم فمدّا أيديهما الى المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الى الارض ووضعا عمامته فى عنقه وجرّاهُ . فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس الى الباب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب [١]

وساق الديلمان المستكفي بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكفي بالله

وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ٣٣٤ وخوطب بالخلافة وبويع له ولقب المطيع لله [٢]

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور [١٢٥] ﴾

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة لنفقته كل يوم الفي درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكفي وجدنا كلامه كلام العيارين وكان جلداً بعيد الغدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ورمي بالبندق ويخرج الي البساتين للفرجة واللعب وكان لاينفق عليه من الجوارى غير السودان ولايباشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيي الزيدى العلوى فمنعه الصيمري من ذلك وقال : اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مراراً وتمرض تارة وتستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنيانها راسخ . فعدل معز الدولة عن تعويله . ولما الزيدى العلوي فالراجح انه الناصر لدين الله ابوالحسن احمد بن يحيي الهادى ولكن يروى أنه توفى سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلبية واسمها مشغلة وتعرف بالصفارة (وكان العباس بن الحسن اهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء اليسير وتجعله في فمها وتصفر به صفيراً لم يسمع بمثله تحكى به كل طائر وغيره

وتم الصلح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدى وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف الف وستمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن على بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد رهينة لانه تبين منه تبليحاً فى أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير أن يقرضه ما يحتمى به أمره فدفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرد مكانها فتسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرته وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لججت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد [١٢٦] في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى [١] أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وانما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأً متوسطا وما عده كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم فى الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب التكملة . ولما استولي ابن شيرزاد على الامور قال أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء نفق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجباية الخراج وانما تولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال تارة وقد سألك المستكفى عزله بعد ان سألت فيه فلم تجب . فقال : لما رأيت عظم لحيته الخ

وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصادر ابن شيرزاد ابن أبي موسي وعلم القهرمانة على أربعين الف دينار وقطع لسانهما وسلمهما الي المطيع لله . ولم يعارض أبا أحمد الشيرازى لقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الا مثل قولك ولما رأيت لحيتهُ قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدتهُ وقد تقلد الامارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيرا وللملوك الاطراف وتصوّره الرجال بصورةٍ من يصلح أن يرؤسهم ومن يعقدون له على نفوسهم فاردت أن أحطهُ من هذه الحالِ الي ان اجعله كاتباً لغلام لي أو عاملا على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياذة وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الي عكبرا مقدّمةً له الى الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن البارد بموسى فياذة وأخذوا سواده ومضوا الى ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاهُ أبا الحسن زكرياء [(١٢٧)]

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لاربع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معزّ الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله الى عكبرا .

وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا العطّاف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة الى بغداد

فنزل في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأى الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الي سر من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين الى بغداد وبازائهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والاتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة (١٢٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرقي ونزل في رقة الشماسية واجتمع مع الاتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بعسكر معز الدولة في الماء فغرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال وجه ناصر الدولة بخمسين رجلا من الديلم الذين كانوا في جملته الى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذى في قطيعة أم جعفر وخاطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أوهموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديالمة معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأمنوا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا تراسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة باسره (١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتكين

---

(١) لعله باسرهم

الشيرزادى وغيره من قوّاده محدقين بعسكر معزّ الدولة فى الجانب الغربى فلم يكن يقدر معز الدولة على تناول شيء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربي غلاء شديد وعدموا[١٢٩] الاقوات . وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بامر الحرب قد رد خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وحاشيته وأسبابه الى أبي على الحسن بن هرون فحدثنى أبو على هذا انه اشترى للامير معز الدولة كرّ دقيق حُوّاري بعشرين الف درهم[١] وتعذر على الناس العبور من الجانب الغربي الى الشرقى ومن الشرقى الى الغربي لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم

وكان السعر في الجانب الشرقى خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر في الجانب الغربى غالياً بعد ادراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولان اعرابهُ منتشرون في الجانب الغربي يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودراهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعامة والعيارين من بغداد[١٣٠] على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم[٢] وكان يركب كل يوم في الماء ومعه

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قلت الكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقي لان الكر أربع وثلاثون كارة والكارة خمسون رطلا بالدمشقي

(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خلقا من العيارين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد في دجلة ويرمى من على الشطوط في الجانب الغربى من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوني فى الف رجل لكبس معز الدولة وعسكره فلقيه اصفهدوست وأبو جعفر الصيمرى فهزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يفي بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وحملته وهزيمته صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب فى قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة الى دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكر أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعيتهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون فى طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتهيأ ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذي الحجة الى الجزيرة [١٣١] التى بازاء المخرّم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرقى فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتهيأ لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التى تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في الصراة ثم حدرها في الليل على شاطىء دجلة الى موضع التمازين لانه أضيق موضع فى دجلة ووافق وزيره

مع ناصر الدولة (فظفر) بكافور خادم معز الدولة فشهره . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد فصلبه حيا فاطلق أبو جعفر الخادم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمري واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهرهو انه يعبر من أعلى قطربل . فمضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالاوهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه ذلك سار أكثرهم بازائه لممانعته فتمكن الصيمري ومن معه من العبور وكان الصيمري أول من بذل نفسه لان أصحابه تهيبوا العبور فلما سبقهم أنفوا وتبعوه . ثم عاد معز الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته فتكاثروا بالزبازب ومنعوهم من العبور وغرّقوا ركوتين واشتدت الحرب وانهزم الاتراك . وكان ينال كوشه قد شرب ليلته ولما حصل جماعة من الديلم في الجانب الشرقي زعقوا بينال كوشه فانهزم ومضى أصحابه الى باب الشماسيّة . (١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجّه ابن شيرزاد الى ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في الجواب : ان العادة قد جرت باني اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقي وأحرقوا ونهبوا وقُتل من العامة جماعة ومات منهم عددٌ كثير من رجال ونساء وصبيان لان الخوف حملهم على الهرب لما كانوا قدّموه الي الديلم من الشتم والحرب في أيام الفتنة نخرجوا حفاة في الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فماتوا في الطريق [1] وجرى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التكملة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة ومعي حلي وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء ؟ فما أجابها أحد وماتت وما فتشها أحد لشغل كل انسان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتي ركب الصيمري فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنهُ تسكين الجند وحزر ما انتهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذاك ان القصد وقع على مواضع التجار وحيث الاموال والامتعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والاتراك [١٣٣] التوزونيّة مصعدين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح [١] في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الاتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوثوب به وهمّوا به فرُقي اليه الخبر وصح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مُغِذّا مسرعا نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدوله والى سائر الاطراف .

﴿حيلة غريبة ينبغي ان يحترز من مثلها﴾

ومن أطرف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو بباب الشمّاسيّة بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحرّاس ولا الحجّاب ولا البوّابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من المخدّة ورجع ليطفىء السراج وشمعة كانت بقربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقه . فاتفق ان انقلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

(١) قال صاحب التكملة : أنفذ بأبي بكر ابن قرابة

الرجل لاطفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفأ الرجل الشمعة وعاد وقد أظلم الموضع فوضع سكّينه فى الموضع الذى كان فيه تقديره وما شكّ ان السكين يقع فى حلقه (١٣٤) فبقي السكين مغرّزاً فى المخدة مكان رأس ناصر الدولة وعند الرجل انه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحدٌ وانتبه ناصر الدولة ورأى السكين وطلب الرجل فلم يُلحق وشاع الخبر فصار الناس الى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة . ومضى الرجل الى معز الدولة ليبشّره بانه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة : مثل هذا لا يؤمن . وسلمه الى الصيمرى ليحبسه فقتله الصيمرى

وفى هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر قطونا ويضرب بالماء ويُبسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقب ويؤكل ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام ومات أكثرهم ومن بقى كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي يقف على ظهر الطريق وهو تالف ضرّا فيصيح الجوع الجوع الى ان يسقط ويموت وكان الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والاّ استُلب منه ولكثرة الموتى وانه لم يكن يُلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم . (١٣٥) وخرج الضعفى الى البصرة خروجا مُفرطا متتابعين لاكل التمر فتلف أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم مات بعد مُديدة . ووجدت امرأة هاشمية قد سرقت صبياً فشوته وهو حيّ في تنّور فأكلت بعضه وظفر بها وهى تأكل البعض الباقى فضُربت عنقها . وكانت الدُور والعقارات تُباع

برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض ذلك الخبز ، ووجدت امرأة أخرى تقتُل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقُتلت عدّة منهنّ . ولما زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحل السعر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الامير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقلة ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال [1]

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالاسماع وخرقوا عليه بالسفه الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطرّ الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها . فاقطع قوّاده وخواصّه واترا كَهُ ضياع السلطان وضياع المسترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُغلَقا وزالت أيدى العمّال عنه [١٣٦] وبقي اليسير منه من المحلول فضمّن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزِمّتها وجمعت الاعمال كلها في ديوان واحد .

(ذكر ماانتهى اليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب)
(البلاد وفساد العساكر وسوء النظام)

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

---

(١) زاد صاحب التكملة : قبض (يعني ابن مقلة) على أبي زكرياء السوسى والحسن بن هرون فشتمهما فقال الصيمرى : لم يكن غرضك غير التشفي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياء السوسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين الف دينار وعزل ابن مقلة وأفرد الصيمرى بالأمر . وقال أيضا : وفي شعبان انبثق البحر بثق الخالص والنهروان .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادّة الطريق انحرافا يسيراً ولا يظهر انحرافهُ في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعُد عن السمت وكلّما ازداد امعانا في السير زاد بعدُهُ عن الجادة وظهر خطأهُ وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سامح الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرُشى وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فحصلت الاقطاعات لهم بعبر متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة الغلاّت ونقص في بعضها بانحطاط الاسعار (وذلك ان الوقت الذى أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للقحط الذى ذكرناه) فتمسّك الرابحون بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . وردّ الخاسرون اقطاعاتهم فعُوّضوا عنها وتممت لهم نقائصها واتّسع الخرق حتى صار الرسم جاريا بان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقُلّدت الاقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في عمارتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستقطعونها بالموجود بعد تناهيها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت الاصول تذوب على مر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناء ورقت احوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع ليأمن شرّه ويوافقه . فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وامحى أثر الكتابة

والعمالة ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لايعرفونها ومتى تولى أحدهم شيئا منها كان فيه دخيلا متجلفا . واقتصر المقطعون علي تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجرى على أيديهم ولا يهتدون الى وجه تثمير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم (١٣٨) مما يذهب من اموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معامليهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر مايحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وباداثها وان ادوها وقعت الخيانة فيها فلم تصرف الى وجوهها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تعويلا على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة وردّ ما تخرب على ايديهم من الاقطاعات وفوض تدبير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذه مسكنا وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض احدهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحى الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احداهما اكابر القواد والجند والاخري اصحاب الداريع والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحيازة الارباح ودعوي المظالم والتماس الحطائط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوعجوا استشرى طمعهم ولم يقفوا منه عند غاية . وأما أصحاب الدراريع (١٣٩) فكانو اهدى من الجندى الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم فتفردوا بنواحيهم وخلوا

عماملیهم فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالاموال ويتخذه الضامن عضدا فى شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطلم المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة اويسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمناء على ذكر أصول العقد وماصح منه وبقي من غير تفتيش عما عوملت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور أو نصفة من غير اشراف على احتراس من الخراب اوخراب يعاد الى العمارة وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتفاع ليست بعبرة وحسبانات في النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتي تكلم كاتب من الكتاب فى شيء من ذلك فكان ذا حال ضمن ونكب واجتيح وقتل وباعه السلطان بالتطفيف . (١٤٠) وان كان ذا فاقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عونا للخصم ولم يكن بذلك بملوم لان سلطانه لا يحميه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين أزيلت والازمة بطلت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويقتضي بعضها سياقة بعض فاقتصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب معز الدولة الهوي في أمور غلمانه فتوسع في اقطاعاتهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه ان يدخر ذخيرة لنوائبه أو ان يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتي حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك على مر السنين الى الاخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للاتراك من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط الاتراك وزيادة تقريبهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الاتراك فبالطمع والضراوة (١٤١) وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشرأبّوا الى الفتن وصارت هده المعاملة لقاحاً لها وسببا لوقوع ماوقع فيها مما سنذكر جملا منه في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سملت علم القهرمانة وقطع بعد ذلك لسانها

وفيها ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي على ابن محتاج وقتل بعضهم

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن لصاحب خراسان فتح الرى أمده صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه وقواده وبالغ في تقويته فسار في عِدة وعُدة وافرة . فكاتب ركن الدولة عماد الدولة وسأله المدد فامره ان يخلى لهم الطريق ويصير اليه واعلمه أن له تدبيراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سراً يعرفه قلة جدوى الرى عليه مع ما يلتزمه من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاش بينهما زائد مع ذلك ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمنه اعمال الري عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلفه مال سنة (١٤٢) وسأله انفاذ ثقة من ثقاته ليوقع العهد معه ويحمل المال على يده وأنه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور ثقاته وكلهم اضداد واعداء لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول مابذله عماد الدولة فاظهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي على ابن محتاج وأهله واسبابه وقتل بعضهم . وانفذ الى عماد الدولة على بن موسى المعروف بالزرار وكان من قواده واكابر حاشيته فسار على الجمازات واستقبله عماد الدولة واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له . وراسل ابا على ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على عهده محافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه فحينئذ انفذ ابن محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالموصل احد قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه على ان يكون اليه خراسان ويمضي معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يعجل اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة [١٤٣] في المضي فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قلدك الخليفة وخلع عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك . وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تتابعت رسل أبي على ابن محتاج الي ابراهيم فعبر تكريت في سبعين غلاماً ومضى الى دقوقا ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الريّ على ناصر الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة خلعاً سلطانية ولواء عقده له عن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خجخج المسمول فتطير الناس له من ذلك وقالوا أنه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا على مسير

ابراهيم تلقاه الى همذان وعاهده على السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري ثم نهضا جميعا الي خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الرى فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فبادر الى ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر

﴿ ذكر ما تم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال ﴾

لما فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالمداوة بينهما (١٤٤) بادر بردّ الزرار رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الى عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الى عمه والى ابن محتاج واحتاج الى أن يسير ركن الدولة من ورائهم مُعاونا له عليهما ففعل ذلك .
وأقبل نوح الى نيسابور فى عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج فحارباهُ وكسراهُ وأسرا ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قوّاده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولا على حال سيّئة من الضعف والحيرة واتبعهُ ابراهيم وابن محتاج وخلا معهما ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين أسيرّين واستمرّت بنوح الهزيمة الى سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بُخارى واشتمل على الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الى عماد الدولة يبشره بما جرى ويسئله تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلع والعقد له على خراسان .

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن ﴾
﴿ نصر وما اتفق من الاسباب التى أعادت نوحا ﴾
﴿ الى سريره ومقرّ عزه بخراسان (١٤٥) ﴾

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصغى الى قوم حساد لابي على ابن محتاج فكانوا يوهمونه ان أبا على انما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فاذا فرغ من نوح عطف عليه فعامله بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان يحترز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سمجور وابن قراتكين وخلع عليهما من غير رأي أبي على ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج وانقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سمجور وابن قراتكين من استمالة الجند وكاتبا نوحا وترددت الرسل بينهم سراً . ثم ان نوحا سار الى ثغور خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بُخارى فملكها وقهر عمّهُ وحصل أسيرا في يده فسمله وسمل جماعة من أهل بيته

﴿ ذكر الحيل التى تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره ﴾

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بُخاري وعسكرا بموضع يقال له ريكستان فبينما هم نزولٌ اذ صاح صائح في الميدان الذى بحذاء دار الامارة ببُخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا زحف الى عمه ابراهيم وكان يدبّر أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بأن أعلمهم ان مدداً كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون في (١٤٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح . فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مراكبهم وأمرهم بالابعاد فاذا كان في الثلث الآخر من الليل ضربوا بطبولهم وبوقاتهم ودبادبهم

ودخلوا العسكر في صورة المدد ففعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون العسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهزم قوم من أصحابه وانهزم أبو على ابن محتاج وظفر نوح بابراهيم وعامله بما ذكرت

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم أنوجور وغلب كافور الخادم الاسود وكان خادم الاخشيد على الامر (١)

وفيها مات على بن عيسى عن تسعين سنة (٢)

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طغج جبانا شديد التيقظ في حروبه وكان جيشه يحتوي على أربعمائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يثق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراشين فينام . قال التنوخي : لقب الراضي أبا بكر محمد بن طغج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة يدعا اخشيد كما تدعو الروم ملكها بقيصر والفرس بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشرو سنة الافشين وملك خوارزم خوارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اصبهبذ وملك طبرستان يدعا سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجبائي كان جده يدعا بحضرة المعتضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة .

والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حكى هلال بن المحسن : قال أبو على بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن على بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه . واتفق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرية وأبو جعفر محتاج في طياره وأنا وأخي وأبو الحسن طازاد بن عيسي معه فقال لنا : من هذا ؟ فقلنا : الوزير أبو الحسن على بن عيسي. فقال لابي الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فاسأله ان ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه وسلمنا عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سيدنا . فقال : أشار متطببنا بلقاء الامير الوارد وقضاء حقه فعملت على ذلك . فقال له :

﴿ ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ﴾

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثّق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستحلفه يمين عظيمة الاّ يتغيّب عن معز الدولة ولا يبغيه

فينتقل سيدنا الى الطيار فانه أولى . فامتنع ولم يزل يراجعه وكان معه ابنه أبو نصر فخاطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك ونزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشعر أباه فلم تدعه طاعة لابي جعفر . وسرنا مصعدين ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الشماسية وقدم الطيار الى المشرعة فقال أبو جعفر لابي الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأوذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير أثرة وبه أنسة : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لابيه : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لاوفي للرجل حقه ؟ قال : منعني أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله ياسيدنا مافعلت مافعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني المخالفة له . فقال . انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديداً ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار اليّ والى أخي) فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستثبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظلمة .

ولما صعد الصيمري الى معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى علي بن عيسى فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنا على أصحابنا في كتماني موضع الاستاذ حتى كان في تقصيري في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعتذر اليه أدام الله عزه من ذاك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع وأى تقصير جرى؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أيها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة عز لقيه ووفاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يباكر بابه . وانصرف أبو الحسن وعاد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : وافي علي بن عيسى للقاء بك وخدمتك فاعتذرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجز ان يراك عليه . فقال : من علي بن عيسى ؟

سوءاً ولا يمالئ له عدوّاً فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة
واعتزل أبو على الحسن بن هرون النظر في الامور لتجامل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب أن ترده فانى كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان يشم منك رائحة شراب وفي غد يا كرك . فقال معز الدولة : وكيف أ.ا.له وما الذى أقول له ؟ فقال له الصيمرى : تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتمطيه مخدة من مخادك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقائك ومتشوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن على بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام أكثر بما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسته فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لمثله فقال له معز الدولة : كنا نسمع بك فيعظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلعا والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فاشر عليّ بما عندك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أيها الامير داعية الى الخير ومسهلة الى النجح وطريق العمارة ودرور المادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل . والذى أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافه وإنما يأتى الصلاح و يطرد الاغراض بالولاة الموفقين والاعوان المتصحين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلعم) انه قال : اذا أراد الله بوال خيراً قيض له وزير صدق ان غفل أذكره وان زل أيقظه . وقد وفق الله للامير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب الكفاية وبانت فيه شواهد الخالصة ويوشك ان يجرى الخير على يده ويأتى المراد بحسن تدبيره .
فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة أن توقفه لامر كره ذكره فقال لابى سهل العارض : انظر ما يقول . ففسر له تفسيراً لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماءهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلعم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما نظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال :

الصيمرى (١٤٧) عليه ومصادرة كاتبه فردّ النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقلة من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم ردّ في هذا الوقت اليه النظر في الامور (١) وقلّد كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضورى في هذه الحضرة الا أقدم شيأ على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما أملك . قال : إذن يحسن الله عونك ويذلل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لاتقدم فيها بما أقضى به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هى الى الله تعالى في أن يطيل بقاءك ويديم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان المعول فيها عليك . قال : لابد من ان تذكر شيئا . قال حراسة منازلى فانها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما افعله . ونهض أبو الحسن وشيعه أبو جعفر ومشى الغلمان بين يديه .

وتوفى أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمته ناصر الدولة بيوم فضى أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمرى اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع فى تابوته فصلى عليه وقال لموسى : اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم تقبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذا تولدت منه فتنة واجتمع الى موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذاك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذاك . قال بلى أيها الامير هذا وقته ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهناً والطمع استحكاما . فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التى أنزلها ولا تفتتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبى الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر مافعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقلة يواصل معز الدولة فى أيام الحصار بالهدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقى حما داره بها واستخدمه . فاخذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلّمت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيها ورد الخبر في المحرّم بدخول الامير ركن الدولة الريّ وانه ملك الجبل باسره.

وفيها ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرّر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيأً مما كان يحمله من المال ويكون الذى يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيد محمد بن طغج عنهما وعلى ان يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وأنفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح [١٤٨] بغير موافقة منه للاتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الاتراك للايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم. وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والاتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقي واستجارهُ [١] فاجاره وسيّره فى الجانب الغربى ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفا منفرداً نصف النهار فعرّفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلة . واحترقت دور ابن شيرزاد ودور أسبابه وأخيه وصودر على مائة وثمانين الف درهم. وقلد معز الدولة الشرطة أبا العباس بن خاقان

(١) قال صاحب التكملة فاستجار بأم ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاتراك فى الجانب الشرقى . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبي بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كتّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطالبونه واستأمن ينال كوشه ولؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلّمه وعلى طازاذ وعلى أبي سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فتبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معزّ الدولة جماعةً من قوّاده ثم أنفذ أصفهدوست بعدهم ثم أخرج الصيمرى .

ولما سار (١٤٦) تكين الشيرزادى الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين الى الحديثة فلما قرُب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى واصفهدوست فساروا باسرهم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الوقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القوّاد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم فى عسكر الصيمري ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمري : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا واياه ما دام ثابتاً

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين ظهورهم ونكسوهم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر[١٥٠] جنود تكين الشيرزادى فتقربوا به الى ناصر الدولة فسمله للوقت وانفذه الي قلعة من قلاعه وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري فى الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر الي الموصل ولم يعد اليه بعدها .

فحكي عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلتُ مع أبي جعفر الصيمرى في خيمته ندمتُ وعلمتُ اني قد أخطأت وغررت فبادرت الي الانصراف . وحكي عن الصيمرى انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبض عليه وعلمت انى قد ضيعت الحزم وأخطأت بعد ان فاتني الصواب

ثم تسلم أبو جعفر الصيمرى طازاذ ووهباً وجوهرا والف كر حنطة وشعيراً وانحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد موكلا به[١] وصادره معز الدولة

---

(١) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصرانى الكاتب (وهو الكاتب الذى مدحه ابن نباتة) خمسين الف دينار على ان يطلقه فلم يفعل وسلمه الى الصيمرى وكان الصيمرى مراعياً لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله ابن ثوابة (وترجمته فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) عن المطيع لله كتابا بالفتح الي عماد الدولة منه فلم يسفر العجاج الا عن قتيل مرسل أو غريق معجل أو جريح معطل أو أسير مكبل أو مستأمن محصل أو حتيبة ملأ بها الله بلا تعب أو غنيمة أفاءها الله بلا نصب . وفى هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيها خرج لشكرورز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدى

وقبض معز الدولة على ينال كوشة (١٥١) وكان استحجبه وعلى أرسلان كور وعلى فتح اللشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفي يوم الاحد لثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الي الاهواز

وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

الغربي ولضيف الى عمل القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بابن أم شيبان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة لزيارة قبر الحسين وعقدت القباب بباب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على القراريطي واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصلي . وفي هذه السنة انقطعت قنطرة دمما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فلك دمشق واستأمن اليه يأنس المونسي ثم سار سيف الدولة ونزل الرملة . وجاء من مصر انوجور بن الاخشيد بالجيوش والقائم بامره كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق. وسار وراءه المصريون فانهزم الى حلب فساروا خلفه فانهزم الي الرقة ثم تصالحوا علي ان يعود سيف الدولة الى ما كان بيده . قال المسبحي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طغج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة باللجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشتت وكانت أمه بدمشق فنزل المرج خائفا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشيدي الى دمشق ثم سار الي حلب فى آخر السنة واستقر أمرهم . وكسرة المظفر لابن حمدان مذكورة فى كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٩٥

{ ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة }

وفيها سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانتزعاها من يد أبي القاسم البريدى فسارا من واسط فى البرية على الطفوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه فى سلوك البريّة من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم « ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكانى أنا أقصدُ البصرة انما قصدى بلدكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذة في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه [١٥٢] جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدى الي هجر وملك معز الدولة البصرة فانحلت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديداً . وقبض معز الدولة على جميع قوّاد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعه وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات الماء من الشذاآت والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤاً من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليلقى أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركير عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمرى فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنفذه الي القلعة برامهرمز

ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الارض بين يديه واجتهد به عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد اليه كل يوم بالغداة والعشية فيقف ولا يجلس. وقيل للامير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله في الافراج عن رامهرمز وعسكر مكرم فحكى أبو الحسن المافروخي [1] انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيا بها قال: فدعاني عماد الدولة وقال: بلغني انه حكي لاخي [153] اني وافيت الى هذا الموضع لارتجع منه بعض أعمال الاهواز. وضرب بيده الى لحيته وقال: سوءة لها ان أنا تواضعتُ لهذه الحال! من لي حتى احتاج الى استكثار البلاد وادخار المال له؟ هذا وأخوه ابناي وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيتُ الا لاعقد ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في بلاده ولو أراد بعض فارس لوهبتهُ له ولقد أصبحتُ وأمسيتُ وما مناي على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤهما فانهما أخواي بالنسب وابناي بالتربية وصنيعتاي بالولايات ومن لي غيرهما فيقدر مايقدر. (قال) فعدتُ الى معزّ الدولة وحدّثته بالحديث فبكى وحضر في آخر النهار عند عماد الدولة فاسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرته حتى ضمه عماد الدولة الى نفسه.

ثم انصرف الى بغداد وامتدّ الى باب الشماسية وقدم الخليفة فنزل بالزبيدية. وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرابة الى هناك بجواب الرسالة وتردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الاريب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح [١]

﴿ [١٥٤] ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس [٢]

وفيها قبض معز الدولة على اصفهدوست وحمله الى قلعة رامهرمز [٣]

ذكر السبب فى ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشي وكان يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزرى عليه فى كثير من أفعاله وبلغ معز الدولة عنه انه يراسل المطيع لله فى الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

---

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمذانى فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيبان ولم يرتزق أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكثم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا وفي ذي القعدة ضمن روزبهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف الف درهم واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيمرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا الحسن طازاذ . وفي ذى الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذى كان رهينة عنده وأنفذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها اغارت الروم لعنهم الله على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراءهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واسترد ما اخذوا ثم اخذ حصن برزوية من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم افتتحه فى سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة بمبايعة ابى عبد الله ابن الداعي فقال الصيمرى انه قصد ان يوليه الامارة اذا صار الامر اليه فكان ذلك سبباً لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعتها معتقلا .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيها ورد الخبر بان ركن الدولة هزم العلوى الذي كان بجرجان وطبرستان

وفيها دخل أبو القاسم البريدى فى الامان الى بغداد ولقى معز الدولة وقبل الارض بين يديه وأنزله وأقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً [1]

وفيها ورد الخبر بمسير السلار وهو المرزبان بن محمد الى الرىّ طامعاً فيها وفى دفع ركن الدولة عنها فحاربه ركن الدولة وأسره مع ثلاثة عشر قائداً من قوّاده وحمله الى القلعة بسميرم وحبسه فيها وعاد الامير ركن الدولة الى الريّ وقد شرحنا أمرهُ على الاستقصاء فيما بعد

وفيها خرج الامير معزّ الدولة [...] الى الموصل ودخلها وجرت مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقرّ آخرها على ان يحمل عن الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف الف درهم ويقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معزالدولة وأخذ الفضل والحسين ابنى ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد. ولم يكن الصيمري أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان قصد الريّ واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد لينفذ منها جيشاً الى أخيه فعسف أبا جعفر عسفاً شديداً فى فصل القصة . فقال الصيمرى تسكينا له : ارحل اذا شئت فقد أخذتُ الخط بثمانية آلاف الف درهم . ونما بعض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبي جعفر من بذل الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباذ من بادوريا وانزله فى الدار المعروفة بالموزة بشارعة الساج محاطاً عليه

فلا يقبله العثرة والتحدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهلبي وكان يخلف الصيمري : قلت لابي جعفر : بأى شيء تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ فقال : أطالب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتي ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خليفته وما كتب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تكرهه عليه ؟ قال : نزور[١٥٦] على خط ابن قرابة . (وكان ببغداد من يزور على الخطوط عجباً) قلت : فاذا صح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن نزور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضماناً بثمانية آلاف ألف درهم وخرج الصيمري لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرته التي ماعاد بعدها . ووافى ابن قرابة وطالبته بالمال فابى وأريته الخط فجحده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطي ولكن ما كتبته . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيري ممن تشتبه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا با محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان أبا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بي البلوى وليس هذا حقي عليك . فقلت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا تقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لئلا يبطل ماله ويصير محصوله مخاصمة وزيره ولكن الرأى ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قراتكين وخرج الجيش الى الرى طمع ناصر الدولة وجحد الضمان والوجه مقاربته حتى يصح من جهته بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار[١٥٧] الكلام لسنة مستأنفة

ويعجل شيئاً يؤخذ منه فان هـذه السنة أصلح » فأعاد ذلك على الامير معز الدولة ودعانى على خلوة وقال لى : أى شيء ترى ؟ فقلت : الوجه ان نقارب ونأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفى تمام الثمانية آلاف الالف الدرهم . قال : فافعـل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم لسنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بمال التعجيل .

وفى هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقرامطة الى الرى مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بروزبهان وعليكان وجماعة من الديلم ولحقوا به

﴿ذكر السبب فى ذلك﴾

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبـد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشا من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليـه فى الجيش الذى معه فاستعدّ له ركن الدولة واعـدّ أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمـد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المـال والدواب(١٥٨) والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطىء بساطه ورده الى الدامغان فوصل اليه شيء لاعهد له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الري بالعساكر وقيل له : فرّق من الاموال ماترى على من ترى . ثم استقر الرأى بين الامراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليـد ركن الدولة خراسان والعقد له عليها ليكون

مطاوعته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المرزبان بن محمد بن مسافر وهو السلار وانه عازم على قصد الرى لمحاربة ركن الدولة مغتنما ورود جيش خراسان وانه سيشغله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب للسير الى ركن الدولة مدداً له بعد أن عظم أمره ونجم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بورَيش وروزبهان ومن يجري مجراهما وقطعة وافرة من الاتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم ابراهيم بن المطوّق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح الكلابى وطبقتهم وأطلق الاموال وأزاح العلل فى الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب(١٥٩) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بورريش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين فى العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه فى غداة غد وهو فيها غافل جالس فى خيمة له فقافصوه ورماه بزوبين اثبته فى كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحا من تحت ذيل خيمته وركب جنيبة النوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلمانه وسائر الاتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذى معه الخلع فذهبت فى النهب . وتحيز الديلم كلهم مع بورريش الا روزبهان ونفراً قليلا معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورريش ومرّ بورريش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عذرهم ولم يسئ الى احد منهم . وأمر للعرب بطلب بورريش فلم يكن باسرع من

أن يوافى به ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدى سبكتكين فخاطبه بما يجرى مجرى التشفى واسمعه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همذان واستأنف تجديد الخلع التى انتهبت حتى (١٦٠) اقام العوض عنها ثم تمم المسير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلا بباب الرى فسلم بورريش اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرئ عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فانه كان أهم واولى بالابتداء فلما واقعه ظفر به وأخذ أسيراً كما حكينا فى أخباره

﴿ ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها انحدر أبو جعفر الصيمرى لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة (١) وجنى جناية فهرب الى البطيحة من سلطان الناحية فاقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حمى جانبه من السلطان فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدى فقلده أبو القاسم الجامدة للحماية والاهواز التى فى البطائح فما زال يجمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقوى فغلب على تلك النواحى .

وفيها ورد الخبر بان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان (١٦١) انصرف الى نيسابور وتفرقت جموعه عنه وبقى وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

---

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهى قرية من اسافل واسط يزعم أنه عربى من بنى سليم ولكنه سوادى المنشأ واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريده فلما قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه على بن سرخاب أحد قواد ركن الدولة فاوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمكير الى ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفيها أوقع الصيمرى بعمران بن شاهين دفعة بعد دفعة واستأسر أهله وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة على بن بويه فاضطرب الجيش هنالك وكتب معز الدولة الى الصيمرى بالمبادرة الى شيراز لاصلاح الامور بها فترك الصيمرى ما كان فيه من طلب عمران ابن شاهين وبادر الى شيراز . ووافى ركن الدولة الى شيراز واجتمعا على تقرير الامور وضبط البلد واصلاح أمر الجيش فلما استقام الامر وصلح البلد سلماه الى الامير أبى شجاع فناخسره بن ركن الدولة وانصرفا عنه

وكانت علة عماد الدولة التى مات فيها قرحة فى كُلاه طالت به ونهكت جسمه [1] ولما مات نفذت كتب الخليفة بانه قد نصب أخاهُ الامير ركن الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتغيرت نيّة الامير معز الدولة على أبى الحسن المافروخى وقبض على أبى محمد على بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم على أبى الحسن بعده لما عجزا عن [١٦٣] ضمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مُشتركا وكتب الى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن فسانجس فانفذه وقلده الدواوين التى كانت الى أبى الحسن المافروخى ويسألها منه قبل ان يستكتب الامير معز الدولة أبا محمد المُهلّبي باسبوع ثم حاول ان يُدخل يده فى ديوان السواد ليجرى فى ديوانه فنعهُ أبو محمد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

المهلبي واحتجّ عليه بان هـذا الديوان كان يجرى فى ديوان الصيمرى ثم حاول أن يُدخل يده فى ديوان النفقات وكان يتولاّه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وفى ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفى حساب الخزانة الذي يتولاّه أبو على الحسن بن ابراهيم الشيرازى [١] فمنعه معز الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به [١] وسكونه اليها

وفيها ورد الخبر بان كوركير وينال كوشه قتلا الموكلين بقلعة رامهُرمز وكسرا قيودهما وخرج ينال كوشه وهرب فلقيه الاكراد ومانعهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح اللشكرى ولا ارسلان كور ولا اصفهدوست وكتب معز الدولة الى أبي جعفر الصيمرى وهو بشيراز ان يبادر الى القلعة وحفظها فبادر وكان اصفهدوست عليلا من قولنج فمات بها . ولما بعُد الصيمري عن عمران [١٦٣] وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق فى أمره شيء تنفس وخرج من استتاره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وقوى أمره .

وفى هذه السنة أحس على بن بويه عماد الدولة بالموت لمخالفة العلل اياه وخاف لبُعد أخيه عنه وكثرة من فى جملته من كبار الديلم ان يطمع فى مملكته بعده فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشّحه للامر بعده ويأنس به القوّاد والجيش ففعل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاهُ عماد الدولة فى جمع وأجلسه فى داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بحضرته لئلا يمتنع أحدٌ فكان يوما عظيما مشهوداً ثم عهد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » فى ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢ (٢) ليس في الاصل

﴿ ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته ﴾

كان عماد الدولة يتهم جماعة من أكابر قوّاده ويعرفهم بطلب الرياسة لأنفسهم وكانوا يرون أنفسهم أكرم منه منصبا وأحق بالولاية فتطلف عسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس فخوطب فيه وتشفّع فيه (١٦٤) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : انى أحدّثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطلقهُ فعلت . ثم ابتدأ يُحدّثهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ فى شرذمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام فى كل أسبوع مرّتين فجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر آلاف غلام سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا (١) واشتمل عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكرُ به آخر الدهر . قلتُ : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم أو طالب حاجة فاقبّل الارض ولا أزال أدنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (يعنى نصر ابن أحمد) فتكتُ به ثم لا أبالى ان أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته) فعلمت انه ان فعل لم يُقتل وحده حتي نُقتل كلنا معه معاشر الديلم فأخذت بيده وقلت له : بيني وبينك حديثٌ . وجمعت عليه الديلم وحدثتهم بما عمّ به وما يجيء علينا كلنا ان تم له مايُريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشنى . أفتريدون من بعد ان سمعتم رأيه فى نصر بن أحمد ان أمكّنه من الوقوف بين يدى هذا الصبي ؟ (١٦٥) فامسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بجيشه . ولم

(١) المستعمل عند الفرس دشنه أي خنجر

يزل محبوسا حتى توفى فى محبسه .

وفى هذه السنة قُلِّد أبو السائب عُتْبة بن عبيد الله قضا القضاة [1]

﴿ ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى الرى وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيها مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري فى حُمى حادّة بالبزبوني من الجامدة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين [2]

وفيها استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلّبى ولما ورد

(١) وله قصة مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمرى يحسد المهلبي على تخصيصه وأدبه فكان اذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته فيأمر الفراشين بعينه فيطرحون المرقة على ثيابه فكان المهلبي منغصا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغير بها ماعليه . وقال أيضا : ولما خرج الصيمري فى هذا الوجه استخلف أبا محمد المهلبي فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تيقن أنه يهلك على يد الصيمرى فانفذ الى معسكره طيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فاتاه البراج بطاير قد أقبل بالماء بكتاب لم يقف عليه فقال الصابي (يعني أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولى ديوان الرسائل بعد أبي عبد الله بن نوابة فى سنة ٣٤٩ كذا فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) . تلطف فى قراءته . فقرأه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمرى » فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال التنوخي . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابي على الحسن بن محمد الطبري صادره على خمسمائة الف دينار فلما مات الصيمرى طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما قدم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقلد المهلبي . وليراجع أيضا ارشاد الاريب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف لجماعة بان الامير معز الدولة يستكتبه فنهم أبو على الطبرى ومنهم أبو على الحسن بن هرون ومنهم أبو محمد المهلبي واجتمع أبو محمد المهلبي وأبو على الحسن بن هرون فتحالفا على ان من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسعى أبو على الطبرى وكان رجلا أميا في أول أمره نخاساً يبيع الرقيق فخطب كتبة الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمرى وبذل مالا فاطمعه معز الدولة فيما قدّر وتقدّم اليه بحمل المال فحمل الى الخزانة مالا فلما صح المال عدل عنه الى أبي محمد المهلبي (١٦٦) فقلده كتابته وتدبير أعمال الخراج وجباية الاموال وخلع عليه لذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو محمد المهلبي ابنته من أبى على الحسن بن محمد الانبارى الكاتب واستخلفه بالحضرة وانحدر الى الاهواز

﴿ ذكر السبب فى اختيار معز الدولة أبا محمد المهلبي ﴾
﴿ وايثاره اياه على وجوه الكتاب من الحضرة ﴾
﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجده جامعا لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان وانه خلف الصيمرى على الوزارة فعرف غوامض الامور وأسرار المملكة وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحا مهيبا متوصلا الى اثارة الاموال عارفاً برسوم الوزارة القديمة سخيا شجاعا أديبا يفصح بالفارسية فتلافى أكثر ما درس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وآثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره . وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوّه بهم ورغّب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها . ثم خرج الي الاهواز فجمع أموالا (١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمناء فألزمهم أموالها فاتصلت حموله وظهر فضله على من تقدمه . (١) ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإثارته للاموال منها أكثر كما سنذكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عددا فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذى أراد الخروج منه فتلف كل من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا وارتجع السبي الذى كان سباه وأخذ سواده وكُراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلها

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلبي ثقيل البدن ومشى في صحون الخليفة وقد أثقله ماعليه من اللباس فسقط بين يدى المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقيم . وظن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بابيات فتعجب الناس من بديهته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طغرلبك) ركن الدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القائم بامر الله رضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبنى بآلتها حجرة للطيور بباب التوبي وعمرها سعد الدولة الكوهرائيني في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من النقض في الدور الشاطبية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كربغا في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خروجه . وليراجع أيضا ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

وأفلت في عدد يسير [١]

وفيها خرج الحاجب سبكتكين الى همذان مدداً لركن الدولة فلما دخل قرميسين أسر من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيها رد القرامطة الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي من البيت الحرام وكان بحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبوحصين فسار الى قيسارية ثم الى الفندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى خرشنة يقتل ويسبي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فلجأ الي الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقته وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الغزو أشهرا . ثم ان الطرسوسيين قفلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحالوا بينه وبين المقدمة فقطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهدهوا الصخور في المضايق على الناس والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيراً من دوابه وحرق الثقل وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسر أمراء وقضاة ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكد . ثم مالت الروم فعاثوا وسبوا وتزلزل الناس ثم لطف الله تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعث يتهدده ثم جهز جيشا فدخلوا بلد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقا وغزا أهل طرسوس أيضا في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالما . وأما الروم فانهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل ذلك وكان نقبا واسعا فوصل الى البلد من تحت السور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني وأحكموا مانقبه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

بذل في رده خمسين الف دينار فلم يُردّ وقيل : انّا أخذناه بامر واذا ورد الامر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة (١٦٨) من هذه السنة كتب اخوة أبي طاهر كتاباً يذكرون فيه انهم ردوا الحجر بامر ممن أخذوه بامره ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذى جاء به أبو محمد ابن سنبر ثم سار به الى مكة ورده الى موضعه (١)

﴿ ذكر الآثار الجليلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهلبي ﴾
﴿ حتى عمرت الخراب وتوفّر دخلها واتصل ﴾
﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلّم اليه الرعية من سوء معاملات البريديين فعرف أكثرها وذلك ان أبا يوسف البريدى خاصّة تفرّد بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لابي الحسن ابن أسد الكاتب أن يُطالب ملاّك الارضين التي يؤخذ منها حقُّ العشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المسبحى : وافى سنبر بن الحسن الى مكة ومعه الحجر الاسود وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد اقتلاعه وأحضر له صانعا معه جص يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حجبة الكعبة الحجر الذى نصبه سنبر صاحب الجنابي وجعلوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة فيشد به كما كان قديما لما عمله عبد الله بن الزبير وأخذ في اصلاحه صانعان حاذقان فاحكماه . قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي. فدخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وكان مقدار طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع . قال. ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف .

بصـدقات أراضي العرب) بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشعير عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان الكُر بالمعدّل من الحنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يُستعمل ذلك الا على تدريج . فلما قتل أبو عبد الله البريدي أخاهُ أبا يوسف أقرّ ابن أسد على العمل وأجرى الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور البريديين وعُمّالهم وهم يُطالبون بالعبرة فنقص مال العبرة [١٦٩] عن جربان العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيرا فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كان يرتفع عبرة عليهم واستوفى من ملاّك أرض العشر فهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد المهلبي وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلّم اليه أهل البصرة من العبر التي جُعلت عليهم في أرضي الحنطة والشعير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر أمرهم على ان يردّوا الى رسمهم القديم في أخذ العُشر حباً بعينه من غير تربيع ولا تسمير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فاشار على أرباب العُشر ان يبتاعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف بثمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهُل عليه ما ينحط من الارتفاع مع ما يتعجّل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمّره العدل وموقعهُ من قلوب الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وتقرر الامر بينهم على ألفي الف درهم [١٧٠] ومائتي الف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم حط من الجميع عن الضعفى مائتي الف درهم وكتب الى معز الدولة بان في

ذلك حظا عاجلا وصلاحا ووفورا فى ارتفاع الناحية فى المستقبل فحسن موقع فعله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجّلوا بالابتياع ونسب المبتاع الى فضل ما بين المعاملتين فى العبر فعمر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب مايعدل ألفى الف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لابى محمد المهلبي .

وفى هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى فى عسكر الحاجب سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الاتراك بعد ان أوقع بهم ركن الدولة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا فى استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما تعذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا فى عسكرنا وهم أشد علينا من أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فاما العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الاتراك فمضوا الى الموصل ولما سار ركن الدولة الى همذان ارتحل ابن قراتكين من الري [١٧١] الى أصبهان

وفى هذه السنة واقع أبو محمد المهلبي عمران بن شاهين ومع أبى محمد المهلبي روزبهان فكانت على المهلبي وروزبهان واستؤسر أكثر قوّادهما وقتل أبو الفتح ابن أبى طاهر بعد ان استظهر المهلبي واستعلى

﴿ ذكر السبب فى ذلك وفى هزيمة المهلبي بعد ﴾
﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان عول على روزبهان في محاربة

عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاوله عمران وتحصن
في مكامنه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر
عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها .
وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا
بهم فكان بعد ذلك اذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقوّاد
والامراء من الديلم والاتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرقة
فان تأبى عليهم احد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المهين وكان الجند
لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة[١٧٢]
والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظهر . فشغل ذلك قلب معز الدولة
وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه عما يجرى عليهم من الهوان فى
اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبي بالاصعاد الى واسط لتلافى الحادثة
والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكرا جرارا فيه ابن
أبي طاهر ووجوه قواده وغلمانه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده فى
انفاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مذاهبه وانتهى الى مضيق فى
البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان
يلحق المهلبي مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاقتحام
والهجوم وتوثق المهلبي واراد سد تلك المضايق فاخذ روزبهان فى التضريب
عليه وعارضه فى كل مادبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب
الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويجنح الى المطاولة ليحتسب
بالاموال فى النفقات ولم يزل بذلك وشبهه الى أن وردت كتب معز الدولة
بالاستبطاء فترك المهلبي الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره [١٧٣] هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة . وقد كمّن عمران كمناءه فى تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون متضايقون فى طريق الماء لايعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفورا ونجا الوزير المهلبى سباحة وحصل القواد والوجوه فى الاسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره.واجيب الى كل ما اقترح

وقدكناذكرنا ورود الخبر بمسير السلار المرزبان الى الرى ووعدنا هنالك باستقصاء خبره والان حين نبدأ بذلك

﴿ ذكر الاسباب التى بعثت السلار المرزبان على قصد الرى ﴾
﴿ وما انعكس عليه من تدابيره حتى أسر ﴾
(وحبس فى القلعة بسميرم)

كان المرزبان انفذ رسولا الى معز الدولة فى أمور حمله اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدى اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته فعمل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض وأخذ [١٧٤] فى جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يبتدئ بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بان يبتدئ بقصد بغداد فخالفه وأجابه بجميل واعلمه أنه يرى الصواب فى الابتداء بالرى فان تم له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها . وكان استأمن اليه من قواد الرى على بن جوانقوله فعرفه نية القواد الذين

وراءه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اباه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسوذان فلما وافاه أبوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة فجلس وامتنع وهسوذان من الجلوس فلما جنّ الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الرى فثأ عزمه وعرفه أحوالا توجب الامتناع من قصدها فأبي عليه وقال : قد وردت عليّ كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز اليّ . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان اين اطلبك بعد يومي هذا . فقال مجيبا له : اما في دار الامارة بالرى واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة [١٧٥] حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعز الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المكر والخديعة يعظمه ويستخذى له ويسئله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابهر وزنجان وقزوين . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في الفي رجل من جيش عماد الدوله وورد سبكتكين الحاجب في الفي رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكر خراسان ومحمد بن ماكان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تناهى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوين في جميع هذه الجيوش . فعلم المرزبان أنه لاطاقة له به ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلم والجيل والاكراد فحملت ميمنة ركن الدولة وميسرته على ميمنة

المرزبان وميسرته فانهزمتا جميعا وثبت هو فى القلب الى أن قتل بين يديه حوه بلى وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف بيُلّط ومحمد ابن ابراهيم وعدة من أكابر قواده وأحاطت الرجال به فاسر وحمله (١٧٦) ركن الدولة الى الرى ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم

فلما انفصل من الرى مع جماعة من قواد ركن الدولة وخواصه وكانوا مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله وكان[1] هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل فى القلعة

﴿ذكر تدبير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطأ الديلم﴾
﴿الذين أخرجوا معه على الفتك بابى الفضل ابن العميد والهرب به﴾

حدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال: لما كنا بين الرى وأصبهان تحقق عندى مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع. فلما خفت فوت التدبير سايرته وهو فى عمارية وحادثته وهو ينتظر فى ذلك اليوم أن يتم له ما يريد وجملت أقاربه والينُ له فاظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته فى نفسى (وكان لايطمع فى ذلك من قبل) أمال الىّ رأسه وقال: أنت مقبل فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودى وعلىّ لك كيت وكيت. وضمن الضمانات التى تبذل فى مثل ذلك الوقت (قال) فاوهمته انى لا أعرف شيئا من مواطأة الديلم له وقلت: اخشى الاّ يساعدنى من معى على ذلك. فقال: غفرَ الله لك انت لا تعرف (١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك قيودى والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت. فقلت: يكفينى ان

---

(١) لعله «كان»

اثق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتى يتم لك ما تريده .
وحدثه باشياء أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعى واحداً بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل حديثه معهم بان أدخلني معهم فى التدبير فاظهرت سروراً شديداً بذلك وتواعدنا النزول فى المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا وخركاهاتنا وحصل فى موضعه راسلني وأخلاني بنفسه ثم قال لى : ابعث الى فلان وفلان (يعنى جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها السلار از هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فان وقع بوفاقك والا فما تأمر به ممتثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائنه كلها باصبهان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتددنا على صورتنا هذه حتى لانهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تتمكن فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبهان وكذلك أولادهم فاذا قبضنا عليهم لم يبق فى واحد [١٧٨] منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع لك وانهدّ جانب ركن الدولة انهداداً لاانجبار له وتمكنا ايضاً من قلاعه وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من هذا المكان طلبنا الخيول وأحدقت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من هو الآن معنا الى تلك الجنبة ونحن فى عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله ولا نثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيته قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأى الا ما رأيت . قلت : فانى منصرف عنك فراسل انت كل من واطأك على رأيك الاول بما حدث لك من الرأي .
قال : نعم . وقت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له بمواطأتي وآنه

قد اقبل جده وتمت سعادته بتمام تدبيري وشاع فى أصحابه ومن كان واطأه انا فى تدبير فـكنوا بعد أن كانوا هموا بما هموا به . وسرت آمنا حتى حصلت باصبهان فلما تمكنت من الرجال والتدبير بدأت بالقبض على اولئك القواد واستظهرت على المرزبان بثقاتى حتى حصلته فى القلعة بقيوده

ذكر ما جري فى أمر عسكر المرزبان فى آذربيجان

(بعد حصوله فى الاسر)

اجتمع من أفلت من عسكره وقوّاده وفيهم جستان بن شيرمزن وعلى ابن الفضل وشهفيروز بن[١٧٦] كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفى رجل من الفلّ الى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا الى أردبيل فملك آذربيجان وهرب ابنه وهسوذان منه وتحصن فى قلعته بالطرم لما كان يعرفه من حقده وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر وعاد الى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على الوثوب به فشغبوا وهموا بقتله فالتجأ بالضرورة الى ابنه وهسوذان وعنده انه يعصمه فقبض عليه وحبسهُ فى قلعة شيمجان التى كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يدٌ ولا نفذ له أمر حتى توفى وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وقلد ركن الدوله محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه اليه فتحير وهسوذان فى أمره واضطرّ الى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة لطاعة الاكراد اياه ولرياسته القديمة على آذربيجانـه فاطلقهُ وخلع عليه وقوّاهُ ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم وبقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا الى على ابن الفضل ورأسوهُ فتوسط وهسوذان بينهما حتى أطاعهُ على بن الفضل

وتم [١٨٠] أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود
وورد ابن عبد الرزاق فانحاز عنه الى ورثان من نواحي برذعة ليستخرج
الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

﴿ ذكر خطأ ديسم في ايحاش وزيره حتى فارقه وثلمه فهزمه عدوه ﴾

كان بنواحي خوىّ وسلماس كاتب نصراني يعرف بابن الصقر من
جهة المرزبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباه
فحسن موقعه من ديسم فأكرمه وبالغ في اكرامه حتى صار يخلو به و يشاوره
فاستوحش وزيره ابن محمود واتقاه . فلما استعدّ ديسم للقاء ابن عبد الرزاق
سلم الى ابن محمود خزائنه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها
استظهارا الى أن ينكشف الأمر فتسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي أردبيل
وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره
ففعل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وفتّ في عضد
ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضعفت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه
أصحابه فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزمه. [١٨١]

﴿ ودخلت سنة أربعين وثلثمائة ﴾

وفيها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان فواقعه
روذبار من خان النجان سبعة أيام متوالية فانهزم ابن قراتكين وذلك في
المحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أ كثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل
يجري عندي خبره مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبي الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون الى صدقه ومثل أبي محمد المهلبي رحمه الله خبّرنى بأكثر ما جرى فى أيامه وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة . وحدثنى كثير من المشائخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئة الله

فحدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الوقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين(١٨٢)

﴿ ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى ﴾

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك انه قصد وشمكير وهزمه وتبعه الى جالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى المسير اليها لتوطئة الامور وانصرف الى الريّ فاستخلف بها على بن كامه وانسع خناق أعدائه ببعده عن ممالكه وكل حدّث نفسه بامر . وكتب ركن الدولة الى معز الدولة بما عزم عليه وبما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبي جعفر الصيمرى وهو يومئذ مُنازلٌ لعمران بن شاهين بالبطائح بان يُخلى ما هو بسبيله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة ففعل وسبق وصوله وصول ركن الدولة فحسُن موقعُ ذلك من ركن الدولة . فلما وصل الى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه بباب اصطخر فمشى حافيا حاسرا ومشى أهل عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة ففعل وأقام ستة أشهر . وأنفذ نصيبا

من تركة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان فى جملتها مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجرى مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال (١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك وانقلب الى الريّ . وحدّت اطماعُ من ذكرت وامتدّت الى الريّ والجبل واصبهان وتسرّبت العساكر اليها فمن ذلك مسير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلى من قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن على بن كامه قد انحاز الى أصبهان وتفرق قوّاد عسكر ابن قراتكين فى ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمذان ينال قام وفى كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بعد بفارس يستدعى من يدفع معرّات هؤلاء فأمدّه بسُبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونيّة وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فدبّر سبكتكين تدبيراً جيداً

﴿ ذكر تدبير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾
(أول عدوّ لقيه بقرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلّف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الخراسانية يقال له بجكم الخمارتكيني وكان (١٨٤) ينال قام أنفذهُ الى همذان والياً عليها فكبسه سبكتكين وهو فى الحمّام وأخذه أسيرا وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدّة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ وُلاة

أعمال الجبل ما جرى على بجكم هذا فارقوا امرا كرم واجتمعوا الى ينال قام بهمدان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همدان باجمهم فلم يحاربوا وورد سبكتكين همذان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتُب ركن الدولة كانت تردُ عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا لانحسار الثلوج ثم ورد همذان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمه.

فشغب الصنف من الاتراك التوزونية وأظهروا التضجُّر بالمقام الطويل فتوسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكّنهم فسكنوا فى الوقت ثم عاودوا من الغد وطال ذلك منهم حتى اتهموا. فسمعت أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول: انى قلتُ للامير ركن الدولة: هؤلاء أعداؤنا وقد كاشفونا فكيف نسير بهم الى أعدائنا؟ فاتفق الرأى بيننا ان نُسكّنهم فان سكنوا والا حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فلما عملنا على ذلك عملوا على الحرب فاوقعنا بهم ومضوا مفلولين. (٥٨٠) وسبق خبرهم الى معز الدولة فكتب الى ابن أبى الشوك الكردى وسائر وجوه الاكراد المقيمين فى أعمال حلوان بطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا فاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما الفلّ فصاروا الى الموصل بحال سيئة

وأقام ركن الدولة بهمذان ليتعرّف خبر ابن قراتكين الى ان صح عنده مسير ابن قراتكين من الرىّ نحو همذان فبثّ جواسيسهُ وطلائعه ليتعرّف خبره. فأتاهُ الخبر بانه عدل عن سمت همذان وأخذ على طريق يودّى الى اصبهان فسار ركن الدولة فى أثره يقفوهُ حتى انتهى الى جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فعاث بها عيثا كثيرا مدة ما أقام ثم عرف قُربَ ركن الدولة منه فسار الى طرف مفازة بقرب من أصبهان

فنزل منها على زرين روذ ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد قطعوا المفازة ومسّهم التعب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلزم سمت قُرى زرين روذ ولا يعدم الماء واتصل ذلك بابن قراتكين فانقلب عن موضعه معترضاً له لئلا يملك عليه ظهره فالتقيا في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين روذ ولكنه يُخيض ولا يمنع الراجل ولا الفارس (١٨٦) العبور وذلك ان الفصل كان ضيقا . فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت فى اليوم السادس خاصة ثم انهزم ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الي حكاية ابى الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الوقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقة وعوز الميرة والعلوفات وتعذر جميع الاقوات مالم يلحقها مثله وذلك أن الاكراد أحدقوا بنا فلم يتمكن أحد من اطلاع رأسه عن العسكر وانقطعت عنا المواد وكنا نصل الى اقواتنا مما تحمله الاكراد الينا ويبيعوناه باوفر الاثمان وكذلك العلوفات فكان يجيئنا الكردى بجراب أو مخلاة أو وعاء فيه دقيق فيبيعناهُ بحكمه فاذا أخذناه ونفضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه فى رأس الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينتفع بشيء منه وكذلك يفعل بالشعير والحنطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المجرى كثيرة قال : فكنا ننحر الجمل أو الدابة فنتوزع لحمه بين عدد كبير وتبلغ به على عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة فى الحرب وكان أعداؤنا الاتراك فى مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا (١٨٧) يقنعون بما نقنع (١)

(١) وفى الاصل : بما لا نقنع ولعله سقط « به »

فاذا ذبحنا نحن جزوراً ذبحوا أضعافاً كثيرة ثم ان أصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوما وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأتانا الخبر برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلاهم العسكر أولا أولا واشفقنا أن يكون لهم كين أو مكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نضر الله وجهه ان ركن الدوله دعاه في اليوم السابع وقد نفد صبره وصبر أصحابه : وشكا اليَّ شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة للانهزام وان كانت متعذرة عليه فقلت : أيها الامير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر ممالك سرير الخليفة فينفذ أمرك في اكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت امرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك حشمة لك يقبل امرك تجملا ويطيعك تهيبا وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء (١٨٩) ليغصبوا عليه ويغصبوك منه ولا مفزع لك الا الى الله عز وجل فاخلص نيتك له واعقد عزيمتك على ما بينك وبينه تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانو المسلمين خيرا والكافة الناس مثله وعاهده على ما تعامله وتفي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلي الى من تلي عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ماجرى مثله من النذور وصدق النية . وبتنا تلك الليلة

على حالنا فلما كان فى الثلث الاخير من الليل جاءتنى رسله متقاطرة فصرت اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا أبا الفضل انت تعرف مناماتى وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذاك . قال : رأيت كانى على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدونا وأنت تسير الى جانبي وتذكر لى نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نحتسب فبينا نحن فى هذا الحديث وشبهه حتي مددت عيني بين غبرة الموكب الى الارض فرأيت خاتما يتلألأ قد سقط الى الارض عن صاحبه بين التراب فقلت(١٩١) للركابي الذي بين يدى « يا غلام هات ذاك الخاتم » فطأطأ ورفعه الىّ فاذا خاتم فيروزج فاخذته وجعلته فى أصبعى السبابة وتبركت به وانتبهت وقد تفألت به وأيقنت بالظفر (وذاك ان الفيروزج معناه الظفر اذا عُرّب وكذلك لقب دابته الذى رآه فيروز) .

قال ابو الفضل ابن العميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بأن العدو قد رحل فما صدقنا به ولا التفتنا اليه حتي تواترت الاخبار وعبر سرعان الخيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فبينا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعمد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بغلام بين يديه « ياغلام ناولني ذلك الخاتم » فطأطأ وناوله من الارض خاتم فيروزج فاخذه ولبسه فى سبابته والتفت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذى حدثتك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق محدثه وجلالة قدر من حكاه لى وبعده عن التزيد لما سطرته في كتابي هذا

وفيها تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقلده معز الدولة (١٩٠) البطائح وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من استأسر من القواد وغيرهم

فاما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية بلياليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيها انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبي وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من مراكبه ودخل أبو محمد المهلبي بغداد ومعه المراكب والاسارى

﴿ ودخلت سنة احدى وأربعين وثلمائة ﴾

وفيها ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها

وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبي بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك أن ابا محمد المهلبي لما خرج الى عمان واتفق فى ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالري ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما فى نفسه منه .

وكان ورد ابو العباس الحناط الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمال يحمل اليه فدفعت الضرورة (١٩١) الى مكاتبة الوزير المهلبي وهو بواسط قد وافاها منهزما وأمر بالعدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

بى العباس الخناط من القلعة وورد الروض مما يستخرجه وأن يواصل الحمل الى الحضرة ويسرب الجيوش الى الاهواز على طريق اصبهان الى الرى فنفذ لذلك كله وفى نفس الامير معز الدولة عليه مافيها . فلما أصعد المهلبى الى الحضرة اثر فى أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثراً كبيراً وذاك أنه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمد المهلبى اليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا

﴿ ذكر السبب فى طمع ابن وجيه فى البصرة ثم انهزامه منها ﴾

كنا ذكرنا ما كان من استيحاش القرامطة من معز الدولة ومن جوابه اياهم عن رسالتهم واستخفافه بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم فى البصرة وسألهم أن تمده من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبى يعقوب فى سرية قوية فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله فى مراكبه من ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبى من الاهواز فبادر الى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والزبازب والطيارات وآلات الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عللهم فى الجيش والسلاح وأنفذ اليه معز الدولة (١٩٣) مدداً من بغداد . وكان المهلبى رتب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع الى نفسه وجوه القواد مثل تشكرورز بن سهلان وموسى فيلذه وموسى بن ما كان وأشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه اياما ثم هزمه وظفر المهلبى بمراكبه ورجاله وأسر جماعة من وجوه أصحابه فخفف بذلك بعض ما كان فى قلب معز الدولة وانجلى هم كثير كان فى نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مديدة ثم وقف على طازاذ

مال من ضمانه له قدر وكان سُبّب عليه للأتراك والمهمات فردّ التسبيات
وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك معز الدولة فطالب أبا محمد
المهلبي وهزّ المهلبي طازاذ فاستسلم وأظلت القصة . فدخل المهلبي الى معز
الدولة فصدقهُ عن الصورة فاغتاظ من جريته فى الامر وأثار ما كان فى
نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره الاّ يعود اليه الا بعد ان
يستدعيه فانصرف كئيبا . وحرك بطازاذ فصحح له مالا ونهض الى الامير
مُحتجّا له من طازاذ بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مقرعةً تزازح منها (ثم أمر) بان
يرفع عنه الضرب حتى [١٩٣] يوبّخه ويبكّته بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد
عليه الضرب الى ان تفسخ وثقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماسك ورده الى منزله ووكل به . وفى اليوم الثانى استدعى طازاذ
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبي فلم يرتض خدمة أحد ممن كان
بحضرته فى الوقت فترجّح رأيه وصمّد وصوّب فلم يقم أحد مقام أبى محمد
وكان أبو محمد المهلبي شهما قويّ النفس لا يتحرّك لشيء من نوائب الدهر
فعمل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف الف درهم باقية فى الممالك والأعمال
وأنفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تمادت الايام فى التوكيل به
تمزّقت وطمع فيها فشاور معز الدولة من حضرهُ وكان فيهم أبو مخلد عبد
الله بن يحيي وقال : هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه مني هذا
المكروه العظيم ؟ فقال أبو مخلد : قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم
من هذا الضرب ولحقه ما لحقك من السوء عنه ثم خلع عليه ورده الى
أمره وكان لا يطيق المشي لما حل به من الضرب فركب عماريّة ونثر عليه

فى الطريق مال ولا يمكنه ان يستقلّ بالجلوس وبقى كذلك مدة ثم عاود
مرذاويج الانكار عليه فنكبه وأتى على نفسه . (١٩٤) فعند ذلك راسله معز
الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجلد المهلبى وركب
بعد أيام يسيرة نخلع عليه وعاد الى أمره

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذئ اللسان يكثر سبّ
وزرائه والمحتشمين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمه الله من
لخنه وشتمه عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكترث
له وينصرف الى منزله وكنت أنادمه فى الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا
ويجلس لانسه نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعد بن ثابت
وكان يخلفه ويأنس به يعاتبهُ ويقول فى عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل
به أنسك وقلةُ اكترائك لغضبه ومايلحقك من شتيمته نسبك الى الاستهانة
به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى
يبلغهُ تحرّمُك وانقباضُك كان أحرى ان يقصّر ويندم ولا يُشتّم على عادته
معك وغضه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب علىّ ما تقول ولكن
هذا امير خرقٌ عجول لا يملك لسانه فان ذهبتُ أظهرُ الاستيحاش من
هذيانه وقع له انى قد تنكرت له وانى لا أناصحه وانه يتهمنى بما لا يدور
فى فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة وليس له غير التغافل والتبسم (١٩٥)
فى وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه
فكان الامر على ذلك

وحدثنى أبو بكر ابن أبى سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه
بالبصرة وهزيمته للبريدى افترى على المهلبى وذكر جرمهُ وأفحش عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لى المافروخي : قد ساءنى أن أجرى هذا الفحش القبيح بحضرتى على الوزير فكيف الطريق الى تسليته؟ (وانما أراد ألاّ يتهمه بالشماتة ولا يراه بعين من علم استهانة الامير به) فقلتُ : الامساك فى مثل هذا أولى من الكلام. فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع الناس وقت الاذن ثم اتفق ان دخل المافروخي وأنا معهُ اليهم فوجدناه واجماً مطرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجماً فهل تجدّد أمرٌ ؟ فقال : ويحك انى أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتعاهدنا به من برّه بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا مفكرٌ فى ذلك . قال أبو بكر ابن أبى سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لى المافروخي : هل رأيتَ أدهى من هذا الرجل وأذكر منه ؟ فقلت : لا

وفيها خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبى عمرو الشرابى حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان فى الصلح بينه وبين أمراء بني بويه وكتب معهما كتاب عن الخليفة [١] (١٩٦)

﴿ ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيها مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة [٢] وقلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطلع أبو محمد المهلبي على قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم امرأة تزعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضربوا فتعذروا بالانتماء الى أهل البيت فأمر معز الدولة باطلاقهم لميله الى أهل البيت وهذا كان من أفعاله الملعونة . وليراجع ماقال فيه ابن الاثير في الكامل فى سنة ٣٤ فى العزاقرية يعنى أصحاب محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن العزاقر (٢) زاد صاحب التكملة : وسنه سبع وسبعين سنة وحمل تابوته الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .

وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الامير أبو اسحق ابراهيم بن معز الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردى منهزما من آذربيجان هزمه السلار المرزبان وهو الذى حكينا ان ركن الدولة أسره وحبسه فى قلعة سُميرم فاحتال حتى فكّ قيدَه وقتل صاحب القلعة وخرج منها وسنحكى حيلته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستجيرا بمعزّ الدولة ومستنصرا فاكرمه معز الدولة جدا ووقع منه وأنس به وعاشره وحمل اليه مالاً وثيابا وكان يسميه فى كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب فى خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾
﴿ تمكّنه منها وانهزامه من بين يدى المرزبان ﴾

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمكّنه من آذربيجان من قبل ركن الدولة واتفق ان أوحش كاتبا له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن محمود لخدمته اياه بالاموال قديما ولخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب وتركه الى ان أشخصه لجباية الاموال فى نواحى ديسم وضم اليه جيشا فلما وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن عبد الرزاق [197] من آذربيجان وعاد الى الريّ وأخذ معه ابن محمود وسار ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراسانى فى العود الى بلده فأذن له وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودبّر أمرَهُ أبو عبد الله النعيمى وابن الصقر النصرانى وتوافر اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وجبى

الاموال وأعطى البلاد له باليد فتمكن من نشوا ودبيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني وابراهيم بن الضابى على سبيل التغلب فصلحت حاله وانتظمت . واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فتفرد النعيمي بوزارته . ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعيمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب فى موضعه كاتبا له يقال له على بن عيسى فاحتال النعيمي[1] * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يخالفه وسلك سبيل المداراة ثم قال له : ان رددتني الى العمل وسلمت اليّ خليفتى عليّ بن عيسى صححتُ لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك ورده الى موضعه وقبض على عليّ بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد فى تلك الايام قد ملك القلعة التى حبس فيها بسميرم وقتل الموكل به وهو شيراسفار وكان أيضاً قد أفلت على بن ميشكى المعروف بيلكا الأسور معه[198] من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعاً كثيرا وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من وهسوذان أخى المرزبان فكانا جميعا يدبران على ديسم . ثم وصلت كتب المرزبان اليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بآذربيجان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر على بن ميشكي وظنّ أنه وحده يقاتله . فلحق باردبيل ابن أخت له يقال له غانم مضموما الى وزيره النعيمي ومستوفيا عليه المال الذى ضمنه عن نفسه وعن على بن عيسى خليفته وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعيمي الفرصة لما كان فى نفسه وأفسد غانماً على

(١) بياض بالاصل

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى
واختص معه بكل ماقدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد
ان كان بلغ الى زنجان وشغب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات
وغيرها وتوجه الى برذعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمهُ
على بن ميشكى وايس عنده خبر المرزبان . وكان أنفذ الى أرمينية من يوطئ
له نيات ملوكها من ابن الديرانى وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم
ليلجأ اليهم ان حزبهُ أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل
مع عدّة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم
الى أردبيل ووقعت الحرب فقلب (١٩٦) الديلم تراسهم فى وجهه وانحازوا
الى ابن ميشكي سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض
الديلم عليه وانهزم ديسم فى نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها
ما تمالك به . وورد عليه خبر المرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم
التى كان محبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسلمه القلاع والاموال وانفاذهُ على
ابن ميشكي فى جيش لطلب ديسم فلم يمكنه المقام فهرب الى الموصل ثم صار
الى بغداد وذلك فى سنة ٣٤٢ فتلقاهُ معز الدولة وأكرمه ورتبه فى أعلى
مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المبارّ والالطاف وبذل له خمسين الف دينار
اقطاعاً فى كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة فى أطيب عيش وأرخى
بال فكان يقول ذلك لكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهناهُ أيام
مقامي ببغداد

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغترّ به فنزع الى الامرة والاستبداد
فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيرا وثياباً ودوابّ ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة فى طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديرانى وابن جاجيق لثقته كانت به وانه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] (٢٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه فى القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابه المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديرانى الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سمل عينه فلما توفى المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من غائلته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾
﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بآذربيجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الحنطة التى يستظهر منه أيضا فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طباخهُ الذي يثق به ليتولى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطباخ فى القلعة معه وأخذ المرزبان فى تدبير الخلاص على يده . وكان الطباخ خفيفاً أحمق وظهر منه ما فى نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قلة القلعة فهلك وضيق على المرزبان . وكانت والدة المرزبان خراسويه بنت جستان بن وهسوذان الملك تبذل الاموال فى تعرّف أخباره وتحتال فى خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابى (وقد تقدم ذكره) فى حبس ديسم فتخلص منه ولم يجد مفزعا الا خراسويه فقصدها ولاذ بها (٢٠١) وضمن لها أن يتوصل الى المرزبان فأطلقت له مالا وأنفذته . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل فى كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها فخاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعى لها فى أمر ابنها
فطمعت فى جلادته وأطلقت له مالا وعرّفته خبر ابن الضابي وانه تقدّ قبله
فاجتمعا ولبسا لباس التجار وأظهرا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلا شيراسفار وعرّفاه انهما تاجران وانهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وانه أخذ بضائعهما وامتعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتنجزا كتبه وعلاماته بازاحة علتهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصلا الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعنه وشتمه وكانا يقولان :
الحمد لله الذى كفى الناس شر هذا الظالم الذى لا يعرف الله ولا يؤمن
بنبيه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لهما وأوصل
واحدا واحدا منهما اليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فاغلظا له وواجهاه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف
حسابهما ولكنى أكتب بان يحاسبا . وكثر [٢٠٣] ترددهما اليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان فى عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابى الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
وحملوا الالطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
منهم الحوائج ويعدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم انهم يبذلون
لهم أموالا جليلة وفى خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتنجزون الاجوبة
ويدسون اليه فى خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليبذلها وينفقها فيما يحتاج اليه .
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أمرد وضيء الوجه يحمل ترسه

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقا له ومحبة مفرطة فكان يعطيه سرا الشيء بعد الشيء ويعده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتي طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا فى زنبيل فيه تراب وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل. وأظهر أولئك القوم الذين كانوا فى زى التجار النسك والتأله والخشوع فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سراً[٢٠٣] وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم. فلما كان فى ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقون قريبا من الباب ليدخلوا عند التمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد مسمار قيده على مر الايام ولبس فى ذلك اليوم درعهُ والتف بكسائه وكان يخاطب شيراسفار قديماً ويسئله ان يطلقه ويعده المواعيد العظام فيمتنع عليه شيراسفار ويقول: لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل مايخفف عنك غير هذا الباب. فلما كان فى ذلك اليوم عاد المرزبان في مسئلته وكان توبان حاضرا! فقال لهم توبان: بالله الا خلصتمونى من الديون عليكم ثم عودوا لشأنكم. فقال المرزبان لشيراسفار: قد أطلت عنائى. ونهض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فتسلم الترس والزوبين من الغلام ونهض شيراسفار ليتعلق به فوثب توبان اليه وعاركه وصرعه ثم وجاهُ بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان

اشتلم [١] على عادة الديلم فوثب الرجل (٢٠٤) الذى كان فى الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحدقوا بالمرزبان وكان منغمسا في دم شيراسفار . وكان الموكاوز فى القامة على تفرق ولعب بالنرد فتداخلهم الرعب واجتمعوا وطلبوا الامان فجمعهم المرزبان فى بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طلب سلاح القوم الذين فى البيت فملكه ثم أخرجهم من القلعة وتوافى اليه الرجال حتى خرج ولحق بمأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب كثيرة على باب الرى ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان فامده بابي على ابن محتاج فى جموع كثيرة وتوجهوا الى الرى وظنوا أنه الاستيصال وانه لاثبات لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فعلم ركن الدولة أنه لايقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاولة والتحصن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الرى خلفه وحارب فى الموضع المعروف بطبرك فدامت الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء ومل الخراسانية فلم يصبروا وخافوا ايضاً سقوط الثلج عليهم فاخذوا (٢٠٥) فى العتاب والتراسل ورق أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح [٢] وله تقدم فى علوم الرياضة ومر بينهما كلام كثير انتهى الى الموادعة والصلح

---

(١) كلمة فارسية معناها المنف

(٢) وردت ترجمته فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوه فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد نفد صبره وماله وشغب عليه جنده « ووراءك بلدة مثل الرى وأنت وادع جامّ بها » ولم ير له احد من نصحائه ان يجيبهم الى الصلح وذاك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن الدولة هذا الرأى من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصدمهم بها لاتى عليهم والله اعلم بعواقب الامور فقبل الصلح وشق ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان يجمع اكثر مما جمع ولا يحتشد اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن محتاج طلب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى اخرجه من طبرستان وجرجان وحصل باسفرايين . وكتب الى نوح بن نصر يعرفه ما جرى ويغريه بابن محتاج فاغتاظ نوح وتحرك منه ما كان فى نفسه على ابن محتاج [٢٠٦] فعزله من الجيش ببكر بن مالك وانفذه فى جيوش عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمكاتبة ابى على ابن محتاج ركن الدولة وعدوله الى طاعته بعد أن أصابه فى نفسه وأسبابه وأحواله مكاره عظيمة أزالت ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى معها الصلاح .

وكتب الخليفة فى هذا الصلح كتابا نفذ على يد ابن ابى عمرو الشرابى حاجب الخليفة وابى مخلد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم ابو مخلد من خراسان عائدا ومعه ابو بكر عبد الواحد بن ابى عمرو الشرابى اعترضهما ابن ابى الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متقلدا أعمال المعاون بحلوان واليه الحماية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرقا بهما ثم

غدر فنهبهما ونهب القافلة التى كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت ابو بكر عبد الواحد بن ابى عمرو الشرابى فطالب ابن ابى الشوك معز الدولة باطلاق رهائنه ووعد أنه ان أطلقوا اطلق ابا مخلد فضمن له ذلك واطلقوا واطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراد فدخل حلوان وقرر أمر الاكراد وابن أبى الشوك (٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائه ﴾

وفيها خرج أبوسالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب فى يأس ديسم من نصرة معز الدوله اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وصاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه وظن انه يجد عند ناصر الدولة عونا فقصده وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضا مدة

وفى هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التى ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هرمز فاستقبله ركن الدولة وبالغ فى إكرامه وأضافه وجميع من معه وأقام لهم الانزال الواسعة والتمس ابن محتاج عهدا يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكوتب معز الدولة في ذلك فتكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقى معز الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيرا وأوصله الى الخليفة حتى عقد لابي علي على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم (٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو الشرابى وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكرورز

نجدةً لابى على ابن محتاج ومُعاونة له على نوح فلما كان بعد مدّة ورد كتاب أبى على ابن محتاج بانه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن خُطب له الى هذه الغاية فى شىء من بلدان خراسان (١) وذكر فى كتابه صحة موت نوح. وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن مالك وهو أحد قواده الكبار فغلب على الامور وعقد الامر لعبد الملك بن نوح فى ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبى على ابن محتاج. وسار يطلب ابن محتاج وانفل عن ابن محتاج رجالهُ وعادوا الى صاحب خراسان وبقى أبو على فى مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدى ابن مالك. وورد خبرهُ من الدامغان بانه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام عنده بالرىّ. ونزل ابن مالك بنيسابور وتتبع أسباب ابن محتاج

وفيها صُرف الابزاعجى عن الشرطة ببغداد واعتقل وصودر على ثلثمائة ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الاتراك وقد كان طولب قبل صرفه باربعين ألف درهم على ان يقرّر (٢٠٩) فى عمله من الشرطة ووعد باقطاع فلم يفعل

﴿ذكر الرأى الخطأ من الابزاعجى حتى استمرت عليه﴾

﴿النكبة وعظمت بعد ان كانت خفيفة﴾

كان الابزاعجى منقطعا الى أبى على الخازن فاستشاره وكان أبو على يعتنى به فاشار عليه الاّ يلتزم شيأ ولا يدخل تحت شىء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة. وبلغ الخبر بموت موسى فبادر فانحدر المهلبي لحيازة تركته وكانت عظيمة

له : هذا يطمع فيك ويسير رسما عليك فان امتنعت انحسم الطمع فيك وفيما بعده . فقبل رأيه فاداه ذلك الى النكبة وما أراد به أبو على الا الخير ولكنه أخطأ الرأى كما يخطىء الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضا عليه ونكب نكبة ثانية وسلم الى تكينك فجرى عليه مكروه عظيم وصودر على مائتين وخمسين الفا فاداها .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو على ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة ومعز الدولة وبختيار وبعدهم لابن طغج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب معز الدولة وبين المصريين وكان أبو على ابن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة (٢١٠) ﴾

وفيها عقد معز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرياسة وقلده أمرة الامراء وذلك فى المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لمعز الدوله علة يقال له فريافسمس وهى علة الانعاظ الدائم ويكون معه وجع شديد مع تواتر الغضب وكان معز الدوله خوارا فى أمراضه فاوصى وقلد ابنه كما حكينا أمرة الامراء .

وبلغ عمران بن شاهين ان معز الدولة قد مات واجتاز به مال يحمل الى معز الدوله من الاهواز ومعه كار كبير فيه للتجار أمتعة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة الف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فمد عمران يده الى المال والكار على رسمه فى مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض

على المزعبل ملاح معز الدولة الذى كان مع المال فصادره وضربه ضربا عظيما ودهقه الى أن أزمنه ثم أنفذ اليه معز الدولة أبا الحسين الكوكبي [1] نقيب الطالبين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمتعة التجار وانتقض الصلح وتأدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور فى جيش كثير ومعه عرادات ومنجنيقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها [٢١١] واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الرى فاحتيج الى انفاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

× وفيها ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم مجوما واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب ونفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن على بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن على زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب النقباء ببغداد فى أيام معز الدولة : وفى كتاب الافادة في تاريخ الائمة السادة لابى غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوى المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وعنف فشكا العلوية الى معز الدولة سوء معاملته اياهم مرة بعد أخري . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاختاروا لانفسكم من ترضونه . فاجتمع العلوية كلهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فاوقع به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريعا . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير (٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثني رحمه الله بخبر هذه الوقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عني أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آنفة فقط من غير رجاء مني في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك اني افكرت في تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسي سالما ومثلت بين يدي صاحبي أي وجه يكون لي عنده وأي لسان يدور بعذر لي بحضرته بعد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرمه وبالجملة ملكه ! » ونظرت فاذا القتل عليّ في حالتي تلك أهون من هذه الحال التي تصورتها فصرت لان أقتل كريما (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لي بعمودين وأنا أرى أطنابها تقطع وما فيها يخرج ومن رآني لا يظن اني أثبت في ذلك الموضع مع تلك الصورة فبينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عني بالنهب اذ ثاب اليّ غلامي رويين وفلان وفلان وراءهم العرب فثاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس الكرّة فقتلنا وأسرنا ولم يفلت أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف (٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل اليّ ابن ما كان وبه ضربة في يده وقد تعلق منها اصبعان بجلدة رقيقة فمدّها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدي حتى شق الزحمة اليه

مكار أو ركابيّ فصفعهُ صفعة طنّ بهـا الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم وأمرتُ بطلبه وهممت بالمثلة به وقطع يده فما وُقف له على أثر ولا عُرف له خبر الى اليوم

وكان ابن ماكان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسـه محربا عظيم القوة ورأيت انا جوشنَه وهو رزين جدا يعرض على فتيان الديلم واشدائهم أن يلبسه فيستعفى منه لثقله على اليد

وفى هـذه السنة أنجـد سيف الدولة ديسما وعاضده بعض الاكراد فقصد سلماس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلار غائبا بناحيـة باب الابواب مشغولا بقوم خرجوا عليه هناك فلما عاد من باب الابواب وأصلح أمره هناك وظفر بعدوّه فقصد ديسما فاستأمن رجالهُ الي سـلاّر وهرب ديسم ومضى الى ابن الديرانى صاحب أرمينية مستجيرا به فقبله ثم غدر به وقبض عليه وقيده وحمله الي السلار . فيقال ان السلاّر سمله ثم قتله

وفيها مات أبو على ابن محتاج وابنه بالري في وبأ حدث هنالك

وفيها تم الصلح (٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيها ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلع ولواء على خراسان فعقد له الخليفة اللواء وحمله مع الخلع الى ابن أخته الوارد برسالته ورده مع أبى الفضل القاشانى وقاد أيضا اليه فرسا وأضاف الى خلع الولاية خلع منادمة (١)

---

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرفيل وسد بثق النهروانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد بثق الروبانية بادوريا . وقال أيضاً

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خوطب أبو محمد المهلبي بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع عليه وزاد في اقطاعه

وفيها خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمي على معز الدولة وخرج أخوه المسمى بلكا بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر أسفار بالاهواز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلبي ليحاربه فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذي اصطنعه ونوه باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فياذه وصغار أصحابه . وأنفذ معز الدولة شيرزيل على مقدمته للحرب واضطرب الديلم بأجمعهم على معز الدولة (٢١٥) اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت في نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره وأخذوا يستأمنون . فقلد معز الدولة الازراعجي الشرطة بواسط وأنفذه اليها وفي يوم الخميس لخمس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها الى قتال روزبهان وزاد الامر في استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة المطيع لله منحدرا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان وما عمله هو واخوته حدثت نفسه ببغداد فوجه بابنه أبي المُرجَّى وآخر من أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب سبكتكين من واسط لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لها) يأمره

وانحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبي الى زاوطا لمعاونته وترك روزبهان محاربة عمران ومضى الى الاهواز عاصيا

بالتعجل الى بغداد لمضامّة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم مسافر وسبكتكين ولشكرورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل فى أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأي من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمنعهم من عبورها قلة ثقة بهم(٢١٦) وخوفا من أن يغدروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فما عبر معه من الديلم الا ليلى بن موسى فياذه وشيرزيل ابن وهرى والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمانه الاتراك فحارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كله الى ان سقط القوم (١) ثم حمل بنفسه فى غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قد ربيتكم تربية الاولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شيء وانهزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح اللشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنّا رجالك فاخرجنا نقاتل بين يديك فانّا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ونرى الاتراك يقاتلون عنك فمتى ظفرت بعدوك خرجنا من المحمدة ومتى ظفر عدوُّك فلحقنا العار والسبّة . وكأنهم سلكوا

(١) فى نسخة « الفرس »

في هذا الـكلام مسلك الحيلة لِيُطلق لهم العبور فيتمكنون من [٢١٧] كسر عسكره والاستئمان الى عـدوّه فسألهم التوقُّف وقال : انما أريد ان أشامّ القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكرناهم باجمعنا على تعبية واستعنّا بالله وناجزناهم . وكان يدرّ عليهم النفقات ويواصل العطايا ويكثر المداراة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبّي غلمانه كراديس تتناوب في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك فشل الاتراك وانقطعت حيلهم وفني نشّابهم وشـكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا فنستريح الليـلة ونُفرّق فينا النشاب ونباكرهم الحرب . فعلم معز الدولة انه ان رجع عن هـذه الحالة زحف روزبهان والديلم وثار من خلف ورائه من أصحابه الديلم الذين كان يتهمهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكى بين أيدي غلمانه وكان سريع الدمعـة ثم سألهم أن تجمع الـكراديس كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يُقتل أول من يقتـل فطالبوه بالنشاب فقال : قد بقي مع الغلمان الاصاغر نشّاب فخذوه وتوزعوه وكانت عدة من الغلمان الاصاغر تحتهم الخيـل الجياد العتاق وعليهم الجُبب والتجافيف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهـم في الحملة نوبة في الـكراديس فلم يأذن لهم [٢١٨] وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح لكم ما سألتم اذنتُ فيه . فوجّه اليهم بنقيب وأومأ بيده أن اقبلوا ما يقول النقيب ليأخـذ النشاب منهـم فلم يشكوا انه انما أومأ اذناً لهم فيما كانوا يسألونه ووعدهم به فحملوا وهم مستريحون . كذلك خيلهم فصدموا صفوف الديلم فـكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة فوضع فيهم اللتوت فـكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدّقوا به وقدّروا انه أرجف بذلك ارجافا فكانوا يستهزئون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم كانوا دجاجاً وضع عليهم مكبّة فما أفلت أحد » وكانت نفوسهم اشرأبّت الى روزبهان فلما صح عندهم الخبر ضعفت نفوسهم وانخذلوا. وأسرع معز الدولة الانصراف ليلحق ببغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في يومه ذلك فى الماء الى معسكر الحاجب بباب الشماسية فى زبزب ومعه روزبهان فى زبزب آخر مكشوفاً ليراه الناس وكوركير فى زبزب آخر واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة محبين لايام [٢١٩] معز الدولة وذلك لما كان منه فى سد بثق نهر الرفيل وسد بثق بادوريا فانه خرج بنفسه حتي سد هذا البثق وحمل التراب بنفسه فى بركة قبائه حتى فعل جميع العسكر مثل فعله وسد ذلك البثق ثم خرج الى النهروانات فسد بثقا بها وكانت النهروانات قد بطلت وكذلك بادوريا فلما سد بثوقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقى عشرين رطلا بدرهم فمالت العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه.

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطربل وكان أبو المرجّى وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب سبكتكين فلم يلحقهما لاغذاذهما السير .

وحبس روزبهان بالصراة فى حصن كان هناك فكان الديلم يحدّثون أنفسهم بكبس موضعه واخراجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقاته : انك ان لم تبادر الى قتله أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل وغُرّق في سُميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ[٢٢٠] ابن العميد بِبُلكّا أخي روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار وانحاز اليه والى أخيه بُلكّا الديلم وظنوا انهم قد نقلوا مُلك بني بويه ولله الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم وكتب بالفتح الى الامصار

{ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة}

وفيها ورد الخبر بموت السلار المرزبان بآذربيجان في شهر رمضان وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسوذان على ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تقدم الى أصحاب قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره[١] فلم يذكره لصغره وقال « فان لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخي وهسوذان » ولما وصى الى أخيه وصيته هذه عرّفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسوذان[٢٢١] بعلاماته وخاتمه الى المرتّبين فى القلاع في تسليمها اليه فابوا عليه وأظهروا وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكين بن خرشيد

(١) وهو مذكور مع الصاحب ابن عباد في ارشاد الاريب ٢ : ٣٠٨

وهو من أكابر الديلم وكان ولكين هذا محبوسا من جهة المرزبان بارديبل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على ان يمضي بنفسه ويُخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمّه وهسوذان فاستوحش وهسوذان وفكر في مُخاتلة أخيه له في الوصية وفي اقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولكين من محبسه بغير اذنه فساء ظنّه وخرج من أردبيل كالهارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعيمي وتوافى اليه قُوّاد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه تأخر عنه وفكّر في التغلّب على ناحية أرمينية وكان والياً بها . وأخذ وهسوذان في التضريب بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفّي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطالبوهم بما لا يتسعون له حتى تمكّن منهم وقتل بعضهم وحرض على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد (٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الحلق والماشرا وكثر الموت بهذين الضربين (١) وموت الفجأة وكل من افتصد انصبت الى ذراعه مادّة حادّة عظيمة يتبعها حمى حادّة فيحتاج الى بطء وما سلم أحد ممن افتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيّة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالريّ ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده (٢)

---

(١) لعله «المرضين» (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقلة الى كربلا لزيارة وبه فالج فسلت في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربعة أبي

﴿ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة﴾

وفيها كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها بالجبل خاصة فخربت الابنية وقتلت الخلق (١)

وفيها شغب الاتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بغلمانه وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيها ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة معز الدولة ومعه أبو على ابن أبي الفضل القاشاني وزيرا ومعه أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد يكتب له على سبيل (٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى زُفّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه ثم حملها الى إصبهان

وفيها خرج معزالدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربّل وضرب مضاربه هناك وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزادصاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وكان بالرى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف بلد الطالقان فى ذى الحجة ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين رجلا وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري واتصل الامر الى حلوان فخسف بأ كثرها وقذفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالرى جبل وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزى فالله أعلم . وقال أيضا . وفى سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والجبال فاتلفت خلقا عظيما وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والاشجار .

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وترددت الرسل فامر معز الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر أن تُقرأ وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ما جرى عليك من تكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتى على مهجتك فلجأت الىّ بعد عداوة سبقت امنك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد واغتفرتُ الذنوب وآثرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لى الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا يلتمس منى الا ترك الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فآثرتك . وأنفذت كاتبي وعسكرى باموال أنفقتُها ومؤن تكلّفتها (٢٢٤) حتى أخذت بناصيته وسلمتهُ اليك فشفيت صدرك منه وعدتَ الى وطنك . ثم حصلتَ فى يد وزيرى الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت انك تعرف لى حقّ هذه النعمة وتُطالب نفسك عليها بالمجازاة فابيتَ الا غدراً بي وتقبيحا في معاملتى . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء الاوفياء عملت عمل الاعداء الحزماء فكاتبتني تعرض نفسك علىّ فى النائبة العظيمة التي نابتنى في أوثق الناس عندى وتبذل لي معاونتك فكنتَ تنفذ عسكرك الى تكريت على إنه مددٌ لي فان لاح لك استظهار مني تحمّدت علىّ وتوددت اليّ وان لاح لك استظهار علىّ أظهرت ما في نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعّد والتهدُّد بالمسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأى ولا أمرت به ولكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفوننى في تدبيرهم فيركبون الهوى فى أمورهم ولا رأى لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفى ألف درهم فعجلها له (٢٢٥) والتزم مثلها فى كل سنة فاظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل . وأنفذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابنى ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الغارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجي وأخيه فعادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلمى المعروف بسياچشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردى وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾
﴿ معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنحى من بين يدى معز الدولة الا يترك في البلد لا كاتبا (٢٢٦) ولا دليلا ولا أحداً ممن يعرف نفع السلطان وضره ويحشرهم

الى قلاعه مع حسباناته ودواوينه ثم يأمر الصعاليك والعرب أن يتطرفوا البلد ويغنموا العلافة ومن يخرج لطلب العلف والطعام الا أن يكون معهم عسكر قوىّ فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه فى ذلك أن يضيق الميرَ والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك فى هذا الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقعيد بلغه أن أبا المرجى وهبة الله ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما وندب لذلك جماعة من القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاما أمرد وضىء الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حُنكة فاشار الوزير المهلبي الا يخرجه في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل منه وأنفذه فى خمسمائة رجل فاشرفوا على أبي المُرجّي وهبة الله فارهقوهما عن تقويض الخيم واستصحاب شيء من رحالهما وافلتا على ظهور دوابهما وتركوا جميع مالهم[٢٢٧] فانتهبه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا الحزم فنزلوها واستقروا فعطف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا وأسروا وغنموا ما شاؤا . وبقى معز الدولة فى عدد يسير ببرقعيد فى طريقه الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعى العساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما قويت عدته سار من برقعيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى ميافارقين وفضّ جيشه عنه باسره وصرفهم فصار جيعهم الى معز الدولة في الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الي معز الدولة ورحل ناصر الدولة من ميافارقين الى حلب مستجيراً باخيه سيف الدولة فتلقاه أخوه باجمل تلق وقبله احسن قبول وخدمه بنفسه حتي تولى نزع خفه بيده . وكان

حامد بن النمس توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرقان الموصل في الجانب الشرقي منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافة من عسكر الحاجب وعنعان ورود (٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذا من الترنار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلي بن الصقر وحملاه الي القلعة ثم كبسا الحديثة وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد المهلبي وأبو العلاء ابن شاذان يتقلد عمالتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزاً وحملا أبا العلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال الي الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الي بغداد رد الرسول خائبا .

وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الي نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأي عمرو الصورة استأمن الي معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الي ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصداً الموصل

﴿ ذكر اتفاق صعب غير محتسب ﴾

لما صار معز الدولة بين المونسية وآذرمة في اليوم الخامس عشر من شباط (١) هبت ريح باردة (٢٢٩) مغربية ووقع دمق فتلف في ساعات يسيرة

---

(١) زاد صاحب التكملة : وهو ثالث ذي الحجة

من النهار عـدد عظيم من عـكره ولحق معز الدولة غشـية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوبر والخز . فقلع أهل العسكر سقوف آذرمة وأبوابها وأوقـدوها فاطلق معز الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم ليبتاعوا بها مكان ما أخذ من انقاضها

﴿ ذكر تدبير سيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾
﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الي تخريب المملكة ﴾
(وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان ان يطرد الديلم الروزبهانية بعسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدهم للمشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للسكل لم يتسع له مع ان الفتح للاتراك وكان مائلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتـدأ بجازى الاتراك بالاحسان فقود منهم جماعـة واستحجب جماعة ونقب جماعـة ورفع كل طبقة الي ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم مالهم ويصـير ذلك بازاء مايلزمـه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهـم الي الاهواز وكتب الي وزيره المهلبي بجمعهم (٢٣٠) من جميع النواحى والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهـم الي آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعـدة الا انه تلطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاتراك على التحسب على الديلم وتعييرهم بشق العصا وخلع الطاعة وتقريعهم بهذا ونحوه وان عدد الاتراك مع قلته وفوا بهم حتى قهروهم واذلوهم . ثم رسم للاتراك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والتغلب على الاعمال والتسحب على العمال وذلك انه أمر بتسبيب مايستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقائهم المقيمين وان يقام لهم نزل يأخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفى ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لامؤبداً . وانفتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضر عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم (٢٣١) وصيروا اصول اموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسبيباتهم لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقى لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جملة فربما أقاموا سنتين وثلاثة . وحلت التجارات في صدورهم واجازة مايحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزه الى الدخول في التلاجيء فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضعفت أيدى العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيها وافي أبو محمد الفياضي كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بالفي الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاساري الذين أسروا بسنجار. فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبي والحاجب سبكتكين بالموصل والجيش باسره معهما (٢٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضي كاتب سيف الدولة

﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾

(تمكنه من ديار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقة الشديدة التي لحقته بعد الامور التي ذكرناها وتأخر أموال الحمول عنه فعلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين يديه وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فانى لاأقف للحرب . فاستأمن اصحابه الي معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضاقة معز الدولة ولم يمكنه ضبط النواحى ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لايصلون الى غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الي الانحدار ولكنه أنف وأقام على كره ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر الجميل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان ضمنته أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفى هذه السنة انقطعت الحمول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب فى ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستضامتهم العمال ومضايقتهم اياهم حتى اضطروهم الى بذل المرافق (٢٣٣) الكثيرة لهم فاقتنوا الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال وصار العمال يعولون على الغلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتنجزونها كما يتنجزون تسبيباتهم وتشبه بهم الديلم واصطلح الفريقان على هذا السبيل فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذى لايرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والاتراك متطاولين مدلين فلو فمغوا لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمال من فاضل ما عليهم الى السنة التى بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدبيراً متعرضاً لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة كالطفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد على أولاده ولما أتي عليه الزمان بعد وفاته

وفيها خلع السلطان على الامير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد له لواء وقلده إمرة الامراء ولقبه عز الدولة [1]

وفيها أنفذ لواء وعهد الي أبي على [234] [محمد] بن الياس وكان السفير فى ذلك كله القاضى أبو بكر أحمد بن سيار الصيمرى وفيها مات أبو الحسن محمد ابن أحمد المافروخى وكان يكتب لمعز الدلة وكتب له بعده أبو محمد على بن عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفي وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر ابن أبي سعيد

وفيها كانت وقعة بين على بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين بيستون ابن وشمكير فكانت على بيستون

وفيها غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصبهاني وزوجه بابنة أبي منصور لشكرورز بن سهلان فماتت بعد الاجتماع والاتقال وقد كان زوجه بابنة روزبهان فانقطعت بعصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة ابي على محمد ابن الياس صاحب كرمان وانفذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمرى القاضي فتمت الوصلة ولم تقع النقلة . وقال أيضا : وفى هذه السنة توفي لشكرورز بن سهلان بعلة القولنج وتبعت وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتهما أمد قريب

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة

وفيها غزا الروم المسلمين فأسروا وقتلوا وسبوا [١] وانصرفوا وذلك في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلمائة)

وفيها ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلا من قواده يسمى بختكين [وكان] من وجوه قواد الاتراك فاضطربت خراسان لاجله

وفيها ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفي بالله ظهر بناحية أرمينية وتلقب بالمستجير بالله يدعو الى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا الرجل مضى الي بلد الجيل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفية [٢٣٥] والمسودة والمنتسبين الى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا الي آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلار الديلمي. ثم ورد الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب بالمستجير بالله فاسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن شرمزن تحصن بسور أرمية وكان وهسوذان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي حلب وأسروا ابا الهيثم ابن القاضي ابي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه من سواد حران

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخي جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعده أن يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقيم مقام أخيه فعمل ابراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالاّ يفعل (٢٣٦) فخالفهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ماسكنا اليه فصاروا الى المراغة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار الى برذعة فلما عرف خبر أخيه ابراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل مااقترحاه فعاد الي موالاته وتركا ابراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى ابراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الاخوين أعني ابراهيم وجستان ابني المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلعة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين معاينة ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصداه . واتفق ان هرب أبو عبدالله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله المتلقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال (٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما أطمعه النعيمي صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبايعه الناس . وسار اليه جستان وابراهيم ابنا المرزبان فى جموعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردى القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايانية وتلقاهم الهدايانية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فما شك أصحابه في انهزامه فاقتفوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايانية وأصحاب جستان وابراهيم اكتافهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الي ارمية وظفر باسحق بن عيسي بن المكتفى بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنفه فى الحبس

وتم لوهسوذان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك (٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصراً واستغواه حتي صار الى موقان مفارقا لاخيه ووجد الجند سبيلا الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال ففارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجأ أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفى به وقعد به عمه وهسوذان فعلم حينئذ ان وهسوذان عمه كان يغويه وعرفا جميعا مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعا الى أردبيل

على اضاقة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى
الخروج الي عمهما وهسوذان مع والدة جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان
الغليظة والعهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على العسكر
وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسوذان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران
وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكى صاحب
جيشه واخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب [٢٣٩]
لمنازعة اسمعيل ومحاربته ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما
وهسوذان وكان وهسوذان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما
عرف وهسوذان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من
الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم
ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد
بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف
اسمعيل فهرب ابراهيم الي أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريبا منه فاستولى
على عسكره وملك المراغة وأضافها الى أرمية

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بلدان الروم آثارا عظيمة
وأحرق وفتح حصونا وحصل فى يده سبي كثير وأسارى وانتهى فى غزوه
الي خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فما تهيأ له ان يتخلص
الا بجهد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع
منه السبي كله والاسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه وقتل
من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمس وموسى بن سيا كان والقاضى
أبو حصين [٢٤٠] وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفا وخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب فى سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾

كان هذا الرجل أعنى سيف الدولة معجبا يحب أن يستبد برأيه والا تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بان يخرج معهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب هو بعياله وسواده وغلمانه

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابى العربان أخو عمران بن شاهين وصار الى واسط بحرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في ذى القعدة ولقى معز الدولة

وفيها أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي [١] بابنة الوزير أبي محمد المهلبي

وفيها مات ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي [٢]

وفيها اسلم من الاتراك نحو مائتى الف خركاه

وفيها انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما كان بالليل حملهم الوادى وهم لا يشعرون فغرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التكملة: وفى هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازى كاتب المستكفى بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون: وأنزله معز الدولة دار حسنة على دجلة وأطلق له ضياعه القديمة التى كانت لابيه فى السواد وأقطعه اقطاعا بعشرة الاف دينار ورسمه بمنادمته ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمتعا بملاذه متمتعا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبسهم الماء مع امتعتهم الى البحر [٢٤١]

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبي فى الليل والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سلم داره وكراعه وغلمانه الي ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبي الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاة به وخرج في عدة يسيرة من غلمانه وخاصته ليمضى الي الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور

الصلاح والبرء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشعاره ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى التى افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهى ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هي التى كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبي بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره مما كان فى نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبي بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل فأقام بكلواذى وأخذ [٢٤٢] في تقدير بناء قصر ثم انتقل الي الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصرا ثم صاح من علته وابو محمد المهلبي في كل ذلك يطله ويصرف رأيه لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومألفهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتي صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب]ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه وماؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو فى اعلى بغداد من الجانب الشرقى بقصر فرج واخذ في هدم مايليه من العقارات وابتياعها من اهلها الي حدود ربيعة الدور وكلف اباالقاسم ابن مكرم واباالقاسم ابن جستان المدلين ابتياع العقارات المجاورة له . واصلح ميدانا على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر مهدى وقلع الابواب الحديد التى على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتى بالرصافة وعلى شارع نهر المعلى ونقلها الي داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الحبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالآجر الذي استعمله وطبخه في الاتاتين ووثق البناء واختيرت له الالات[٢٤٣] والجص والنورة وبالغ فى الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سفلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الي وجه الارض بالنورة والاجر الي ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقيما طول المدة فى بستان الصيمرى ثم انتقل الى الدار التى بناها في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥ قبل أن يستتم بناؤها[١]

(١) وفى تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من يراه

وفيها مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لأبي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيأ كثيراً ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعضهُ قراءة عليه وبعضهُ اجازة لى وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولى معه اجتماع كثير.

وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عُتبة بن عبيد الله [١] وقُبضت أملا كه وصودر محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبي بحضرتي ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التخرم والتهتك في أيّام [٢٤٤] أبي السائب ولم يكن به الا التشفي منه فنثر كمابهُ ضربا. وكان هذا الرجل عاهرا يتعرض لحرم الناس وكان مرسوما بحجبة قاضي القضاة فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه

وفيها مات أبو نصر ابراهيم بن على بن عيسى كاتب الخليفة فجأة وتقلّد كتبة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا

وفيها قبض معز الدولة على أبي على الخازن [٢] وأبي مخلد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي ابو السائب كان أبوه تاجرا يؤم بمسجد همذان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والزهد وسافر فلقي الجنيد والعلماء وعني بفهم القران وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٣٨ وتوفي في ربيع الاول وله ست وثمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النصراني . ابراجع ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير المهلبي وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبي رحمه الله يقصد أبا على الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا مخلد وأبا الفرج فذكر لمعز الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجنه ولا يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء وكان معز الدولة شديد الثقة بابي على الخازن وكان أبو على كثير التمويه متفاقرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما يحتمل مثله فقال معز الدولة للوزير أبي محمد : ما تريد من هذا البائس (٢٤٥) الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده ما يحتاج اليه للبناء . وتكلم على غيره بقريب من ذلك فسلّم الجميع اليه فحضرتُ مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة .

أما أبو مخلد فانه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير معز الدولة ولا أملك الاطنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأثاثا وغلمانا رُوقة وفرشا فالى ان أعود الى رأس مالي فانا على الربح . فالزمه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه الى منزله بعد ان أخذ خطهُ بها فلما خرج التفت الوزير الينا وقال : هذا رجل مقبل كنت أظنه يتمآن ويخاطبني بحسب دالّته وموضعه من الامير فقد اتّقاني بما قال وحمى نفسه وعِرضَهُ وماله وهكذا يصنع الاقبال بصاحبه .

وخاطب أبا على الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستبيت ولم

يستجيب الى شيء بتة فنُحي من بين يدى الوزير ووُكّل به فى ناحية من الدار .

وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشد رأسه بخرقة فأحضر كرّازا ووضعهُ عند رأسه وقال : أنا غريب . فاضحك الناس من نفسه وأعرض الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة [٢٤٦] فأخذ خطه بثلاثمائة الف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي الفرج صاحب الديوان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة الف فلما كان بعد أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويجريه مجرى أبي الفضل ففعل ذلك به .

وبقي أبو على الخازن على لجاجه لا يلتزم شيأ ثم أنعم بعد التهديد بشيء وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه الوزير وظن ان ذلك يبلغ الامير فيكون سبب اطلاقه فخاطب معز الدولة الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئاً . فقال : أيها الامير لا تلتفت الى مخاريقه وخدائعه ودعني أستخرج منه مالا عظيما . فسكت عنه وراسل أبو على الخازن كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره فى الدولة بالفقر وان الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسعهُ فى ظهره شيء أدماه وتألم منه وكان موضعه الذي وكّل به فيه من دار الوزير موضع غنم فيما تقدم فظنه الناس لسع طبّوع وقالوا : ليس شيء من الهوام يُخرج بلسعته الدم الا هذا الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو على الخازن بعد أيام قلائل في اعتقاله وقامت على الوزير أبي محمد المهلبي القيامة وخاف ان يتهم به ومع [٢٤٧] ذلك فلم يكن ارتفع من جهته الا شيء نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض ضعاف ما أداه في مصادرته فتعجب من جلادته وتوقع عتب الامير معز

الدولة في بابه ووطّن نفسه على [كل] مكروه . ثم رأى ان يبتدىء معز الدولة ويستأذنه في البحث والتنقير عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى سكّن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه يرّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالا كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلمانه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتّهم موضعا من داره بدفين أو يتّهم مُعاملا له بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيأ مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتّهم أحدا الا أنه طرد غلاما له مزينا من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياما . فعبر الوزير بنفسه الى دار أبي على الخازن والتمس حجرة المزيّن وكان غلاما حبشيا أو نوبيا فجلس فيها فحفر مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه [1] وكان في جملة المدفون آلة شبيهة بميزان أعني بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترابيعه شبيها بحوض وعليه طبقة مهندما عليه وهو خال لاشيء فيه فعجب منه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فعهدي به يقلّب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

---

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٣ ويقال فيه ان الوزير استخرج عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فما شك الوزير ان تلك الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « عليّ » مكررا فان استخرجناه أخرج لنا باقي الاسماء . فقيل له : كم من رجل اسمه عليّ كان يواصل هذا الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال : هذا اسم صيرفي فى دار أبي على (وهو في درب عون) فاحضروني .
فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبتا باسمك وبخط أبى على بمبلغ ما عندك فانقذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون (٢٤٩) له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به لحبسه وقيده بقيد ثقيل فيه ثلاثون منا فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « اوكى » فقال الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنانير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له منه امانة وثقة ودينا . وتقلد مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبى على

وفيها تقلد القاضى أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب القضاء في جانبي بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة [١] وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفى موكبه الغلمان الاتراك والجيش . [٢٥٠] وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسلان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير فى كل سنة مائتى الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجعلت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لان ضُمِّنت الحسبة ببغداد وضمنت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الاهلّة وهذا القاضى مع قبح فعله قبيح الصورة مشوّهها .

وفيها وافي أبو القاسم أخو عمران مستأمنا .

وفيها ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر [٢] به فرسه فمات وافتتنت خراسان ونُصب مكانه أخ له يسمى منصورا

وفيها حُمل الى ابراهيم السلار من دار السلطان خلع وعقد له على آذربيجان . [٣]

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة [٤]

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب فى تاريخ الاسلام (٢) لعله « تقنطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب التكملة : وفي شعبان ابتدىء بناء المفيض بنهر الرفيل تولى البناء أبو بكر ابن الحلبي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الغلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا فى ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطيع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيها دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها وشمكير الى جرجان واستأمن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل

وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل (٢٥١) والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين زربة ان الجبل قد مُلك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان مع الدمستق دُبّابات كثيرة وانه قد أخذ في نقب السور طلبوا منه الامان فآمنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اعطائهم الامان فنادى في البلد من أول الليل بان يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمكنه الخروج فلما أصبح أنفذ رجالته في المدينة وكانوا ستين الف رجل وكل من وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما من الرجال والنساء والصبيان والاطفال وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملته أربعون الف رمح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونادى

ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالتقريب وان الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا » فكانت هذه الزيادة بازاء ذلك فاما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنى عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثنى عشر لقبا وسموا الايام باسامي وأفردوا الايام الخمسة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك . . . . وذكر كلاما طويلا حاصله تعجيل الخراج وحساب أيام الكبيس ٭

فيمن حصل فى المسجد الجامع من النـاس بان يخرجوا عن البلد الى حيث شاؤا وان من أمسى ولم يخرج قتـل فخرج النـاس مبادرين وتزاحموا في الابواب فمات بالضـغط جماعـة من الرجال والنساء والصبيان ومروا على وجوههم (٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فمـاتوا في الطرقات ومن وُجـد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلّفه الناس من أمتعتهم وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل . وبقى الدمستق مقيما في بلدان الاسـلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعـة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التى فتحت بالامان حصن أمر أهله بالخروج منـه فخرجوا فتعرض بعض الارمن للنساء اللواتى خرجن منـه فلحق رجالهن غيرة عليهن فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حدثة أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعـد الفطر وزعم انه يخلّف جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسـيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأنفذ اليه رسلا فلما وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحـه واغتمّ وخرج الى روشن داره وكانت داره على شاطئ نهر فرمى بنفسه من داره الى (٢٥٣) النهر فغرّقها

وفيها دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم

وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أنفذ جيشاً كثيفا الى غلام له

شذّ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزمه واستأسر وجوه القوّاد وفيهم خال صاحب خراسان

وفيها لقّب الخليفة الامير أبا شجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .

وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الى حلب وملكها وكان الدمستق وافاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد يخبره لانها كانت كبسة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من معه وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابنٌ للحسين بن حمدان فانهزم سيف الدولة فى نفر يسير وظفر الدمستق بداره وهى خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثلثمائة وتسعون بدرة فأخذها ووجد له الف وأربعمائة بغل فتسلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربض . وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلمة[٣٥٤] من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطمع الروم فى تلك الثلمة فأكبوا عليها ودفعهم أهل البلد عنها فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلوا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن . وذهب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس « الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت » فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ليدفعوا عنها فلما رأي الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضعوا السيف في الناس فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى الروم الف ومائتا رجل فتخلصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم فأخذهم الدمستق وسبي من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحد ولا يوصف كثرة فلما لم يبق معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد [٢٥٥] الى الحباب التي يحرز فيها الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل البلد قبل أن يفتحه الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حدّها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا له الى ذلك . وذكر ان عدّة رجاله كانت مائتي الف رجل وان عدة أصحاب الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق الثلج أربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره [١] بالليل وخركاهات عليها لبود مغربية فمن صعد قامة حاب تخلص بحشاشته فلما كان بعد تسعة أيام أراد الدمستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقال له ابن أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازائنا من يدفعنا عنه ومن كان فيه من العلوية وبني هاشم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال متيمون في القلعة فباي سبب ننصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدمستق : قد وصلنا الى

(١) وفي التكملة : يحتدقون به على عسكرهم

مالم نكن نقدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسبينا وأسرنا وأحرقنا وهدمنا وخلصنا أسراءنا وأخذنا من أردنا أن نفادي به بلا فدية وغنمنا غنيمة ماسمع بمثلها (٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لايجدون قوتا والرأي ان ننصرف عنهم فان طلب النهايات والغايات ردى . فأقام ابن أخت الملك على أمره ولجّ وقال : لا أنصرف أو افتح القلعة . فلما لح قال له الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريدُ فاني أنا مقيم في عسكري على باب المدينة . فلما كان من غد ترجل وأخذ سيفا ودرقة وصمد راجلا والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من واحد فصمد وتبعه أصحابه واحدا واحدا . وقد كان حصل في القلعة الجماعة من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجرا فوقع عليه وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماهُ واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولا أحضر من كان أسر من المسلمين فضرب أعناقهم باجمعهم . وسار الى بلد الروم بما معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانا بعد قليل نعود اليكم (١) (٢٥٧)

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ على بن محمد الشمشاطي (وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذى القعدة أقبلت الروم فخرجوا من الدروب فخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى عزاز في أربعة الاف فارس وراجل ثم تيقن أنه لا طاقة له بلقاء الروم لكثرتهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك ثم جاءه الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجهز فتاه نجا في ثلاثة آلاف لقصدهم ثم لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهر بنفسه . ونادى في الرعية : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجالة الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

دينار . فلما سار فرسخا لقيه بعض العرب فاخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية . وأشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقع القتال في أماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقة العدو في أربعين الف راجل بالرماح وفيهم ابن الشمشقيق وامتد الجيوش على النهر وأحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما ساواهم لوي رأس فرسه وقصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمشقيق في عشرين الفا فانكي في أصحابه وانهزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم وأطلهم السيف وازدحموا في الابواب وتعلق طائفة من السور بالحبال فقتل منهم فوق الثلاثمائة وقتل من الكبار أبو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وأسر كاتب سيف الدولة الفياضي وأبو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملاعين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصي .

ثم تقدم من الغد منتصر حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين تعتمدون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق فقربهما وقال : اني أحببت أن أحقن دماءكم فتخيروا اما ان تستروا البلد أو تخرجوا عنه باهلكم . وانما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد أتى الحاجب فقال : لتخرج الينا عشرة منكم لتعرف ما تحمل عليه أهل البلد . وكان رأى أهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلغني عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلغني انكم قد أقمتم مقاتلتكم في الازقة مختفين فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل أصحابي للنهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . فحلفوا له وانما أراد أن يعرف صورة البلد فحينئذ تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة . ونصبت الروم سلالم على باب أربعين وعند باب اليهود وصعدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وبقى السيف يعمل بها ستة أيام الي يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة فزحف الدمستق وابن الشمشقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمشقيق من عظمائهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودى : من

خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا نفرا من المسلمين وانصرفوا موفورين

وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكثم القضاء بمدينة السلام على أن يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب [1] وخلع عليه وأمر بالا يمضي شيئا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم قلد قضاء القضاة .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلبي ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الآخرة فانحدر وبلغ الى هلتى [2] من فم البحر واعتل فكنت أسمع من طبيبه فيروز بانه مسموم لا محالة وكنت أساله عمن سمه فلا يصرح باسمه الى ان كان بعد ذلك بعدة وانقضت تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلقا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو قمرين وكانت نجدة لهم فتوهم انها مستق أنها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفا .

وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الجامدة برد وزن البعض منه رطل ونصف بالعراقي

وقال صاحب التكملة : وفيه خلع معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو ابن فسانجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين

(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي الشوارب عن القضاء وقد ذكر أنه ضمنه فكان النظار يحيلون عليه بمشاهرة الساسة والنفاطين وكانوا يجيئونه ويشدون نعالهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخور . فأتى أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بازالته . قال : قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصابي في كتاب القضاة لابي عمر الكندي ص ٥٤٥

(٢) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هلتا

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سمه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يسلمون ويعودون[٢٠٨] الى نعمهم . وكان فيروز الطبيب لما أحس بذلك استأذن فى العود الى بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب فى مال كثير فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان فى النصف من شعبان ثقل وورد الى الابلة زائل العقل مسبوتاً فيئس منه وعملت له آلة شبه المحفة يحمله أربعون رجلا يتناوبون عليه وينام فيها وورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزاوطا .

وكان معز الدولة لما سمع بخبر علته أنفذ أبا على حمولى اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفى ان يحتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأسبابه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان[١] وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالنوبختية بمقابر قريش . وروى أيضا عن أبى على التنوخى الحكاية التى وردت فى ارشاد الاريب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلبي قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه على خاصه وأطلعه على أموال وذخائر دفنها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذين وعوقب أشد عقوبة وضرب أبرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعدل أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس) الى تجنى (وهى أم أبي الغنائم الفضل بن الوزير المهلبي) وأمرا بضرب ابنها أبي الغنائم بين يديها فبكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاى المهلبي فعل هذا بي حين استدعي الآن العقوبة لزوجة أبي على الطبري لما

ومن دخل يوما اليه مثلا وصودروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى من ذلك ما لا يجرى مثله الا على عدو مكاشف واستفظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه الله .[٢٥٩] ولما مات الوزير أبو محمد المهلبي رحمه الله نظر أبو الفضل وأبو الفرج في الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيها ورد الخبر بان الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أبرونا . فاحضروه وحمل في سفينة بين أربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء شيء وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة ذلك ثلاثون الف دينار فقال له من حضر : ويلك ألست من الآدميين ! تقتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لاتعترف : فقال : ياسبحان الله أكون ابن ابرونا الطبيب الفصاد على الطريق بدانق ونصف دانق يأخذني الوزير أبو محمد ويصطنعني ويجعلني كاتب سره وأعرف بخدمته واطلع الناس على ذخيرة دخرها لولده ! والله ما كنت لافعل هذا ولو هلكت . فاستحسن فعله وكان ذلك سببا لاطلاقه وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بقية وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد الدولة . وروى أيضا عن التنوخي : قال المهلبي : لما عزم معز الدولة على إنفاذى الى عمان طرقني أمر عظيم فبتُّ بليلة مابت في عمري مثلها لافي فقرى ولا في صغر حالى وما زلت أطلب شيأ يسلي به عما دهمني فلم أجد الا أني ذكرت أني كنت حصلت في أيام صباي بسيراف لما خرجت اليها هاربا فعرفت هناك قوما أولوني جميلا وحصلت لهم على أياد ففكرت وقلت « لعلي إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعقابهم فأكافيهم على تلك الايادي » فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل عليَّ ووطنت نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الاريب ٣ : ١٨٣

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين فلما خرج نجا والطرسوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنحا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بعيد الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنحا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان فى يده فوقع فى لبته ومضى يركض يريد الهرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك لغيرة لحقته من تعرض ابن دنحا الغلام من غلمانه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يمت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بابن دنحا فجد فى السير الى حران .

وابن دنحا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل (٢٦٠) ببغداد الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ما ذكرت . فتبع نجا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأوهم أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقيم بحران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بان يحلفوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلما لمن سالمه وظن أهل حران أن الذى خبرهم به صحيح فحلفوا له على ما أراد واستثنوا فى يمينهم الا أن يكون الذى يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجا أخو نجا غلام سيف الدولة فاغلق هبة الله واهل حران ابواب حران فى وجوههم وعلم نجا انه لا يمكنه فيهم حيلة فاظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميافارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجا (يعرفه ما جرى ويغريه بأهل حران فسار نجا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل حران فنزل نجا) خارج حران وخرج اليه وجوه اهلها واشرافها وهم سبعون شيخا ليسلموا عليه فوكل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب فى وجه اخيه ولم يسمع لهم عذرا وجرت [٢٦١] لهم معه خطوب الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجالة والزمهم الاجمال الثقيلة ورسم ان يستخرج له المال فى يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام وقسط المال على أهل البلد وأدخل فيه الملى والذمى والسوقة والنساء الارامل وغيرهم ووضع عليهم العصى والضرب فى دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم فاخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ولم يجدوا من يشترى لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون فاشترى اصحاب نجا الامتعة والحلى بحكمهم وبما أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد وافتقر اهله وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد شاغرا بلا سلطان فتسلط عليهم العيارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع فى هذه السنة أحد بديار مُضَر كبير شيء للجور الذي كانوا فيه . [١]

---

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان) ألزم معز الدولة الناس بغلق الاسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور مضجات يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد

وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذى الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الدبادب

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر من حرّان بانه اجتاز بهم الغازى الوارد من خراسان في نحو خمسة (٢٦٢) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى أرمينية ثم الى ميافارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازى اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان ببلاد ارمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فطمع نجا فيه ولم يلتفت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الي مقابر قريش لصلاة هناك والي مشهد الشيعة

واستنصرت الروم على الاسلام بكائنة حلب فضمن أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها لب العدو ومزقهم فلله الامر وما شاء الله كان . ففيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ومعهم كتاب بشرح مصيبة حلب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الي الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فعرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمني ماجرى وأنتم تعلمون أن سبق معزالدولة وأنا أرسله في هذا . فقالوا : لانقنع الا بخروجك أنت وان تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والافاعتزل لتولى غيرك . فغاظه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب ومعه الاتراك فصرفهم صرفا قبيحا ثم لطف الله وجاءت الاخبار بموت طاغية الروم وان الخلف وقع بينهم في من يملكونه . فطمع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة وأوقعوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثلها فلما ردوا الى الدرب اذاهم بابن الملايني على الدرب فاقتتلوا طول النهار ونصر المسلمون . و بلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة الف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على العدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على ملطية فملا يديه سبيا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا الورد [١] فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فاقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش . ومضى الغازى الخراسانى الى سيف الدولة فلما اجتمع معه نفر الى المصيصة وورد الخبر [٢] بنزول ملك الروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدمستق وانه اقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به الميرة وغلا السعر وبعد ان أقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة (٢٦٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراسانى لشدة الغلاء في الثغور وبحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقبل انصراف الدمستق عن المصيصة [٣]

---

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميافارقين : وصل الخبر بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلك وملك البلاد جميعها نجا غلام سيف الدولة وفتاه . وقال أيضا في هذه السنة حضر نجا ميافارقين ليأخذها ويسلمها الي معز الدولة وأمده بالعساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد وثب على ملازجرد وأخذها فانفصل عن ميافارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميافارقين فنهبت عسكره .

(٢) زادصاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستنجد أهل اذنة بأهل طرسوس فجاءوهم في خمسة عشر الف فارس وراجل فالتقوا واشتد القتال وركب المسلمون أقفية الروم وأتبعوهم فخرج للروم كمين اقتطع اربعة الاف راجل فقاتلوا عن أنفسهم وتحيزوا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نازلوا المصيصة الخ . وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية بجبلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفى الاصل : الضيعة .

وجه الى أهلها باني منصرف عنكم لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ومن وجدته بعد عودي قتلته .

وفيها اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فملكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجموع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بحران مقيم بعد الذي جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور في معاملتهم وان الغلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيها استهدي المجريون من سيف الدولة[٢٦٤] حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهي من حديد وسد مكانها وأخذ حديدا بديار مضر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغنينا عن الحديد . فاخذ القاضي أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب المجريون يلتمسون الحديد فأخذ الابواب التي عملها أبو حصين وسائر ماقدر عليه من الحديد وحمله في الفرات الى هيت ثم منها اليهم في البرية .

وفيها ورد أبو الحسين الباهلي برسالة ناصر الدولة ليقرر مابينه وبين معز الدولة فتقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثمائة الف درهم وعن سنتي ثلاث وأربع الفي الف درهم يقدم منها مائتي الف درهم والباقي في نجوم . ولما تقرر الامر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادي الآخرة وردت الخمسمائة الالف الدرهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزانة . وأظهر معز الدولة الاصعاد الى الموصل وأخذ يستعد له فسأله الباهلي التوقف (٢٦٥) عن المسير الى أن يمضي برسالة الى ناصر الدولة ويعود فقيل له : تمضي وتلتمس رد مالزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومد الجسر الذي ببغداد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة و بذل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتمم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخلف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلات و يستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي ووهري وجماعة من الاتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميافارقين (يوم السبت للنصف من شعبان وسار خلفه الحاجب انكبير فلما قرب من ميافارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه (٢٦٦) وانه لايدري اين قصد فرحل معز الدولة

للوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم و بين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب معز
الدولة التي كانت بها وزواريق العسكر التي كانت بالموصل و بلغ ذلك
معز الدولة فسكنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا
بيكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلفه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ تراسهم وأحرقها ووهب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر بكتوزون وسبكتكين وسائر الاتراك
ووهري وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فياذه وكان قد أصعد من
الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان في يده [1] وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حملت اليه من بغداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وحمل جميع ذلك مع الاسارى [٢٦٧] الى القلعة . و بلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وصار معز الدولة
الى برقعيد ولم يكن عنده ماجرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقعيد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعدل من برقعيد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيري
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي التكملة : وكان قد ضمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه

وبلغه في طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو بنصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد وانفذ سواده الى تكريت . ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنا وسار يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة يلتمس الصلح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى ولم يهج في ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم واظهر جميلا

ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتكين فحاربه هناك وأقبل معز الدولة الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه واستأمن (٢٦٨) اليه هزارمرد الصغير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيّب والمهيّأ بكشمرد أسيراً فخلع على المسيب والمهيأ وطُوّقا وسُوّرا . وراسل أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن على بن عمرو بن ميمون وجرت له خطوب استقرّت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف ومائتي الف درهم وان يعجّل حمل الستمائة الاف مع الاسارى الذين في يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة ما حصل في أيديهم من المال والامتعة التى أخذت في وقت الايقاع بكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعد بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد بامضاء ذلك وكتب الى الفتكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثة ووزر صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون (٢٦٩) وسبكتكين العجمى وسار الي بغداد .

وفيها ورد الخبر بالموصل بان أباعبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعى الحسنى [1] خرج من بغداد سراً الى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦ (صلة عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبد الله فقال صاحب التكملة انه كان لزم الكرخى والحنبلى وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصرى ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزمه معز الدولة النظر فى نقابة الطالبين ببغداد سنة تسع وأربعين ففعل مخيرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طلحة والزبير فقال : هما من أهل الجنة لان النبي صلم بشرهما بالجنة . وكان المهلبي يخافه فوضع عليه موضوعات منها انه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له أنه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاء بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين تخلف ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعى لخطبه بعض أصحاب عز الدولة فى معنى علوى خطابا أومأ عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى وأظهر انه مريض وخرج مختفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكلما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضي الى هوسم . وسمه علوى هناك فلم يعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا فى الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخى فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج في آخر عمره حضره وحضر اصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا مرض يحتاج الى نفقة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغى ان نبذله للناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحس أبو الحسن بما هم فيه فبكى وقال : اللهم لاتجعل رزقي الا من حيث عودتني . فمات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

وصار سيف الدولة الى ميافارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لنجا .

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة بغال ودواب وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقابله سيف الدولة بهدايا فصار سبباً لمقام الدمستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لاينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الوبأ فاضطر الى الانصراف بعد ان حُمل اليه مال من المصيصة

وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر انه علويٌّ وكان مبرقعا فوقعت بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولاه سيف الدولة فأعاده الى مرتبته (٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصرى فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الاشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام وصنف التصانيف وعليه درس القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني هذا الفن (وفي ترجمة الباقلاني أنه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد انه كان ثخين الستر حسن التدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ ـ ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو علي الشاشي ففيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال أرّخه الخطيب ونعته بالحفظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور في كتاب الانساب للسمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصارى أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأى فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخى ولما فلج الكرخى جعل الفتوى اليه دون أصحابه فاقام ببغداد دهرا طويلا .

﴿ ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه [1] ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا ففعل ذلك الى ان أخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والاقذار وبقي فيه الى الغد وقت العصر ثم أخرج وكُفن ودُفن

وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله معز الدولة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء.

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نُصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحببتم ان نعاونكم فاسلموا. فاسلموا الا ملكهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه. ثم أوقع بقائد كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله [2]

(١) وقال صاحب تاريخ ميافارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمي نجاحا فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميافارقين ودفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها.

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق يحيي امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيي) في سنة ٣٠١ وقام الناصر فيهم وتوفي سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيي كذا في كتاب الحدائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيي على الامامية ويلقب

وورد الخبر بان نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة (٢٧١) وهي تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها و نقل اليها عياله ليقرب عليه ما يريد من بلدان الاسلام (١) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم إتاوة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبا له ليقيم فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جداً وانه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وانه لم تبق أقوات وانه قد آل الامر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب [و] الميتة وانه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيه عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلا وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدّر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفأها انتعشت ولدغته وأنتم انما بخعتم بالطاعة لما ضعفتم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذّيت بكم . وأخذ الكتاب الذى أورده فاحرقه على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرّفهم انه ليس عندي الا السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ (٢٧٢) جيشاً الى

بالمنصور كان فيه خير أنفذ رجلا الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في أيام معز الدولة وقال له : اختبر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فا كتب الي بذلك لابايعه له وأدعو اليه . وفي الحدائق أنه لما قام ابن الداعى فى سنة ٣٥٣ حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الثائر المعروف بامبركا وانه أنفذ اليه من جرجان نصر ابن محمد الاستندار لمحاربته فالتقوا بشالوس ثم وقع تخليط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجيل وكان ينادي بتلونهم ونفاقهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠

(١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها ليغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشا الى ميافارقين وكان سيف الدولة بميافارقين [قد] تخلّص البطارقة الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو الف كُرّ حنطة ففرّقها وفرقها لئلا تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أنفذ الى المصيصة قائدا من قواده فأقام عليها يحارب أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقى فى المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتى الف انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فاعطاهم الملك الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقى أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم الى طعامه فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه ما أطاق حمله ويُخلف الباقى ففعلوا وساروا وسيّر معهم ثلاثة نفر من البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الارمن فاوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع انافهم لمخالفتهم أمرهُ . ولم يزل طول طريقهم يتعرّف أخبارهم بكتُبه ورسله الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر فى شلنديّات له الى حيث ارادوا .[٢٧٣]

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لدوابّه ونقل ما كان فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقا من بطارقته فى خمسة آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقا آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز بها رطلين بدانق فتراجع أهلها اليها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم وعمل الملك على ان يجعلها حصنا ومعقلا له لحصانتها وليقرُب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام . [١]

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتنصروا وكان السبب في فتح المصيصة انهم هدموا سورها بالنقوب فأشار عليهم رجل بحيث أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم الملك نقفور فاخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بازاء طرسوس فاخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم وضعفت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من الغلة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدتهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا نقفور ملك الروم فى أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوثقوا منه بايمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاواني المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريمهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبح الثملى من مصر في البحر في مراكب فاتصل بملك الروم خبره فقال لاهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولو جاءت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى الثملى : ياهذا لا تفسد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل نقفور دعوة لكبار أهل البلد وخلع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بجيش حتى حصلوا بيغراس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فاكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فاحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلاط وبها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتملك المواضع وورد الى ميافارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نداري بيت المال ملك الروم أو نبرح عن أنطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم انهم أمروا عليهم رشيقا النسيمي الذى كان على طرسوس فكاتب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن أنطاكية فتقرر الامر على حمل أربعمائة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله .

وفي هذه السنة ورد الخبر باجابة نقفور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقي أميرها نافعا ووافقه على الدخول فى طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدراهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدراهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه (٢٧٤) نهارهم ويروحون الى معسكرهم فى آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان نقفور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشمسقيق كتب اليه يستأذنه فى قصد سيف الدولة الى ميافارقين فكتب اليه بالتوقف الى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل ابي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يفادى بغلمان سيف الدولة عدة من الروم وان يبتاع ما يفضل من الاسرى ببلد الروم كل واحد بثمانين دينارا فأحضر سيف الدولة أمان النبي راس وذلك مائة وستون الف دينار فعاينها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للغلاء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء وتقذ شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقته على ان يأخذوا عندهم ستة من بنى حمدان ويأخذه سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهددهم على أن يخربوا سور المدينة وان يبنوا بيعة كانت لهم تخربت فلم يجيبوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة الف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فابي الا أن يخرجو بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخربوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم ثغر المصيصة فقتلوا كل الرجال فلم يفلت منهم الا سبعة نفر فما شاء الله كان

قلد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس فى جملة من سلمها الى ملك الروم خرج الى انطاكية . فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الاهوازى كان يتضمن الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع عنده من المال وأطمعه فى أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب فتحصن فيها فانفذ سيف الدولة خادما له أسود يعرف ببشارة ليكون مع قرغويه فى القلعة فنزل هذا الخادم فى بعض الأيام وانضم اليه قطعة من الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والغلمان فلما[(٢٧٥)] أحس بهم رشيق انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بنى معاوية عرفه فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل مالهم فى ظاهر حلب وهرب ابن الاهوازى الى أنطاكية وكان أخوه مقيما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دِزْبَر وسماه الامير واعتضد برجل علوىّ أفطسى ووعده العلوى ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدبر وتسمى بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية وجرت بينهما وقعة فكانت على الاهوازى أكثر الليل وقطعة من النهار ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى أنطاكية فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من الفداء ودخل حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الاهوازى فى ضيعة فى طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازى فطرح نفسه فى بيوت بنى كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه (٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازى مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل سيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازى [1] فقتل بحضرته .

وفى هذه السنة أنفذ أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التى كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن بنى سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة فى سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التى لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثنى عشر الف حمل وكان فى الاعدال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواتيمى قاضى طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بنى سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة [2] (٢٧٧) منقطعا بهم كما أصاب الناس في الهبير سنة القرمطى [3] فمن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

---

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازى (٢) وفي الاصل : رجالهم
(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوى ابن الداعى لبس الصوف وأظهر النسك والصوم وتقلد المصحف ووافق ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من أصحابه وقواده وعمل على المسير الى طبرستان وكتب الى العراق كتابا يدعوهم فيه الى الجهاد

وفيها لقب الحبشى بن معز الدولة بسند الدولة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جري فى عمان ﴾

كنا حكينا من أمر عمان ماجرى فى أمرها الى وقت دخول القرامطة اليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف بعلى بن أحمد وكان هو الذى ينظر فى أمر البلد والجيش . وكان قاضى البلد رجلا له عشيرة وعزّ منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلد ان ينصبوا فى الامرة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القواد الذين فوقه فى المرتبة والمحل ان يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم وقتل بعضهم وغرّق بعضهم . وقدم الى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا عن حاله فعرفا انه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما (٢٧٨) كان يوم من أيام السلام دخلا فى جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فتكا به وقتلاه . فاجمع رأى الناس على عقد الامر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي فوجهوا يلتمسونه فاستتر فألزموا القاضى احضارهُ والزامه تقلد امارة البلد ففعل القاضى ذلك وراسله فظهر وتقلد الامر وبويع له واستكتب له على بن أحمد الكاتب الذى كان وافى مع الهجريين ووافق على بن احمد الجيش على أن يطلق لهم رزقتين صلة فأخرجت الاموال وابتدأ على بن أحمد ينفق فى الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال[1] لهم : ان الامير عبد الوهاب أمرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد(٢٧٩) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر لغيرك فاخرج عن البلد. فخرج وحصل الامر لعلى بن احمد.

وفيها خرج الامير معز الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأنفذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادى عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر معز الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سنذكره وانحدر من واسط الى الابلة ونزل فى شاطئها فى شاطئ عثمان فى دار البريديين وأخذ فى الاستعداد لانفاذ جيش الى عمان وبنى الشذاآت والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الا قوما وهم بضعة عشر رجلا فانهم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والاتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدبير الحرب

(١) الواو هاهنا زائدة

وولاية البلد اذا فتحه

فلما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش فى المراكب والشذاآت وهى مائة قطعة ومعهم المعروف بابى عبد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف [٢٨٠] انضم اليه جيش عضد الدولة فى مراكب وشذاآت وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها وملكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فاما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفعت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦

وفى هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدى أبي القاسم ابن ميشكي بآذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفلت معه أحد فأكرمه ركن الدولة للوصلة التى كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة فى اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفى خزائنهم . وكنت حاضرا بالرى فركبت [٢٨١] للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من تخوت الثياب والرزم والاسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلانها من الادراج وغيرها وكانت على أيدى ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال] فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما أكياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهما وكانت أكياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بآلات الفرش الثقيل والخيم والخركاهات والشرع والسرادقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية فى وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب فى هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾
﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدى اسماعيل بن وهسوذان وأبى القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتدأ فى أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصلح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس (٢٨٢) فى الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها. واتفق ان توفى اسماعيل بن وهسوذان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسوذان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعا عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسوذان عن لقائه والثبات له وشجعه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فخبط أسبابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالغ فى الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسوذان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقد قواه وهسوذان بالمال والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسوذان فتقطع الناس عنه حتى بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لائذا به .

وفى هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضى أبى حصين [1]

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفى هذه السنة قدم ابو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الاسر الى ميافارقين أخذته أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنفذ سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن المذاخ فلما شاهد بعضهم بعض سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا ثم صار كل واحد الى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والمماليك والعدد التامة فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فاتفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من الاسر من بين أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أمر أربعة أعوام . وأرسل أبا القاسم الحسين بن على المغربى لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك واتفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فعاث وافسد واقام به نحو خمسين يوما فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة يقول : ان نقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربى أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضى الى بلده ويهادن عنه . وان اهل انطاكية راسلوا نقفور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحيى بن زكريا عليهما السلام والكرسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيها لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة وكتب (٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحنقه احراق بيعة القدس فى هذا العام وكان البترك كتب الى كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكاتب متولى القدس بالشد على يده فجاءه من الناس مالم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زينتها فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا ابنيها بالسيف واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وأجفل الناس وعظم الخطب واخليت نصيبين . ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الربض وخرج اليه أهلها فاقرهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا الى قنسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة تخرج الا أوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أجيبه الا أن يعطيني نصف الشام فان طريقي الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا . ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانكت العربان في الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على أنطاكية يحاصرها ثمانية أيام ليلا ونهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال : أنتم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة . فاجابوا : أنما كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بارمينية بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فناجزهم الحرب من جوانبها فحاربوه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب أنطاكية محمد بن موسي الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفاصيل الامور و بثبات الناس على القتال « وأنا ليلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان اللعين قد ترحل عنا ونزل الجسر »

وفيها أوقع تي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب ثم جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن أنطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقيل انه كان عزم على تسليم أنطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن ينم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيها ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري ﴾

(على الديلم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالرى بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون انهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك انهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤساءهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم فى دخولهم مجتمعين وان يراسلهم فى أن تصير منهم عدة فى نحو الفى رجل الى الرى فاذا خرجت هذه العدة منها ورد مثلها حتى يتتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك انى احترزت من لفيف خراسان وخشيت نايرتهم » فقال له وزيره أعنى الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فكاتب عساكرك فانهم متفرقون عنك بالجبل واصبهان وغيرها حتى تتوافى اليك فان معك بالرى (٢٨٤) عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطأة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعلة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه فى هذا الرأى ولم يحفل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصيّر للشر مبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالرى

واجتمع رؤساؤهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه فى مسئلة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسعهم على رسم الغزاة فاذاهم يطمعون فى شيء كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التى في أيديكم فانكم انما جبيتموها لبيت مال المسلمين لنائبة ان نابتهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا فى هذا النحو من الكلام وتبسطوا فى الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقفال[1] وغيره . فتبين الاستاذ الرئيس[285] خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويلعنونهم وكان ذلك فى شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسى والسهام ويزعمون انهم يأمرون بالمعروف فيسلبون العامة مناديلهم وعمائمهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يداورنهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابى خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمى واجتمع رفقاؤه للقتال فاجتمع من الغزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن على بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشى الفقيه الشافعى توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ٢٩١ وهو الذى أجاب عن الخليفة المطيع لله للقصيدة التى وردت من نقفور عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيها من التثريب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدتين موجودة في كتابخانة وين : ٤٦٤

ابراهيم بن بابى فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن
الدولة بالكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة
الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم
يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب
ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ [٢٨٦] الرئيس (وبرز
للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فحمل عليهم فى غلمان دار
الاستاذ الرئيس) فحار بهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذى دخلوا
منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخلت فى كم درعه
وافضت الى ساعده نخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الاتراك الذين معه
حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضعف وانكسر الاستاذ الرئيس ومضي
كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعلق به السلار وكان حاضرا معه وقال له :
ايها الاستاذ ارجع الي الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد .
وأخذ بلجامه ورده وسمعته يقول : عَصَبها بى وانت بريء من عارها .
فرجعا الي دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه
وكانت موفورة جامة الى أن اتى الليل وانصرفوا وكان اليّ خزانة كتبه
فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد
فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوى
فرشا وآلة . واشتغل قلبه بدفاتره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة
فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر
وزيادة فلما رآنى سألنى عنها فقلت : هى بحالها لم تمسها يد . فسرّى عنه وقال :
اشهد [٢٨٧] انك ميمون النقية اما سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه

الخزانة هى التى لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في غد الى الموضع الفلانى . فقمت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله

واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة فى آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريحا فيها غير مستقل فامر غلمانه بطرح الحطب المعد للشتاء خلف الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوّروا سورها فرماهم الغلمان بالسهام فتراجعوا عنها . وعملوا على مباكرتها من الغد فلما أصبحوا راسلهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلموا من مملكته فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاؤه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتى يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بعديد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان فى خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقي [٢٨٨] عسكره كما ذكرنا متفرقون فى ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان تفرق الخراسانية [١] على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلأت منهم الشوارع والمحال ونادوا فى البلد بما يسكن الناس والرعية وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاغتص الميدان الذي فى الدار بالبغال التى عليها صناديق

(١) وفي الاصل : الحاشية

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب فى غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبابيس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلاليم وعندهم ان ركن الدولة يتحصن فى داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابه من الابواب الأُخر وصدموا القوم (٢٨٩) وصدقهم الديلم فى المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا فى السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ذكر مكيدة لركن الدولة فى الوقت نفذت له﴾

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لاصحابه : طيبوا نفساً فان الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود على بن كامه وتقدم الى الركابية والمجرين أن يبادروا الي نحو طريق على بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويثيروا الغبرة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرهج وكبر الناس وقالوا : هذا على بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احملوا حملة قبل وروده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخرسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك العسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد (٢٩٠) كثير بالبلد يذبحون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل فى بلد الكفر بالكفار فبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لايلوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو الفى رجل بالعدة والسلاح ولم يلحقوا أصحابهم الا مفلولين هار بين فراسلهم ركن الدولة بان يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو فى بعض الممالك عبث واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل فى اثر أصحابهم فاسرع فى طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الرى بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم فى الخروج واطلق أسارام وأقر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذى كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولكثرت غزاة المسلمين معهم ولله أمر هو بالغه .

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أر قوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم (٢٩١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو انتهزوا بعضها لتم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الرى فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس ببابه كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم و بينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك فى وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بصلاهم غارون وأنتظروا أيضا المدد الذى وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقربهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا صنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس [1]

وكان لابراهيم السلاّر فى هذه الايام موافف حسنة وآثار جميلة وأصابت بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سمينا

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية ميافارقين فتلقاهم أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالاطعمة والعلوفات ورئيسهم أبوبكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٥٦ ان فيها دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى سموه . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصيصة فالتقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفا من الروم وأسروا خلقا وردا بالغنائم الى أنطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل الثغر محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسي فظفروا وغنموا ووردوا بالغنائم وتأخر في الساقة محمد بن عيسى وابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدهمهم جموع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار بن شاكر يكشفهم فاذاهم فيما يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لاطاقة لك بهؤلاء . فلم يقبل والتقاهم وقاتلوا أشد قتال وأنكوا في الروم نكاية عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقى محمد بن عيسى فى مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيه معه : إن وليت الدبر لحقوك وقتلوك وأنت فار . فقاتل حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسي وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشتري نفسه بمائة الف درهم وبمائة وعشرين علجا كانوا بانطاكية وبرطل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصائب ورفائد الى أن توفى بعد ذلك بسنين .

وفى هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مددا له فى نخب الرجال من الديلم والعرب(٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى)

﴿ ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد ﴾

(ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأي زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزراً قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحيـة عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سعى(٢٩٣) ركن الدولة وسعيه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه مقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويعوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بعد مايخرج فى أقطاعات الديلم والاكراد وبعد ما يستولى عليه قوم متعززون لايتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من الفي الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همذان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشتغل بما يؤثره من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذربيجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر فى شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الىّ ثم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذكر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يحدثنى بالشدة التى قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها وانها لو أثمرت نعمة باقية عند ابراهيم لكان محتملا لها وراغبا فيما ينشر (٢٩٤) من الاحدوثة الجميلة عنه بعدها ثم قال : ولكنى سأضرب لك مثلا لما نحن فيه وتأمله الآن لتتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابريسم ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالجة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتتبع أذناب تلك المغازل ويتعاهدها بالفتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابريسم ممدود والفتل مستمر به فاذا فارقنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من عدها بحركة فيبتدئ فى الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم تبتدئ فى

الا تكاث وتنقلب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لاتجد أيضا من يتعاهدها فيتساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء . فكأنّ هذا المثل كان وحيا فانه ما أخطأ شيأ من صورة ابراهيم بعد خروجنا وانتهى أمره بعد ذلك النظم الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئا بعد شيء الى أن أسر وحبس فى بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله (٢٩٥)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه الا بحضور بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط وخلّف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتماثل فعاود واشتدت به العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقّنوه ما يجب ان يقول ويفعل [١] وتصدّق با كثر ماله وأعتق مماليكه وردّ شيأ كثيراً من المظالم [٢] وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ [٣] وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصرى وتاب على يده وكان مع أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطى فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار وصليا فى مسجد على بابها فسألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقتهم وان عليا زوّج عمر ابنته أم كلثوم رضي الله عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفى الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها انفاذه جيش الماء والديلم الى عمان حتى فُتحت له ولم يكن فيها مايستفاد منه تجربة فطويناها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لمعز الدولة فرأينا اثباته ليكون معدودا فى جملة أمثالها من الاتفاقات العجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن (٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة ألحّ المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجلت السماء عن سكون الجند ورضاء الكافة . فكاتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد ففعل ونفّس خناق عمران . وصولح صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيها وردت الاخبار باقبال جيش قوىّ من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما اعتل أبو على [محمد] بن الياس وفُلِج بكرمان وخالفه أولادهُ وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان ولقي صاحب خراسان ورى بعض البرء وصار نديما له يباشره ويؤانسه فسوّل له قصد ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشى . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبة بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيرزان الى ان وقعت المعاضدة والموافقة على[٢٩٧] ان يدبّر جميع الجيوش وشمكير . وأنفذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيرزان هدايا كثيرة من دوابّ وغلمان وآلات وسرّب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سيمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن فى الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الغاية وليس الا الفيصل فكاتب عضد الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحمد حجّابه فى جيش المقدّمة الى طُرَيثيث وأظهر فى عسكره ان جيشى خراسان قد سلروا باجمعهم مع لفيف البلدان وغُزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاحجموا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيد اليه من جهة صاحب خراسان فكان فى جملها فرس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر باسراجه وعزم على ركوبه والتصيُّد فى ذلك اليوم . فدخل اليه منجّمهُ فنهاه عن الركوب نخالفه فلما أصحر عارضهُ خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة[٢٩٨] فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسهُ فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت فى أول يوم المحرّم سنة ٣٥٧ .

وقـد كان بختيار عز الدولة اجتهـد فى اخراج سبكتـكين مع جيش كثيف على الرسم فامتنع سبكتـكين عليه فاوحشه بذلك واضطرب بختيار لانه لم يجد من يطيعه فى الخروج الى ان انتدب الفتـكين وقد كان يتلو سبكتـكين في المرتبة وأحب أن يظهر فى تلك الحالة فضـلا وحسن طاعة للمنافسة التى كانت بينه وبين سـبكتـكين فضم اليه جيشا وورد الريّ وقد استغنى عنه فعاد

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لمملـكته ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطمعوا فيه ثم طمع أعـداؤه أيضا فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حـين أيقن بالتلف وصاه بطاعـة ركن الدولة واستشارته فى كل ما يعرض له من مهمٍّ وكذلك بطاعته لابن عمه عضـد الدولة لانه أسـن منه وأقوم بالسياسـة . ووصّاه باقرار كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسـين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أكفي من غـيرهما وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداراة الديلم وازاحة عِللهم عنـد أوقات استحقاقاتهم لئلا يخرقوا هيبته بالشـغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان الي الاتراك فانهم جمرة عسكره واذا (٢٩١) رابهُ من الديلم ريبٌ أمكـنه ان يقمعهم به . ووصاه بعـد الاحسان الى الاتراك بكبار الحاشـية وصغارهم وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبيه وضرّب بينهما حتى اسـتوحشا جميعا منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتـكين خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بألاّ يقطع أمراً دونه

وكان ذا ارب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابهُ الجميع ويطيعونه واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والسكر الدائم . وابتدأ بمناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من شرى الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحسّ بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي المتوسطين وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون وجواسيس من خاصة حاشيته وبطانته فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته فضلا عن تدابيره . فاما كاتباهُ أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس فانهما لما عرفا قصدَهُ في افساد نية بعضهما لبعض (فقد كان بينهما قبل ذلك منافسةٌ في المرتبةِ وتحاسد في النعمةِ) أخذا جميعا أهبةَ التحرُّز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال بأحدهما نعمةَ الآخر . ثم قبض عليه باصاغر الحاشيةِ وأداني الحشم ومكّن منهما الاوغاد والسفلة فاضطربت أحوال المملكةِ واضطر الى الاستعانة بمن رفعه من السُّقّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصلح للتوسط بين نفسين فضلا عن العسكر المضطرب فاختلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجوههم فانه نفاهم عن مملكته طمعا في اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم فتبسَّط أصاغرهم واستلانوا جانبهُ وتحالفوا عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن ارضائهم . وأما الاتراك فانهم نظروا الى ما تمّ للديلم من التحكُّم فعملوا مثل

عليهم من الاشتطاط والتسحّب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى التدبير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظا فما تم له عليه شيء من تدبيراته فتحزّب الاتراك وصاروا يداً واحدة . وتحركت الاحقاد والحفائظ[٣٠١] التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجنن وساموه ان يثبت من أسقطهُ معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويجعل لهم رزقة منسوبة الى البيعة غير محسوبة . فجمع بختيار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم فى الصحراء ثلاثة أيام فغاظهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه وفى الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقة غير محتسب به

وخيّر أصحاب الاقطاعات بين الاقامة في أيديهم والتمسك بنواحيهم وبين تعريضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحا فى الديلم أو صريحا فى الجيل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تم لهم ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضا على الشغب فخرجوا الى الصحراء واستدعوا الاصاغر من غلمان الحجر فى دار بختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا وتعاهدوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم سبيل أبيه فى الاستحجاب والتقويد والتنقيب والزيادة[٣٠٢] فى المنازل والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الايعاز كل فريق منهم صاحبه

في طلب الحظ لنفسه وتعاهدوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحة العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا المال والنظر فى جمعه من أين كان وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبى الفرج فضمن ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سرخاب وكان متمكنا من بختيار قريبا منه يسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا يحمله اليه فى كل سنة فسعى له شيرزاد فى الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك » فاخذ فى مصادرة الحاشية وألزمهم أموالا علم أنهم يفون بها ولا يجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفى الديلم ما ضمن لهم وفرق الاتراك فى النواحى لتتنجز تسبيباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك لجمام الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الحاشية جامة والنواحى فى بقايا العمارة فشى أمره فى هذه السنة .

واتصل خبره بابى الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان خرج اليها فى حياة [٣٠٣] معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبى الفضل فى الوزارة وسعى شيرزاد له فيها لم يلبث ان سلم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن نبهان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب عضد الدولة وأقبل مسرعا الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبى محمد على بن العباس الخازن وكتابه وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وترك التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابى الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار الناس حزبين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة

﴿ ذكر رأى صواب لبنى حمدان رآه ناصر الدولة فخولف ﴾

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيبته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعه بختيار عن سرير الملك فقال لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تعجلوا فان معز الدولة قد خلف لابنه خبيرة من المال يسيرة وسيفرقها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتّابه وعمّاله أيضا من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظهرين عليه ولا [٣٠٤] متمكنين من دولته الا بعد ان تفنى حيله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فانحدروا اليه وكاثروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان الرأى ما قال فان معز الدولة كان أتلف ماله على البناء الذى أحدثه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فاخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتّابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردّوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استغرقت النفقات والنوائب جميع ذلك بعد مديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتقتير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض عليه أصعده الى قلعته ووكل به من يخدمه ويزيح علته فى حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذى كان يجمعهم فشغلهم حفظ ما فى أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته المخالفين والموافقين[٣٠٥] فانفذ كاتبهُ أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتي أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار الف الف ومائتى ألف درهم فى كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تم على يده غير مفكر فى شىء مما كان يهم به .

وفى هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابعوا وكان مدخل القران التاسع فهلك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة [١] وهلك نقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر [٢] وهلك وشمكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه وبيده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها قيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال : ذاك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسايره يوما وهو فى موكب خفيف مؤيد متنزها وبين يديه غلمانه وعدة جنائب بمراكب ذهب ومراكب فضة وخلفه بغال الموكب والفرس كما تكون الملوك فسقطت مقرعته من يده ولم ترها ركابيته فنزلت من دابتى وأخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت أن الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا . ثم ودعنى فلما سرت انثنت

أبو على محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقى ركن الدولة من بينهم وعُمِّر الى ان استوفى أجلهُ . [١]

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتبين في خطبة الوزارة
وسعي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للامور فى السنة التي مد يده فيها الى الحاشية وما وجده فى النواحى وما تأول به على العمال حتى أرضى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التى وعده بها وذكر ان دخل المملكة يعجز عن خرجها وانه ان قلد الوزارة جبر هذا العجز وقام بالامر كما قام به [٣٠٦] فى تلك السنة وضمن لشيرزاد اذا تم له الوزارة مالا . وشخص الى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمر عن ساقه فى فسخ نية بختيار وزعم أن الذى ذكره أبو الفضل [٢] من عجز الدخل عن الخرج لا حقيقة له وأن الاموال التى استخرجها ومشّى بها الامور انما كانت من مصادرات الناس ومن بقايا فى النواحى وأنه لم

فاذا خافي البغال كلها والجنائب فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ ان يحمل هذا اليك فاهخلته داري وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف، وولى القضاء بالجانب الغربي وخلع على ابن سيَّار وقلد القضاء بالجانب الشرقي . وقال أيضا فى ترجمة سنة ٣٥٩ : وفى شهر ربيع الاول صرف القاضى أبو بكر ابن سيَّار عن القضاء فى حريم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاة . وكان وفاة ابن سيار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولا فتح فتحا ولا أستحق من المراتب ما لا يستحق مثله واتصل
ذلك بأبي الفضل فوافى من الكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت
على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها
وعملا لاصول النفقات الراتبة وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة
فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال.
فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله أصول العقود على عبرها
وأبوابا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم
يظهر العجز وقام الدخل بالخرج. وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما
نسبه الى المنكسر وما ينظر به للضمناء واعتد بالزاجي دون التاوى (٣٠٧)
واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبلغه حتي أوجب في عمله عجزا
في الدخل عن الخرج. ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه
ان بقيت منه بقية نقلها في كل سنة الى التي تليها على الرسم الجاري في ذلك.
وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين
وفيهم شيرزاد على ابطال الوزارة والتراضي بالاشتراك في الكتابة. ثم جد
شيرزاد سرا في أوقات خلواته ببختيار في السعي لابي الفضل وبذل عنه لبختيار
مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقداما وبسالة يحتاج اليهما في الوقت
وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج اضعافا وانه ذو حيلة وتأول
وبطش وأبو الفرج صاحب تقشف وتوقف وتعقد وأن الامر بمثله لا يمشي
فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى بختيار العزيمة
وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب
وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكره (٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجرى على رسمه فى تقلد الديوان ليشغله عن تتبعه والطعن عليه وأيضا ليراه بعين من يغدو و يروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التى كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخوطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلائق بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطّرحا بعرض النكبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوثق بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل فى وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبى الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبى عبد الله الايسر المعروف بالجبّ ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آزاذرويه وكتابه

واتفق فى وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع فى البصرة والتفرد بها

﴿ ذكر السبب فى عصيان الحبشى وتمكن أبي الفضل منه ﴾
(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لما توفى معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطمعوه فى البصرة وأقاموا فى نفسه أن المال الذى يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش (٣٠٩) المقيمين بها وباقيه مصروف الى نفقاته وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه وينفض عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يتمكن من الوصول

اليه مع حصانتها لوم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على العمال ويتحيفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المكى أبا طاهر فعمل على القبض عليه والتشفى منه وازالة الحشمة فيه ونمى الخبر الى العامل فهرب الى الحضرة . وكتب الحبشي فى أثره الى بختيار يذمه ويطعن عليه وينسبه الى الخرق والجهل وانه لم يخف شيأ أنكره ولكن قصد التشنيع وذكر فى الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجرى على رسمه فى التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلى بينه وبين تدبيره وأن يواقف على ارتفاعه ويحتسب له بنفقاته التى تخصه وباموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبّب عليه لىزيح العلّة فيها فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعده أن يعمل بحجبته . ثم زاد تبسط الحبشي حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة والمعاتبة اللطيفة(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز وانه سيراسله منها ويبلغ محابه فى الامور التى التمسها . وندب وزيره العباس للشخوص وأمره بالحيلة عليه حتى ينتزع البصرة من يده اما مكراً وخديعةً واما حربا ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصرانى بالحضرة وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل ديزويه العارض وجرد معه عسكرا وأزاح علته فى السلاح والجنن والآلات سراً . فلما وصل الى واسط أقام بها شهراً ونظر فى أمورها ومصالح أعمالها ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلى بن موسى فياذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم حديدياته وسفنه على أن فيها أثقاله وكانت مملوة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلة ولا يدخلوها ويقصدوا بيان ويظهروا أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدى وحدر الطيارات والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير الى بيان وكان يتقلد حصن مهدى وأن يحفظ هذه الآلات واطلعه على التدبير . وكتب الى الحبشى بن معز الدولة [٣١١] من واسط بانه يفعل كل ما يؤثره ويهواه ويتحمد عليه بان مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعى كاتبه اليها ويوافقه على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأومأ فى اخر الكتاب الى التماس صلح [١] منه على ذلك ويقول فى جملة تمريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة غرما ثقيلا » ويسئله معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشى الى قوله ووعده وحمل اليه عاجلا مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما وصلت اليه أنفذها الى بختيار . ورحل كأنه يريد الاهواز الى الحوزة ونهر العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشى رسل قد أنفذهم باطيار ليكاتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشى وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقيما من الغلمان الاتراك فى تسبيباتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكرا قويا مع ليلى بن موسى فياذة وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب عندهم والملاحوز والجنن والآلات والسلاح . وأخرج الحبشي عسكره الى الابلة ورتب غلمانه وأثبت من عشائر العرب قوما رتبهم على أفواه الانهار وقلد حاجباله تركيا يقال له بكتيجور [٣١٢] رياسة عسكر الماء وجعل اسفهسلار الديلم فى عسكر الظهر صعلوك بن با طاهر [٢] أحد وجوه قواد

(١) يعنى مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في إكسفرد (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجّه الى ليلى بن موسى فياذة والى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تعبية من جانب دجلة الشرقي المعروف بالفرات ولا يعبروا فى طريقهم الى الأبلة ولا يقاتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والغلمان وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذين هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته ينتظرهم وتعذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتحير فى أمره حتى لو تأخر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الغد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتعبية وعملوا على امتثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الابلة خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم اليهم وواقعوهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجيا[٣١٣] بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طمعوا في الظهر فتقدموا الى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم تهيأ لطائفة ان صعدوا الى شاطىء الابلة وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهزموا وقتل منهم نفر وانهزم قوم واستأمن آخرون وملكت الابلة .

وأنفذ ليلى غلاما له فى بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشرا بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابلة وعسكر بها وكتب الى الحبشي يشير عليه بالخروج الى الاهواز فالتمس منه الامان والتوثقة فآمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الحبشي

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فعبى الوزير أبو الفضل عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة[1] ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجعان الاتراك والديلم ويأمرهم أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى ان أحاط به منهم بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أبا سهل ديزويه العارض في طائفة وافرة من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقبيح وحمل معه أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير [٣١٤] اليه وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدى ففعل ذلك وأقام هناك معتقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخري ثم الي رامهرمز واعتقل بها اعتقالا جميلا ثم أزيل التوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة بحديث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه اقطاعا يسعهُ ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفى فى آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأنفذ اليه بختيار خلعا جليلة فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسطت يده وقوى سلطانه وصادر أصحاب الحبشي وكتابه وحاشيته ومعامليه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بخزائنه كلها فكان فى جملتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس[2] غير

(١) في نسخة ا كنفرد « بالسباجية » (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير . وفي القاموس المشرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرز ومشرس المشرز المشدود بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مشرس بسينين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بختيار وقلد بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين (٣١٥) واستكتب له أبا الغنائم المفضل بن أبي محمد المهلبي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفى هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذى ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلعت اليه نفوس العامة وجعل دعاته يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من أهل السنة قيل له انه عباسى ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوى وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت فى المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناه عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل فى أول وزارته فتقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة فى هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدر قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبي العلاء صاعد بن ثابت بالجد في طلبهم . فلما نظر فى ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا فى هذا الامر وبايعوا الدعاة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والاتراك والعرب (٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين العجمى أحد اكابر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الاتراك بمنزلة من لا يخالف فى الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوى وانه يقلدك أمرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

﴿ ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه ﴾
(ودعاته وجميع من دخل معه في بيته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طرأ الى مصر فتقبله كافور الاخشيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكاتب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه فجرى أمره كما حكيناه (١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقووا بمكان سبكتكين العجمي كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : انى أقوم لك بالامر. فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر فى مصالح عمله فتلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانفذ اليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرابا . وعمل على ايقاع حريق وفتنة فى ليلة النيروز المتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع (٣١٧) به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظهر له قبل النيروز انه عباسي وليس بعلوي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بعض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه أنه كذاب مموه وتثاقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفي أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعاته بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن فى الهرب وعرف السلطان خبرهم فكاتب العمال بالتيقظ

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطمعوه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدى من يهدى يواطي اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بايعك الديلم . وممن بايعه أبوا القاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجي وترتب له وزيرا .

في طالبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفي وأخوه فاوصله بختيار اليه واستشرحه الامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه. فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال: قد آمنته. فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجدع أنف محمد بن المستكفي وقطع أنف أخيه وحبسهما مدة ثم هربا وخفي خبرهما ووقع الاستقصاء على كل من دخل في بيعته فصودروا وأدبوا ضروب التأديب [1] ولم يقع الاقدام على سبكتكين العجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وانما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح في الجواب الى الانكار وأغضي عنه وعن الجند (٣١٨)

وفي هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزانة أبي علي ابن الياس التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامتعة الفاخرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصعلكين وآمن ناحية عماد الدولة علي بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام: ثم جدع أنفه وقطع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه علي وانهما هربا من الدار في يوم عيد واختلطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المتنبي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خاملا بعد.

من جهتهم مال عظيم فى القلعة التي وصفناها . ولما مات على بن بويه عماد الدولة
وترعرع عضد الدولة فناخسره كان فى نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما
استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده
حتى أصلح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية العهد ورياسة العسكر . ولما كان
فى هذه السنة وقع القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج
اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه فى الطريق علة الفالج ورُدّ
الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان
والياس فخاطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر [٣١٩] الى اليسع من النبوة
التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تدبير عسكره وولاية عهده ومن بعده
الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له
تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائعه هناك وأراد بذلك ابعاده عن اليسع لعداوة
كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانتهاء الى رأيه . وشخص
سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك السمت
وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذى كان أبوه شخص لتسلمها فتم له
الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم
ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاها من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب
من مخالفته اياه واغتاظ منه فامر اليسع بطلبه وقواه بالرجال وقد كان العسكر
مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته
ليقبض عليه ووصاه ان خرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه .
فخرج اليسع الى السيرجان وتحصن سليمان منه واقتتلا أياما ثم استظهر اليسع
فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالا لامر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(اليه امره حتى أخرج أباه الى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدى ويلقب بسويه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة فخافه على نفسه فاجتمع مع اسرائيل المتطبب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس يكان معه يقال له المرزبان على إفساد نية أبي على ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحركوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بان ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده ما دام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأى وكتب الى اليسع بان ينكفى اليه واستدعاه الى القلعة وكان لا يصعدها الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع . فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمه وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش الي ترمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به . فمشت والدة (٣٢١) اليسع الى والدة الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقد لولدينا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابنى ما سيتم مثله على ابنك وحينئذ تخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنتقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاجب) والصواب أن تساعديني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول فساعدتها وقبلت رأيها .

وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علته فاتفقت المرأتان على أن جمعتا الجواری وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدی بسوية ليوقمن به فاتفق له ان أفلت وهرب واستقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكملن لكسره وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبالا متينة من ثياب ديباج حتى تدلي من القلعة الي الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع اليسع الجيش ليسير بهم الي تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ في جميع ذلك [٣٢٢] مغمى عليه لايعقل شيأ مما جرى فلما أفاق من غمرته وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على نفسه وحرمه ومن معه حتي يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل الي خراسان ويكون عونا له هناك متى احتاج اليه . فأجابه إبنه الي ذلك ومكنه من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكراع وشعث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الالات والكسوة ورحل فلم يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفى له بالامان الذي بذله له وتركه حتى نفذ الى مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه و مدبر أمره أبى نصر محمد بن اسمعيل البمّي وأمره بمطالبتهم فاستخرج منهم مالا عظيما . وتلف اسرائيل الطبيب ثم وجد للمعروف يسويه كتابا كتبه الي خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد عفا عنه فأعاده الى العقوبة

حتى هلك فيها

وابتدأ فناخسره عضد الدولة في تخبيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والاتراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطمع صاحبها في مملكة[٣٢٣] الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرّغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأي أو نجدة من خبّبه وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهزم اليسع الي خراسان وصادف وصول اليسع الى خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ماسلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تمّ لعضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأنفذ الى عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخِلعهُ من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلها فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركير بن جستان وكان وجهَ قواد عسكره وانصرف الى شيراز [١]

---

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلتفتوا اليه فهددهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم نزل على معرة النعمان فاحرق جامعها وكان الناس قد هربوا فى كل وجه الى الحصون والبراري والجبال المنيعة ثم سار الي كفر طاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقى بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٣٢٤) ﴾

وفيها استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوّغه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصلى فى البيعة وأخذ منها رأس يحيي بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الي عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ربضها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فارضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملـها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالى ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بالس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالى الي ميافارقين لما تفرق عنـه جنـده وصاروا الي ابن عمه صاحب الموصـل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالى الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوا له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فـكتب اليه يعرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الي ميافارقين فى ثلثمائة فارس . فقل مايده ووافت الروم الى ناحية ميافارقين وارزن يسبون ويقتلون وأقاموا ببلد الاسـلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هـذا العام ضـعيفا الى الغاية لمـا لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيـل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطلحيون والبكريون فوضعوا في الحجيج السيف وأخذوا الركب بما حوى ولم يحج من مصر ولا الشام أحـد . وكان حجاج المغرب خلقا فرجع معهـم خلق من التجار فأخـذوا فيقال انه أخـذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار فانا لله وانا اليـه راجعون .

وفى آخر العام جاءت القرامطة من البرية وتوثبوا على دمشق فلكوها وساروا الى الرملة فالتقاهم الحسـن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشـد قتال واستباحها بعـد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسـهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصـد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فاخذوها وقامت دولة الرفض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختهما المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد الكردي وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما همّ به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض لابيه وكان عدوّا مباينا لاخوته هؤلاء وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستفز على أبي تغلب من أطاعه [٣٢٥] من أهله واخوته وجندهم وطالبهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها في الرافقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطلحا على دخل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعمّاله كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملاكه وطرد عنها وكلاؤه [١] وانخرقت

---

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يحلف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان انتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاءه واقتد أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزما واحتمل حرمه وعياله وغلمانه ومن تبعه وورد هيت مستأمنا الى بختيار وكتب اليه يستأذنه فى الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فتلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله فى دار حسناء[1] وفرشها فرشا فاخرا وحمل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين برسالة فى الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة (٣٢٦) وحمل اليه بختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعه بختيار مع جيشه[2] ثم عاد

(١) وفي التكلة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافا من ديباج وعتابي ودبيقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قدطمع فيتملك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضيهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالى ابن سيف الدولة يقصده سار فنزل على بني كلاب وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمه معهم الى البرية ثم سار أبو المعالى وقرغويه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالى جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخليت لهم البلد . ثم سار الي قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يتبعونه الي ناحية جبل سنير فتقنطر به فرسه بعد العصر فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر وورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طغج الاخشيدى فوقع الخلاف بين الكافورية وبينه وتحاربوا وعظم البلاء فقتل بينهم خلق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردوهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمنا دفعة ثانية على ما سنذكره

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوى صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزّقوا

﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجبر وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزما ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجندية وادّعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقربا اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي[1] وشره الي اكتساب الارباح من غير وجوهها ولم ينقبض عن شيء همّ به ولم يمكن أحد ان يعتصم منه . ومنع بختيار من عطاياه التي كان يبذلها للديلم والاتراك وقوّى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو منحل وقتك وفاتك المندى قدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طغج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق تقاتهم فتوجهوا الي دمشق ومتوليهم فاتك الاخشيدى فتم بينهم قتال وبلاء . وقال في ترجمة هذه السنة : وفيها ولي أمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل في شعبان واستناب بها شمون الكافورى ثم سار الى الرملة فالتقى العبيديين في ذى الحجة بالرملة فانهزم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الى المغرب الي المعز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من مياقارقين ونازل حلب وبقى القتال عليها مدة . واستولي على انطاكية الرعيلي رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليلة وهرب الرعيلي من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فنجوا الى الشام وكان أخذها في ذى الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من أكابرها

(١) التلجئة هي أن يلجيء الضعيف ضيعته الى قوي ليحامى عليها قاله صاحب مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطأ بعض الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بامواله ونعمته. وعزم على تقلد الجيش والتسمية (٣٢٧) بالاسفهسلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يلقى بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرُّز واستظهار. وثقل أمر شيرزاد على الجند لان بختيار كان عوّدهم الا يردهم عن شيء يلتمسونه من واجب ومحال وقليل وكثير فمنعه شيرزاد من ذلك وناصبه الكُتّاب أيضا العداوة للخوف من شره وانقباض أيديهم عمن يلتجي اليه وكثر الدعاء عليه من أفناء الناس. واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فمشى بعضهم الى بعض وتوافقوا على الفتك به ثم رأوا ان يستأذنوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك. ونمى الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس عليه ومسئلته كفّ القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك منافقة لم ينهتك سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخويفه حتى يهرب والا يقارّوه بالحضرة فامسكوا عن قتله (٣٢٨) بعد ان هموا به. وكان يجرى أمره مجرى صالح بن وصيف بسرّ من رأى أيام المهتدي بالله [1]

فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقُتل شيرزاد ونما تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته الى حيث شاء. فخرج

(١) وهذا في سنة ٢٥٦ : طبرى ٣ : ١٧٨٧

وهو يائس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاتراك مجتمعين في دار سبكتكين يموجون في أمره ويتوعدونه ويتلظون له ويشتمونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرّفه ما جرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتدبيرك . فحلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بيمين الطلاق انه كاذب في جحوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد فحذره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته ونعم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه دارهُ وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتنحسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاتراك ونيات سائر العسكر (٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويجري على رسمه في الخدمة وانحدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريبا لشيرزاد وكان قد توفى ففجع به جدا ووجد به وجدا شديدا فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شبها منه وتخيل فيه شمائله فعطف عليه وتحفّى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتبا مؤكدة ووعده بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم ببابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان خرج الى الريّ وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه ثاني يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأملاكه وجواريه ودوره ونكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله وودائعه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل علي ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه. وحكى أيضا ان نفى شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتّابه وأسبابه واستصفى اموالهم وقلد الوزارة (٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قُرة الحسين بن محمد القنّائي .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو رجل من دير قُنّى حسن الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص بأحمد ابن علي القُنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط وناحية من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان يقدم على أمواله اقداما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتدائه الى وجوه الحيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يُرفق الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته لبختيار عند الحاجة والاضاقة الى معاملته وكان يشتري منه غلات القضيم بالثمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسعرها في وقت البيدر فربما قام عليه الكر بثلاثة اكرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات الحنطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسط فانبسطت يده عليهم (٣٣١) فتأوّل عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا تظلّم منه لم ينصف وردّ اليه أمره فيبسط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الي الموصل أيام معز الدولة مكنه واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شيرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويغنم منه مراغمة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرة يهدى الي شيرزاد ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمبارّ له ليمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أعنى أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من الكتّاب ان يستوفيها عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التى ذكرناها وسوي ما يستغلّه من أملاكه وسوى ما يستخرجه من المصادرات والمصانعات . وكان شيرزاد يطالب الوزير أبا الفضل عما كان وافقه عليه اذا تمّم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتدّ عليه عما يصل اليه من جهة أبي قرة وقال له : هذا الرجل عاملى وانما ضممته اليك لينوب عنى (٣٣٢) عند غيبتى عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغى ان احتسب به عليك وتعتدهُ لى . ويستجيبه شيرزاد بانه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صلب ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل واحد من صاحبه واستوحش أبو قرة أيضا واختص زيادة اختصاص بشيرزاد . فطمع فى المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم للحال المتأثلة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه والاستعانة به على شيرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شيرزاد ما تم من النفي همّ الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدرك غلاتهُ وخشى في الحال ان مدّ يده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من تضمين

الكراع ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي الف دينار.

وكان بختيار لايضبط لسانه ولا يكتم شيئا من اسرار نفسه ولو فيما جرّ عليه ذهاب النفس والملك فاخرج حديثه وسرّه فبلغ أبا قرة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي الفرج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وَزَرٌ [1] غير شيرزاد [٣٣٣] وكان قد نفي فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبهاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحصن من الظل الاول وتعذر على الوزير ان يملأ عينه منه فضلا (عن) أن يمدّ يده اليه. فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاقة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرَض [2] التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهر حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والمروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الاتراك ومكاثرته اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آزاذرويه وكاتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياهما بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرته اياهما ومنها عداوة صاحب الديوان أبي الفرج وأخيه علي بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرة عليه للاسباب التي ذكرناها فخلا من كل صديق

---

(١) يعني ملجأ ومن ابيات اليتيمة (٤ ، ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر　　والناس شرهم ما دونه وزر

(٢) لعله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر (٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الي مصادقة أبي قرّة ليتعاضد على أبي الفضل لا لمودّة حقيقية فاتّفقا على ان يخاطبا سبكتكين الحاجب في مراسلة بختيار وموافقته على القبض على أبي الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتّابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان ففعل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق القول فيه .

فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتكين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه ﴾
(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلعة التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان التزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها (٣٣٥) بما صح من خاص أمواله وأثمان غلاته وآلاته وكراعه ويوفي ما يبقى واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستسعفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من نفاذ حيلته عليه وأعاده الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه فثني المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهقهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكي فاتهم به وانه قتله بالعذاب والمطالبة . وخلع على أبي قرة لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأقرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمناء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصينا لهذا اللقب عن أبي قرة

﴿ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وما تم له من ﴾
(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدأ أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من (٣٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيها فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزيد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدبادب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمرا عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجه الحرب فلما تقلد أبو قرة الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفى واحب أن يضرب على بابه بالدبادب فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة في التنافس الى أبعد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكان

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها

فتقدم الوزير أبو الفرج الى كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشتمل على ما يجب عليه فى مردود حسباناته التي عملها في سنى ضمانه واثارة جميع ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة [٣٣٧] والحديثة فعملت هذه المؤامرة واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتها وعرضت على بختيار وأطمع فى وجوبها وأن حاله تفي بها فامر بمطالبته. واعتصم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد خصومه الطريق الي اغرائه به وأقاموا في نفسه أنه سيحمل سبكتكين على خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقيبا ووكله به فى دار سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه بختيار ومنابذته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبى قرة لمرفق يأخذه منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة فى نفسه وحمية في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستنقذه. فلما صار عند بختيار سلمه الي الوزير أبى الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الى اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة القضيم للكراع ومهمات التسبيبات عليه. وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من المجاملة والنفاق ورأي [٣٣٨] انه على علاته كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج بفساد رأيه.

وكان أخوه أبو محمد على بن العباس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبى قرة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر فى حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويتزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضيم ونفذ الامور المتعلقة به وانحدر الي واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعي لابى الفضل في الوزارة وانقاذه من محبسه والقبض على أبى الفرج وأبى محمد على بن العباس وأسبابهما

وقد كان الوزير أبو الفرج عطّل ديوان أبي قرة ونقل الاعمال عنه واستبد بكتابة العمال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع. واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر [٣٣٩] على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مراغمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبى قرة الي نفسه وكان أخفّ على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكوتب بالاصعاد فورد وجددت له الخلع وقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبى الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبى الفرج ووسع عليهم وأكثر فى برهم والاحسان اليهم فلم يمنعوه من مكاتبة من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الحيل وتم له أكثر ماحاوله فلما ورد أبو قرة

بغداد تمكن من اتمام أمره والسعي له .

واشتدت الاضاقة بابى الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط انطلقت عليه بابي قرة والبصرة والاهواز انغلقتا عليه بالاتراك الذين استبدوا باموالهما في تسبيباتهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبى الفضل لانه اقتصر على أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة (وهو لايعلم انه قد سعى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له [٣٤٠] ولاخيه وتعصب الجند عليهما كحال أبى الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به فى هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال على أموال وقفت عليه بالاهواز وانه يريد الشخوص اليها فمنعه بختيار من الخروج الا بعد اقامة الوجوه للنفقات التى بحضرته لئلا تتوجه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع الخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتي ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته المعروف بابي القاسم على بن الحسين المشرف على أنه ناظر في الدواوين والحسبانات وشخص الي واسط . وشخص أبو قرة على أثره بعد أن قرر أمر أبى الفضل وفرغ منه ولكن تعلق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبوالفرج والضمانات التى ضمنها أخوه فلما حصلا بواسط ضايقه أبو قرة فى الامور وعارضه فى التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان ثم على سائر الاعمال بحق النظر فى الديوان ثم بالعناية التى كانت له من سبكتكين فغضه

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تدبيره وعمله [٣٤١] على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل باحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فانتقل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضايق البطيحة . ووجد أبو قرة فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أموال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئاً ولو وجده لنازعه فيه أبو قرة وحصل منازلا لخاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انساناً يكلمه ولا حبة من غلة ولا أثراً من مال فجنح الى مراسلة خاقان والتماس مصالحته فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل [٣٤٢] وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضي بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير ووقعت المنازعة فيه بينه وبين ابي قرة حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الي الاهواز .

وكاتب أبو قرة بختيار يعلمه انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « مستروحا الي البعد عنك لتندفع عنه النكبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى بختكين آزاذ رويه يحذره منه فكتب بختكين الى بختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وازالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الي أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة. ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التى أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولكثرة الاراجيف باخيه وبه وبان بختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة وأخذ خطه فى أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف الف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدر النفقات. فكتب بختيار الى بختكين بالقبض على أبى الفرج ومن معه في يوم وصولهم [٣٤٣] الى الاهواز وكتب الي أبى قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض بختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادمته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان فى دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة [١]

---

(١) قال صاحب التكملة. فاما أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى فمولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبي وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد مابينهما. وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهى التى كانت بستانا لنقيب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلونى وأنفق عليها ابو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم احترقت فامر عضد الدولة ببسطها بستانا. وعمل دعوة لمعز الدلة وجعل فى وسط السماط قصرا من السكر فيها مخانيث واغانى يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الثلاث وطرح الورد فيها حتى ملأها وغطا دجلة. ولم تنزل بغداد قيان حتى احضرها وذلك فى سنة ٣٥٤ فلما كان في سنة ٥٥ قال له معز الدوله : يا أبا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد الى الجبل في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي

﴿ ذكر السبب في ذلك [(١)] ﴾

كان حسنويه بن الحسين الكردى قد قوى واستفحل أمره لما وقع من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التى يتسط فيها والاضافات التى يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الي ان قصده ابن مسافر بالحرب [(٣٤٤)] فهزمه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكاشفه ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهى

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة أنفق فيها الفي الف درهم ووهب فيها جواري وغلمانا وآراكا وضياعات واستمد بعد عملها عند الشرائين الف حمل مشوى وحمل الي ابي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة في ذى الحجة سنة ٣٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادره عماد الدولة على ستمائة الف دينار وقال : انى كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة الى بغداد وولاه الزمام على المهلبي وتوفى سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بامر ابنه حتى رد اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الاريب (٥ : ٣٦٨) عن ابى على مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرقوا بازائهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحميت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان فرفق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شافته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتي اجتاز به العسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضي العدة والقوة (٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شابا قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدّة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقا شديدا على ركن الدولة وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويحب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلعا كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول العُرّه بالمراكب الثقال ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتي لا يأنف

أحد من تقبيل الارض بين يديه والمشي قدامه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه ٠

ولقد سمعته فى كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم فى الحسد والجشع وانه ما ملكهم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا يطرهم ولا يخرجهم الى التحاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أوسطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته (٣٤٦) والسعي على ازالتها وترقب أوقات الغرة فى آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكف عن السيرة التى شرع فيها فما هو الا ان يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه ان يتركه بحضرة صاحبه فيلج فى هذه الاخلاق ويغتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهى الى ما لا يتلافاه فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا على محمد بن أحمد المعروف بابن البيع وكان فاضلا أديبا ركينا حسن الصورة مقبول الجملة حسن المخبر خلقا وأدبا .

فلما كان فى بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لافراط علة النقرس وغيرها عليه التفت حوله فلم ير في موكبه احدا وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيرى فسألني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة باسرهم مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القوّاد على مائدته التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم [٣٤٧] لم يحضره أحد واستقصي في السؤال فقيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساءه ان يجرى مثل هذا ولا يستأذن فيه. وقد كان أنكر خلوّ موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من العسكر فتم عليه حيله فدعا أكبر حجابه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته وظن ان هذا المبلغ من الانكار سيغض منه وينهى العسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كل هذا كبير أثر. وعاد الفتى الى عادته واتبعه العسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخليهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرق هيبة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعنى ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلني الا جرع الغيظ التي تجرعتها منه.

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سألته عن عاقبة أمر حسنويه معه وهل الي استئصاله سبيل فقال : اما بهذه [٣٤٨] السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكنا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسنويه وهو كما كان ونقصان شيء ثم يدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمذان اشتدت علته فتوفي بها رحمه الله وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان العسكر كما

ذكرت مائلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم طعامه ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة وأومأ الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أنفق على ذلك العسكر وتتوفر بعد ذلك بقيته على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل [ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه ولانه يحب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه ولم يؤثر في أمره أثرا يسمع به وليّه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب (وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ماعرفه بالكفاية والسداد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى ان تقرر أمره على خمسين(٣٤٩) الف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة الف دينار ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد مُنّته وأحمد جميع ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالري

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمذان في صفر ليلة الخميس السادس منه سنة ستين وثلثمائة ففُقد به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت لغيره في الاسلام (١)

---

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان ما نفق به ابن العميد على ركن الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالري واختار له موضعا وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقدر لقلعها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك انه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الاستاذ الرئيس كان[٣٥٠] يستنشده اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق علي وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيأ فأعياني ذلك حتى وقع الي ديوان الكميت وهو مكثر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطعا فقال ابن العميد : أنا أكفي الامير هذه الكلفة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد واقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الازراء : افعل . فاستدعا حبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقيل فلما رتب ما رتبه ونصب ما نصبه اقام نفرا قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف أحد على جربان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر فما راعهم الا تزعزع الأرض وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الي ابي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا يعظم عند من يعرف الحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيأ مما حفظته بعدي . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده أياها فخجلت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فانشده القصيدة الاخري فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أديبا كاتبا .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلا ونهارا انه ما أُنشد شعر قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سألته يوما وقلت : أيها الاستاذ كيف تفرغ (٣٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أني أتكلف حفظ مثل هذا انما ينحفظ لى اذا مر بسمعي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسي الابيات التي تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فيعيدها بعد ذلك مستحسنا وربما سألني عنها ويستنشدني شيأ منها فلا أتروم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرنيها ويعيدها . وحدثني غير مرة أنه كان في حداثته يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزنا وأكثر قدرا من أن يتزيد فقلت له : كيف كان يتأتى لك ذلك . فقال . كانت لى شريطة وهي أن يقترح عليّ من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها . فقلت وما معنى البراءة عن عهدتها . قال : لا أكلف اعادتها بعد ذلك . قال : فكنت أنشدها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتي أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يخف عليه علو طبقته فيها وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل فانه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازله . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة (٣٥٢) وأعلى رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامرى [1] رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور ترك بين يديه واستانف القراءة عليه وكان يعد نفسه فى منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستغلقة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاريب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١ فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتحبس فيها ولا يتلعثم .
ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما
أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذى قصده به واطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن انه يخلق. وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة (٣٥٣)
أخلاقه ونزاهة نفسه اذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى اذا طاوله وأتت الشهور والسنون على
محاضرته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجرى بحضرته نبذ منه فرغب اليه
فى اتمامه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع فى ذلك الفن والمعنى وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم
ولكن بعد أن يمد لهم فى الميدان ويرخى من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفد ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته فى العلوم والآداب
المعروفة ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل
التي يحتاج فيها الي أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل
ومعرفة مراكز الأثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى
الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيدا وتؤثر آثارا
عظيمة ومراي تحرق على مسافة بعيدة جدا ولطف كف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم (٣٥٤) التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيته يتناول من
مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيعبث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره

بالالات المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتى له مثلها

فاذا حضر المعارك وباشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلى بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاعه بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبي محمد ابن هندو [1] التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف تلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منعه من بسط العدل في ممالكه وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغنم ما يتعجل له ولا يري النظر فى عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا يمكن أحدا (٣٥٥) تلافيه وردهم عنه وكان مضطرا الى فعل ذلك لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمتثل جميع أمره وانما رأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه ومسامحة فى أشياء لا يحتملها أمير عن مأمور وهذه سيرة اذا عوّدها الجند لم يمكن ان يفطموا عنها بل تزداد على الايام وتمادى حتي ينتهى الى ما انتهى اليه جند عصرنا من تسحبهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضرأ ولا تقبل الادب

(١) هو علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دارى جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزهم أمورا مضطربة وجندا متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤا لا يمنعهم أحد منها وانما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به. وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسعان عليهم في الاقطاعات ويبذلان لهم من الرغائب ما لا يبقي لهم معها حجة ولا موضع طلبة وهم مع ذلك يتحكمون ويبسطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدبر ان يقيم (٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الامير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يتهم بيسار كائنا من كان وربما تعذر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فاما نفقات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماقهم فكانت تمحل وربما امتنع عليهم اقامتها أياما ومع ذلك فان هؤلاء المدبرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند أعني الديلم والاتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجتمعون على ظهور دوابهم ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر مايدبرون الرأى في وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفاياتهم في صناعتهم. فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقام الامر حتى رأيناه يركب الى دوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لا يخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولا بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيبته في صدور الجند والرعية[٣٥٧] حتى كان يكفيه رفع الطرف الى أحدهم على طريق الانكار فترتعد الفرائص وتضطرب الاعضاء وتسترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا ان صاحبه كان لايستجيب الى عمارة نواحيه كما حكيته فى أول هذا الجزء خوفا من اخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويري ان دولته مقرونة بدولة الاكراد فلذلك لا يمنعهم من العيث ولا يطلق يد حماة الاطراف في قصدهم ويرضى ان يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لان هؤلاء أيضا [يعني الاكراد] يحتاجون الى القوت » ولقد قيل مرة ان الاكراد وقعوا على بغال له خرجت للعلوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون ان طلبوا فقال فى الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الاكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب ان تكون البغال سبعة بعددهم . فاذا كان هذا رأيه فى الانكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير العمارات واستغزار الاموال فما حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر الى سيرة ملك قد عوّد وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايتهم من تمشية[٣٥٨] أمره يوما بيوم

ثم آلت الحال الى النظام الذى ذكرته واطردت الامور اطرادها المشهور الذى دبره الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أى كفاية كانت له وأي سياسة مشت بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عضد

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التى هى
صناعة الصناعات واتقنه ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقنا وتلميذا فهما حتى
سمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا
وكان لا يذكره فى حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل
معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يعتد
له بجميع ما يتم من تدابيره وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه
ومأخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد
الدولة وما تم له من حيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص
على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة
الملك الى رسومه القديمة ان أخّر الله فى الاجل . ولعل من يطلع على هذا
الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا أعرناه شهادة أو ادعينا له أكثر
من قدر علمه (٣٥٩) ومبلغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول
الا به .

﴿ ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورئي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك
ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التى نشأت بينهم فابتدىء بعقد
مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بآزاذرويه مولى
معز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بكتجور مولى
معز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحلف
كل فريق منهما لصاحبه فحلفوا جميعا على موالاة عز الدولة بختيار بن
معز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله (١) فثقل لسانه وجانبه الايمن وذلك فى يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه الحال الى الوقت الذى سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفى هذه السنة ورد حاجب (٢) لابى تغلب ابن حمدان وهو عدة الدولة فعقد مصاهرة بين أبى تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار على صداق مائة الف دينار وجدد على أبى تغلب عقد (٣٦٠) أعماله لاربع سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت اليه الخلع

وفى هذه السنة كانت وزارة أبى الفضل العباس بن الحسين الثانية لعز الدولة والقبض على أبى الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آزاذرويه بالقبض على أبى

(١) وفى الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن وثقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفى شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو ابن ميمون وقد ثبتت وكالته عند القاضى أبى محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكنى الخليفة أبا تغلب وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بديار ربيعة ومضر في كل سنة بالف الف ومائتي الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبى عمر محمد بن فسانجس الخازن حتى سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد على كما تقدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الي الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرة بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخي أبي الفرج في مجلسه وكان يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه للوزارة وذلك يوم الثلثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه أبي عمرو ابن أدمى وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصبهاني وتقرب اليه في مظاهرة أبي قرة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائي خزانة عز الدولة مضافا الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرة على الدواوين وقلد أبا أحمد ابن حفص دوانا كانت تجري فيه نواح اختصها بختيار لنفسه وسماه ديوان الخاص وكتب الى أبي قرة يستدعيه من الاهواز الى الحضرة وأمر بانفاذ أبي الفرج محمد بن العباس[٣٦١] الى البصرة موكلا به . فورد أبو قرة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحالفة بأمر عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجه على دخله وقلبه ظهراً لبطن فلم يروجها غير اطماع عز الدولة في أموال عمران لخرضه عليه وقرب عليه أمره واتفق ورود أبي قرة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدما وسار في الجانب الغربي على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرة انحدرا في الماء واجتمعت الجماعة بواسط وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بقية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ الوزارة كما سنحكيه باذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بقية ﴾

كان هـذا الرجـل من القرية المعروفة باوانا وكان أبوه مزارعا وجدّه بقية واليه كان ينتسب ونشأ فى أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخـل فى غمارهم وانتسب الى بعض عياريهم وكان جرى رسمه بتقلد المـآصير . واتفق له ان اتصـل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بعمله وكان ضامنا لتـكريت (٣٦٢) وما يجرى معها من المآصير العليا وأبواب المـال فلما خدم عمله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التى نشأ عليها . واتفق على عمـله اتفاق سيء من عامل اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بقية فى ضمان أعماله وعنى به جماعة من الـكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فعقدت الاعمال عليـه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره (١) ووفى عمـال ضمانه وأقبلت حاله تتزايد وصـدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبى الفضل وقرب منه وتملق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فنفق على عز الدولة بختيار وبذل له مرفقا يوصله اليـه مما ينظر فيه فقبل

---

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان يخـدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم أباالفضل الشـيرازى وكان واسع النفس وكانت وظيفته فى كل يوم الف رطل ثلجا وفي كل شهر أربعة الاف منا شمعا وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس فى الدسوت الكاملة ويضع وراء مجلسـه أساطين الشمع و بين يديه عدة أتوار فيها الموكبات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقيه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدى الفراشين الموكبات بين يدي من يدخـل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كوانين الفحم فيها جمر الغضا و يترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختيار منه ذلك وردت اليه الوكالة وتقلد المطبخ فبلغ بالمرتفق الذي بذله لبختيار عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده في استيفاء أموال تسبباته من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرتفق الذي ذكرته مشاهرة ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانبسط اليه بانواع من المزاح (٣٦٣) كان يستعملها في مجالسه مع ندمائه فلطف موقعه ودخل معه كل مدخل. ثم صار يهاديه بالخيل والبغال والجوارح والالطاف والجواري والعبيد ودخل في جلالة العز فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط بينه وبين كل رافع ظلامة وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها الى أبي الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار في مثل منزلة شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنفذه الى بغداد ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجرى عليهما ببغداد أمر قبيح يجري مجرى التشفي من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من الاستخفاف والاهانة والاسماع فتم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب سبكتكين. فمادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بانه يسفر له في العود الى الوزارة والجأته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمين الغموس على الا يستوزره أبداً ولا يستعين به في شيء من الاعمال ان لم يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين (٣٦٤) فحلف له عز الدولة بحضرة القواد

والقضاة والشهود ووجوه الحاشية وكان فى اليمين كل ما يكون في أعيان البيعة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقى الامر كذلك وأبو الفرج مستتر الى أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهرا بعناية سبكتكين . وضعف أمر الوزير أبى الفضل وضعفت منته وتأدى أمره الى النكبة التى هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقلد أبا طاهر ابن بقية الوزارة فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لايستوزر ولا يشرع فى شىء من فساد حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أصعد الى بغداد بغير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن بقية فاغتاظ لذلك وقبض عليه ونفاه الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصعد سرا واستتر ببغداد فى عرض الفتن التى كانت تجري ثم تمكن ابن بقية منه ومن أخيه وطالبهما ثم نفاه ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبى قرة بعد حصوله بواسط ﴾
(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرب بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشمهم وصادرهم وملك (٣٦٥) عليهم ضياعهم وانه استحل منهم ما حرمه الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار ذلك وغاظه فعله وتمكنه من النعم الكثيرة حتى أزالها واستبد بها فصرفه عن واسط وتقدم الى ابن بقية أن نظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قرة الوزير أبا الفضل بانه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ما جرى ويحرضه على أبي الفضل ويعلمه انه قد حنث في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قرة على أبي طاهر ابن بقية فخاطبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسبانات لما يجرى على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية وانتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قرة . واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتب بختكين آزاذرويه وهو بالاهواز ما جرى على ابى قرة وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمنه بمال عظيم وساعده ابن بقية فقبض على أبي قرة وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلاته فسارع الى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه واسبابه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمناء واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل (٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قرة فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين في أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قرة بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليلبسها فكره المنجمون له الوقت واشاروا عليه بالتوقف ليختار له يوم فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آزاذرويه صاحبه يسئلان تسليم أبي قرة اليه بزيادة بذلها وضمنه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سعايتهم به وانه عدو لهم يستأصلهم فسعوا الى ابن بقية به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة فى الخلاص والعود الى التعزز عليه بسبكتكين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصودر هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المكاره التى جرت عليه[1] وقلد ديوانه أبو احمد ابن حفص[2] ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضعفت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفى هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب فى ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد[٣٦٧] ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصلح بينه وبين أخيه أبى تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساده فانفذ أبو تغلب أخاه المكني بأبى البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلك طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة فخلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الاتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام وتهيأ لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلمة فى السور غامضة كانوا

---

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرة بالجامدة وحمل الى جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نقل القبة التى على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجلس في داره وكان القاسم قد تقوى في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا فى التكملة

يهتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستتر وراء السور وضرب بالبوق فبادر القوم الى الباب منقطعين متفرقين وليس يعلمون بحصول حمدان من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمعونة ووجد في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا. واتصل خبره بأبي البركات وهو سائر الى الموصل فعطف عليه وحازاه من الجانب الجزري وتخاطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا البركات (٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فاتفق أن صار الى حمدان مائتا فارس من بني نمير مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام فصار في خمسمائة فارس فتبعت نفسه العبور في أثر أخيه والتصلك على عسكر وكان فيه جرأة واقدام تخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أدركه بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكر في الغلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على غير استعداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما . فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون فبث حمدان أولئك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم شمله وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمانه فوجده متسرعا في أول الناس فاجتمعا متصادين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف ولم تكن على أبي البركات جُنّة فضربه حمدان على رأسه فسقط الى الارض وأخذه أسيراً وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليعالج أخاه من ضربتـه وظن انه ينجو فتلف بعـد ثلاث (٣٦٩) فانفذه في تابوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب [١]

واختلف باقي الاخوة وتخاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقـين في أعمالهم فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه وأطمعه في الاحسان والزيادة فاغتر محمد وصار اليـه فقبض عليه واعتقله في قلعة أردمشت وضيق عليه هناك وثقله بالحـديد حتى أطلقه عضد الدولة لما ملك تلك الديار [٢] وكنت مندوبا لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأمونا على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيهم محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحـداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم سوى أبي طاهر ابراهيم فانه لم يسكن اليـه ورحل الى بغداد مستأمنا الى عز الدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأنفذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كثيف الى الرحبة تقديرا أن يكبس أخاه ويأخذه اسيرا فما أحس به حتى أطل عليه فخرج هاربا واتبعه ابنه وطائفة

(١) قال صاحب التكملة : واعتذر حمـدان بانه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب : والله لالحقنـه به ولو ذهب ملكي . ولمـا عرف هبـة الله بن ناصر الدولة ما جرى على أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فعـل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه أبي تغلب وهو صاحب الحـديثة يقول : ان ابنه قد وفق الامير في افعاله ونحن وان كنا أخوة فنحن عبيد ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت . وقال أبو تغلب : هذا كتاب من يريد أن يسلم

(٢) وقصة اطلاقه من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

من غلمانه ولحقه هبة الله فابق عليه حتى نجا . ثم وقعت [٣٧٠] عليه سرية للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بذمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسير معه نفر منهم الى طريق عانة ففعلوا وعدل الى مدينة السلام فاستقر الاخوان بها في ذى الحجة سنة ٣٦ وكتب بختيار اليهما بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه فى صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما واكرمهما [١] وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردّهما الى بغداد بعد أن حمل الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال والمراكب . وسنذكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾
(لما استوحش منه فانعكس عليه)

قد قلنا انأبا الفضل اتهم سبكتكين بانه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامى عليهما وانه يريد ان يسعي لابى الفرج فى الوزارة وكان سبكتكين اتهم أبا الفضل بانه دبر علي أبي قرة حتى قتل بعد ذلك بالعذاب الطويل فشرع أبو الفضل فىاستصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الىذلك سبيلا فصبر حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بختيار بان يستدعى آزاذرويه من الاهواز ويزيد فى حاله ومحله ويقيمه كالضد لسبكتكين لينجذب الاتراك [٣٧١] الى هذا ويفلهم عن ذلك فقبل بختيار بما أشار به عليه . وورد بختكين واسطا فعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

---

(١) زاد صاحب التكملة . وأنزل حمدان دار أبي قرة وأنزل أباطاهر ابراهيم في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من انفضاض الاتراك عن سبكتكين وذاك أنهم تنبهوا على المقصد وعلموا أنه انما دبر على تفريق شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والا يتفرقوا. واشفق بختكين آزاذرويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت حكمه وطلب سلمه بعد معاتبات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد زاد فى منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهسلار وتموهت الوحشة واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط قدما أبا طاهر ابن بقية الى سبكتكين ليصلح ما تشعث بينه وبين الوزير أبى الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا فى ذلك على نفاق ووحشة فى السر واندمل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفى هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة وكل من اتصل به وعفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض نافخ ضرمة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب فى اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى اتسعت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع فى يسير ماله وكانت البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم فى نفسه انه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فسار اليها ولم يجد بها ما كان مولعا به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولاطفه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على مرفق يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له اثارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة لان المد وافى وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت النقصان فامره بختيار بالخلع على أبي طاهر العامل وتقبل ما بذله له. ولم يستطب البصرة لعدم الصيد الذى ذكرته فعاد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد العامل والزيادة في بسطه [٣٧٣] والرفع منه فاضطر الوزير الى امتثال مارسم له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر العامل يده فى القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمحال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بعهد يثق به وانه ممن يعتمد على قوله وذمامه وحدث نفسه بمنزلة أبى قرة وان يرتقى منها الى منزلة الوزارة فساء رأي الوزير أبى الفضل فيه وأخذ فى التدبير عليه والسعى على دمه فكتب الى بختيار يعرفه انه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وانهم عرب لا يحملون مايحمله غيرهم ويزعم ان أموالهم الآن قد حصلت والصواب يقتضى ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرته على مال ينضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويعظم عليه جناياته ويطمعه فى ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمتصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلهم وعقد

البصرة على على بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه لعداوة كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بان يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين . وكان هذا العامل (أعني أباطاهر) من أهل الشر فكثر خصماؤه [٣٧٤] وطلاب الطوائل عنده فسفه على بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فنالته منه مكاره عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فاتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فاتلف الجماعة بأسرها وعفى آثارها . ثم عطف على بن الحسين على معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادرهم لصحة المال الذي ضمنه فما صح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانمحت آثار أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾
﴿ بغداد الى أن خرج عائداً اليها وما تم لعمران ﴾
(من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج الى التصيد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التحرز منه والاستعداد له . وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتمام العزائم والصبر على مطاولة العدو بالمكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث وبترك الاستظهار واهمال الجند حتى تخرق الهيبة وتزول الحشمة ويظهر للعدو عصيان الجند وقلة النظر فى الحرب والتعويل على الجد دون الجد حتى يطمع

على الحيرة والتبلد ومكان [٣٧٥] العورة والضرورة الداعية الى مقاربته فى طلب الصلح منه والجنوح الى السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل فى المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذى أظهره مكيدة لعدوّه وأقام بالنعمانية شهرا مع عساكره التى علم معها عمران ان قصده بهم اياه[١] لاغيره . ثم أمر وزيره آبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبنى أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويعدل بها الى غيره وان يبنى مسنّاة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشياً الى معقله وهذا ضد مابنى عليه أمره فى الابتداء ولا يشبه الحيلة التى تؤدى الى ارهاق العدوّ ومنعه من الفكر فان الهجوم والكبس والبيات يتم بالمعاجلة والركض الى الغاية دون التمهل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة فى عمل هذه السدود وجرت فى اضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتمامها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد فى جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول [٣٧٦] احتال فى تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثلمة يسيرة فى احد نواحى السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته فى الهدم والتخريب فربما أفسد فى ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام فى وجوه المياه الجارية عند ضعف

(١) لعله انه قصد بهم

جريانها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حدورها كفى منها اليسير من المونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضا وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لا حيلة في سده ولما عمل بختيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى المد كان قصاراهما حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاته وزواريقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خاليا منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاته فلم يجد فيها شيأ فانصرف خائبا. وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التي ألفوها فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والاتراك[٣٧٧] على الشغب واتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر بختيار الى طلب مصالحته على مال يلتمسه منه (وقد كان هابه في أول الامر فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طلب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل الفي الف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختكين آزاذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما حلف. وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الزلة

وحدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار فى ارتجاع شىء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجرائى (وكان ينظر فى أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا نقموها عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرته فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقده حتى صار فى جملة من سعى به ودبر فى هلاكه (٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها فى كرمان والقفص والبلوص فى طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستغوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة فى شق العصا . فلقيه كوركير بين جيرفت وبم وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان (١) وبكر والحسين ابني اليسع أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضمومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأنفذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت المنوجانية وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصى وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة فى الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن على فسارا الى جيرفت فيمن معهما من العساكر فوقعت الوقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قاتله زرزاذ ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابي فيما بعد

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابى سعيد البلوصي وحصل المعروف بابى الفوارس المنوجانى في الاسر وابن أخيه (٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم ثم صمد عابد بن على اقتص آثارهم والتولج الى مكانهم ليبيد غضراءهم فتابع الايقاع بهم والاثخان فيهم وانتهى الى هرموز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك فى الحروب الفا أسير من رجالهم ونسائهم وذراريهم فلاذوا بطلب الامان وبذلوا تسليم المعاقل والجبال على ان يدخلوا فى السلم وينزعوا شعار الحرب ويقتنعوا بالاقوات التى تحل وتطيب ويتحلوا بسيماء المسلمين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويتمسكوا بسائر شروط الايمان فعقدوا على أنفسهم بذلك عقدا وثيقا . ثم عدل عابد بن علي الى طوائف أخر من الامم المخالفة فى حال تصاقبهم يعرفون بالخرّمية والجاشكية يخيفون السبل فى البر والبحر وكانوا ضامّوا سليمان بن محمد بن الياس فاوقع بهم وقتل كثيرا منهم وحصل فى يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض على خلق منهم فانفذهم الى شيراز فتوطأت تلك الاعمال وصلحت مدّة من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف باسا وأوعدهم جانبا وأشدهم كفرا ان اشتاقوا الى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء الحرام ونقض (٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك العهود فلما فعلوا ذلك اعتقد عضد الدولة الا حيلة فى صلاحهم ويئس منهم فرأى الا يبقى عليهم وعزم على المسير بنفسه الى كرمان فسار فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهى الى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا فى الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزى ولقى الناس منهم عنتا شديدا فى جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن على فى عسكر كثيف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراد والزط والرجال السيفية وأنفذه اليهم فلما أحسوا باطلاله عليهم أوغلوا فى الهرب وسلكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه فى سرية قوية خلفهم وسار هو فى باقى الجيش من طريق آخر الى بلادهم التى يأوونها الى جبال البارز ففتحها[1] عنوة واستنزل عنها محمد بن على البارزي وظفر بصهره أبي دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيونا ليأتيهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذى ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة (٣٨١) يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الوقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بحرمهم وذراريهم وأملاكهم ونجا فى الوقت رئيسهم المعروف بابن أبى الرجال البلوصى مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقى تحت الامان وتشبثوا بالعهد والذمام فنقلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معرة أولئك المفسدين

ثم عاد عابد بن على الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجرى مجراها

(١) فى الاصل « من فتحها »

من الدعار وكانوا وراء جبال القفص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرّة شديدة وفساد كثير وجنايات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه فى عسكر قوى من الديلم والاتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمراكب فى البحر من سيراف الى مكلي هرموز وسواحل كرمان فقطع عدّة مضايق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فاوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات (٣٨٢) الدعار في تلك النواحى أحدا.

وفي هذه السفرة تنكر عضد الدولة لكوركير فقبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصلح

﴿ ودخلت سنة احدى وستين وثلثمائة ﴾

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة[1] بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده الا أن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لوفور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبّهة الوزارة الا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه فى جاهه أوتحطه عن المنزلة العالية التي يرقى اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيبته وتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا.

---

(١) ليراجع ترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٣٤٧

فاما ابنـه أبو الفتح فـكان فيه مع رجاحته وفضـله وأدب الـكتابة وتيقظه وفرابته [٣٨٣] نزق الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى اظهار الزينة الـكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار فى المواكب التى يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التى يلتزم فيها الخلع والحملان على الدواب والمراكب والاسراف فى الصلات والنفقات تشبها بوزراء عزالدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم فى مصالح الملك وانما همة أحدهم فى تناول شهواته والوصول الى لذاته وإثارة غيظ حسادهم باظهار الزينة التى فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينكر ذلك فى نفسه وان لم يبده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له فى الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التى يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجماعهم على جوده وسخائه واعتدادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فـكان أبو الفتح ابن العميد يسرف في ركوب هـذه الاهواء ويحب أن يبلغ غاية ما يقدر عليه منها فجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السـلاطين وأصحاب السيوف والاقلام فـكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند وأحب الراحة والدعة ففوض اليه الامور ورآه شابا [٣٨٤] قد استقبل الدنيا استقبالا فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه الانتصاب للامر والنهى ومخالطة الجند والركوب الي الصيد ومشي خواص الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربتهم ومؤانستهم والاحسان اليهم بالخلع والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم

ويغشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الامارة حتى
لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط . ثم ترقي أمره في
قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف
من الري والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معزالدولة في الخلاف
الذي وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن
الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقب بذي الكفايتين من جهة الطائع
لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمور خاف فيها عضد الدولة وأوحشه
وتأدي أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا ها هنا جملة من سوء تدبيره لنفسه
ونحن نشرحها مفصلة في الامور التي حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبر بها المعتبرون
(٣٨٥) ويجري مجري تجارب الامم التي يتكرر مثلها فيتحرز منها . فاما الآن
فانا نشرع في الامور التي حدثت في هذا الزمان الذي نحن في ذكره
ونستقصي أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل
حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجاسر العامة على السلطان والفتن ﴾
(الثائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان الكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها
وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذراري ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار
بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا
انفتاح الطريق للروم وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق
فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم
عليها وقلعوا البعض من شبابيكها فاغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره . وكان بختيار فى هذا الوقت بالكوفة مظهرا زيارة المشهد وغرضه التصيد فخرج اليه وجوه أهل بغداد[1] منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين (٣٨٦) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد واللهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه انه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة ما يسعه وجنده فى الطريق وأنفذ فى ذلك بعض خواصه فقضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمسارعة الى ما سأل وهو يعلم انه لايفي بوعد ولا وعيد وانه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقية برسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بان يستنفر من يرغب فى الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المنافق ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازى الفقيه وأبو الحسن على بن عيسي النحوى وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الربعى المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازى هو أحمد بن على تلميذ أبي الحسن الكرخى واليه رئاسة الحنفية أريد لقضاء القضاة فامتنع توفى سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالعزيز بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه فى المذهب منها انه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد فى المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسلمين فثار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسيّ حتي استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لترتيبهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالا عظيما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم[٣٨٧] على الحرم والفروج وتفاقم الامر بينهم وبلغ كل المبلغ فى الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسنذكر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بعون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع فى مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤساءهم الناجمين فيهم حتى حصل فى كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضا نهارا وليلا ويحرق بعضهم دور بعض ويغير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم. فاما الاتراك فتسحبون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة فى سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار لشيء حقير[١] كان حقده على بعض أصاغر الاتراك فلقيهم

(١) قال صاحب التكملة : وفى شعبان قتلت العامة والاتراك خمار صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لأنه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . فقتل أحد العيارين فى سوق النحاسين فثارت العامة وقاتلته وأنفذ أبو الفضل الشيرازى حاجبه صافى لمعاونة صاحب الشرطة وكان صافي يبغض أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وألجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قتلة الكلاب خنقا بالسيوف والتوت (٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة فقصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جارحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقلعوا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فحضروه بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعني خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فتحرزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فسكن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين فى تسكين العامة لان هيبته كانت فى نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصّب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كاعظم ما كانت. فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر فى كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان.

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا. وكلم أبو أحمد الموسوى لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد الناصر العلوى. وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم : أيها الوزير أريتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك . فامسك أبو الفضل ولم يجبه وركب الى داره

وعطف بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات (٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما يفسد حاله وشانه ويحب أن تقضي أوقاته في الصيد والاكل والشرب والسماع واللهو واللعب بالنرد وتحريش الكلاب والديكة والقباج فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتياث والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الي طلب الاموال من الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدوثة بها وتحرم ولا تحل في شيء من الاديان .

فبعث بختيار على مطالبة المطيع لله بمال يوهمه أنه من وراء ثروة ومال وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام

﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾
(بختيار وما آل اليه أمر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والي تدبير الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الائمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به (٣٩٠) على منابركم تسكنون به رعاياكم فان أحببتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والامر كله . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة الف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره. وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات [1]

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التى تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالمحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقي الى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل الستر وبث السعاة والغمازين وسماهم العمال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه فى المساجد الجامعة وفى الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها فى الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطلت الاسواق وانقطعت المعايش وتعذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار. ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب اليهم طائفة من الجيش فواقعوهم (٣٩١) وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم.

وكان فى حجابه رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق دنى النفس يتعصب لاهل السنة فضرب محلة الكرخ وهى مجمع الشيعة ومعظم التجار

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فشددوا على المطيع لله حتي باع قماشه وحمل أربعمائة الف درهم فانفقها ابن بويه في اغراضه وأهمل الغزو وشاع فى الالسنة أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهر بالله كدى يوم جمعة فانظر الي تقلبات الدهر

بالنار فعظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرة على الرعية فيما دبره سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوى (وهو الحسين ابن موسى ويتولى نقابة الطالبيين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى على الشيعة فاظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهاترة فصرفه الوزير عن النقابة بابي محمد بن الناصر [1] وهو الحسن بن احمد العلوى وحصل أبو احمد الموسوى من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المتربين عليه وحصل أبو الفضل فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطالب عنده ثار ابى قرة وفى نفسه عليه ما كان منه في استدعاء بختكين آزاذرويه من الاهواز الى واسط ليقيم مقامه ويجعله ضداً له وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما تركيا من غلمانه فغضب عليه وأمر ببيعه في السوق فنصب الوزير أبو الفضل من اشتراه له بضعف قيمته وتحظاه ونزل عنه منزلة من كان فى نفسه منه عشق ثم موله وأعطاه [٣٩٢] شيئاً كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلمان سبكتكين فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين فى داره بما وصل اليه هذا الغلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة الجرجرائى له وعداوة ابى احمد الموسوى النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له وكان ابن بقية قد ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان أبا نصر المعروف بابن السراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية) قد جمع بالمكسب الخبيث مالا عظيما وأعقد ضياعا جليلة فشعثها أبو الفضل تشعيثا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف بمحمد بن احمد الجرجرائى كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسين احمد بن الهادى الى الحق يحيى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل) ويداخلان محمد بن بقية ويمرضانه للمكاسب الجليلة والفوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهماه انه ساع عليه وانه لن يمد أن يضمنه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك الى أن أشارا عليه بتقلد الوزارة وان يسبقه الى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب فى تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل لحمل دواة بين يدى وزير ولا يطمع فى شىء من هذه المراتب (٢٩٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ فى توفير وفره وخدمة فى جملتها تسخر وكان مستخرجا عسوفا شديد القسوة جاهلا وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو فى هذه السيرة متشبه باهل الشطارة والفتاك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبى الفضل قبل أن يسبقه الى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سديد لابن بقية فى تلك الحال ﴾

انه أجابهما بان قال : لاصناعة لى ولا توجه فيما تدعوانى اليه ولى عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء الى مثلها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي واتهجن ويقدح فى منزلتى واحط عنها من غير أن أنتفع بالوزارة . فشجعاه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخفه ويكفيه العمل كله ثم صارا الى سبكتكين الحاجب وذكراه بافعال الوزير أبى الفضل وحملاه على الشروع فى صرف أبى الفضل ونكبته فقال لهما : انى لم أزل معتقدا لذلك وانما كان توقفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه ويسد مسده اذ كان

محمد بن العباس [1] قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضيًا فى وزارته ولا (٣٩٤) ناهضا بها وقد حفظت على الامير بختيار ايمان البيعة بان لا يقلده وزارته. فخاطباه فى تقليد ابن بقية وضمنا عنه أن ينهض ويغنى ويكفى وانهما يعضدانه ويشدان منه فى التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشفي من أبى الفضل وفساد أمر بختيار وتجشم احتمال الغضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بعد ان لم يكن ممن يجوز أن يعده من أصاغر خدمه ولا يطمع فى دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من أبى الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبى الفضل جداً فاستجاب اليه.

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض مرموقا بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شيرزاد بن سرخاب فلما نفى شيرزاد احتيج اليه في تسكين الجند مديدة فتدافعت نكبته ثم أن أبا الفضل هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله. فجرى الامر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بقيه على أبي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة أيام واستتم القبض على جميع (٣٩٥) كتابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك فى سنة ٣٦٢

وفى سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبى صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ فى ذلك عابد بن على مع عشرة أنفس مختارين من

---

(١) يعنى أبن فسانجس الوزير

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفى سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن معز الدولة وكنّاه ولقبه عمدة الدولة [١]

وفى هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميّافارقين [٢] وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة لكنه اتفق ان لقيه فى مضيق لاتجول فيه العساكر وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة فانهزم الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمكن المسلمون منهم وأعز الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أنفذ الى بغداد الرؤس والايدى وكانت كثيرة فشهرت وكانت [٣٦٦] هذه الوقعة فى آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبطّ وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد فى علاجه وقدّر ان يبلغ

---

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه واليها هزارمرد مولى أبي الهيجاء ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور فنصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ثاني شوال . وكان أكبر السبب فى خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تلى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يتأهب وكانت الحال في أسره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رسائله ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثاني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل الغضائر بيده ويتشح بمناديل الغمر ويذوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنياً لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قُربا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجرائي وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السرّاج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أ كثرها سُلّم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيي العلوى الكوفي على ان يخرجه (٣٩٧) الى الكوفة ويحبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما [1]

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهلبي رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأ كثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك فى دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذراريح في سكنجبين فتقرحت مثانته ومات من ذلك قال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك أن أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك تجمل في المعاملات وتنسى المقابلة وتلقى وليك وعدوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على عتوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى أورد ولم يصدر ولم ينعش بعد ان عثر . وفي تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

أبي الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

﴿ ذكر ما دبّر به ابن بقيّة أمره حتى تماسك مديدة ﴾

انه جدّ في مطالبة أبي الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وغلمانه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفى أموالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعى حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح فخلع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لابى الفضل والطعن عليه وادّعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والغشم واثارة الفتن ماصارت أيام أبي الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة (٣٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يعدم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون

﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾
(ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)

شرع ابن بقية في اصلاح مابين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه[1] الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

(١) قدسقط شيء

منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافى والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فلقيه وسلم عليه وانصرف. ولم يعد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى فى التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون [1] طريقا سهلا في الشر فسلكوه فعادا الى التنافر (٣٦٦)

﴿ ذكر سبب قوى فى عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾

اجتاز ديلمى من سقط الجند سكران فى فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلى دجلة وهو نائم فرمى الديلمي أحد صوالجة الروشن بزوبين كان معه فاثبته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرميه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامر بانفاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فعله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نافرة

﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيها خرج بختيار الى الموصل طمعا فى تناول بعض مافى تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد فى طريقه

(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطمع بختيار فى الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبته وليتغلل عما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها فى القضيم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعرى في اللزوميات (١: ٢١) *ولا تقبلوا من كاذب متسوق*

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص ابن بقية على الموصل (٤٠٠)

﴿ذكر سبب ذلك﴾

وردت كتب أبي تغلب على ابن بقية مع على بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكاتب به الوزراء قبل ذلك لانحطاط منزلته في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاغتاظ ابن بقية من ذلك وذكر على بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبيح وتوعدهما بالمسير فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزمته. وأحب بختيار الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لوكيد المداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار. ونظر ابراهيم فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « بأني سائر اليك » واستدعى منه نفرا من الفرسان والاعراب ليصحبوه فانقدم الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاه المسمى ذا القرنين[1] وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم (٤٠١) ذكره. وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثا له على الشخوص الي تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة ٤٠١ : كذا في تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩

فى التشفى من أبي تغلب فاستحلفه بختيار بغموس الايمان بعد هرب ابراهيم
على الثبات معه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب
ومحمد بن بقية الوزير وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة ثلث

﴿ ذكر الحال فى هذه الخرجة وما آل اليه الامر ﴾

وقع التدبير على أن يخرج سبكتكين فى الجانب الشرقى على المقدمة
ويتلوه بختيار سائرا على أثره وبينهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت
عبر بختيار وسار فى الجانب الغربى واستمر سبكتكين سائرا فى الشرقى
ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب الى سنجار
بعسكره كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومتصرف ثم توجه من سنجار
الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربى . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر
التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبى تغلب وخروجه الى بغداد ببختيار
فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربى والمسير فى أثر أبى
تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ
محمد ابن بقية فى الطيارات والزبزب راجعا الى بغداد بعد أن استخلف[٤٠٢]
بحضرته محمد بن احمد الجرجرائى . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف
بالفارسية على نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل
من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر
وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائعه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة
من عوام الناس وأوباشهم مستقبلين له مظهرين السرور بمقدمه وبرز أبو
اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخاه بختيار الى باب الشماسية وانتقل المطيع
لله ووالدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذى بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا فى هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذى كان معه واظهر أنه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وانما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب . فتعجل وصول محمد بن بقية سابقا فى آلات الماء فشد من أبي اسحق وافتتن الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل سبكتكين باوانا بازاء عكبرا . فعدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل فى قرية بينهما نحو نصف فرسخ (٤٠٣) وتصاف العسكران ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافّا وجنحا الى الصلح

﴿ ذكر مكيدة جرت فى هذه الحرب واجتماع من ﴾
﴿ سبكتكين وأبى تغلب على بختيار وحيلة بينهما ﴾
(لم يتممها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة فى السر تجرى بين أبى تغلب وسبكتكين على الموادعة واظهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بختيار وحُرمه ومحمد بن بقية واظهار العصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود أبو تغلب الى الموصل قاصدا بختيار وهو فى عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دولته سريعا . ففكر سبكتكين فى سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاهُ وعلى الخليفه وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبى تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة الف كرّ من الحنطة فى كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفأ أبو تغلب الى الموصل قاصدا بختيار وهو فى خف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذالك الطراد الذى وقع بين أوائل العسكرين انما كان تمويها

ودخل سبكتكين وجميع (٤٠٤) العسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة المسير واللحاق بصاحبه بختيار فتثاقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيبون للعود ثم فكر فى العواقب فانكفأ على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان همّ به الا أنه ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يمتنع عليه شيء من التدبير الذى ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند فى المسير مصعدين وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابى تغلب اليه جمع اليه أطرافه وردّ قواده من النواحي التى كان فرقهم فيها وخاف خوفا شديدا وعبى مصافه فى الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل أسفل الحصبا على حالة الاهبة والتعبية ولم يبق بينهما فى المسافة الا طول قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتعصب أهل الموصل له وخاض الناس بينهما فى حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان يلقب لقبا سلطانيا فأجابه بختيار الى ذلك كله تفاديا من اللقاء . وجرى كلام فى معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملاكه (٤٠٥) بغلاتها وعن القلعة المفردة له المسماة وهى قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب فى مال يتعجله وخان أخاه وسلمها. فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا ببغداد مع سبكتكين الحاجب. فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المقالة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآثل على خمسة فراسخ من معسكره فى عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوى وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باللعن و لدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك ان محمد بن أحمد الجرجرائى خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصراف بختيار عن هزيمة ظاهرة. فلما تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسمل عيونهم. ووجد رجلا عقيليا يعرف بابن العجّاج كان استأمن من عسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبته.

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقية من الحال التى انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلى وسمل العمال[٤٠٦] ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا فى الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع العسكر الى الموصل. فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تل اعفر وردّ كاتبه المعروف بابي الحسن على بن عمرو بن ميمون برسالته الى بختيار يعاتبه

فيها على النقض وينسبه الى الغدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتهنه واحتج عليه بما ذكرنا فجحد ان يكون ما جرى من القتل والسمل بامر أبى تغلب وأحال فيه على بعض غلمانه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقى على تعجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلّم القوم الذين قتلوا العقيلى وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بانه لا يسيء اليهم لعلمهم جميعا انهم مأمورون (فعفا عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويزف اليه زوجته وجددت الايمان والعهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لعشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبى تغلب فانجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله فى تلقيبه فلقب عُدّة الدولة وأنفذ اليه[٤٠٧] خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجرائى وكان فى المصادرة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمه أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازى المعروف بابى القاسم المشرف وكان يعاديه ويعتقد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاء ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ان عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقية فى الكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بختيار التى يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتتعصب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقية لا يعرف منها شيأ فتطاول بهذه الاشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بختيار أيام تفرّده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخراجه فى القبض على على بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه فى ذلك نفر منه وأحس بتغيّر نيته له واجتهد (٤٠٨) فى ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولو صبر على ان يكون عامل البصرة لما خرج به ابن بقية الى ماخرج ولكنه لما رآه يأبي الا التشبث بالحضرة والتمسك بما كان ناظرا فيه دون ماسواه اتهمه وازداد شكا فيه .

وكان ابن بقية قدّم كتابهُ الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكُراعى وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرّفه نيته فى على بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائى على ان يصادره وينصب مكانه ضامنا له أوعاملا غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق على بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه ورده الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقية وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصعد الي الحضرة فاغتاظ من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعى بالقبض عليه وعلى على بن الحسين ففعل ذلك فلما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائى فانه أخذ خطه بمال ثقيل فصح له بالبصرة شىء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه[1] (٤٠٩) بالقهرمانة التى كانت تعزه فسابقه محمد بن بقية اليها فاشتراه بخمسين الف درهم منها فاسلمته وخلت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفينى بان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسائلهُ عنه . فتسلمه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفى هذه السنة بدأت فتنة الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب فى هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضاقة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان وزراؤه وكتّابه يحتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أمّلوا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابنية كانت تُوضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوّض فيعتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقية عند منصرفهم من الموصل بالخيبة ان يخرجا الى الاهواز فيستقصيا على بُختكين آزاذرويه ويصرفاه عن البلد ويعملا له أعمالا ويطالباه بمال ويعرّا عليه النكبة ثم يفرّقا الاتراك عن سبكتكين ويخففا عدد من يبقى منهم ببغداد (٤١٠) ويحتالا عليه من البعد ليستريحا منه

(١) لعله سقط مثل « الاجتماع »

ويُحصّلا أمواله واقطاعه ونعمته ويتسعا بذلك . فانحدرا الى الاهواز فى شعبان سنة ٦٣ فلما صارا بواسط أنفذ اليهما بختكين ثلاثمائة الف درهم ثم نزلا الاهواز فحمل اليهما ما يحمل الى الاصحاب وخدمهما وبذل من نفسه الطاعة فى المحاسبة والموافقة . فلم تمض على ذلك أيام حتى ثارت فتنة بين الاتراك والديلم فى سبب صغير قد كان يجوز ان يستدرك قبل ان يستفحل ويستصعب فاغتنماه وجعلاه ذريعة الى اتمام ما كانا هما به وأجرياه على تخليط وفساد من غير تحرز ولا احتياط

﴿ ذكر الخطأ الفاحش والتخليط الذى استعمل ﴾
﴿ في التدبير حتى انعكس وعاد وبالا ﴾

ان بختيار خلف ببغداد والدته واخوته وأولاده وحُرمه وخزائنه وأكثر سلاحه وقطعة من خيله فى قبضة سبكتكين عدوه الذى هو فى طريق التدبير عليه ومكاشفته بالعداوة ثم أخذ يتطلب عورة الاتراك الذين معه وينتهز الفرصة الضعيفة فيهم ليفسدهم على نفسه وينبه سبكتكين على تدبيره عليه . فكان مبدأ هذا الفساد ان غلاما من الاتراك نزل بسوق الاهواز دارا تجاور بعض الديلم وكان على بابها لَبِنٌ مشرّج فاراد ان يبنى به معلفا لدوابه واحتاج ذلك الديلمي أيضا الى شيء منه فوجه غلامه ليأخذه فمنعه غلام التركى فلم يمتنع وخرجا (٤١١) الى التنازع والتهاتر فخرج التركى من داره لينصر صاحبه وبنع صاحب الديلمى وخرج أيضا الديلمى لنصرة غلامه فأربى على التركي واستطال عليه فركب فى الوقت واستنهض الاتراك فثاروا بالديلم وتبادر الديلم وحملوا السلاح واجتمعوا على باب بختيار وبالباب ساحة واسعة قد ضرب فيها وجه من وجوه الاتراك مضاربه

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على ان يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشتمه فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلمى فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاتراك بثار صاحبهم هذا ورموا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد و الاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار فى تسكين الثائرة فلم يمكنه ذلك بعد انتهائها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده فى سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفى نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت فى يد بختكين وتنهض الى بغداد لتتلم عنها (٤١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاتراك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول مارأوه ووجه الى بختكين آزاذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشى الخوارزمى وبكتيجور وكان حما لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده فى اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بالنداء فى الاتراك والايقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بعده عن بغداد الى الاهواز وخفة الاتراك المقيمين بحضرة سبكتكين ان بختيار قد توفى ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا فى المصيبة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أوقعا به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء الاتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وظنا أن سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلمان داره المماليك أربعمائة سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجابه ومن فى جملتهم . (٤١٣)
وكان هذا الرأى من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقتصر سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته فجمع حينئذ الاتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ماعومل به رفقاؤهم وان الستر قد انخرق وانهتك وان دماءهم قد أحلت وأبيحت فدعوه الى أن يتأمر عليهم ليطيعوه فتوقف عن ذلك وراسل أبا اسحاق ابن معز الدوله يعلمه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا التئام له وان أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مواليه وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الاتراك على متابعته وينقل الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

﴿ ذكر انتقاض هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى ﴾

لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأى ودخل تحته علم أن بختيار اما أن يصير جالسا فى بيته مزاح العلل فيما يحتاج اليه أو يصير الى حضرة عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته من هذه الحال واشفقت من أن يؤول [1] الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

(١) لعله سقط « الامر »

من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها فى الاستقلال بمحاربة سبكتكين (٤١٤) ومن معه من الاتراك فجمعتهم الى دارها بالسلاح واصبح سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة لثمان خلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الاتراك قاصدا الحرب وناصبا لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان فى الثالث احرق جوانب الدار بعد أن حاصرها ونفد زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالدته وكذلك أبوطاهر ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا يفضح حرم مولاه واولاده فاستحيا وتذمم فاجتمعوا جميعا فى حديدى وانحدروا وتفرق الديلم هاربين فى مرقعات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة فى طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردوه الى داره ووكل به فيها توكيلا جميلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح والدواب والآلات والمنازل ونزل الاتراك في دور الديلم وتتبعوا حرمهم وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين فقوّد من رؤسائهم القواد وعرّف العرفاء ونقّب النقباء وخلع عليهم وحملهم على الدواب (٤١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده ﴾

كان المطيع لله بعقب علة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله فقعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلعها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة (١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهائجة بين العامة ﴾
(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استذلوا الشيعة وناصبوهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول فى وزارة أبي الفضل فافتقر التجار وغلبهم العيارون على أموالهم وبضائعهم وحرمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الاخر . وانتثر النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين فى أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ناروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة ناروا بشعار سبكتكين والاتراك (٤١٦)

﴿ شرح الحال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾
(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الاتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آزاذرويه بجند يسابور واجتمع الاتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافى بختيار بعضهم

---

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبومنصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع لله بعد أن خلع يسمي الشيخ الفاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الاتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعاتبوه على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لابد لنا فى الحرب من فرسان وأتراك . فاضطرب بختيار فى الرأى وترجح فيه ثم قرره على ان أطلق بختيار آزاذرويه وجعله فى موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الاتراك يأنسون به ويعدلون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والا يعرض لهم وان يُرَد ما أخذ منهم وأطلق سباشي الخوارزمى وأقر بكتيجور على حمله[1] الاعتقال لمصاهرته سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله فى انحدارهم الى واسط فسار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويسئل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد فى تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبي تغلب ابن حمدان فسأله انجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يعتصم بعمران بن شاهين فانفذ اليه خلعا وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط مابقى عليه من مال الصلح الذى كان صالحهُ عليه (٤٤٠٧) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا فى الماء يستعين به على حرب الاتراك وترسّل اليه فى ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدّى اليه الرسالة قال له : ياهذا قد جئتنا فى أمور غير متوجهة عندنا ولا لا ئقة باحوالنا .

---

(١) لعله حالة

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾
﴿ اياه بكلام وافق قدرا فجرى كما قال وقدّر ﴾

أما هـذا الدّين المتروك فالتحمـد علينا به مع علمنا بانه ساقط باطل لايحسن لـكنا نقبل ذلك . وأما الوصلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عنـدي والانثى من عنـده وقد خطب اليّ الطالبيون مع انهم موالٍ فما أجبتُ أحدا منهم الى ذلك لان نفسي لاتسمح له وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدا منهم ولـكن ان شاء ان تتصاهر على السبيل الاخرى فعلتُ . واما الخلعة والفرس فلسـت ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لان دوابي هـذه السفن لـكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري وانفاذه فليس تسكن رجالي الى مخالطتـكم لـكثرة من قتلوا من رجالـكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وتترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصـدتني محاربا لي فرجعت عني منهزما وقصـدت الاهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة (٤١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأدّى الي ان تجيئني وتلوذ بي وتحصـل عنـدي وساذكرك هـذا وتعلم حينئذ اني أعاملك بالجميـل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتعجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الـكائن فان الحال بختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستذما على ما سنذكره انشاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتق الذى انفتق عليـه عظيم يحتـاج الى رجال ومال

وسلاح وتدبير وهيبة وطاعة وانه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وانه بازاء اشغال عائقة وأمور قاطعة ولكنه قد عول فى هذه الحال على ابنه عضد الدولة اذ كانت تلك الادوات التى عددتها مجتمعة له وحاصلة عنده وانه سائر من فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد . وانما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان يكاتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور (٤١٩) هنالك بسوء تأتي الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع ذلك فاسد الرأي فى بختيار مضطغنا أشياء كان تقدم[1] بينهما من مناقشة جرت فى وقت ومنافسة فى مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه خاصة من دفاتر عزيزة كان يضن بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويحب ان يستبد بها من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يحب ان تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى ممالكه . فراسل أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندى منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظّم عليه ما جمعه ولعمرى لقد كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة فى أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا فى معاونة ابن عمه الذى يتصوره بصورة التجلف وتضييع الامور واهمالها وتفويض الوزارة وتدابير المملكة

---

(١) يريد كانت تقدمت

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو [٤٢٠] مع ذلك يظهر له المنافسة ويعنه من مطالبه وينقص من اقدار أصحابه الواردين عليه فى مهماته. وكان يكاتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله فى نصرة ابن أخيه الذى هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا تبقى معه بقية الا باستصلاحه لنفسه دون غيره

﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهي والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل عاطله بالمسير وزحف اليه الاتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحوصر وبلغ منه كل جهد. ولعمرى لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابرة من يحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لخيل الاتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو فى خلال ذلك من مواقف يصل اليه فيها التركى الداخل المصالت فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة [٤٢١] وانه صنيعته وصنيعة أبيه ويخاطبه بما يرق له القلب وتستحى منه العين فينصرف عنه التركى بعد التمكن منه ويحب أن يجرى قتله على يد غيره. فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعرى ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقيله ولا يحتشمه عليه ويكاتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويعده بالمسير مدافعة المماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضج من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدولة من المسير بدا فسار من فارس وسار أبو الفتح ابن العميد من الرى وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرةً وقوة ومددا وذلك انه بالغ جدا ولم تبق بقية فى الاحتشاد ولم تكن صورته فى ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بعد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة ما استصحبه من آلات خيم المقيم التى يريد ان يستقر بها ويتمكن فى كل بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التى لا يستعملها المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبى تغلب ابن حمدان عن رسالته (٤٢٢) فانه أجاب بالمسارعة والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت فى جمع من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً عما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه سار أبو تغلب بجمع جيشه الي مدينة السلام ليوجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه ان شاء الله

﴿ ذكر الرسائل التى ترددت بين سبكتكين وبختيار ﴾

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما تعمله وتتصرف فيه خطأ وغلط وان الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج لى عن واسط حتى تكون هى وبغداد في يدى بازاء أموال الاتراك التى قد حصلت علىّ وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرك واحداً ولا تدخلن بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق عليك حافظ وصية مولاى فيك التي ما حفظت مثلها في. فعرض بختيار هذه الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل (٤٢٣) لها وردوه بالخيبة والمنابذة فجد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتابا من الخليفة إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا الكتاب الي الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرا عن بغداد وانتهيا الى دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفى فحمل الي مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولي معز الدولة وكان يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة فى الاتراك وحشمة قديمة (١) ولقاء في الحروب للاعداء فعقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء وكان عبر بختيار الي جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئا في الجانب الشرقي ونقل التناء وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على مناجزة الاتراك ولقائهم بالديلم اما مناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت زعيمهم وقدر انهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف (٤٢٤) عن الاصعاد. واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسرا بسفن كانت معهم

---

(١) وفي الاصل : وقديمة

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلى مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الي الجانب الغربى فاكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسييرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ فى استئمانه الي بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الي طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والموالاة وانما سكن اليه للعداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبا تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وعزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحاز اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربي ولما اجتمع حمدان مع الفتكين ردّه (٤٢٥) على مقدمته كما كان في أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعبر مستأمنا الي بختيار فتلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدّة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعفت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا باسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقفونه بنوائب واتصل ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاتمة الفاحشة والمسابّة المقذعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم فى صماخ فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فا كبوا عليه بالدبابيس حتى أثخنوه وكاد يتلف ثم أخذوه أسيرا لا فضل فيه فعولج وبرأ الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقى على ذلك بقية عمره ثم منّ عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعاده الى حاله فشهد معه الحرب يوم ديالي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة .

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسط والاستظهار للاتراك (٤٢٦) وأشرف الديلم على الانكسار والهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار وأحدق به وصار فى مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي تغلب يسأله الانحدار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في بعض كتبه البيت الذى كتب به عثمان الي أمير المؤمنين علىّ صلوات الله عليه :[1]

فان كنت مأ كولا فكن خير آ كل　　والا فادركني ولما أمزّق

فأما أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

(١) راجع كتاب الامامة والسياسة ١ : ٥٨

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفاها مفتتنة بالعيارين [1] فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع

وأما عضد الدولة فانه سار بعد ما ذكرتهُ من التوقف والابطاء واجتمع مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفتكين الى بغداد ﴾
﴿ وهرب أبي تغلب عنها الي الموصل ﴾

لما سمع الفتكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالخشابين مبدأه من باب الشعير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الامور وأخذوا الخفارة من الاسواق والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال : حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الي الكرخ وكان فيهم قائد يعرف بالاسود الزند لانه كان يأوى قنطرة الزند ويستطعم من حضر وهو عريان لا يتوارى فلما فشا الهرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفا ونهب وأغار وظهر منه شيطان فى مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لايرام وحريمه لايضام وظهر من حسن خلقه مع شره ولعنته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه الفواحش وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنعته فقال : ماتكرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ماتحبين . قالت : ان تبيعني . قال: أو أفعل معك خيرامن ذلك . وحملها الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي ووهب لها الف دينار . فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على خلافها وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار فى جانب أبي أحمد الموسوي فحماه وسيره الى الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها (٤٢٧) وراء ظهره وتكون حربه على ديالى .
قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرىّ في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولاحذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا لى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذبين وان يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى نقطع اليهم مفازة بنج وبنج وتلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ماننزل عليه فان طاولونا أياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامّين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفّق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا بغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديالي فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسطا بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقى وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الي بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الاتراك لكبس أبى تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب (٤٢٨) الى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد فى حصار شديد قد أحدقت به الخيول من كل وجه وذاك ان بختيار كاتب ضبّة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير المشائر وقد جرت عادته بالتبسط بان يشنّ الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الي بغيته فنهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقي ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بابي الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بني شيبان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزّت الميرة وانحسمت موادّها وثارت الرعية فنهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوقوا أو يتعيشوا وأعيت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتتبع المواطن التي يظن فيها قوتا أو بذرا أوعدة يتناول ذلك حتي انتهى به الامر الى ان ركب بنفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه .

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقي وبختيار بازائه في الغربي فلما صار بدير (٤٢٦) العاقول عبّى عسكره تعبية اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بانه برز الى ديالى ونزل عليه مستعدا للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد ان يلقى العساكر في فضاء بين ديالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريده وذلك في[1] ﴿سنة أربع وستين وثلمائة﴾

---

(١) زاد صاحب التكملة . طولب أبو محمد ابن معروف ان يستحل بيع دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابه واستعفى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابتغى فيها وجه الله) فقلد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيبان الهاشمي بعد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلعة ولا شفاعة وأن يدفع

وعبر الفتكين تلك الجسور ولم يقع في الظن انه يعبر ديالى ولا انه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبية وهيئة حتى انتهى الى قرية هناك وتراءت مواكب الفتكين وقد عبأها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به الى ان عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾
﴿ بختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾
(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبي اسحق وابن بقية زحفا بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصا على اظهار فضل وغناء وتشوقا الى اللقاء فراسلهم عضد (٤٣٠) الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على مااعتادوه من الاستبداد حتى لجّوا واستجرّهم الاتراك حتى صاروا بالبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا الحملات عليهم وأكثروا النكاية فيهم فحينئذ عرفوا الخطأ الذي ركبوه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد ان أشرفوا على الهلاك فلما

الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون درهما وللقاضي في الفروض على بابه مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم عهده بحضرة المطيع لله فتولى انشاءه أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل يومئذ وقرىء عهده في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤ أعيد ابن معروف الى قضاء القضاة وصرف ابن أم شيبان

قرب من جرة القوم وبجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم السيف في الباقي فقتل خلق منهم وألجأتهم الهزيمة الى تلك الجسور التي عقدوها على ديالي فازدحموا عليها وأرهقهم الامر فهلك منهم ومن العيارين الذين وازروهم بالقتل والغرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم وألقوا النار في خيمهم وخركاهاتهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأنفذ عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الي بختيار وذلك يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر (٤٣١) المدينة الي ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زيّ وعدّة وطواه متجاوزا الى باب الشماسية وبختيار يسير بازائه ويعسكر بحياله وأقام بموضعه الى ان بعُد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وانهم وصلوا اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرّفه على ما يحبون والتنقل معهم فبث اليه رُسله وقد كان راسله قبل ذلك ولم يزل معه بالتلطف والرفق حتى ردّه الى دار الخلافة وموطن الائمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾
﴿ من اعتزاله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾
﴿ الدولة لذلك وما تمّ من الحيلة عليه من ﴾
﴿ انتقاضه وعوده الي منزلته وحالته ﴾

لما تمّ هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبعُد في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والاتراك عليه ففكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لايصبر على ذلك ولا يحتمله له . فاتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر (٤٣٢) الرحيل الى فارس وأمر باعداد الميرة في المنازل . ووافق فى السر رؤساء الجند ان يثوروا ببختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الاتراك دونه ففعلوا ذلك وبالغوا فى الشغب والاقتراحات وبختيار صفرُ اليد لايملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا وَوافقه على مقابلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لايعدهم بما لايقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يجب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولاعرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستعفاهم من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله فى الظاهر بمقاربة القوم وتدبيرهم فاجابه : بانى لست أميراً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقبيح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به (٤٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعدهم بالنظر فى أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعي أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علما للفتنة فيفتحوا به بابا الى الفرقة وراسلهما بختيار أيضا بمثل ذلك حتى حضرا جميعا . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وانه يخلطهم بعسكره ويشملهم باحسانه وانه المتولي للامر وان بختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وانه الآن قد استعفى فاعفي وبرىء فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وانه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولان انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة وذمامه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلع سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند الفتكين بتكريت (٤٣٤) فجرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسألوه الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقدامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتال لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفأ الطائع لله الى داره ورحل الاتراك الى الشام [١]

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة وتطريتها وتجديد فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش اليه

(١) ليراجع تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي ص ١١

متلقين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة ٦٤ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه فى حديدي كان أنفذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسيّ وقد كان قبّل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسيّ وأطافت بهما الزبازب والطيارات فى الماء وسار الجيش على شاطىء دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريره . وأنفذ عضد الدولة الى خزائنه مالاً كثيراً وثياباً وفرشاً جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرّر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشذبة قد تحيفها أسباب[٤٣٥] معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغلب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائع لله بانشاء الكتب عنه الى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتعفى آثار الفتنة وتألف الشمل وكتبت وفرقت فى الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾
﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار ان يكاتبه بالاصعاد وكان متولياً البصرة ليرضى بما رضى به أبوه من خلوّ الذرع من تدبير الجند والرعية فكاتب وانفذ كتابه على يد ثقة من ثقاته يعرف بعلى بن محمد الجوهرى وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهسلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم فى جيش عضد الدولة . ولم يقع في نفس أحد أن المرزبان يمتنع ويحدث نفسه بالعصيان لصباه وصغر سنه ولان

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذى ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقي على بن محمد الجوهري فى طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبرى قد كان اصعد عن البصرة فعرّفه الصورة واستعمل فى اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب (٤٣٦) فثنى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن أتاه مكرهة ولقّنه العصيان . فلما ورد الجوهرى على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وعندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جري على أبيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكاتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبى الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض علي أبيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأنفذ قاصدين عدّة بكتب متوالية

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بلغه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الى البصرة داخلا في سوّار أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحذ بصيرته في العصيان ودخل فى وزارته ووعده الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموّه أمره في أيام بختيار فاما فى دولة عضد الدولة فما كان أبعده من أن يكون عريفا من عرفاء الرجالة ببابه فضلا عن ان يخالط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة (٤٣٧) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يُردّ الي مرتبته وعلماً بان بختيار ان عادت يده فى التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الي قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم فى الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيّب ظنه وأكذب تأميله فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختار واسطا وتكريت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فاظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على دخل (٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتعلق مع تجدد ملك عضد الدولة بذمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الى ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الى بختيار فاجابه عضد الدولة الى

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سالفة وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه فشخص اليها وكان محبوسا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وفرقت أعمال السواد على العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعي منه المعاضدة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن يصبر له على محاورته بتلك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه ان يمده بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يحب لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه (٤٣٩) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقلد الاهوازى وزارته فبني أمره على انه متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلك سبيل ارادته . وقد كان عضد الدولة عزم على انفاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصى ابن بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء فيمن أمده بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يتماسك بالبصرة وشجعه على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل في مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحى على عضد الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيحة . فرأى ان ينفذ أبا الفتح ابن العميد الي أبيه ركن الدولة متحملا (٤٤٠) رسالة عنه يصدقه فيها عما جرى ويُعلمه فيه بعده عن ممالكه وتضييعه الاموال التي أنفقها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكه وان بختيار ليس ممن تستقر بنظره دولة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيها ويسأله المدد والامساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكنا معا وقال لابى الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ للامر ونجع فيه هذا القول وأشباهه فاقتصر عليه وان رأيته مقيما على رأيه فزد في الرسالة وقل له : انى أقاطعك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف الف درهم وأبعث بختيار وأخوته اليك لتجعلهم بالخيار فان شاؤا أقاموا في أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أى البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم فى أوساط ممالكنا . ولم تتركه فى هذه الديار التى استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته (٤٤١) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدينا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من ينفع له في الوقت على يده مالا يقع موقعاً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسدّ ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحببت أن تحضر بنفسك العراق لتلي التدبير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الي الرّي فانصرفُ الى فارس كان ذلك وجها من الرأي صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسعاً فان لانَ لك وعرف صواب قولك والاّ فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجبهه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم ولكن لاسبيل الي اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار المداوة لهم فانهم لايصلحون لى أبداً ولا تنقي جيوبهم ولا تصح نياتهم وسيقابلونني بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الجبل وتنتشر كلمة أهل هذا البيت ابداً . وان أبيت أن تقبل أحدي الخصال التى عددتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هـذه الجملة فانى سأضرب أعناق هؤلاء [٤٤٢] الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لايمكنني أن أتلقي ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدبر أمره فاني أعرف نصرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابني أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمني اليه من يفرغ جميع ذلك فى أذنه من جهتك ثم اتلوه شافعا له ومتمما ومشيراً . فتقرر الامر على ذلك ونفذ فيه من جهة عضد الدولة [١] ومن جهة أبي الفتح ابن العميد أبو العباس ابن بندار وكان الامير ركن

(١) بياض في الاصل

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوهما . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الأخير منهما لم يمكنهما من تمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلي مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولا لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه) خرجت الى نصرة ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب مني مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن[٤٤٣] ملكي واخاطر بنفسي وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة ؟ أريد ان تمتن أنت عليّ بدرهمين انفقتهما عليّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع فى ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم اشفاقاً مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الري وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحُجب عن دار الامارة ورُدّ عنها أقبح رَدّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومدبراً عسكرنا وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتيني الآن فى صورة قبح تتحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده ويطمع مني فى أن ارخص له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويتهددني بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته عليّ وسوّلت لك نفسك وزارة العراق ونزهة دجلة ! ارجع

اليه على حالك فوالله لاصلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا بيدنّ عشيرتك ومن يتصل بك عن وجه الارض ولاتركنك وذلك الفاعل (يعنى ابنه) تجتهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنفسي في ثلاثمائة جمازة لا يصحبنى الا من عليها (٤٤٤) من الرجال ثم اثبتوا لى ان شئتم . وحلف ركن الدولة محلوفة : انى اذا بلغت بعض طريقي في تصدي اياكم لا يبقي معكم رجل واحد الا تلقانى وحصل عندى وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا أخص أوليائكما وأوثق عبيدكما في انفسكما وانما أتركك الآن وانت في يدي لتعود الى موضعك وتعيد رسالتي وكلامي وتنتظر صحة وعدى ووعيدي . وأمر من هذا الكلام ما هذا جملته وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من القبض عليهم رمى بنفسه عن سريره وأقبل يتمرغ ويزبّد ويمتنع من الاكل والشرب أياما ومرض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول : انى أرى أخي معز الدولة متمثلا ازائى يعض عليّ أنامله ويقول « يا أخى هكذا ضمنت لى ان تخلفنى فى أهلى وولدي ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزّا شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته وغرضه ان يجتمع معك لتدبير الامر بما تراه و[هو] يضمن ضمانا يدخل في تبعته انه يقرر الامر على رضاءك بعد ان تسمع كلامه وتمضي له بما يعمل به في هواك . فأذن له (٤٤٥) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على ان يعود ويفرج عن بختيار واخوته ويقرر الملك في أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع فى اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفد ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضدالدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلع على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلى أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تدبيره لهم وزوال هيبته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوامّ البلد والعيّارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائنهم وجميع ماوجد (٤٤٦) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾
(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابي الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوّ ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشطّ وستّارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه [1] وانه خلصه من مخاليب السبع بعد أن افترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يعارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الي ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد ربّيت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولا استطيع مفارقته ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكني [٤٤٧] أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سراً لا يطّلع عليه الاّ محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الاريب ٥ : ٣٧٣ : لأنه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالبه وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه فخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخاليب الاسد بعد الخ

وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذى القعدة وملأ عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لابد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجية ورداء في غاية الحسن والجلالة ووافي بها الى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجية عليه فاخذ الرداء منه ولبسه.

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . ولكن الغلط القبيح من أبى الفتح
كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع فى أملاك اقتناها هناك واقطاعات
حصّلها وأصول أصّلها على العود اليها . ثم التمس لقبا من السلطان وخلعا
وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد
التناء بشيراز يعرف بابى الحسين ابن أبي شجاع الارجانى من غير اختبار
له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه
وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد
الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة
أبى الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني
الذى حصله وهو ذو الكفايتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية فى
هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالعداوة (٤٤٨) وكتم ذلك في نفسه الى أن
تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .

(ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية)

كان محمد ابن بقية مستوحشاً من بختيار لما يعرف من سوء معتقده
له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد
ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه
فاصعد حينئذ وامتنّ على بختيار بانه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن
أجله فقبل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبى الفتح ابن
العميد مودة ومعاهدة .

وفي هذه السنة لُقّب أبو الحسن علي بن ركن الدولة فخر الدولة ولقب
المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبوالفتح ابن العميد ذا الكفايتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره علي تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوّق والتنفق والبذخ والتبجح وأطلق لسانه اطلاق من لا يترك للصلح موضعاً وثارت الفتن بين العامة وزالت السياسة التى أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية بالمعروف بابن [أبى] عقيل صاحب الشرطة الذى كان من قبل سبكتكين (٤٤٦) وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار (١)

وتجددت لبختيار نية فى الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة المشهد بالغرى والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب ومحمد بن عمر العلوى وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه فى يده الا ساعة من النهار حتى انتزعه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفى ضيافته لخدمه

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز على مائة الف دينار وخطب وقت العقد القاضى أبو بكر بن قريعة وذلك سنة ٦٤ . والقاضى هو محمد بن عبدالرحمن البغدادى ولاه القاضي أبوالسائب قضاء السندية وغيرها من اعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلبي توفي سنة ٣٦٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له « قد سعى بك ووافق بختيار على نكبتك » فاستوحش ابن بقية واستعد للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكوتب بختيار بالصورة فثني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم أمامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوى بالتلافى وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافى والتراضى فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له عائدا الى طاعته .

واتصل (٤٥٠) بمحمد بن بقية وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بقية الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القبيح في الكلام والهجر ومنع شذاآت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع أجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصبوب عليه حتى تأدي أمره الى اقبح صورة في الهلاك بانواع العذاب والمثلة كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .
وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصرانى ضامن الاهواز ونكبته التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العيون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فاتهمك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمتى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضاق ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي (٤٥١) وجماعة مثلهم وراسله على أيديهم بايقاع الحيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفصل الجيش عنه الذين ببغداد ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشغب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الامر فاظهر حينئذ ما في نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتثاقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما اجرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله وانفذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعاً ووصل الى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الى ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكبدار فانه استدعاهما فلما

قريبا من بغـداد طردا وبقيـا عن [٤٥٢] العسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق تكيدار بعضد الدولة . وجد محمد بن بقية فى مطالبة سهل بن بشر بالاموال وبسط عليه المكاره واستخرج منـه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة من الناس سنذكرهم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز وأنفـذه اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمـد بن بقية لانه كان استـمان بابى اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب فقضى حقهما بهذا التقليد

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السراج وعذبه حتي قتله

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقيـة علة من حرارة فقصـد منها فى اليوم الثاني فـما أمسى الا ذاهب العقل مسجي يخور خوار الثور ولا يسيغ طعاماً ولا شراباً ولا يسمع كلاماً ولا يحـير جواباً وظهرت فى فمه رغوة واختلج وجهه وعلا نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التى لارجاء معها . وقد كانت لابى نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في الامور المنكرة وضروب الشر والسعايات واعـداؤه كثيرون . وكان ابن بقية اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعى وكان في الاصل نصرانيـا من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل فى الاسـلام لشيء ظهر منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفاً ثانيـا فهرب الي بغداد واتصل بمحمد بن بقية وحظي عنده فقرب [٤٥٣] منه ورفعه من حال الى حال حتى قلده واسـطا ثم استدعاه الى بغـداد فقلده خلافته . وتولدت بينـه وبين أبى نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعى وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالا عظيمة وكتب اسماء اقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الي ابن بقية حتى شاهده في علته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان فى هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والعساكر فأشار عليه ابن السرّاج بالقبض على الجماعة قبل ان يستتروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فحذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية فى اليوم الرابع من علته بعد ان تردد اليه بختيار دفعتين فى كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الى أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عاداته . وظهر ابن الراعى صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعى منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصح من أمواله وودائعه وأثمان غلاته والمأخوذ من[٤٥٤] أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعى ثم بسطت عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومُنع الطعام حتى مات أقبح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصمة وكان واسع الحال والمعاملة فدخل فى ضمانات ضمنها وثمار ابتاعها فحصلت عليه أموال طمع فيها وشره الى كسرها . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق للايقاع بالاتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله الى عمان فلم يبق بفارس من العساكر الا شيء يسير فخلع طاهر بن الصمة الطاعة وجمع الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاساحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الاتراك السامانية يقال له يوزتمر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان ونفر منه فكاتبه طاهر ابن الصمة وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصارا يداً واحدة في الاستيلاء الا ان الامارة ليوزتمر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر انه (٤٥٦) بعثهم على الهيج فقسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالا شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو فى بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان المطهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشراة وانكفأ راجعاً الى ارجان عاملا على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليال بقين من رجب سنة ٦٤ وسار لطيته مسير السرايا لا يلوي ولا ينثني فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل

بكلّ مثلة وبالغ في القسوة اقامةً للهيبة وأسرع المسير حتى انقضّ على يوزتمر فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهزم الى البلدة وهو بمّ وتحصّن في قلعة وسطها حصينة فحاصره فيها مطهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً فتسلمه المطهر ثم أمر به فشهر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق (٤٥٦) جماعة يجرون مجراه وأنفذ يوزتمر الى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد[1] بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أسلحة تامة مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر عدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بدّاً فناصبهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبت لها ثم حملت ميمنته فأثرت فيهم وألجأتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكبّ العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطُلب فجيء به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمان منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثلثمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكينا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاشه من أبيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيبته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب . فراسل أبا الفتح ابن العميد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاشاً منه وتجنياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أبيه حتى يعود له كما

(١) وفي الاصل : على

كان وتلطف مع ذلك فى أن يجتمعا ويمهد اليه ويشهر ذلك فى ممالكه وبين (٤٥٧) وجوه الديلم والجند . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن الدولة ومن الجند أيضاً فكان يحب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدولة وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته باستيحاش عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتتمكن من النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده وممالكه وممالك بنى أخيه فيما دعاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له فى الورود عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صبياً ويشاهده الجند بحضرته ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولى عهده اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسعهم مملكة وأكثرهم مالا وعدة ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس فى خزائنه مايتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والغلمان وان لم يلاطف الجماعة باقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملانات والهدايا على الجماعة افتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر فى تلك الممالك التى طال عهدك بها وتشاهد أولئك العسكر (٤٥٨) الذين رتبتهم قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجندك وجميع حاشيتك ما أشفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التى لا بدّ لك من إقامتها بين أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح فى الاحدوثة وعند ملوك الاطراف وفيمن يأتى بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه فى أمر رأى ايحاشه به وتأديبه فيه ثم قصده يترضاه . فكوتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التى ينكرها وهو ان يقصد اصبهان فانها من أعماله وأنهض أنا من فارس فاقصده لخدمته وعيادته من مرضه ويلزمنى حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لى ولا لاحد من يصحبنى شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارنى . فتقرر الرأى على ذلك وتشمر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت العزيمة ونهض ركن الدولة مع ضعفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الامير فخر الدولة وهو ابنه علىّ وكان مؤيد الدولة فى ولايته مقيما باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة فى تلقيه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده[٤٥٦] ثم تتابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الاباء في أولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه فى دار الامارة فى الابنية التى كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة ولىّ عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة وفخر الدولة خلفاؤه فى الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من أولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان فى جملة ما خلع على الخواص من الديلم ومن يجري مجراهم الف قباء والف كساء .

وانصرف القوم وقد تقررت الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له مؤيد الدولة وفخر الدولة به وخدماه بالريحان على الرسم المعروف لهم وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضر وكتب بذلك عهد قوي وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سيء الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجنده من مكاشفة عضد الدولة فهو يحب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من الحال التي خافها (٤٦٠) وأنفذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبهان فتكلم ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط عليه ان يقلع عما يوحشه من بعد ولا يعاود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقية مقيم على خوفه وحذره ويحمل بختيار على مكاتبة سهلان بن مسافر وكان وجه عسكر فخر الدولة وحسنويه بن الحسين البرزيكاني وكان مجاوراً لاعماله ومصاهراً له ويحمله أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في منابذة أخيه عضد الدولة فترددت الرسل بينهم فتأكدت العهود بينهم واستعدوا جميعاً للمعاونة واتفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحداً منهم نائبة . وحضر كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عصمة الدولة وكنّي وأنفذت الخلع الى الجهتين ووُعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المنابذة لعضد الدولة فكثت

الخلع مع الرسل مطّرحاً لا يلبس[1] ولا يتلقب سهلان ولا يتكنى وجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة (٤٦١) أبا تغلب ابن حمدان وممين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرياسة له بعد ركن الدولة . وشرع ابن بقية فى تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة فى القاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعُظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه يلتمس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه المراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عنده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن انه ان بلغ ما يحب بالتدبير الذى دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار الهالك وهو الناجي فيظن ظناخطأ لان من سلك مسالكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه[1]

﴿ ودخلت سنة ست وستين وثلثمائة ﴾

وفى هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس لجد محمد بن بقية وبختيار فى مكاتبة الجماعة المذكورة . وكان حسنويه بن الحسين الكردى خاصة يغرّ بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لمعاونته (٤٦٢) بنفسه وأهل بيته ومن يطيعه من الاكراد وكان يحب أن يشتت الالفة ويفرق

---

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام : وفي رجب عمل مجلس الحكم فى دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

الـكاملة لان نظام أمره كان فى انتشار أمر هؤلاء الملوك

وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين لليلة بقيت من جمادي الاولى بريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نيـة المحاربة فانتهيا الى واسـط فى انسلاخ جمادى الآخرة ووقعت بينهما وبين عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنـة عمران بن شاهين وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعى بامر ابن بقية خلقا ممن كان يتهمهم فيهـم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبى قرة وكان من وجوه العمال وفيهم على بن محمد الزطي وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة يجرون مجراهم وهمّ بقتل صاعد بن ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولـكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يسئلانه الانحدار اليهما والمسـير معهما فامتنع من ذلك وترددت المـكاتبات في ذلك الى أن قرر عنده انه انما يسئل تجشم العناء للصلح والالفة فحينئذ انحدر الى واسط وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمـكاتبات تتردد في خلال ذلك (٤٦٣) بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير. فبينما هم كذلك اذ ورد خـبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضـطربت القلوب وكـتب عن الخليفة كـتاب في معـنى الدعاء الى السلم والـكف عن الحرب وانفذ الـكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة.[1] وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين « لايمكنني الجواب الا اذا مثلت بحضرتك » ولم يجب على الـكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالا . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطىء سوراب ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة فى طائفة من الجيش الى عسكر مكرم لضبطها وحفظت المعابر على المسرقان وجردت العساكر من الاعراب والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن بقية الجهد كله فى أن يقيم فابى ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصعد فيها الى مدينة السلام مجتازاً فى أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي نفذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتقض[٤٦٤] عليهم رأيهم فى لزوم شاطىء نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربق وكوتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم. واتصل ببختيار أن سلار بن باعبد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضوا عسكره وأشير عليه بالقبض عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضعفت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب باقى عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط موفوراً فيجعل الحرب فيها فمنعه ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام . وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاقته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل البلد وكسر بختيار أوانى الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضمنت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقا ضعيفا فى أسفل البلد وعلى طريق لا يصلح للعساكر عدّة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح وجمال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان جماعة من البختيارية اليه منهم سلار سرخ الذى ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف (٤٦٥) بالكاروى الاهوازي مع جيش من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السمن وصاروا بها الى الناحية المعروفه . . . (١) فعقدوا جسرا وورد عضد الدولة فعبر عليه وجميع عساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل للممانعة عن العبور ويثبتان ثبات التحيين ودلك أن من عجز عن رد بعض العساكر عن العبور والزحف فى المواضع التى يمكن فيها الممانعة كيف يثبت لجميع العساكر فى الفضاء !

وتمسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطىء النهر لان الوقت كان مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تعبية ونظام وعدّة واستظهار واحتياط وصافّهُ بختيار مصافة مضطربة وجعل الفرسان أمام الرجالة (وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج) فاستأمن سلار سرخ والحسن بن خرامذ ونبياك بن شبرك وهو من أشد

---

(١) بياض فى الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من أعمال الباسيان .

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس بادية بنى أسد فى ميسرة بختيار فاستأمن وانهزم جيش بختيار وتبعهم الاعراب والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر (٤٦٦) واستأمن تحت السيف خلق وانهزم القلّ يطلبون الجسر الذى وصفناه فترق أكثرهم بالمضايقة والمزاحمة . وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلا واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التقوا بمطارا وكان بختيار التى سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزوبينات فاما أخوه وابن بقية وجماعة من كبار قواده فانهم وردوا الحويزة نصف الليل فى نحو خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الالف على صورة قبيحة من الاختلال ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع بختيار . وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزانته وخزانة بختيار وعُدة كانت معه الى المأمونية التى بازاء سوق الاهواز وعول فى حفظه على بعض بنى أسد فنهب جميعه .

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن بختيار الى أبيه من الابلة وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى الابلة فى الماء بعد أن تأثثوا وتزودوا الى واسط . وصادف بختيار وابن بقية البصرة مفتتنة بالحروب بين ربيعة ومضر [1] فان مضر كانت (٤٦٧) داخلة فى طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فاقامت على طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغنة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهبت البضائع [1] ودخل ابن بقية الى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفساداً وأحرق بعض خطط المضريين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة الى واسط فيحصل بها فيفوتهم الهرب ان أرادوه فاصعدوا فى الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين فى عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتطاول بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها للوصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه فاداموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم الى واسط .

وفى هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بابيه فى الشذاآت والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

ظهرت مضر على (٤٦٨) ربيعة وضعفت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذم مشورته وندم على

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن على بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في الف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لعضدالدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام بواسط أو ببغداد ولحقتني المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثلم ولم ينكب فلم يتعذر على ان أغلب على غيرها فابيتَ الا اخراجي من جميع نعمتي ومملكتي وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل ما نالك وأعظم منه فيما يكون وعليّ أن أصلح أمورك وأبذل نفسي دونك ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والاتراك واستدعى كراعا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخركاهات وصار اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامة فصار في عسكر قوى . ووردت عليه كتب حسنويه بن الحسين الكردى يغره غرورا ثانيا ويعتذر اليه في(٤٦٩) التأخر عنه ويعده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المكاتبة بينه وبين فخر الدولة على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت له بواسط فتاثث منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلع حتى مالوا اليه وآثروه على بختيار

﴿ ذكر بلوى بلي بها بختيار في تلك الحال ﴾
﴿ حتى أسلم بقية ملكه ﴾

من عجائب ما اتفق على بختيار في تلك الحال انه كان أسر له في الوقعة بالاهواز غلام تركي يعرف بياتكين لم يكن من قبل يميل اليه ولا تظهر منه محبة له فجن عليه جنونا وتسلي عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع الى النحيب والشهيق والعويل واحتجب عن الناس اخلادا الى البكاء وتضجر بالجيش وتبرّم بحضورهم وأطّرح التدبير وزعم ان فجيعته بهذا الغلام فوق فجيعته بالملكة والانسلاخ منها ومن النعمة . ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما فى نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه بهذا [٤٧٠] الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس فى الدست ومن استعمال التمهد بالمخاد وما أشبه ذلك فخف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون : دبر أنت أمورنا فانا معك ومطيعوك . فاستهان به ابن بقية واستعجزه وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار فانه أسقط التجمل فى أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد الدولة والحرب قائمة بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يسئله رد هذا الغلام عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاونته فيما رغب فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحةً فى العساكر والامصار وعابه الاقارب والاباعد . فما ارعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى رسولا اليه فى هذا الباب وبذل له على يده فى فدية الغلام جاريتين عوادتين محسنتين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير فى الحذق والبراعة وقد كان أبو تغلب ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فابى ان يبيعها . وقال له : ان وقف عليه الامر فى هذا الفداء فزد أبدا ولا تفكر فى شيء مما بينى وبينه فقد رضيت [٤٧١] ان آخذه وأمضى الى أقصى الارض وأسلم اليه ما فى يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقائه المأسورين يوم الوقعة ولم ير له فضل ولا ميّز من بينهم وأنفذوا الى شيرزاد هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أديت الرسالة وعرف الملك ماعند بختيار من الفجيعة به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته فرُدَّ ثم أعاد أبا أحمد الموسوى بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن أردشير الكاتب رسولا وأعلمه انه مجيب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك الى بعشه على الطاعة وحمّله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها الى بختيار سرا عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امتثلا الامر وطويا عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن بقية استيحاشا شديدا واتهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا من الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا ومكاشفة بختيار وان يظهر العصيان . وكان نازلا من واسط فى الجانب الغربى ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به [٤٧٢] وبختيار في الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته ويموله كما يدال من لا أمر له وعمل على ان يراسله باعتزال التدبير وان يصعد الى بغداد ويخلي بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان ذلك ممكنا منه لو أمضاه فعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الي رأيه ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ ذكر السبب فى قبض بختيار على ابن بقية ﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه

وكان نقيا خاملا فتقدم عنده الى ان استحجبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطّلع على الحال التى عليها ابن بقية من التنكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانتهازا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار : انى أخاف شغب الجند وان يستنقذوه من يدى ويطالبونى بالاموال . فتضمن له الا يجرى شيء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه فى كثرتها وفى ان تسفر الحال فى القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذلك طريقا الى انعطافه وصلاح رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيرا بعده (٤٧٣) وان يقر الكتّاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت [النصرانى] من محبسه فيردّ اليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آزاذرويه عليها فاستصوبها وكان فى ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد فى خزانة شرابه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها لسماط يتخذه للجند .

فلما كان وقت العصر من ذى الحجة سنة ٣٦٦ عبر ابن بقية فى زبزبه الى بختيار فوجه فى الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعى بقتله فى الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووُجد فى حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكرامي وكان صادره ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الراعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بقية وطالبوا بأموالهم وعرّضوا بذكره والتأسف عليه فهمّ[٤٧٤] بختيار بقتله فى الوقت فلما تفرق الجند عنه أنفذه في الليل مقيداً الى بغداد موكلا به وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بقية على الرسم فى خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيبان ثم الى بنى عقيل وأقاموا فى الباديه

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾

كان قبضه على ابن بقية قبل ردّه أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنفذهما وأنفذ الجاريتين ليفتدى بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوى على ان يبذل جميع ملكه ان دعته الى ذلك حاجة . فجرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوارت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عادت اليه وهمّ بالعود[٤٧٥] الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه فى اللوم والتقريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه فى نحو ألف فارس ووردت
كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسط على مباينة عضد
الدولة . فاتصل ذلك به وانه نقض الشرط فبادر برسله الى أبى أحمد النقيب
[العلوى] يرسم له ان يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن
واسط ويتمسك بالشرائط التى شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك
فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم
سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان
تكون الحرب ببغداد لان أبا تغلب ابن حمدان صائر اليه لمعاونته وسألهما
الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأى فيه وقد كانا اطلعا على حديث
هذا الغلام فكتبا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل
عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمم
والحياء . وتلوم بختيار فى طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوى وبهرام بن
أردشير (٤٧٦) ومعهما بايتكين فسلماه اليه فتمم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهرا التبلح فى المطالبة بعد
مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاربين
فكتبت وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع فى أن يخطب الوزارة ويبذل
لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححها من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن
البقايا فى النواحى وان يردّ الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر
فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا
واجتمعوا الى بختيار وأعلموه انه انما يحتال عما يبذله للخلاص وان يتمكن
من الانسلال ثم يثير الفتن التى لا تتلافى

وفى هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالري

﴿ ذكر السبب فى ذلك[١] ﴾

﴿ [٤٧٧]ودخلت سنة سبع وستين وثلمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعى ﴾

(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار فى تسليم ابن بقية اليه ليحمله الى عضد الدولة ويعوضه عنه مالا من خزانته واتصل ذلك بهؤلاء القوم أعنى القواد فحضروا عند بختيار وأقاموا فى نفسه انه ان سلمه اليه صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدوٌّ من قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأي على سمله وتسليمه مسمولا . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧ وجدّ أبو اسحق ابن معز الدولة فى إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعى به لشيء كان فى نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره[٤٧٨] الناس فسمل أيضا

وتَرجح الرأى ببختيار بين الدخول فى طاعة عضد الدولة وبين المقام على معصيته ومحاربته وكان الرسولان مع جماعة من نصحائه يشيرون عليه بطريق السلامة ويعرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) بياض فى الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٥٦ — ٣٥٨

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل فى الطاعة وحلف عليها وأعطى صفقة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربى على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه ورايانه اسم عضد الدولة ويقيم الخطبة له فى أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه آيساً منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلا على ان يقيم فى كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشترط عليه شروطاً كثيرة كان فيها الا ينابذ أبا تغلب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز فى أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته (٤٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه يسلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن حمدان وعمل على لقائه ومحاربته ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكّره أمر نفسه ووعده بأموال ابنى ناصر الدولة وما جمعه فى القلاع وما خلّفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلابس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويثق بعصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فعاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحلف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزماها ودخلا فيها . فلما صار بتكريت صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويبذل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لايستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان فى عنقه [٤٨٠] من اليمين الغموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يعاوده ويستمين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمّي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد فى أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالبين عنده بثار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لايدخل بختيار فى ذلك لئلا يحنث فى يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار فى المخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعاده الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار فى يده على رسمه فى ضعف العزيمة ولين العريكة فقُبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس فى قلعة وهرب ابنه المكنى

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعه واجتهد وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتعاهدا فلما فرغا من الاستعداد انحدرا من الموصل وكانت عدّة أصناف(٤٨١) الرجال مهما خمسة وعشرين ألف رجل . وبلغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً بيوم فبرز عن مدينة السلام فى جيوشه المنصورة وقدّم مقدّمته مع أبى القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت . وكان أولئك أنفذوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .

وفى هذا الوقت قتل ابن بقية وصلب ببغداد

﴿ ذكر الحال فى ذلك ﴾

كان حمل مسمولا على ماذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية فتقدّم بأن يشهر في العسكر على جمل ثم طولب بالمال فلم يذعن بشىء منه فطُرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضريت عليه فقتلته شر قتلة وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربى فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقى فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع

وبين عضد الدولة بقصر الجص (٤٨٢)

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يتفرقوا بعد عبور النهر المعروف بالاسحاقي ويأخذوا فى عدّة وجوه الى بغداد فسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان يتفرقوا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله فى جيش كثيف ببغداد والتقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول فى الاسر أو القتل فلما تحققت الهزيمة ظفر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لايعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلت وأراد ان يثني عليه فتعرّف اليه باسمه واستأسر له وقال : احملني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركى آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألحّ عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاه فى بعضها (٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصّر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتى عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل فى هذه الوقعة خلق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغلب ضربة فى منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تلعة بالقرب فوقف عليها وكان دبّر عسكره بأن يلقوا كراديس فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتعب عاد وحمل كردوس آخر وغرّه كثرة القوم وكان بختيار عبّى خيله تعبية الديلم ليلقى بنفسه ويباشر الحرب وتلحقه المعونة من كل وجه فجرى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهروان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدّث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا (٤٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عضد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه وانفضّ ذلك الجمع

فأما عضد الدلة فانه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمم المسير الى الموصل فلكها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب انه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا الغلات والميرة وسائر الاموال والذخائر الى قلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوّهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيأ غير ما عند الرعية فيضطرون الى الملوفات والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضّون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يعرفها الغرباء من العساكر فيأخذون

بغالهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فاذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلدىّ ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوهم للضرورة التى ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتابها الموجودين(٤٨٥) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نوائب نابته وقتل هنالك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفى هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لخمس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد (١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : خلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين بيده أحدهما مفضض على رسم الامراء والآخر مذهب على رسم ولاة العهود ولم يعقد هذا اللواء الثانى لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بحضرته فقرأ بحضرته ولم تجر العادة بذلك انما كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدى اليك فاعمل به .

الثانى عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الي عضد الدولة في التماس الصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وانه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابى محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى (٤٨٦) أملاكهم باوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا ومُلكًا فلما صار جميع ذلك فى قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطلب أبو تغلب وأسريت اليه السرايا فلم يمكنه المطاولة ولا ان يسير بسيرته التى حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان فى جملة من انهزم معه المرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افترقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والاتراك المرسومين بهم فانهم ساروا الى دمشق لائذين بالفتكين المعزي وهو الذى حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه مسير أولاد مولاه وحرمه وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد فى عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجرى الامر بالضد وذلك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لعساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهابهُ العرب وطار اسمه هناك. فلما صار اليه هؤلاء المنهزمون قصدته عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فسار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب (٤٨٧) والمقارعة فحين توافت الفرقتان استأمن المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتكين وكثروه بمددهم فانهزم وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر. ووقع الطلب على الفتكين فلحقه المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الاتراك الذين معه على طول الممارسة بأساً وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولاءه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم [١]

وأما أبو تغلب فانه أقام بميافارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقا بأسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميافارقين وهي مغلقة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميافارقين لمنازلتها وافتتاحها. واتصل بعضد الدولة مخالفة (٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذه ما أخذ منها فنهض من الموصل

(١) اراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ ـ ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آزاذرويه وبقايا الغلمان المعزية والغلمان السيفية فعاد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والعُدّة

وسلك أبو تغلب فى هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة فى أثره أبا حرب طُغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب الطريق وتعسف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكوتب طغان باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير فى عسكر مددا له فسار خلفهُ فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد الرومى [1] وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان وَرْد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجىء اليه

واتفق لابى تغلب ان كان مسيره فى مضايق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجناية جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبى تغلب)
(والظفر به وبمن معه [٤٨٩])

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبى تغلب

(١) هو المعروف بالسقلاروس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هى ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذى أخرجه من القلعة وانه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين يخف محمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التى وصفت لهم انها محمولة من القلعة فحمل الاتراك وفرسان العسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين الى غنيمة تلك الاموال. فناداهم أبو سعد بهرام: يا فتيان العسكر احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا. وكرر ذلك وتابعه فانكسر القوم فتتروا فى الطلب ونظر اليهم أعداؤهم منخزلين وهم لا يعرفون السبب فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير. وضرب طغان ضربات تعطّل منها كثير من أعضائه وأفلت مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر.

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وابا سعد أمن وصار الى حصن زياد وأقام. وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد [1] فشغل عنه بنفسه وأنفذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعا على حرب خصومه فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره. ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن تلقاه فأنفذ (٤٩٠) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكى في تاريخه (ونسخته موجودة فى كتبخانة باريس: ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس عن أبى تغلب بنفسه وأنفذ اليه الخ

بحصن زياد ينتظر فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد[1] واتصل ذلك بأبى تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميافارقين

﴿ شرح الحال في ميافارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميافارقين طالبا لابى تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن في المدينة . فاقتضى الرأى عند أبي الوفاء ان كر الى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون القاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ الى ميافارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البردُ عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنيقات فثبت لها وقابلها بمنجنيقات مثلها ورماهم بالنار والحجارة وهو فى خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأمن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل مشهور ليس (٤٩١) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس[2] فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا ان ذلك يوم الاحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الازرق الفارقي صاحب تاريخ ميافارقين : كانت ميافارقين من سنة ٣٣٣ تحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هـذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوّعة وحمـلة السلاح على الثبات والمدافعة فكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا العناد . وكان يصعـد الى برج من أبراج السـور فينادى العسكر ويسمى القواد وصاحب العسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ فى ذكرهم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبة شيخ من ميافارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله [1]

﴿ ذكر الحيلة التى تمت لابي الوفاء فى فتح ميافارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمـد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما فى ضيعة له فراسله به ورفق بالغلام ووصله ثم جعله وليجة الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فنمى خبره الى القاضى الذى ذكرناه فسعى في القتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمرهُ يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استظهر بهم . [2] فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين [492] على أصحاب أبى تغلب

الى ان مات ومات بعـده القاضي وولى موضـعه أبو الحسـين محمد بن على بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف ببيت ابن أبي ادريس

(١) وقال أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميافارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة ومعه جماعـة من الناس فشـكوا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وأين صبركم وجلدكم وبعـد ما أكلتم الـكلاب ولا أكلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله علي القاضي ابن أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميافارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق المنادمة التى تليق بمثله يعرف بابن الطبرى فساعد القاضى على سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمدانى يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهدده متى أخرها وساعدته الجماعة على ذلك فانفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه ماعمله ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فآمنه واستثنى بهذا القاضى وبالمعروف بابن الطبرى وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب فى قطعة من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم أموالا وتصدق على ضعفائهم بأمر عضد الدولة اياه. وحمل الى حضرته القاضي وابن الطبرى فأمر بضرب رقبهما وصلبهما من السور على البرج الذى كان يظهر منه ويسيء أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أنفذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتتاحها فتعذرت عليه لحصانتها ووثاقة سورها الذي هو أشد من سور ميافارقين فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما [٤٩٣] ذكرنا وظن انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميافارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنفذ أخواته سوى جميلة مستأمنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتأثوا عليه فهرب الى الرحبة ومعه أخته جميلة ومن يمسه أمره من حرمه . وقعد عنه المعروف

باجوتكين وهو من نجباء الأتراك المعروفين بالشدة والثبات فى المعارك وله قوة على حملات له ثقيل يعجز عنه غيره واذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الأتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين اليه ثم تتابع الناس الذين كانوا مع أبى تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والاتباع. وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبى تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سلماً وطوعا.

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب فى الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب فى البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقعيدى وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة (٤٩٤) وأقام بها على انتظار الجواب. فورد أبو عبد الله وسلامة البرقعيدى الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعا وفضلا على ان يطأ بساطه ويدخل فى ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذاك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أحداً من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بعصمة باطنة اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه مما أعاد الجواب عليه. فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمر على غير استئذان فأنفذ خلفه من يتبعه فشعث سواده ولم يلحقه فى نفسه فنجا وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿ فتح ديار مضر ﴾

كان الوالى عليها سلامة البرقعيدى فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه(٤٩٥) وتعلق منه بعصمة فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفى منها الرقة وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما فى يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فتفرغ لفتح قلاع أبى تغلب وهذه القلاع هي في جانب دجلة الشرقى وهى عدة كثيرة فمنها أردمشت ومنها الشعبانى وقلعة اهرور وقلعة مليصى وقلعة برقي وكانت أردمشت خاصة مملوءة بالامتعة الفاخرة من أصناف الثياب والفرش والجواهر والصياغات والحلي وسائر أصناف العدد وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الاكراد بينه وبينه قربى من جهة والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فانفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازلة القلعة والاحتيال فى فتحها وأنفذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعبانى وأنفذ صاحبا لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى اهرور فعرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه الكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة[٤٩٦] ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلال أمر أبى تغلب ووقوع اليأس منه وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبى العلاء فرغبوا فى الخدمة وصاروا على ثقة مما وُعدوا به ثم حُملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع فى عود صاحبه ويحب أن تظهر أمانته عنده ففعل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكّموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصلت القلعة بما فيها[١] وظهرت نجابة أبى العلاء واجتهاده وحسن تلطفه وكان قيمة ما فى القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزانة) ومع ما يباع وتبقية ما يبقى فى القلعة نحو عشرين الف الف درهم

قال صاحب هذا الكتاب: كان عضد الدولة أمرنى أن أصير مع خواشاذه[٢] الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلّم طاشتم مقيدا وأحمله على بغل بإكاف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلع والدواب والمراكب التى حملوا عليها وبين أيديهم البدَر والثياب التى حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتنعة التى لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ليراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

(٢) وفي خواشاذه هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن المحسن الصابي : حدثنى خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعنى بغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان مثل شيراز

فى مثلها [٤٩٧] فقعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القلاع .
وجرت أحوال يطول شرحها الا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التى كان فيها طاشتم
فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبى تغلب وقوة عضد الدولة
وسلموا القلاع بعد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا فى طريقى حصافة واقبالا على الصلوات
ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألنى فى الطريق المعونة
وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
القلاع على ما وصفت نُبتُّ عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرّفتهُ
سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب
اصطناعه . فقلتُ : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا ثم تقرب به الينا غيره فان وقع
احسان اليه سوّينا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيّات من
يخدمنا فى أعدائنا وظنوا انا لا نميّز فى الاحسان بين الولى والعدو وبين
المجيب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وان بلغ أصحابها
المتنعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل
عاقبة هذا بعد حصولهم [٤٩٨] فى أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم
ان سلموا . ثم قال : ولان لى فيه رأيا وهو ان أنفذه الى صاحبه أبى تغلب
فانه سيُموّه على صاحب مصر به وبقلعته ويدّعي انها فى يده وفيها ذخائره
وثقاته وان ماله في هذه القلاع يفي بمؤونته ان أمدّ بالرجال ولا تزال
مخاريقه مشتبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وانه طريد سيوفنا وانما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت انه صواب في سياسة الوقت وان معارضته فيه خطأ فأمسكت .
وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسييره الى صاحبه مقيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يسئلني المصير الى محبسه فصرت اليه تذمما فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قلقا فقلتُ : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنني على نفسي وأراهُ الآن قد بذلني لمن لا يبقى عليّ . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته فى الامان الذى معه فحملت نفسى على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنته على نفسه منى والا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولستُ أضمن الا يصيبه صاحبه بمكروه . وتبرأ مما يجرى عليه من صاحبه وتقدم (٤٩٩) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقّاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الا ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر مادبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾
﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهذيب المعاملات وترتيب العمال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذى القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله فى تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخوّاص والعوام ودخل يوم الاحد لليلة خلت من ذى الحجة واجتاز فى الجانب الغربى على تعبية من الجيش وبعد ان ضُربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذى

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقرّ فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لعضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدبادب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على (٥٠٠) قديم الايام وحديثها (١)

﴿ ودخلت سنة تسع وستين وثلثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ لسقلاروس الرومي المعروف بورد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عضد الدولة مستنصرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة (٢) ولما كان الملكان الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدبادب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قلت : وماذاك الا لضعف أمر الخلافة .

(٢) قال يحيي بن سعيد الانطاكي : وأما السقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الي ديار بكر وأنفذ اخاه قسطنطين الي عضد الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة ويذل له الطاعة والموالاة وتطاول مقامه وانتهى الى الملك باسيل حاله فانفذ الى عضد الدولة كاتبا له وجيها يسمى نقفور ويعرف بالاورانوس (وهو الذى باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على السقلاروس ما شرع فيه مع عضد الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عضد الدولة بما يبذله له فيه وبعده اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أنفذا رسولا وجيها الى عضد الدولة لنقض ماشرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان فى التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انسلخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط. وهو من مآثر عضد الدولة

وفيها توفى عمران بن شاهين صاحب البطيحة فجأة يوم الخميس لثلث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب فى غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاظت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد أربعين سنة وأنفقت على حروبه الحرائب وبعد ان أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو بابتياعه وابتياع من معه من الروم ويضمن له انه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بميافارقين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فاظهر عضد الدولة الانكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقديرا ثلاثمائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خليت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقه وتجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبا له يعرف بابن شهرام فى معني السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالاة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر يسلم اليه حصونا مما افتتحه الروم وانتزعوه من أيدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يمد السقلاروس بالعساكر ويعضده على ما التمسه منه فأعلمه باسيل الملك قلة عنايته به وان ذلك مما ينزعج منه . ورقي الي عضد الدولة أن نقفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه وبعينه ليكفي صاحبه أمره فوكل به أيضاً واعتقل فقبض على جميع ما ورد معه من المال والمتاع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقى جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الي ان صدر أيام ولده صمصام الدولة وانتهى امرهم الى ما سنشرحه مستأنفاً .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصّن الساحة محمى من غوائلهم ومكايدهم فلما أطرقهُ [۵۰۱] الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر

وفيها جرّد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم على بن جعفر الواذارى وضم اليه أبا العلاء النصرانى لطلب بنى شيبان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هذه القبيلة أعنى بنى شيبان مستعصين قد تعودوا النهب والغارة والتلصص وأعيت الحيلة فى طلبهم وذاك ان لهم خيولا جيادا يعولون عليها في الهرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ فى الليلة الواحدة ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه المسافة البعيدة وكذلك يصبحون فى مكان ويمسون منه علي مثل ذلك ولا يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف [۱]

وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها مصاهرات وأذمّة وشهرزور هذه لم تزل ممتنعة على السلطان لا يذعن أهلها لحصانة المدينة ولانهم فى أنفسهم عتاة ذوو باس وجلد . فاراد عضد الدولة أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بني شيبان وأكرادها فاتفق شخوص أبى القاسم الواذارى وهو عقيب علة طالت علية ولحقته نكسة فى طريقه فمات وورد خبره على عضد الدوله وكاتب أبا العلاء وأقامه مقامه وأمره باستكمال الخدمة فيماتوخاه . ففعل ووفى وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض نهوضا كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على ظاهرها فتحت له فدخلها فى عدة يسيرة على موادعة لاهلها وقبول [۵۰۲]

(۱) بياض بالاصل

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيبان في البر مصمدين الي نواحي الزوابي على رسمهم فى الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفر بهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الحيل والمكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يعجل مع ذلك حتى قربوا باحيائهم منه فاسري حينئذ اليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم وذراريهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وثمانمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس لثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الاسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أولئك الذين نجوا منهم فى الاطراف البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيها قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضى القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس [1] واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أرباع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفى في رمضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا انه حنفي ولي القضاء بعسكر المهدى

محمد بن عبد الله (٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرّم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزى وصير خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حدّ المخرّم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني (١) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التى

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمى أبو بكر الخطيب أباه عبد الرحمن وانما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبائى خبيرا بالتفسير وله كتاب فى الرد على اليهود وكتاب عمدة الادلة وكتاب التفسير وما أتمه . وأما الخرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضى القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في صحبة السلطان عضد الدولة وتوفى سنة ٣٩١

وقال أيضا ان أبا هاشم الجبائى هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي على البصرى كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوى : اجتمعت مع أبي هاشم فالقى عليّ ثمانين مسئلة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولابى هاشم تصانيف وتلامذة وكان يصرح بخلق القران كأبيه ويقول بخلود الفاسق في النار وان التوبة لاتصح مع الاصرار عليها وكذا لاتصح مع العجز عن الفعل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكره ثم تابا لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وليراجع ما قال فيه أبو سعد السمعاني فى كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة فى ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن التنوخي : قال لى أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أنفق على أهل العلم مائة الف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . وانه جمع له فيسنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ ·

تعرف بالشرقية وهى على غربى دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحى السواد على هذه الحصص بينهم

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة . بالرملة

﴿ ذكر شرح الحال فى قتله وحرقه ﴾

كنا قد ذكرنا خبره فى توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادى هناك من بنى كلاب وغيرهم بمعارضته فى مسيره وأخذه وحمله الى حضرته فاستوحش وعدل عن نهج الطريق وأوغل فى البرية فنالته مشقة عظيمة ووصل الى دمشق من ورائها فوجد فيها من اهرا رجلا يقال له قسّام [1] قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل في ظاهرها وأنفذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب النجدة. ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب (٥٠٤) قسام هذا ثورة فرحل الى موضع يقال له نُوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الغطريف مستأمنا الى عضد الدولة وعيّد عيد الفطر بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان صاحب المغرب تقبله ووعدهُ بكل ما أحبه وانه التمس منه ان يسير اليه زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما . فرحل عن نُوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمنا الى عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له الفضل الى دمشق ليحتال على قسام ويفتتح البلاد فصار الى طبرية وقرُب

(١) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسى ص ٢٢ — ٢١

من أبي تغلب وتراسلا فى الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وتفاوضا فى الموكب ووعده عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . فكره ذلك للنفرة التى كانت جرت بينه وبين قسام لئلا يوحشه وكان يسلك فى أمره اللطاف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فافترقا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتمّ له ما قدّره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المفرّج بن الجرّاح الطائى وهو رجل بدوى استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفحل أمرهُ وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عُقَيل المقيمة بالشام ليواقعها (٥٠٥) ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسألته نصرتها ومتّت اليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الاّ يفعل ذلك ومتّ اليه بالحلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكافّ الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمتثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل فى جوار عقيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فاوحش ذلك ابن الجرّاح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بنى عقيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كتُب كاتبه اليه بالتسويف والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عقيل وذلك فى المحرم سنة ٣٦٩ فهرب ابن الجراح والفضل من بين يديه حتى بعد وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاته وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما اسختكين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقعت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خلت من صفر [٥٠٦] سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهزمت فضعف [(١)] أمر أبي تغلب وفارقه اسختكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة وعاد باقي المستأمنة من المصريين الى الفضل والى ابن الجرّاح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانه الحمدانية فانهزم وانهزموا ولحقهم الطالب فثنوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالمكافحة والمجالدة فضرب بعض الصعاليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانه وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] في يد ابن الجراح فبكّر مرتحلا باحيائه وعسكره وسيّره بين يديه على ناقة وقد شدّ رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبقى فبلغ ذلك الفضل فبكر ليأخذه من يد ابن الجراح فالفاه قد سار فاتبعه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلمه منه ويصير به الى مصر فيجري معه مجرى الفتكين في اصطناع صاحب المغرب له واستصحابه اياه وقد وتره بالحرب والاسر وأناخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند ممانعته عن نفسه فأطنّها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وأنفذه الى مصر ثم صلب جثته ثم أحرقت .

---

(١) في الاصل « فضعفت »

وقد كان خلف أختهُ جميلة وزوجته وهى بنت سيف الدولة [٥٠٧] فى احياء بنى عقيل فلما قُتل حملوها [١] مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الى أبي الوفاء فكانت فى يده الى ان انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة فى الدار فى بعض حجرها مع جوارى عضد الدولة ونسائه . [٢]

﴿ ذكر تلافي بغداد بالعمارة بعد الخراب ﴾

وفى هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخرب البعض فهى تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا فى نهاية الخراب فانفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على أحكام وشيدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بادرار ارزاق قوّامها ومؤذنيها والائمة والقرّاء فيها واقامة الجرايات لمن

---

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٦ ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعها أخواها ابراهيم وهبة الله فضرب بحجها المثل فانها استصحبت أربعمائة جمل وكان معها عدة محامل لم يعلم في أيها كانت وكسب المجاورين ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج (كذا قال أبو منصور الثعالبي فمن أين لها ثلج ؟) وقتل أخوها الواحد في الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت المجاورين بالاموال . قال أبو منصور الثعالبي : خلعت على طبقات الناس خمسين الف ثوب وكان بها أربعمائة عمارية لا يدرى في أيها كانت ثم ضرب الدهر ضرباته واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها افضت بها الحال الى كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطبها فامتنعت ترفعا عليه فحقد عليها وما زال يعنف بها حتي عراها وهتكها ثم ألزمها ان تختلف الى دار القحاب فتكتسب ما تؤديه في المصادرة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها في دجلة .

يأوى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهملا لا يُفكر فيه . ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباض المختلة وأعاد وقوفها وعوّل فى هذه المصالح على عمّال ثقات أشرف عليها نقيب العلويّين ثم الزم أرباب العقارات التى احترقت ودثرت فى أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها فى العمارة وفى الحسن والزينة فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرتجع منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت بغداد [٥٠٨] وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التتبع على الدور والمساكن التى على جانبى دجلة فبنيت مسنآتها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والحاشية ان يجتهد فى عمارتها وتحسينها . وكان السبب فى خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبى الفضل العباس بن الحسين الشيرازى التى كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد فى الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجربة مملوءا بالنخل والاشجار والرياحين والانوار وطرائف الغروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليلة التى لا يمكن أو يصعب اعادتها . فأمر عضد الدوله برفع سنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد ففعل ذلك فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

الكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الغروس من فارس وسائر البلاد .

وكان ببغداد أنهار كثيرة مثل نهر العبازة ونهر مسجد الانباريين ونهر البزازين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة (٥٠٩) والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها مرافق للناس لسقى البساتين ولشرب الشفة فى الاطراف البعيدة من دجلة فاندفنت مجاريها وعفت رسومها ونشأ قرن بعده قرن من الناس لا يعرفونها واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكلفوا حمل الماء من دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها وقل الفكر فيها فربما انقطعت بها السبل أصلا وربما عمرتها الرعية عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجية فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت كلها جديدة وثيقة وعملت عملا محكما . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه وتزاحم الناس عليه فاختيرت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحصّن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس .

فأما مصالح السواد فانها قلدت الامناء ووقع الابتداء بذلك فى السنة المتقدمة لهذه التى نحن فى ذكرها فثبت الزيادات وجمت العدد من القصب والتراب وأصناف الآلات (٥١٠) وأعيد كثير من قناطر أفواه الانهار والمغايض والآجرّ والنورة والجصّ وطولب الرعية بالعمارة مطالبة

رفيقة واحتيط عليهم بالتتبع والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية وأخر افتتاح الخراج الى النيروز المتضدي [1] وكان يؤخذ سالما قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعديل ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبائح وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مناهل الطريق وأحفرت الآبار واستفيضت الينابع . وحملت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوي الفاقة وأدرّت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالغري والحائر على ساكنيهما السلام وبمقابر قريش فاشترك الناس في الزيارات والمصليات بعد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعنوا وتواثقوا

---

(١) قال صاحب كتاب العيون أنه في سنة ٢٧٩ أحدث المتضد النوروز الذي يقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران

وفى تأخر الخراج قال أبو هلال العسكرى في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في كتبخانة بارس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخر النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر بالناس افتتاح الخراج والزرع أخضر وهم يقرضون ويستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس الصولى فوقع العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فكتب الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ (وردت القصة في ارشاد الاريب ٢ ـ ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الحديدة وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطولب به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم المتوكل فلم يعمل به حتى ولى المتضد . فوقع حسابه فى اليوم الحادى عشر من حزيران فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وانما احتذى المتضد بالله ما فعله المتوكل الا أنه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

وخرست الالسن التى كانت تجر الجرائر وتشب النوائر بما أظلها من السلطان القاهر والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسابين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التى يختص بها الحجاب فكانوا (٥١١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم (١) فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ورغب الاحداث في التأدب والشيوخ فى التأديب وانبعثت القرائح ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفى غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقرائهم .

وكنا بعرض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذى

(١) ويشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة أن المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) أنه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشماسية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تقدير جميع ما أراده للقصر فسئل عما يريد ذلك له فذكر انه يريده ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليها الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا لظاهر فضل هذه الامة على جميع الامم

لا يدفع وانما شرحناها لينظر فيها من يأتى بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسيرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكّن لهم ويحسن معونتهم فلو لا خلال كانت فى عضد الدولة يسيرة لا استحسن ذكرها مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح ويغفر له ما وراء ذلك .

وفى هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والتاث عليه أمره فقتل نفسه .

﴿ ذكر شرح الحال فى قتل المطهر نفسه ﴾

لما توفى عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة (٥١٢) من الاعداء الكبار وقتل بختيار وأبو تغلب وملك ديارهم ورجالهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره النبط مستعصية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالقصب والغياض والآجام ولا يستأصله فعرّض فى مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأى على انفاذ المطهر فجرد معه عسكرا فيه أصناف من الرجال وأزاح علته فى السلاح والاموال والعدد والآلات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفى وكان فى هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فخلع على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدبير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصبهانى وذلك لدربته لا لصناعتـه ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسـطة بين عضـد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما ينفذونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريونى من أعمال الجامدة شاور الناس ومحض الرأى فتقرر الامر على تدبير فاسد قد كان جربه من درج قبـله مرارا فلم ينتفع به وهو ايقاع السـدود على أفواه الانهار لتنشف البطيحة التى يلجأ اليها [٥١٣] عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معاقلهم فأطلقت فى ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك فى دجـلة وبطل ارتفاع السكار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود . وتوصـل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثقها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سـدّ جانبا انثلمت عليـه جوانب واذا حفظ وجها أتاه الخلل من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة فى الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابرة قط ولا مطاولة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوي بمراسلة تجرى بينه وبين صاحب البطيحـة وهدايا وملاطفات فى السر منـه وانه يطلعه على أسرار التدبير عليه ويهديه الى مصالحـه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسـة والخشـنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس فى نفسـه خيفة واستشعر وحشـة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليـه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء يجد مساغا للطعن عليه واظهار

مساويه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة فى المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان جلس فى مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس [٥١٤] مسلمين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شداد الفصد واستنزف دمه الى أن يتلف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه فى مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دستة الذى كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتوافي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم [١] انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة فى هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلده بكازرين من أعمال فارس فدفن هناك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونسئل الله التوفيق والعصمة والستر الجميل برحمته .

وأنفذ عضد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر فى العاجل من حمل مال

(١) لعله سقط «منه»

وموادعة له الى أن ينظر فى أمره وكان ذلك عقيب عوده من الايقاع ببنى شيبان (٥١٥) فانحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة

وفيها انفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرد نصر بن هرون بوزارته وكان مقيما بفارس يدبر أعمالها استخلف له عضد الدولة أبا الريان حمد بن محمد .

وفيها ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أدّاها وكان دخوله في شعبان وانصرافه فى ذى القعدة ورد معه القاضى أبو محمد العمانى لتأدية الجواب .

وفيها توفي حسنويه بن الحسين فى قلعته المعروفة بسرماج .

وفيها قبض على محمد بن عمر العلوى بالبطيحة وأنفذ الى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه [1] وانفذ أبو الوفاء طاهر ابن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شىء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التى لا يظن بمثله انه يجمعها ودخلت اليد فى ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى الفرات بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح احمد ابن عمر وقلد الحج بالناس واقطع اقطاعا سنيا .

---

(١) قال ابن الصابى انه سمع منه كلام يفهم منه الشكاية من الشريف فقبض عليه عضد الدولة ونقله الى فارس ودخلت اليد فى أملاكه وأسبابه : كذا فى عمدة الطالب طبع بمبىء ١٣١٨ ص ٢٨٤

وفى هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعى أسيرا وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه .(٥١٦)

﴿ شرح الحال في الحيلة التى تمت عليه حتى أسر وقُتل ﴾

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبقته عن كل رتبة واستخدم في وقت في تفرقة تضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعى ثم وصل بمحمد بن بقية وجمعتهما عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قلده خلافته بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتموّل وكان منه فى أيام عصيان ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم فى بعض . ثم تنكّر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختيار على ابن بقية استخدمه ولما عزم بختيار على الهرب منهزما هرب منه وصار الى البطائح وكان هناك يجرى على سوء عادته فى سوء الادب . فدبر عضد الدولة تدبيرا تم شطّره عليه ولو قبل جميعه لتم أيضا على صاحب البطيحة ما يُستغنى معه عن محاربة ومكافحة وذلك انه ووقف جماعة من أهل البصّرة ووجوهها ان يخدموا عضد الدولة فى مكاتبة يُوقعونها الى هذا الكراعي ويوهمونه أنهم يوالونهُ ويضافرونهُ فاذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطأة من سلطان البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغترّ استدعى الحسن بن عمران ليتقوّى به فاذا صار فى دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته الكمناء من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدقَ بهذا الوعد وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لى بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبونى والبصرة فى أيدينا . فاغترّ به الحسن ابن عمران (٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا ثار بهم من كان فيها

من الرجال وقاتلوهم . وأخطاوا لان تمام التدبير كان فى ان يتركوهم حتى يُوغلوا الى البصرة فقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكراعى وانهزم الحسن ابن عمران بعد ان مُلكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل الكراعى الى البصرة فشُهر وعوقب وطولب بالمال ثم أنفذ الى بغداد فشهر منصوبا على نقنق فى سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح الى الفيلة فخبطته وصلب الى جانب ابن بقية .

وفى هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر فى طلب ضبة بن محمد الاسدى (وقد مرّ ذكرُه وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما ويُخيف السبل وينهب القرى ويبيح الاموال والفروج) وانتهك حرمة المشهد بالحائر فلما أظل عليه العسكر المجرّد هرب بحشاشته الى البادية وأسلم أهله وحرمهُ فحصل أكثرهم فى الاسر ومُلكت عين التمر

وفيها دبّر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة الف دينار [1] وبنى الامر فيه على ان يرزق ولداً ذكرا منها فيولّى العهد وتصير الخلافة فى بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية (٥١٨)

وفى هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوّخ همذان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو على (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار) الفارسى النحوى والذي خطب القاضي أبو على المحسن ابن على التنوخي .

والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدبير فخر الدولة في قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بختيار وابن بقية وقد كان أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل عضد الدولة ان يكون الشيطان الذي نزغ بينه وبين اخوته قد زال وأنفذ أبا نصر خرشيد يزديار الخازن برسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى مؤيد الدولة فباحماده على طاعته التي ما غيّرها ولا كدّرها واما الى فخر الدولة فبالمعاتبة والمداراة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك التعرّض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا وانه واقف على حدود طاعته وتابع له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة فاجابه جواب النظير الذى لا يرى لرتبة الملك مزيّة ولا لكبر السن وعهد الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نيّة . وأما قابوس فاجاب جواب المتهيّب المحجم المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار (٥١٩) وعبد الملك فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مظهرة لمشاقّة عضد الدولة وطائفة وردت حضرته . فاما بختيار من بينهم فانه نافر اخوته وكان مقيما في قلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم ذلك اليه وذكر رغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلوّن ولم

ف . فتشوّف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدّم
عساكره يتلو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح المظفّر بن محمد الحاجب
وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المعسكر
بالمصلي من الجانب الشرقى بعد ان أقرّ أبا الريان بالحضرة على جملته من
خلافة الوزارة ولكن زاد فى منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
بالمعسكر الذى برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فواقف
القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بنيأتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
لهم الاقطاعات السنية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السر فلما سار
تلقته فى طريقه البشائر بدخول جيشه همذان واستئمان العدد الكثير من
قوّاد (٥٢٠) فخر الدولة ورجال حسنويه وتلقيهم رايته منحازين اليها وتلقاه أبو
الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة ومعه جماهير حاشيته
وبقية قواده وغلمانه فانحل أمر فخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
واللحاق ببلد الديلم فمضى ونزل دارا كان بناها معز الدولة بهوسم ولجأ الى
الداعى العلوى المستولى على ذلك الصقع وعرّج عضد الدولة الى نهاوند
وافتتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
وألقت اليه الحصون مقاليدها وأخرجت الارض أثقالها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه
مرض فى الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك
ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد [1]

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة الطائع

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو على أحمد بن محمد بن
يعقوب مسكويه رضى الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من انتساخه محمد بن على بن محمد أبو طاهر البلخي في
منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسمائة

نقله وقابله على بن حنظلة سنة عشرين وخمسمائة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة
ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة

ان يزيد فى لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض . فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل ! فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله فى الارض» ثم استمر يمشى ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال : استدنه . فصعد عضدالدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسى بعد ان كرر عليه « اجلس » وهو يستعفى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسى وجلس فقال له : ما كان أشوقنا اليك وأشوقنا الي مفاوضتك . فقال : عذرى معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون اليها . فأومأ برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي فتول ذلك مستخيراً بالله . قال : يعيننى الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه القواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزينبي . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالتفويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : ياطريف تفاض عليه الخلع ويتوج . فنهض الى الرواق وألبس الخلع وخرج فأومأ ليقبل الارض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم ألويته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدهما ثم قال : يقرأ كتابه . فقرىء فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنهاك عما نهاك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك انهض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفا كان بين المخدتين فقلده به مضافا الى السيف الذى قلده مع الخلعة وخرج من باب الخاصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلته فليراجع في ذلك حكاية أوردها ابن حمدون فى التذكرة وهى : حدث القاضي أبو على الحسن بن على التنوخي قال : حدثنى عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة ببغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثتنى أمي رحمها الله أنها ولدت للامير ركن الدولة ولدا قبل كناه أبا دلف وعاش قليلا ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً أسفا على فقده واشفاقا من أن ينقطع ما بيني وبين الامير بعده فسلاّني مولاي وسكنني وأقبل على وقربني ومضت الايام وتطاول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فخفت أن أجيء ببنت فلا أرى مولاى ولا برأني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة القلق والجزع الى أن دخلت في شهرى وقرب ما أرقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومداومة الصلاة والادعية الى الله في أن يجعله ولدا ذكرا سويا محظوظا (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامى واتفق ان غلبنى النوم فنمت في مخادي ورأيت في منامى رجلا شيخا نظيف البزة ربعة كث اللحية أعين عريض الاكتاف وقد دخل على وعندى انه مولاى ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جوارى من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا على بن أبي طالب . فنهضت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : لا لا . وقلت : قد ترى مولاي ما أنا فيه فادع الله لى بأن يكشفه ويهب لى ذكرا سويا محظوظا . فقال : يا فلانة

(وسماني باسمى وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت وستلدين ذكرا سويا نحيبا ذكيا عاقلا فاضلا جليل القدر سائر الذكر عظيم الصولة شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرهبة ويجمع الاموال الكثيرة ويقهر الاعداء . ويقول بجميع ما أنا فيه (يقول الملك ذاك) ويعيش كذا وكذا سنة لعمر طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا وكذا لشيء طويل هذه حكاية لفظه قال الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام وتأملت أمري وجدته موافقا له حرفا بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمي عماد الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلا وماتت أمي

وحدث أبو الحسين الصوفى يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتللت علة صعبة أيست فيها من نفسي وأيس الطبيب مني وكانت سنتي المتحولة فيها سنة ردية الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عني حتى الطبيب لضجري بهم وتبرمي باموره وما أحتاج الى شرحه لهم ولا يصل الي الا حاجب النوبة وبينا أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار منذ الغد يسأل الوصول وقد اجتهدت به فى الانصراف فابي الا القعود وترك القبول ولن يقول « لا بد لي من لقاء مولانا فان عندى بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها وسماعه اياها » فلم أحب أن أجد به في المنع والصرف الا بعد المطالبة وخروج الامر . فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ الكوكب الفلانى الى الموضع الفلاني » وتهذى على في هذا المعنى هذيانا لا يتسع له صدري ولا يحتمله قلبي وجسمى وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب وعاد متعجبا وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده أمر عظيم فانني أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتي لما انصرفت أو أراك ومتي أوردت عليك فى معنى النجوم حرفا فحكمك ماض فيّ . واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت في الوقت وزال ما تجده » فعجبت من هذا القول عجبا شديدا مع علمي بعقل أبى الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسي الى ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا في عافية ولا خوف عليك اليوم تبل وتستقل ومعي دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذى رأته أمى ولا سمعه أحد منى فقال : رأيت البارحة فى منامي أمير المؤمنين على بن أبي طالب عم والناس يهرعون اليه ويجتمعون عليه ويفاوضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكأنى قد تقدمت اليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب تركت نعمتي وتجارتي بالرى وتعلقت بخدمة هذا الامير الذى أنا معه وقد بلغ فى علته الى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعنى فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذى رأته وهى حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستعتل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة يأيس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يبتدىء برؤك ويتزايد الى أن تركب وتعود الى عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك الى الوقت الذى أخبرتك به أمك عني »
قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام واني اذا بلغت هذه السنة من عمرى اعتللت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي فى الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقعدوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استقللت على الفراش قلت لابي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكلته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعاودت عاداتي في اليوم الذى قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لى : بقى في نفسى من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله ويصرم عنه كل ما يخشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بان سؤاله عن ذلك سوء أدب فعلم ما فى نفسي وقال : وقوفه على انني أملك حلب ولو كان عنده انني أتجاوزها لقال حتى أنه لما ورد الخبر باقامة ابن شيخ الدعوة لى بها ذكرت المنام فتنغص عليّ امرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له وانقطع المجلس



TAJÄRUB AL-UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS

MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER ATLAW,

Volume II

DEALING WITH THE EVENTS OF 40 YEARS:

329 - 369 A. H.

DISTRIBUTOR :

AL - MUTHANNA LIBRARY

BAGHDAD, IRAQ.





TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD,
KNOWN AS MISKAWAYH
(DIED 421 A. H.)

EDITED

BY

H. F. AMEDROZ,
BARRISTER ATLAW,

DISTRIBUTOR :

AL - MUTHANNA LIBRARY
BAGHDAD, IRAQ.